تشحيذ الأذهان

٤ر٥١٩١
ت.ت

تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ،
تأليف محمد بن عمر التونسي -١٢٧٤هـ. بخط
عبد الحميد بك نافع سنة ١٢٧٥هـ.
٣٢٠ ق ٢١ س ٢١×١٦٫٥ سم
نسخة جيدة ، خطها نسخ حسن ، طبع .
دار الكتب المصرية ٥ : ١٤٠ ، معجم المطبوعات
٢ : ٦٨٤ ١
١- الرحلات والمغامرات أ- التونسي ، محمد بن
عمر -١٢٧٤هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ .

٧٣





٢

كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد
الغرب والسودان جمع الشيخ
محمد بن الشيخ عمر التونسي
ابن سليمان
رحمه الله
م

توفي مولفه يوم الجمعه لاثنتى عشرة خلت من شهر ذى القعدة
سنة الف ومائتين واربع وسبعين من هجرة سيد المرسلين

[illegible] ١٢٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

يا من سير اقدام الانام بارادته السنية• وجعل رحلة الشتا والصيف بحكمته البهيّة **نحمدك** حمد من تلذذ بحلاوة الراحة بعد مرار مشقة السفر• ونشكرك شكر من نعم بالاقامة بعد كدّ الرحلة والكدر• ونسئلك يا مالك الاملاك• بما قدرت من سير الكواكب في الافلاك• ان تهطل شآبيب رحمتك ورضوانك• وتنزل غيث صلاتك وسلامك• على افضل من رحل واقام• وسافر من مكة الى الشام• سيّدنا ومولانا محمّد الشفيع يوم العرض في المذنبين• الذي انزلت عليه قل

سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين• وعلى اله الذين رحلوا من اوطانهم في حبّه• واصحابه الذين هاجروا المدينة رغبة في قربه• وسلم تسليما كثيرا

وبعد فيقول الفقير الى رحمة ربه المنان• محمد بن السيد عمر التونسي ابن سليمان• لما وفقني الله تعالى لقراءة علوم العربية• واترع كاسي من بينها بالفنون الادبية• حتى حسبت من بني الأدب وذويه• وعشيرته التي تؤويه• اناخ الدهر بكلكله على ما بيدي من العين• فغادره اثرا بعد عين• وكانت همتي اذ ذاك مصروفة لتحصيل العلوم• وجمع المنثور منها والمنظوم• وحين شاهدت معاندة الزمان لمثلي• تمثلت بقول العلامة الصفدي•

هبطت ثريّا الشاردات لهمتي	وصعدت في العرفان كل سماء
وفهمت غيري في العلوم وانما	بيني وبين المال كل تناء
فعجبت اذ عقد اللوا لجاهل	والفقر حل عمائم الفقهاء

ولما ضاقت الراحة• وقرعت الساحة• ومال المال• وحال الحال• وغار المنبع• ونبا المربع• انشدت من مقالي• على شرح حالي•

شعرا

يا خيلتي ولذا الزمان متاعب	يؤذي الشريف وللوضيع يصون
زمن له حرب على اهل التقى	بازائه حرب السوس يهون
فتراه يرفع كل غمر جاهل	ويسيء كل مهذب وفطين

وتمثلت بقول القائل •

تبيت الاسد في الغابات جوعا •	ولحم الضان يلقى للكلاب
وخنزير ينام على حرير •	وذو علم ينام على التراب

ثم ناجتني القريحة • ان اسئل من بعض الناس المعونة
فتذكرت ان ليس كل احمر لحمة • ولا كل ابيض شحمة • وربما
يريق الانسان ما وجهه • ولا يحظى بمقصده •
وان اراقة ما المحيا • ة دون اراقة ما المحيا
سيما اذا وقع التعس والنكس • وكان الطلب من نحس •
قال الشاعر •

لقلع ضرس وضنك حبس •	ونزع نفس وورد رمس
ونفخ نار وحمل عار •	وبيع دار بربع فلس
وقود قرد وفرط برد •	ودبغ جلد بغير شمس
وفقد الف وضيق حسو •	وضرب الف بالوقلس
اهون من وقفة لحر •	يرجو نوالا بباب نحس

لاسيما وقد وجد على بعض الاحجار بقلم قدرة العزيز
الجبار • كل من كد بيمينه • وعرق جبينه • وان ضعف يقينه
اسئل الله يعينه • فدخلت في خدمة من تزينت
بلطائفه صفحات الايام • ونارت بعوارفه حوالك
الظلام • ظل الله الظليل على البلاد والامصار • حامي
دمار الاسلام وقامع الفجار • من انام الانام في وارف
حلمه واحسانه • واذاقهم حلاوة الامن بنجدته وامانه

ملك ماجد حليم كريم • جوده ناسخ لكل الوجود •
ناشر العدل وهو للجور طاو • واقف في الاحكام عند الحدود
صالح النفس صادق القول واف • بوفا العهد منجز للوعود
همه القطع للفساد واصلاح • جميع البلاد والتمهيد
نحن من روض امن دولته في • خفض عيش به وظل مديد
ايها المالك الذي يحتمي عن • حد اوصافه العلا بحدود
انت من حصن ربنا في امان • من عيون العدا وكيد الحسود

الا وهو فاتح الحرمين الشريفين بجيشه المنصور • ومالك
الاقطار بابراهيم البطل الغضنفر المشهور • اوحد
الوزراء • واجل الامراء • الحاج محمد علي باشا اعلى الله
سرادق عز دولته • وايد ملكه بمجده وصولته • وكان
اول خدمتي بوظيفة واعظ في الالاي الثامن من
المشاة • وسافرت معه الى المورة • وكابدت المشقات
وكنت قبل ذلك سافرت الى بلاد السودان • ورايت
فيها من العجائب ما اذا سطر يكون كزهر بستان • ثم
استخدمت في مدرسة ابي زعبل لتصحيح الكتب الطبية •
وخصصت منها بتصحيح كتب الجراحية • ومكثت على
ذلك حتى اجتمعت بمن لا تسعني مخالفته • ولا يمكنني
الا موافقته • فذكرت له بعض ما عاينته في اسفاري
من الاعاجيب البهية • فحملني على ان ازين وجه الدفتر
بايضاح ما شاهدته من العجائب • واخبره بما حصل

على هامش النسخة التي بخط جامعه قوله حتى اجتمعت بمن لا تسعني مخالفته الى آخره كالمذكور هنا واما في الصلب
فمكتوب بخط جامعه ومشطوب عليه قوله حتى اجتمعت باربع اهل زمانه حذاقة وفهما وازكى اهل عصره صناعة
وعلما معلم الكيميا المعلم بيرون الفرنساوي وقرأ علي كتاب كليلة ودمنة باللغة العربية فذكرت له بعض ما عاينته الخ

لي في تلك الاسعار من الغرائب • فامتثلت امره لما له علي من اليد
البيضا • ورايت ان ذلك احمل لي ايضا لقول صاحب المقصوره

انما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعى •

فشرعت في ابراز فرائدها من صدف الاذهان • وكشفت
حجاب خرائدها الحسان الى العيان • وضممت لذلك من النوادر
ما سمعته من الثقات • او نقلته من الكتب على سبيل الاستطراد
للمناسبات • لتكون هذه الرحلة روضة يانعة الازهار
لمن تامل فيها • وحديقة دانية الثمار لمن تصفح معانيها
ولم آل جهدا في ايضاح معانيها للمتاملين • ولم اتعمق
في غريب اللغة ليسهل فهمها على السامعين • ورتبتها
على مقدمة ومقصد وخاتمة • وفي كل منها ابواب كما
يعلم من الفهرسة •

وسميتها تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان

والله اسئل ان ينشر عليها حلة القبول • ويقيها شر
حاسد يطعن فيما فيها من المعقول •

وكم من عائب قولا صحيحا • وآفته من الذهن السقيم

على اني وان اتقنتها وهذبتها • وفي احسن قالب سبكتها •
لا اقول انها عارية من الخلل بريئة من الزلل لاني انما
انا بشر من الانسان محل الخطا والنسيان • لكن انما
اتعوذ من غمر يرمقها بعين الحسد • وينبذ بابها من
الخرافات عند كل احد •

وهبني

وهبني قلت هذا الصبح ليل • أيعمى العالمون عن الضياء

فرحم الله امرا راى الزلل فستره • وشاهد الخلل فجبره •

ان تجد عيبا فسد الخللا • جل من لا عيب فيه وعلا

وبالله استمد التوفيق • الى اقوم طريق • وهو حسبي ونعم
الوكيل • نعم المولى ونعم النصير •

المقدمة وفيها ثلاثة ابواب •

الباب الاول في السبب الباعث لرحلتي لبلاد السودان
حكى لي والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان
ان جده كان من عظماء اهل تونس وكبرائها من طرف سلطان
المغرب المولى الاكمل الملك المظفر العادل المرحوم الشريف
محمد الحسني • فاجتمع له بذلك مال جزيل حتى صار من اغنى
اهل زمانه وعلمائه وكان قد خلف من الولد ثلاث
بنين تنازعوا تراث ابيهم وباعوا دارهم التي كانت
تأويهم وسكن كل منهم على حدته باولاده وزوجته
فاتفق ان اباه كان من اهل العلم جيد الخط ينسخ الكتاب
فيبيعه بضعف ما يبيع به غيره وكان يعرف صباغة
الثياب بالالوان فكان ارفه اخوته معاشا واحسنهم
رياشا فاتفق له انه اشتاق لرؤية البيت الحرام وزيارة
قبر نبيه عليه السلام فباع بعض عقار كان له وتاهب
للسفر واخذ معه حرمه وطابيش واعطاه الناس
اموالا كثيرة يتجر لهم فيها لما يعلمون من صدقه وامانته

حتى انه وسق من السفينة جانبا عظيما وحين توجه ودعه
اخوانه حتى وصل الى السفينة فركبها واقلعت بهم بريح
طيبة ثم اختلفت الرياح على السفينة حتى انهم اخذوا طريقا
غير طريقهم وذلك انهم جاؤا على طريق رودس وبينما هم
امنين مطمئنين اذ ذهب عليهم قاصف ريح وكانوا اذ
ذاك بجانب رودس • فلما طمت عليهم امواج البحر
وبدل الصفو بالكدر على حد قول الشاعر •

حسنت ظنك بالايام مذ حسنت • ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وكان بسفينتهم خلل فلما تلاطمت عليها الامواج •
وسطت عليها سطوة الحجاج • تخلل تركيبها • وفسد
ترتيبها • وتفرقت اجزاؤها • وانفصلت افلاذها •
وغرق من فيها • ولم ينج الا القليل من راكبيها • وكان
ممن نجا منهم جدي المذكور • فخلص بعد عض الريق الى
البلد المذكور •

اذا سلمت راس الرجال من الردى • فما المال الا مثل قص الاظافر

فمكث في رودس مدة ونعمه فيها هميان كان في وسطه
فيه بعض ذهب فكان ينفق منه مدة اقامته ثم اشترى
زادا وركب في سفينة الى ثغر اسكندرية وكان ذلك
ابان الحج والذهاب الى العج والثج • فتوجه في الحال
من غير اهمال الى ان وصل الى تلك البقاع • وبلغ ما امله

جهد ما استطاع • وكان لسان حاله يقول • قبل بلوغ المأمول

ابرك الايام يوم قيل لي • هذه طيبة هذي الكثب •
هذه روضة طه المصطفى • هذه الزرقا لديكم فاشربوا •

ولما قضى ما وجب عليه • وتملى بزيارة الحبيب وصاحبيه •
افاق من دهشته • وفاء الى سكينته • وافتكر في ضياع
ماله • وتشتت حاله • وافتضح من دخوله الى تونس
ذا عسر وفاقة • بعد ان كان ذا يسر وافاقة • وكيف
يصبر بعد الرفاهية على الكد او يراه على هذه الحالة
اهل البلد • ولما تذكر ما قد حدث • انشد على وجه
الجد لا العبث •

ساضرب في الافاق شرقا ومغربا • واكسب مالا او اموت غريبا •
فان تلفت نفسي فلله درها • وان سلمت كان الرجوع قريبا •

ومن المعلوم انه يسهل على المرء ان يعيش في تعب
ونصب وكد • في بلاد لا يعرفه فيه احد خصوصا
في هذا الزمن الذي يكرم فيه اليهودي لماله • ويهان
الشريف لفقره وسوء حاله ورحم الله القائل •

يغدو الفقير وكل شيء ضده • والناس تغلق دونه ابوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب • ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رات ذا ثروة • مالت اليه وحركت اذنابها

واذا رأت يوما فقيرا عاريا . نبحت عليه وكشرت انيابها
ولذا قال الامام علي كرم الله وجهه الفقر أدأ الادواء
له . ان اذعته فضحني وان كتمته قتلني . وقد
قيل اذا افتقر الانسان خونه من كان يأتمنه .
واساء به الظن من كان يحسنه . وابعده من كان يقربه
وملّه من كان يحبه .

ان قل مالي فلا خل يساعدني .	وان غنيت فكل الناس من خلاني

ولست الانسان اذا افتقر يترك وشانه ولا يحتقر
لا والله بل يكذب في المقال وان كان صوابا وبهتان
وان لم يكن عابا .

ان كان يملك درهمين تعلمت .	شفتاه انواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له .	ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه .	لرأيته شر البرية حالا
ان الغني اذا تكلم بالخطا .	قالوا صدقت وما نطقت محالا
واذا الفقير اصاب قالوا كلهم .	اخطأت يا هذا وقلت ضلالا
ان الدراهم في المواطن كلها .	تكسو الرجال مهابة وجلالا
وهي اللسان لمن اراد فصاحة .	وهي السلاح لمن اراد قتالا

واذا كان كذلك فالموت خير لذوي الاحساب من
ان يستقي ايديهم بالتراب .

الموت خير للفتى .	من ان يعيش بغير مال .
والموت خير للكريم .	من التضرع والسؤال .

ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم ان الفقير يهان بعد الاكرام
ويذل بعد العز والاحترام . قال اكرموا عزيز قوم ذل
وغني قوم افتقر لكن كل ذلك بحسب ما سطر في ام الكتاب
وقدره في علمه العزيز الوهاب . وكم من فقير
اسعفته الاقدار . وكم من غني اصبح لا يملك ربع دينار
ومن ذلك ما حكي ان الوزير المهلبي كان في اوائل امره
فقيرا لا يملك نقيرا واتفق انه سافر راجلا من بغداد
الى مكة في قافلة وقد اضر به الجوع واوهمه الجوع .
فانشد يقول .

الا موت يباع فاشتريه .	فهذا العيش ما لا خير فيه .
الا رحم المهيمن روح عبد .	تصدق بالوفاة على اخيه .

فسمعه احد التجار فاعطاه رغيفا ودرهما ثم تغيرت
الاحوال فترقى المهلبي للوزارة وافتقر التاجر حتى
صار لا يملك قوت يومه وبلغه ان المهلبي ترقى للوزارة
فذهب اليه وكتب له في رقعة ما صورته .

الا قل للوزير فدته نفسي .	مقالا مذكرا ما قد نسيه .
اتذكر اذ تقول لضنك عيش .	الا موت يباع فاشتريه .

وارسلها اليه مع بعض خدمه فلما قرأها بكى واستعبر
وتذكر ما قد سلف وامر له بعطاء وسبعمائة الف درهم وكتب
له على رقعته مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الاية

نعلم من ذلك انه ينبغي اكرام من افتقر بعد غناه وذل بعد
ان بلغ في العز منتهاه واذا عنت للانسان حاجة واراد
ان يسال فيها الناس فان كان عاقلا لا يسال الا من
كان ذا فضل ومروءة ولا يسال من تمول بعد فقره
وعز بعد ذله فارا لك عن

سل الفضل اهل الفضل قدما ولا تسل	غنيا زلي في الفقر ثم تمولا

ثم ان المال يميل الى صاحبه القلوب وتنضم عليه ازرار
الجيوب وبه تتم الارادات وتقضى جميع الحاجات
ولقد اجاد الحريري في مدح الدينار حيث قال

اكرم به اصفر راقت صفرته	جواب آفاق ترامت سفرته
ماثورة سمعته وشهرته	قد اودعت سر الغنى اسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته	وحببت الى الانام غرته
كانما من القلوب نقرته	به يصول من حوته صرته
وان تفانت او توانت عترته	يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته	كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته	وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم انزلته بدرته	ومستشيط تتلظى جمرته
واسر نجواه فلانت شرته	وكم اسير اسلمته اسرته
انقذه حتى صفت مسرته	وحق مولى ابدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلت قدرته

ولقد

ولقد شوهد ان الالكن اذا استغنى يكون فصيحا والاعمش
اذا تمول يعود بصره صحيحا ومصداق ذلك اني رايت
في سفري هذه رجلا يسمى محمد المكني وكان خادما على باب
يوسف باشا صاحب طرابلس الغرب وكان اعمش العينين
مسلوق الجفنين ترشح دموعه ويقل هجوعه ودام كذلك
الى ان تولى حاكما على اقليم فزان فبرئ عمشه ونبت رمشه
وذهب وجعه وبطل دمعه وصار احمر اهل مصره
واوجه اهل قطره قلت ولعل الامراض اغلبها تعتري
الفقراء لما يرونه من الذل والمسكنة والعري والمسغبة
فيهتمون لضيق معاشهم وعدم ارتياشهم فتتشوش
اذهانهم وتسقم ابدانهم والغني ليس كذلك نعم
وان كانت له هموم لكنها من جهة اخرى

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره	فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا اقبلت كانت على المرء حسرة	وان ادبرت كانت كثير همومها

لكن الغني اذا بذل الدينار يبلغ الاوطار ومن ذلك
ما حكي ان علي باشا الاول صاحب تونس كان قبل
ولايته فارا بالجزائر مستجيرا بحاكمها ان يمده بعساكر
لياخذها من ابن عمه حسين باشا وكان صاحب
الجزائر يعده بذلك والاخبار ترد على حسين باشا بذلك
فكان يغتم اذا سمع شيئا من ذلك لما يعلم مما يطرا عليه
من انحطاط شانه وذهاب ملكه وسلطانه فاتفق

ان ورد عليه خبر اقلقه واهمه واحزنه واغمه فركب
وهو ضيق الصدر كثير الفكر وشق في وسط تونس
بموكبه وكان احد وزرائه محاذيا له يتحدث معه فرآه
على تلك الحالة فسأله عن سبب تغيره فاخبره بما سمع
من الخبر فقال الوزير ايد الله مولانا ونصره اتهتم بأمر
لا اصل له على اني اقول انك صادق ما دمت موجودا
لا تقوم له قائمة والتفت عن يمينه وكانا بمحل يسمى
سوق البلاط فرأى ساق شجرة يابسا ملقى على الارض
فقال ان كان هذا الساق يعود شجرة خضرا يملك علي
باشا تونس ويصير حاكما عليها واراد بذلك اطمئنان
صاحبه فمرت الايام قلائل حتى جا علي باشا
بجيش كثيف من الجزائر وقتل حسين باشا واستوزر
الوزير المذكور مدة حتى تمهدت له الامور فاتفق انه
ركب يوما في موكبه ودخل تونس والوزير المذكور محاذيا
له كما كان محاذيا لحسين باشا فتماديا في سيرهما
حتى وصلا الى سوق البلاط فالتفت علي باشا
فرأى ساق الشجرة ملقى بمكانه فقال للوزير ان عاد
هذا الساق شجرة خضرا يعود علي باشا حاكما على تونس
وكان بعض اعداء الوزير القى اليه ذلك فاسرها في نفسه
الى ذلك الوقت ثم اعرض عنه ولم يحادثه بعد ذلك
فعلم الوزير انه مقتول لا محالة لما يعلم من اخلاق

علي باش

علي باشا لانه كان سفاكا للدما حتى انه كان يقتل
على الهفوة الصغيرة فضلا عن مثل هذه وتماديا
على ذلك حتى وصل الباشا الى محل سلطنته بايوان
ابهته فتقدم اليه الوزير قبل ان يأمر فيه بأمر وقال
ايد الله مولانا ان ابن عمك حسين باشا حين سمع
بقدومك اودع عندي اموالا جمة خبأتها في محل لا يعرفه
غيري وانا محقق انك قاتلي واخاف ان انا مت وهي
بمكانها لا ينتفع بها مولاي فان رأى مولاي ان يسير حتى
لآتيه بها فليفعل ففرح علي باشا وظن صدقه وامر
بالتوجه وان تصحبه عشرة جوانب والجوانب في لغة
اهل تونس هم القواصة بلغة اهل مصر وقبل توجههم
قال للجوانب ان فر منكم قتلتكم اجمعين فتوجهوا معه
حتى وصلوا الدار فاوقفهم اسفل الدار وصعد ليبعد
الخدم عن الطريق فوقفوا وحال صعوده لم يكن له هم
الا انه قصد خزانة امواله فملأ منها جيوبه ذهبا
واخذ معه صندوقا صغيرا يسمى في عرف اهل تونس
بالغنبق مملوءا ذهبا ايضا وصعد على السطح وتسور
دارا اخرى وخرج الى الشارع وتوجه الى دار قونصل
الانجليز فدخل عليه واخبره انه مستجير به واعلمه بالقصة
واعطاه الصندوق بما فيه وقال له اريد ان تأمر
باحدى سفائنك يتوجه بي في هذه الساعة الى انغلاتيره

فكتب له القونصل في الحال كتابا الى احد قبودانات ان سافر
الى الاسكندرية حالا وخلوا جوابنا هذا اليك ولا تتأخر دقيقة
واحدة واعطاه الكتاب ورافقه بترجمانه ونزلا البحر حتى
وصلا الى السفينة فحين قرا مدبر السفينة كتاب القونصل
اقلع عن المرسى واطلق مدفعا علامة للقونصل بتوجهه
واستعطاه الجواب فنادوا فلان انزل فقلن لهم الحريم
انه نزل من وقت صعوده فكذبوهن وهجموا الدار فلم يروا
فيها شيئا احدا وعلم علي باشا بافلاته فاغتاظ وعرف انها
حيلة وتمت عليه فانظر رحمك الله الى هذه القضية
اترى ان هذا الوزير لو لم يبذل هذه الدنانير اكان يبلغ
مأمنه لا والله بل كان يقتل ويؤخذ ماله ولا ينفعه
بشيء لان الدرهم والدينار اذا لم يبذلا لم ينفعا ولا
يقضي لصاحبهما حاجة بل ان كان واليا عزل وان
كان تاجرا احتقر وفي هذا المعنى انشد شيخ مشايخنا
العلامة الشيخ محمد الامير الكبير حين عزل خورشيد باشا
والي مصر سابقا وتولاها صاحب السعادة سنة ١٢١٩
لعدم اعطائه مرتبات العساكر

عزلوك لما قلت ما	اعطي ودلوا من بذل
او ما علمت بان ما	حرف يكف عن العمل

ولقد اجاد ابو القاسم الحريري في ذم الدينار من حيث
انه لا ينفع صاحبه الا اذا فر من يده حيث قال

وشر ما فيه من الخلائق	ان ليس يغني عنك في المضايق
الا اذا فر فرار الآبق	واها لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق	قال له قول المحق الصادق

لا رأي في وصلك لي ففارق

وفي الامثال التونسية اذا وضعت الدينار على فم البلا
اسكته وفي الامثال المصرية حبيب ماله حبيب ماله
اي من احب ماله وخزنه لا حبيب له ومن هذا القبيل

نكتة وقعت بتونس وهو ان المرحوم الامجد ابو محمد
حموده باشا برد الله ثراه كان له وزير يسمى يوسف صاحب
الطابع ومعناه المهردار اي الذي في يده الخاتم الذي
تختم به الاوامر وكان يوسف المذكور قبل ذلك مملوكا
لقائد صفاقس المسمى محمد الجلولي وكان من الجمال والادب
والحياء بمكان فنمى خبره الى الباشا فارسل الى الجلولي
يقول له انه قد بلغني ان عندك مملوكا صفته كذا واسمه
يوسف فاذا وصلك كتابي هذا ارسله صحبة حامله والسلام
فلما قرا الجلولي الكتاب لم يجد بدا من ارساله فارسله
فلما صار في حيازة الباشا اعجبه حسنه وذكاؤه وفطنته
وصدقه وامانته واتفق ان بعض المماليك اتفقوا
على قتل الباشا ودخلوا عليه وهو نائم ووضعوا
الشفرة على مذبحه فاستغاث منهم وبحث يوسف
المذكور كان خلاص الباشا منهم على يده فنزل عنده منزلة

عظيمة واحدة محزوله وتلك الولايات العظيمة وصارت
الالوية تخفق على راسه حتى صار يشار اليه باطراف البنان
وكان يوسف المذكور سعيد الطالع جيد التدبير مظفرا
في الحروب ميمون الحركة سخي الكف يجذب القلوب بلطفه
حتى ان الباشا جعله رئيسا على العساكر البرية في محاربة
مراد وهي محاربة وقعت بين حاكم تونس وصاحب
الجزائر فبيمن صاحب الطابع كانت الدائرة على اهل
الجزائر واغتنم عسكر تونس اخبية العسكر الجزايري
وخيله وابله وسلاحه واسر من عسكر الجزائر في هذه
الواقعة جم غفير ثم صار مدبر الجيوش البرية والبحرية
بحلق الواد وذلك حين قدم اسطول الجزائر لمحاربة
تونس ايضا فكان مقيما ببرج حلق الواد يدبر امر
الجيش والسفن والشواني والعسس على الشاطئ وكانت
اكابر تونس تاتي اليه لقضاء اشغالهم بحلق الواد
لان زمام الامور كلها بيده وكان من جملة من يحضر
ديوانه محمود الجلولي ابن سيده سابقا لكن كان
ياتي بتيه وفخر مع عدم سلوك الادب اللائقة
بامثاله وكان صاحب الطابع يرى منه ذلك ويتغافل
عنه حتى ان اكابر ديوانه تكلموا معه في شان ذلك
وذكروا له امورا كثيرة حتى قالوا انه يراك الى الان
مملوك ابيه وقد صرح بهذا مرارا فنم ذلك عليه

وتحير

بلغ

وتحير في طريق الانتقام منه فاخبر انه يدخل الى راكبا ولا
ينزل خارج الدار كبقية الامرا وان سايسه ياخذ بغلته
ويربطها في مربط دوابي فدعى برئيس السياس وقال له
قد بلغني ان سايس الجلولي يربط بغلته في مربط دوابي
وان بلغني انه ربطها في مربط خيلي بعد اليوم لا تلومن الا
نفسك فقال سمعا وطاعة ثم ان الجلولي جا ونزل على
عادته واخذ سايسه البغلة وربطها على عادته والسايس
كان غايبا وصعد هو الى مجلس صاحب الطابع وجلس
وبينما هو جالس اذ سمع هيعة وصياحا فنظر من احدى
الشبابيك فراى بغلته تركض وسايسه مضروبا والدم
ينبع من راسه فانزعج ونزل فاخبره سايسه ان كبير
السياس جا ووجد البغلة مربوطة فاطلقها وضربها
فخرجت عاثرة فسمعت بذلك فقلت له لم تطلق بغلة
سيدي فشتمني وشتمك فرددت عليه فضربني وترك
حالي كما ترى فرجع الجلولي الى صاحب الطابع وهو مغضب
وقال اتطلق بغلتي وتضرب خادمي وانت موجود فلم
يلتفت اليه ولم يرد عليه جوابا فزاد حنقه وعلم ان الخادم
لا يفعل مثل هذا الفعل الا باذن سيده فنزل وركب من
ساعته وتوجه الى الحضرة ودخل على المرحوم حمودة باشا
وشكى له جميع ما قد جرى عليه من صاحب الطابع فما اشكاه
ولا التفت اليه فكاد يتميز من الغيظ ونزل من الحضرة

وتوجه لداره كئيبا حزينا لا يدري ماذا يصنع فاجتمع
عليه بعض اصحابه وراه على تلك الحالة فساله عن سبب
حزنه فاخبره الخبر فلام عليه فيما صنع لاسيما في شكواه
للباشا وقال له اما تعلم ان هذا صاحب الطابع هو المقبول
وكلمته هي المقبولة المسموعة اتريد ان تعاديه وتشكوه
للباشا ويسمع لك عليه دعوة بئس ما فعلت وتاماتوهمت
ادرك نفسك وتلافى امرك والا حل بك ما يحل بك
من التلف وانت المذموم اما سمعت قول الشاعر

واذا العناية صادفت عبد الشرا
تمشي على ساداته احكامه

فقال الجلولي وكيف الخروج من هذا الامر والحيلة في الخلاص
منه قال له صاحبه اعلم ان المال اذا لم يبذله صاحبه في مثل
هذا المهم كان هو وحجارة الدار سوا والحيلة
ان تحتفل في هدية سنية وتقدمها بين يدي صاحب
الطابع وتتوسل اليه باعز احبابه عليه كحضرة ابن
الى الضياف وقاسم البواب وصالح بوغدير وامثالهم
وتبذل لهم من المال ما يرضيهم وينشطهم للشفاعة
لان المال لا يبطل لا يطلب الا لمثل هذا المهم فاخذ
الجلولي نصيحته بقبول واحتفل في هدية عظيمة
منها سيف لا يقوم بمال الحسن جوهره وخاتم من الماس
عظيم لا يقوم ايضا وخنجر مرصع بماس وياقوت وعلبة

نشوق وساعة مرصعتين وعشرة الاف محبوبا واخذ مالا
جزيلا غير هذا وتلطف حتى اجتمع باصحاب صاحب
الطابع واخبرهم انه متوسل بهم اليه ان يتوسلوا له
في العفو وبذل لهم ما ارضاهم وسلمهم الهدية فاخذوها
وذهبوا الى صاحبهم واخبروه ان الجلولي جاء معتذرا
يطلب عفو سعادته واطلعوه على الهدية وزينوا له امر
الصلح وترك الانتقام منه الان عاد لمثلها فشرهت
نفسه الهدية وقبلها وعفا عنه وامرهم باحضاره
وان يبالغوا في وصيته على سلوك طريق الادب
وان يترك ما كان عليه من التكبر ولا يرى لنفسه على غيره
فضلا بل يقف على قدم العبودية لانه هو واحد
القواد عندنا على حد سوا وان عاد الى مثلها لا يلومن
الا نفسه فامتثلوا امره واحضروه وبالغوا في وصيته
ثم ادخلوه على صاحب الطابع فلما راه بش في وجهه
وامره بالجلوس واجل مجلسه واعتنى به ولم يفاوضه
في شيء مما كان ثم ان صاحب الطابع كتب الى مخدومه
الباشا واعلمه بما وقع من الجلولي ومنه وان الجلولي
استرضاه بهدية وانه رضي عنه وارسل الهدية
صحبة الكتاب فلما وصله الكتاب قراه واحضر الهدية
ونظرها ثم ردها اليه وكتب له ما صورته قد بلغنا
كتابك وفهمنا ما انطوى عليه ووقفنا على الهدية

العفو عنه صح

احسن موقع لكننا رايناكل ما فيها يصلح لك لا لنا فقد
رددناها وسامحناك فيها لانك شاب وتحب
الزينة ونحن بمعزل عن ذلك واما العشرة الاف فاصرفها
في مصالح العسكر وقد رضينا عن الجلولي لرضاك عنه
والسلام ولما كان من الغد دخل الجلولي على الباشا فاعظم
ملقاه ورحب به واضاف له عملا على ما بيده من الاعمال
وصار في احسن حال فتامل رحمك الله في هذه القضية
بعين الاعتبار ترى ان الجلولي لو لم يبذل هذا المال لكان
يرجع لحالة الاولى لا والله بل تؤخذ من يده الاعمال
وربما قتل في الحال واذ قد انجر الكلام الى سيرة المرحوم
حموده باشا ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع فلنذكر
نبذة من سيرتهما لان المقصد ان لا تخلو رحلتنا عن
الفوائد الجميلة ولا اجمل من ذكر الملوك العادلين
الذين حسنت سيرتهم فتنعمت بهم رعيتهم وبنبدأ بذكر الباشا
فنقول هو المولى الاجل الفاضل العادل الفطن الحازم
ابو محمد حموده باشا ابن علي باشا ابن حسين باشا ابن علي
ولد ليلة السبت الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ١١٧٣
وبويع له يوم الخلافة وفاة ابيه سنة ١١٩١ وتوفي ليلة
عيد الفطر سنة ١٢٢٩ كان من الحزم وحسن الرأي والعدل
بمكان شجاعا مهابا عفيف النفس عالي الهمة انشا
بستان منوبة المشهور الآن الذي اخفى ذكر بستان

ابو فهر

ابي فهر الذي قال فيه ابو عبد الله محمد الورغي

وقف هنا بابي فهر الجميل فقد	مضت به دولة الشم العرانين
ترى الحنايا كسطر النحل مد به	بعض لبعض لمحنى الراجين
او خرد نهضت للرقص فاعتنقت	كي لا تجيء برقص غير موزون

وسور على تونس السور العظيم وحصنها بالابراج والمدافع
وشحن الابراج بالعساكر ورفع التلال التي كانت بين
تونس والبحيرة وقد كانت مثل الجبال العظيمة مانعة
لجودة الهواء يخشى على البلد منها وهي من مدة دولة بني حفص
فاجتهد في نقلها ونقلها في مدة سبع سنين حتى ترك
محلها مزرعة عظيمة وكشف بذلك غمة اهل تونس
واتخذ محلا لانشاء المدافع العظيمة وحصن حلق الواد
بالابراج والابنية العجيبة بحيث صار لا تدخله فلوكة
الا ويفتح لها بابان وبنى قلعة الكاف واخرج تونس
واعمالها من ربقة الرق من اهل الجزائر الى الحرية
المطلقة وكان مظفرا ميمونا لا يعاديه احد الا خذل
فلم تقدر له اهل الجزائر على شيء ومن سعادته
انه استوزر يوسف صاحب الطابع المذكور واطلق يده
في جميع الامور كما قدمناه فكان يوسف المذكور جيد
الرأي حسن التدبير عالي الهمة محبا للعلماء واهل الفضل
مجبولا على فعل الخير جوادا مهابا بنى الجامع المشهور
به الآن بسوق الحلفاويين بتونس وبنى بازائه

مدرسة عظيمة لطلب العلم ورتب فيها وفى الجامع رواتب
جليلة منها انه جعل نظر المدرسة لأوحد اهل زمانه
علما وديانة المولى الاجل الاديب البارع سيدى الشيخ
ابراهيم الرياحى شيخنا وشيخ المشايخ الآن بتونس
وشرط عليه قراءة درسين فى كل يوم درس فى الفقه
ودرس فى التفسير وزاد الشيخ من نفسه درسا فى الحديث
ودرسا فى النحو وصرف صاحب الطابع على بناية الجامع
والمدرسة المذكورين مالا جزيلا حتى ان جامعه
الآن فى الحسن والاتقان اعظم جامع يوجد بتونس
بل يمكن ان لا يوجد اتقن منه ولا اعجب منه وان كان
صغيرا الا انه لم ار نظيره ولقد رأيت عدة جوامع
بالقاهرة وبطرابلس المغرب وبالمورة والحجاز فلم
أر اتقن منه اللهم الا ان يقال ان الجامع الأموى
بدمشق او جامع القرويين بفاس او جامع اياصوفيا
بقسطنطينية اعظم منه وبنى امام الجامع سوقا عظيما
للتجار وبنى فوقه سراية عظيمة لجلوسه وانشأ عدة
مكاتب وموارد فى جملة مواضع ولقد رأيت احد
الموارد التى انشأها مكتوب عليها تاريخا لشيخنا
العلامة الشيخ ابراهيم الرياحى وصورته

ذا مورد جاد به … راجى ثواب ربه
يوسف خوجة الرضى … صاحب طابع البهى

نجل العلا حمودة … باشا وذا من سيبه
يا وارداً ادع وقل … تاريخه بشرى به — سنة ١٢٠٩

وهو على طريقة ابقش اى طريقة حساب المغاربة
قلت وابى هذا التاريخ اعنى قوله بشرى به غير بليغ
اى ليس فيه من المعنى شيئ حسن وابى هذا من تاريخ
الاديب البارع المولى الاجل الشيخ محمد شهاب الدين المصرى
فى السبيل الذى انشأه محمود افندى بالمحروسة الكائن
بين الازهر والمقام الحسينى وصورته

يا وارداً سلسبيلا راق منهله … اشرب هنيئا فهذا العذب مورود
وانظر الى رونق رقت محاسنه … طالع السعد والاقبال مسعود
شادته ايدى عزيز لا نظير له … اخلاقه البر والاحسان والجود
وانشدت ورقه بشرى مؤرخة … سبيل عاطر للخير محمود — ١٢٤٥

ومن بعض تواريخ اديب زمانه الشيخ على الدرويش
فى كسوة البيت الحرام سنة ١٢٤٠ ونصه

يا نور ناظر كسوة … يزهو بها فخرا وعز
بشرى خليلنا ظرا … فله بها سعد يجز
والسعد قال مؤرخا … ستر لبيت الله عز — سنة ١٢٤٥

وابى هذا التاريخ من تاريخى اللذين نظمتهما
للمرحوم السيد محمد المحروقى حين انشأ الزاوية التى
تجاه زاوية الشيخ العفيفى بالقرافة الصغرى
والمورد الذى انشأه ببركة الرطلى بالمحروسة

ونص الاول

النظر لزاوية تكامل حسنها … وصبا اليها لب كل مشوق
وبدت باتقان فاعجز وصفها … ذا النطق بالموزون والمنطوق
وقد استضاءت بالسنا ارخوا … ملئت بنور السيد المحروقي

ونص الثاني

تأمل لما شادت يد العز والبها … ترى موردا للطف والحسن قد زها
وقد شاده من نسل اكرم مرسل … همام له مجد على ذروة السها
محمد المحروقي اتاه راجيا … ثواب الرحمن ماله انتها
ومذ تم قال السعد للشرب ارخوا … زلالي شفا جيد وهو مشتهي

توفي المرحوم يوسف خوجة صاحب الطابع في شهر صفر سنة ١٢٣١ ومات قتيلا وطيف بشلوه بجر في الاسواق بعد ان كان البصر يخشى ان يمتد اليه فسبحان المعز المذل ورثاه شيخنا العلامة الشيخ ابراهيم الرياحي بابيات كتبت على قبره مؤرخة وهي هذه

لله قد وجب الدوام … وسواه رب للحمام
سيان في تنقيصه … عار ومنخفض المقام

ابن الملوك ذوابه من … كانت لهم ترعى الذمام
لم يطفوا بسوى الذي … عملوه من خير قدام
هذا الذي بصنيعه … قد رامه هذا الامام
من فعل خير عز ان … يغني الانام عن الغمام
وجوامع ومكاتب … وموارد تشفي الاوام
الله يرحم يوسفا … ختم الكرام بلا كلام
لا غرو ان ارخته … بحمايته يتم الكرام

ولنرجع الى ما نحن بصدده ثم ان جدي حج من مكة المشرفة الى بندر جدة ومكث ينسخ الكتب بالاجرة وكان جميل الخط كما قدمنا فاتفق انه اجتمع في تلك المدة باناس من اهل جزيرة سنار وتودد اليه بعضهم وارتبطت بينهما صحبة فسأله من اي البلاد انت فقال من تونس فسأله عن سبب اقامته بجدة فاخبره بقصته وما جرى عليه فقال له السناري الا تتوجه معنا الى مدينة سنار ويحصل لك العز والافتخار لان ملكنا رجل مبسوط اليد لا يبالي بلجين ولا بعسجد يحب الفضل واهله ويحل كلا منهم محله ويبلغ الاشراف بما يقدر عليه من الاسعاف وانا ضامن ان ذهبت معنا ان يجبر كسرك ويسد خللك وتصبح ذا مال ونوال ورتبة وجاه فطمع جدي في نوال الملك المذكور وتوجه معهم بامل الفرج والسرور وحين وصل

معهم الى جزيرة سنار فالموا به الملك واعلموه انه رجل من اهل
العلم غريب الديار قد انكسرت سفينته وضاع ما كان جملته
فرحب به واعظم ملقاه وبشره باليسر وهناه وانزله
دار كرامته وامر له بجزيل انعامه فكان فيما انعم عليه به
جارية هكادية بهية سنية غالية القيمة تسمى حليمه
فتسراها جدي فحملت له فجاءت بغلام وجارية مثالها
واجرى عليه رزقا فاستقر جدي بسنار ونسي اهله
بتونس واولاده الصغار وكان حين خروجه من تونس
ترك ثلاثة اولاد مع امهم اكبرهم عمي المرحوم السيد محمد
كان عمره تسع سنين واوسطهم المغفور له والدي وكان
عمره ست سنين واصغرهم عمي المرحوم السيد محمد طاهر
وعمره ثلاث سنين هكذا سمعت من والدي وجدتي
عليهما سحائب الرحمة والعهدة عليهما فاتحنى عليهم
خالهم المولى الاجل الاكمل الامثل الفقيه المحدث العالم
الفاضل المرحوم السيد احمد بن العلامة الرحلة السند
السيد سليمان الازهري صاحب التصانيف العديدة
والتآليف المفيدة كان السيد احمد عالما فاضلا ثقة
حجة في المنقول عرض عليه منصب القضا بتونس فامتنع
منه وكان مشتغلا بالتدريس وولي التدريس وظيفة
بمدرسة علي باشا الاول فلازمها واصيب في اواخر عمره
بداء الزمانة فكان يقرأ الدروس في داره ويحضره الاكابر والطلبة

العلم

العلم والفضلا ولم يزل كذلك حتى شب والدي وبلغ مبلغ
الرجال وكان حفظ القرآن وحضر بعض دروس في العلم
على خاله وغيره وبينما هو كذلك اذ تحرك شوقه الى الحج
فاستشار خاله في السفر فتحرك شوقه هو ايضا فتجهزا
للسفر معا وركبا البحر من تونس الى اسكندرية ومنها الى مصر
ومن مصر توجها الى القصير وكان ذلك قبل اشهر الحج
وبينما هما سائران في القافلة اذ عرضت لهما قافلة
قادمة من سنار فناداهما مناد يا ايها المغاربة
هل فيكم احد من تونس فقال له نعم نحن منها فقال هل
تعرفون السيد احمد بن سليمان فقال له نعم نعرفه ومن
انت قال انا نسيبه احمد قد خرجت من تونس منذ
كذا وكذا وتركت اولادي واهلي ولا ادري اهم احياء
ام اموات وكان خال ابي اذ ذاك في شبرية مرخى
عليها ستر فسمع ذلك كله فقال لابي يا محمد سلم على
ابيك فاتى والدي يسلم على ابيه ويقبل يده واعلمه
ان خاله في الشبرية فجاء جدي وسلم على نسيبه وبعد
انقضاء السلام قال ابي له والله ايسوغ لك ان تتركنا
هذه المدة بدون نفقة ونحن صغار ولولا ان الله
سخر لنا خالنا كنا ضائعين فقال والدي ما حيلتي
والقضا والقدر يجريان على وفق الارادة العلية

معرد

ان المقدر كائن لا يمحى ، ولك الامان من الذى ما قدرا
فقال ابى لوالده الم يان لك ان ترجع الى بلدك وتقر
اعيننا برؤيتك فقال يكون ذلك ان شاء الله قال له
والدى متى قال انا الآن متوجه الى القاهرة ابيع ما معى
من الرقيق وارجع الى سنار واخذ بناتى واولادى واتى
الى القاهرة وانتما تتوجهان للحج وترجعان الى القاهرة
فنجتمع هناك وكل من سبق صاحبه انتظره هناك
ثم ودعهما وتوجه كل منهم الى سبيله على حد قول ابن عم
لم استتم سلامه لقدومه ، حتى ابتدات سلامه لوداعه
فتوجه والدى وخاله الى الحج وتوجه جدى الى المحروسة
اما جدى فباع رقيقه وتسوق ورجع الى سنار واما
والدى وخاله فتوجها الى الحجاز ومكثا بالطايف حتى
جاء وقت الحج فقدما مكة وحجا وبعد انقضا الحج توفى
خاله فى مكة المشرفة ودفن بباب المعلاة ثم رجع والدى
الى القاهرة فما وجد اباه فاقام ينتظره مدة فلم يات
وكان ابى فى هذه المدة يحضر العلوم بالجامع الازهر
ولما اعياه الانتظار توجه الى سنار مع قافلة اتت
فلما وصل اليه وجده قارا فى داره مغتبطا باولاده
وعياله لا يسال عن غيرهم ولا يخطر له السفر على بال
فالزمه بسبب خلفه الوعد ولم يجعل الهزل مكان الجد
فاعتذر بعذر ساقط لا يجد له لاقط فقال له يا ابتى

ان

ان لى ديونا على بعض الناس ما طلونى فى دفعها ولا يمكننى
الارتحال الا بعد خلاصها على كل حال يستقيم بها اودى
ويقوى فى السفر عضدى فمكث معه نحو ستة اشهر وبعد
ذلك تجهزت قافلة الى الاقطار المصرية فقال ابى لوالده فى احد
اوربان قال له هذه القافلة متوجهة فهلا ان نتوجه
بصحبتها اوتاذن لى بالتوجه معها فابى عليه فيهما وقال
اما الذهاب فلا سبيل اليه لما على فى تونس من الاموال
لا سيما وقد اخبرت بان املاكى تزوجت واما الاذن لك
فيكون لكن فى قافلة اخرى ان شاء الله تعالى حتى اجمع لك
ما انا فيه من الرقيق والجمال والذهب والاحمال بحيث
بحيث انك لا تعود الا مجبور الخاطر فابى والدى المكث
واستطال اللبث وقال انى مشتاق لطلب العلم وفى اقامتى
هنا ضياع زمنى بغير فائدة فاختلف راءيهما وحصلت
بينهما وحشة فخرج والدى مغضبا وتوجه مع القافلة
لا يملك شيئا فالحقه والده بعد ثلاثة ايام بثلاثة
جمال واربع جوارى وعبدين وعلى الجمال اهبة السفر
من مؤونة وماء وعلى احد الجمال حمل صمغ فاخذها
والدى وسار بصحبة القافلة وبينما هم سائرون
اذ ضلوا عن الطريق وادركهم العطش وطال عليهم
الامر فمات الرقيق والجمال ورجع الى مصر فقيرا
كما كان

اذا اقبلت كانت تقاد بشعرة ۰	وان ادبرت كانت تقد السلاسلا

فمن لطف الله عز وجل مرض خبير القافلة بصداع اخرجه
الهجوع وعجز عن شفائه الجموع وبلغ والدي هذا الخبر
فكتب رقعة واخذها الخبير باعتقاد ووضعها على محل
الالم فبرئ لوقته فاعتقد في والدي الصلاح وامر ان
يحمل ويحمل له عدد صمغ له على ابله فوصل والدي الى
القاهرة بعد نحو الريق وباع عدد الصمغ بخمسة وسبعين
بندقيا ودخل الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج والدتي
اذ ذاك ومكث معها نحو سنتين جاءت منه بولد سماه
احمد عاش سنة وثلاثة اشهر ثم مات فحزن عليه
وتمثل بقول الشاعر مفرد

لقد خانت الايام فيك فقربت ۰	يوم الردى من ليلة الميلاد

وبقول الاخر

عجبا لمولود قضى من قبل ان ۰	يقضي لايام الصبا ميقاتا
فكانه من نسكه وصلاحه ۰	وهب الحياة لوالديه وماتا

وبقول التهامي في ولده

يا كوكبا ما كان اقصر عمره ۰	وكذاك تكون كواكب الاسحار

ثم ان والدي توجه الى تونس واخذ امي وامها معه
وكنت اذ ذاك حملا فلما وصل الى تونس نزل بدار اخيه
المرحوم السيد محمد وكان من مشاهير المعلمين بسوق
الشواشية اي الطرابيشية فولدت بعد ذلك بخمسة اشهر
في يوم الجمعة الساعة الثالثة من منتصف ذي القعدة سنة
١٢٠٤ ومكث بعد ذلك نحو ثلاث سنين ثم حصلت
بينه وبين اخويه وحشة فنقل بنا الى القاهرة سنة ١٢٠٧
فصار يطلب العلم في الازهر ويحضر دروس العلامة المرحوم
الشيخ عرفة الدسوقي المالكي وشيخ مشايخ العلم الاوحد
المرحوم الشيخ محمد الامير الكبير وتولى نقيبا برواق
السادة المغاربة وكانا في عيش متوسط وما زال كذلك
الى ان دخلت سنة ١٢١١ ورد عليه كتاب من اخيه لابيه
من سنار مع القافلة مضمونه بعد السلام ان والدنا توفي
الى عفو الله تعالى وترك جملة من الكتب فرقناها [illegible]
رجل يسمى باحمد البنا رقى امناه على [illegible]
لوالدنا وبقينا في حالة تسر العدو و[illegible]
فاذا وصلك كتابي هذا فعجل بالقدوم [illegible]
معك فنعيش بما نعيش به والسلام فلما قرا الكتاب [illegible]
واستعبر واخذته الشفقة على اخويه فتحول [illegible]
وكنت اذ ذاك ابن سبع سنين وكنا قد قرات ربع القرآن
وكان لي اخ عمره اربع سنين وترك لنا نفقة تكفينا ستة اشهر

يوم الجمعة صح

فمكثنا سنة باعت فيها والدتي اشيا كثيرة من نحاس وحلي
ثم جاء عمي الصغير المسمى بالطاهر فاخذ علينا يربينا
وكان قد جا للحج والتجارة ومعه ولد كالشمس الضاحيه
في السما الصاحية اسمه محمدا وكان اسن مني بنحو سنة ونصف
فكان يذهب معي الى المكتب لقراة القران حتى سافر به
والده الى الحج اخر سنة ١٢١٢ ثم دخلت الفرانسيس القاهرة
وملكوها في اول سنة ١٢١٣ وكان عمي اذ ذاك مع الحجاج
فحربت العرب من قوافل ممن دخل الحجاج فوجدوا
الفرانسيس في مصر واعمالها ومكثوا كذلك الى اول
سنة ١٢١٦ جاء الوزير بالعساكر واخرج الفرانسا وباي
وكان ابن عمي المذكور قد حفظ القران وابتدا بحضور
دروس العلم وكان من الحياء والادب بمكان فوقعت
في تلك السنة امراض وبائية والمت بابن عمي المذكور
فازعجته من القصور الى القبور بل للملاعبة مع الحور
ولما قضى عليه حزن عليه والده اشد الحزن حتى كاد ان
يهلك عليه اسفا ويذخر رمسه توجعا ولهفا ولله
در القائل •

الناس للموت كخيل الطراد •	فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه •	جواهر يختار منها الجياد

وكره المقام بمصر لخلوها من ولده وفلذة كبده
وفي ذلك قلت •



اذا رحل الحبيب عن الديار • كرهت لبعده تلك الديارا
فاراد ان يبرد نار ويزاده ان يحج بيت الله الحرام
ورؤية قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ولله من قال

نقل فوادك حيث شئت من الهوى •	•
•	ما الحب الا للحبيب الاول •

وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام اذا اصيب
احدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فانها اعظم المصائب
اصبر لكل مصيبة وتجلد • واعلم بان المرء غير مخلد
واذا اصبت بنقد من احببته • فاذكر مصابك بالنبي محمد
فتوجه الى الحجاز وتركني بمصر لطلب العلم بالازهر وابقى
لي نفقة تكفيني اربعة اشهر ومكث هو اكثر من ذلك
فنفذت وضاق ذرعي لذلك وانا اذ ذاك في شرخ
الشباب فبقيت متحيرا لا ادري ما اصنع واستنكفت
ان اترك طلب العلم واتعلم احدى الصنايع وبينما انا
متحير في طلب المعاش ضيق الصدر لعدم الارتياش
اذ بلغني ان قافلة وردت من بلاد السودان من دارفور
وكان قبل ذلك بلغنا ان والدي توجه من سنار اليها
صحبة اخيه فلما استقرت بوكالة الجلابة توجهت اليها
لاسئل عن ابي اهو حي يتوقع ام اودع اللحد البلقع
فلقيت على سبيل المصادفة رجلا من اهل القافلة
مسنا ذا هيبة ووقار يسمى السيد احمد بدوي فقبلت يده

ووقفت امامه برهة فسالني بلطف وقال لي ماذا تريد
قلت اسئل عن رجل غائب لي في بلدكم لعل يعرفه منكم احد
يدلني عليه فقال من هو وما اسمه فقلت اسمه السيد عمر
التونسي وهو رجل من اهل العلم فقال على الخبير به
سقطت هو صاحبي وانا اعرف الناس به واري بك
شبها له فلعلك ابنه فقلت انا هو على تغير حالي وتبلبل بلبالي
فقال يا بني ما يقعدك عن اللحاق بابيك لترى
عنده ما يهنيك قلت قلة ذات يدي واعتدادي وعدد
فقال ان اباك من اعظم الناس عند السلطان واكرمهم عليه
دون اهل الديوان واذا اردت التوجه اليه فانا علي
مؤونتك ومركوبك وراحتك حتى تصل اليه وتقف
بين يديه فقلت احق ما تقول فقال اي وحياة الرسول
لان اباك تفضل معي معروفا لا اقدر على مكافاته فيه
ولو بذلت جميع ما تملكه يدي وتحويه فقلت انا اطوع
لك من نعلك واتبع لك من ظلك فعاهدته على ذلك
واستوثقت منه هنالك وجعلت اتردد عليه حتى تاهب
وقال لي السفر غدا فان شئت بت عندنا لتصبح على السفر
مبكرين فقلت على الراس والعين فبت عنده في ارغد عيش
واهناه واحسن حال واصفاه الى ان لاح ابن ذكا
والتحف الجو بالضيا نهضنا للمكوب فادنيناها
وابرزنا الحمول واحرجناها وجيء حينئذ بالجمال

وحملت

وحملت عليها الاحمال فما ذر قرن الغزالة الا وقد
تم التحميل واخذت العيس في الرحيل ولا زالت كذلك
حتى انخت بالفسطاط على شاطئ النيل وابتدأ
في شحن الفلك بها حتى تمت كلها ثم صبرنا حتى صلينا
الجمعة خلف الامام ونزلنا الفلك وودعنا مصر بسلام

الباب الثاني

في ذكر رحلتي من مصر الى دارفور واجتماعي بوالدي وذكر
قتل الاب الشيخ محمد كرا وذكر بدء امره واحوال ملوك
دارفور وحروبهم مع بعضهم

لما استطينا الدهما لهذا السفر العظيم قلت
باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم
ولما قلعنا عن ساحل الفسطاط ناوين البعاد
والشطاط تذكرت متاعب الاسفار وما يحصل
فيها من الاخطار خصوصا لمن كان حاله كحالي
في الفقر المدقع والعسر المصقع وتوسوس صدري
وانزعج وبقيت في مشقة وحرج لا سيما وقد وجدت
نفسي مع غير ابناء جنسي بين اقوام لا اعرف منهم احد
الا الملوم وهو الا القليل ولا ارى فيهم ضحكا ولا وجها صبيحا
جميلا فقلت ودمعي بادي

تجسمت مع ثيابك والمحيا	سواد في سواد في سواد

وندمت على تغريري بنفسي مع ابناء حام وتذكرت

ما بينهم من العداوة لابناء سام فداخلني من الهلع ما
لا اقدر على وصفه حتى كدت ان اطلب الرجوع الى
الربوع ثم ادركتني الطاف الله الخفية وتذكرت ما مدحت
به الاسفار على السنة البلغاء الادبية خصوصا ما ورد
في الاثر عن خالق البشر سافر احدث لك رزقا جديدا
وان افضل الانام سافر من مكة الى الشام وقد قالت
العلماء ان السفر يسفر عن اخلاق الرجال وهو المميز
للذكور عن ربات الحجال وقد قيل ان الدر لو لم ينتقل
من معدنه لما رصعت به التيجان ولو لم يسر البدر
لكان في غاية النقصان قال الشاعر

سافر تنل رتب المعالي والعلا ... فالدر سار فصار في التيجان
والبدر لولا سيره في افقه ... ما كان الا دائر النقصان

وقال الاخر

تغرب عن الاوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة ... وعلم واداب وصحبة ماجد
وان قيل في الاسفار ذل وغربة ... وتشتيت شمل وارتكاب شدائد

بلغ

فموت الفتى خير له من حياته ... بارض هوان بين واش وحاسد

ولله در الطغرائي حيث يقول

ان العلا حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث ان العز في النقل
لو كان في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

على اني لو كنت اقمت بالقاهرة في هذا الحال ما كنت
ارى فيها الا الوبال وحينئذ تمثلت بقول الطغرائي
المفضال حيث قال

فيم الاقامة بالزوراء لا سكني ... فيها ولا ناقتي فيها ولا جملي

ويقول الاخر

ارحل بنفسك من ارض تهان بها ... ولا تكن من فراق الاهل في حرق
الم تر التبر ترب في معادنه ... وفي التغرب محمولا على العنق

فوطنت نفسي على الاسفار ولو كنت اكوى بالنار وكنا
قد اقلعنا بريح طيب ظل معنا يومه وسفينتنا تميس
به عجبا وتتمايل بحسنه طربا وقد ملأ شراعها
واطال في المسير باعها وعلى ذكر السفينة ووصف

سيرها تذكرت لغزي الذي كنت سألت فيه العلامة الشيخ
مصطفى كساب شيخ مدرسة الطب البيطري التي أنشأها
صاحب السعادة بازاء مدرسة الطب البشري وهو هذا

أمولاي يا كساب للعلم والتقى ... ويا بحر عرفان لدى الناس يعذب

سألتك ما شيء ثلاثي أحرف ... به كلفة قلب الشجي معذب

لقد جاء في التنزيل والأمر واضح ... ومثلكم يتلوه دوما ويكتب

وأيضا له اسم خماسي قد أتى ... مؤنث لفظ للبرية يعجب

يهيم به المضني ويجري دموعه ... ومادته يشتق منها المهذب

كذاك له اسم شهير لدى الورى ... رباعي حروف وهو منها مركب

مسمى الذي قد قلت يا حبر واحد ... وأنت لبيب ليس ذا عنك يحجب

مطية عزمي الآن دهماء قد أتت ... إليك فريد العصر والحبر أطلب

وأوصاف ما قد قلت أضحت شهيرة ... كجارية حسناء للب تسلب

مبنى

تميس متى تكسى ويلتذ سعيها ... وإن جردت للسعي تخشى وترهب

وتحمل ما يعسر على الناس حمله ... ومحمولة يا قوم منها تعجبوا

وفي سعيها تمشي على حر ظهرها ... وأرجلها للسطح قد تتجنب

تطيع الهوى تخشى اشتداد عصوفه ... ولكن به تزهو وتلهو وتلعب

وحسبك توضيحي فهات جوابه ... فلا زلت يا مفضال للحبر تطلب

فأجاب حفظه الله بما نصه

أيا عالما بالعلم منه وبالنهى ... وبالفضل عند العالمين محبب

ومن حدقه قد شاع شرقا ومغربا ... ومن هو بالشعر المهذب يغرب

ولم لا وقد حاز القريض بأسره ... وطاوعه ما قد يصعب ويعرب

وأني لعشق وامرء القيس مثله ... كلام يثير العاشقين ويطرب

أتيت بشعر كالنسيم لطافة ... فمن يدعيه فهو لا شك كاذب

والغزت في اسم عم في البحر نفعه
ويحمل اثقالا تكل وتتعب
ونوح تولاه وابدع صنعه
ونجى من الطوفان والموج لاعب
وقال اركبوا فيها فباسم مجراها
كذلك مرساها فلا تارسب
وقد حل لغز التونسي محمد
امام له العليا تنمو وتنسب
فلا زال يبدي من نتائج فكره
نفائس در تنبو عنها المطالب
وقد الغزت في لفظ بحر فقلت
الا قل لبحر العلوم ومن غدا
له اللغز طوعا قد يزول نقابه
فديتك ما اسم من ثلاثة احرف
مسماه يسطو بالانام عبابه
وفي قلبه معنى اتساع لمن اتى
وان شئت فعلا ماضيا لا نهابه
واول حرف منه ان كنت حاذقا
قسيم بضد البرد وهو انقلابه
بتشويشه تبدو امعان ثلاثة
تامل لها فهو العجيب عجابه

امام علوم والمداد وثالث الـ
معاني امر لا يسر مصابه
وان تحذف الثاني فضد لاسمه
بصير فلا يعسر عليك جوابه
وقلت ملغزا في مصباح
الا قل لمن حاز البلاغة والعلما
واعطاه رب العرش بين الورى عظما
فداك ابي ما اسم خماسي احرف
به النفع يا حبر البرية قد عما
صغير كانملة اذا قست جسمه
ويملأ بيتا وهو في حجمه جرما
اذا ما نسيم هب مال صبابة
ومهما تقوى مات من وجد حتما
فريد باوصاف حسان سما بها
واحسنها ارشاد شخص له اتا
ويرجو مهما طال يا صاح الفه
وان قطعت يصحو ولا يذكر الغما
ويزهو متى حل البهيم وان راى الـ
غزالة ذرت نال من ضعفه وهما
ومن اسمه حرفان شيء محجب
اذا كان من حلو المراشف اظلما

وبالتيه فعل ماض كن متفطنا ، وفاعله في الناس يستوجب الذما ،

واول حرف منه فاحذفه ترى لك ، تبقى رديفا للعداة فكن شهما ،

وحبي لقد اوضحت هات جوابه ، وقد جاء في التنزيل فانظره قدما ،

وقلت ملغزا في السماء ،

يا من رقى لسماء العلم والحكم ، وفضله قد غدا يهمي كالديم ،

بين لنا ما اسم شيء راق منظره ، وحسنه قد بدا للعرب والعجم ،

لكنه ذو ارتفاع لا يحل به ، الا الذين حبوا من بارئ النسم ،

منه المصابيح تبدو وهي زاهية ، بها الهداية في داج لها بهم ،

وحسنه الباهر الزاهي نقربه ، لانه جاء في التنزيل ذي الحكم ،

مركب من حروف اربع رسمت ، في النظم كن فاهما للنظم والكلم ،

وقد تم ارجو جوابا شافيا حسنا ، لازلت يا حبر في عال من الهمم ،

وقد تذكرت بهذه الألغاز ما ألغز به خاتمة المحققين الامام ابن حجر الشافعي رحمه الله في لفظة مدام ونصه

وما شيء حشاه فيه داء ، واوله وآخره سواء ،

اذا ما زال آخره فجمع ، يكون الحد فيه كذا المضاء ،

وان اهملت اوله ففعل ، له بالرفع والنصب اعتناء ،

ولنمسك عنان القلم في جريه عن هذا الميدان اذ لو تتبعت ما قلته من الاشعار والالغاز لطال الحال وجلب الملال ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول وعند المساء سكن الهوى وبطل هبوبه وفقد شماله وجنوبه وتوجهنا مقابل المنية وكان فيها جماعة من العرب الذين ابتز الله منهم دولة العز فاخذونا بالقوة والقهر وامالوا سفينتنا الى جانب البر وكان معسكرهم مجتمعا في عرض البلد على النيل وكانوا مقيمين هناك لنهب السفار المارين فنهبوا اصحابنا جملة من المال وبعد الخلاص اقلعنا عنهم في الحال وفي اليوم الثالث دخلنا منفلوط فاخذنا منها ما احتجنا اليه ثم اقلعنا حتى دخلنا بني عدي فاقمنا فيها ريثما تاهبت القافلة وحزموا أسقيتهم وصنعوا زادهم ثم جيء بالمطي فحملت احمالها وضربنا بها قفرا حتى وصلنا الى الخارجة في عشية اليوم الخامس فوجدناها قد دار بها النخيل دور الخلخال

بالسواق او النقاف بدى العاشق على معاطف المعشوق
للعناق وفيها من الثمر ما تشتهيه الانفس وتلذ به
الأعين مع رخص الاسعار وحسن تلك الثمار فاقمنا
بها مدة خمسة ايام وفي صبيحة اليوم السادس ارتحلنا
وسرنا نحو يومين وفي اليوم الثالث حللنا بلدة يقال
لها ابريس وهي بلد قد استولى عليها الخراب من ظلم الحكام
وتمزق شمل اهلها بعد الانتظام فنفسد ما بها من
النخيل وذهب رونقه بعد ان كان جميل فاقمنا
بها يومين حتى افاقت دوابنا وزال عنها العنا ثم
سافرنا يومين ثم نزلنا في ثالثهما بلد يقال لها بولاق
وهو من الآن في املاق قد درست معالم اكثرها
ونصدع بناء اقومها واشهرها ومن العجائب ان
نخلها في غاية القصر وهو حامل للثمر لا يتكلف
جانيه القيام بل يتناوله ولو في هيئة النيام
فتذكرت باسمها بولاق مصر المحمية حرسها الله من
كل آفة وبلية فانهملت دموعي وهاج وجدي
وولوعي فانشدت اقول

تذكرت بولاقا ومصر واهلها ... واذكرني هذي التي تدعى بولاقا
فبالله يا عيني اسعفيني بادمع ... عسى يبرد القلب الذي زاد احراقا

ثم سافرنا مجدين من عند لبس حتى نزلنا عشية النهار
على بلد يسمى المحس

وبلدة ليس بها انيس ... الا اليعافير والا العيس
فان هذا البلد كان اعمر من كل بلد ... فاخنى عليه الذي اخنى على لبد

وتمزق شمل اهله ولم يبق به احد وليس به من
الاشجار الا ما قل وهو بعض اثل وعبل فاقمنا
فيها يومين وملانا القرب وارتحلنا وللمفازة الحقيقية
دخلنا فمكثنا خمسة ايام في مهمه قفرا وبيدا غبرا
ليس فيها من الحشائش الا عاقول قليل كما لا يوجد بها
شجر يصلح للعبر وكان يطبخ لنا في تلك المدة بما
تلتقطه الخدم من بعر الابل الجاف لقلة الوقد الذي
يحصل به الاسعاد وفي عشية اليوم الخامس وردنا
محلا يقال له الشب وهو محل بين عزود من الرمل عليه
ريح الوحشة قد هب فارحنا فيه يومين وارتحلنا
وللمفازة الثانية دخلنا فقطعناها عنقا وذميلا
في مدة اربعة ايام نزلنا في ضحى خامسها ببير يقال له
سليمة وبهذا البير رسوم ابنية قديمة وهو في من
جبل مسمى بهذا الاسم ايضا فمكثنا فيه يومين حتى
قضينا منه غرضنا ومن خواص هذا المحل ان الحال
به يستانس ولا يستوحش منه ومن العجائب

ان الشبان من اهل القافلة يصعدون على الحجر الذى هناك
ويضربون الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول فيسمع
لها صوت كالطبل ولا يعرف سبب ذلك اهى تجاويف
فى الحجر او هى موضوعة على خلو فسبحان من يعلم حقيقة
ذلك واخبرنى اهل القافلة ان فى بعض الليالى واظنهم
قالوا فى ليلة كل جمعة يسمع من الحجر اصوات طبول
وكانه عرس ولا يعرفون حقيقته ثم ارتحلنا صبيحة اليوم
الثالث بعد ملىء ادوات الماء ودخلنا مغارة سافرنا
فيها خمسة ايام ووصلنا فى ضحى سادسها الى محل يقال له
لقية فوجدنا هناك آبارا محاطة بالرمال وماؤها
عذب زلال وقبل وصولنا لهذا المحل عرضت لنا قافلة
صادرة من بئر النطرون المسمى بالزغاوى واهلها
من عرب يقال لهم العمايم فقابلونا بالسلام ثم انصرفوا
عنا بسلام فمكثنا فى لقية يومين وفى صبيحة اليوم
الثالث ارتحلنا للزغاوى قاصدين واذا بالخبر
اقبل من ناحية دارفور يخبر بوفاة المرحوم الملك
العادل المجيد السلطان عبد الرحمن الرشيد ملك
دارفور وسلطان اقصاها وادناها وانه ذاهب
الى مصر لتجديد الخاتم الذى تختم به الاوامر السلطانية
لعدم من يتقنه هناك لابنه السلطان محمد فضل وذلك
للبلاد مضت من رجب الفرد سنة ١٢١٨ فحزن اهل القافلة

وما والاها

على

على موت سلطانهم وخافوا من وقوع الفتن فى اوطانهم لانه
كان سلطانا عادلا كريما محبا للعلم وذويه مبغضا للجهل
ومن يليه وسنتكلم على عدله واحكامه فيما ياتى
بابسط عبارة ان شاء الله تعالى ثم ارتحلنا من هناك
وسافرنا خمسة ايام فأنخنا فى سادسها ببئر الزغاوى
وهو بئر النطرون وبينه وبين دارفور مسافة عشرة
ايام كاملة فاقمنا به احد عشر يوما نصلح شئوننا
ونرتاح وترعى دوابنا لتتقوى على قطع هذه المفازة
الدهما ونحرت فى اقامتنا تلك عدة جزر وفرق
لحمها على اهل القافلة واجتمعنا هناك باعراب
البادية من دارفور واتونا بلبن الابل وسمن
فاشترينا منهم ما احتجنا اليه وكانوا اتوا لاجل هذا
البئر لياخذون منه ملحا ونطرونا لدارفور لان
النطرون واكثر الملح لا يجلب لها الا من هناك
وكنا قبل حلولنا بالزغاوى ارسلت اهل قافلتنا
هجانا لدارفور بادراق الى الدولة والى اهاليهم
تعلمهم بالمجيء وانهم قد قفلوا سالمين وكنت
قد كتبت معهم كتابا لوالدى ونفسه الى حضرة
والدى واعز الناس عندى السيد عمر التونسى ابقاه
الله امين بعد تقبيل اياديه الشريفة انى قد اتيت
مع القافلة قافلة الخبير فرج الله صحبة السيد

احمد بدوى صاحبكم وحبيبكم ونقل معنا من المعروف
من اجر خاطركم ما لا نفقد دعكم و صفه لسعادتكم والسلام
كاتبه ولدكم محمد عمر بن سليمان فاخذها الهجان مرسوقة
وارتحل من وقته ولم ار فى اسفارى التى سافرتها اهون
منها لانى كنت فيها فى غاية الراحة وذلك ان حال
خروجنا من بنى عدى امر السيد احمد بدوى عبيده
ان يصنعوا الخيمة على اهدى جماله ان يوطوها للركوب
توطئة حسنة ففعلوا واخذ بيدى الى ان سلمنى خطام
الجمل وامر ان ياتوا بزمزمية ملانة ماء فجيئت وعلقت
على الجمل وقال هذا جملك تركبه مهما اردت وتنزل
عنه مهما اردت وهذه الزمزمية تشرب منها كلما
احتجت الى الشرب وكلما فرغت فواحد العبيد يملأها
لك وامر جميع العبيد والخدمة بطاعتى فى ذلك وكان
معه من العبيد الكبار سبعة وعبيد صغار وثمانية من
الخدمة ومعه من الجمال ثمانية وستون جملا قواعد
منها ثمانية للماء واربعة للزاد وفى وقت الدخول الى
المفازة كان يعلق على كل جمل قربتان وكان معه
من السرارى خمسة وسادستهم ابنة عمه السيدة جمال
وكانت من اجمل نساء زمانها وكان معه حصان دنقلاوى
اسود لا يقوم بمال الحسنة وعليه سرج غشاؤه قطيفة
خضرا يقوده عبد خاص به وكان السيد احمد يلاطفنى

ملاطفة

ملاطفة الوالد لولده فكنت اذا نزلت القافلة
ربما نمت من تعب الركوب وهز الجمل وحر الشمس
وكان الابجيع يدثرنى واذا جئت بالعشا يوقظنى
بلطف ويطلب ماء ويغسل وجهى ويدى ويامرنى
بالمضمضة لافيق من النوم وياخذ يدى ويضعها
فى الاناء وربما اخذ الطعام ووضعه فى فمى ولم
يزل هذا دابه معى حتى وصلنا بالسلامة ثم ارتحلنا
من بئر الزغاوى وسافرنا عشرة ايام سفر المجد ناخذ
من اول الليل قطعة ومن اخره دلجة حتى وصلنا ضحى
حادى عشرها الى المزروب وهو بئر فى اول اعمال
دارفور وقبله بنحو ثلاث ساعات او اربع جاءتنا
اعراب بقرب من الماء واللبن فاستبشرنا بالسلامة
ثم نزلنا البئر المذكور فاقمنا فيه يوما وفى صبيحته
ارتحلنا نحو اربع ساعات فوردنا بئرا يقال له
السوينة وهناك قابلنا قائد الولاية وحاكمها
وكان يسمى الملك محمد سنجق وهو قائد الزغاوة وهى
قبيلة عظيمة من السودان واهل السودان يسمون
القائد ملكا ومعه جيش كثيف اظنه نحو خمسمائة
فارس فسلم على اهل القافلة وهناهم بالسلام فاقمنا
فى هذا المحل يومين ثم ارتحلنا وتفرقت الناس
فكل انسان اخذ طريق بلاده لان اهل القافلة

كلهم ليسوا من بلدة واحدة فاكثرهم من بلادهم المشهور المسمى
كوبيه وبعضهم من كبكابيه وبعضهم كالسيد احمد بدوى
صاحبى من سوق الدجاج وبعضهم من جديد كريو وبعضهم
من جديد السيل فذهب كل منهم فى مذهبه واخذنا طريق
سوق الدجاج فسافرنا سفرا هينا نحو ثلاثة ايام ونزلنا
فى رابعها قرب الظهر فى ظل جبل بقرب بئر فقلنا هناك
وجاءت اناس كثيرون يهنوننا بالقدوم وجاء هناك
بدوى بن السيد احمد ومعه عبيد وخدم باطعمة كثيرة
فسلم على والده وهناه بالسلامة وتغدينا واقمنا
حتى انهار النهار واخذ الشمس الطفل والاصفرار
حملت الاحمال ورفعت الاثقال فما تاتت المغرب
الا ونحن على ظهر مقلون على الجادة سائرون فدخلنا
سوق الدجاج بعد العشا مفرد

فالقت عصاها واستقر بها النوى	كما قر عينا بالاياب المسافر

وبتنا تلك الليلة فى مشقة من كثرة المسلمين وازدحام
الداخلين والخارجين ومع ذلك لم يتهاون السيد احمد بامرى
ولا شغله ما هو فيه عنى بل افرد لى حجرة وجعل فيها من
الفرش والانية ما احتاج اليه وانا لا اعلم ذلك بل
حين طلع الفجر دخلت عليه وقلت له اين انام
فنادى باحد العبيد وقال له ارى سيدك حجرته

فاخذني

فاخذني وادخلني حجرة رايت فيها سريرا وفرشا وانية
بل وجميع ما احتاج اليه وبت بانعم ليلة حتى اذا اصبحت
لبست ثيابي ودخلت عليه فوجدته جالسا فى ابهة عظيمة
باين خدمه وجواريه واولاده فلما رآنى كانه لم يكن مسافرا
فرحب بي واكرمنى فقبلت يده وجلست معه ثم قال لي
ان ابن اخى السيد احمد الصغير قد صنع فى هذا النهار
وليمة القدوم والتمس منى ان تتوجه اليه وتشرف
مجلسه بحضورك فانى رايت بك نشاطا واردت
جبر خاطره بحضورك فذاك اليك وما اريد
ان اشق عليك فقلت سمعا وطاعة لكنى لا اعرف
منزله فامر احد غلمانه ان يعرفنى منزله فذهبت
وحضرت ضيافته فاعظم ملتقاى ورحب بي
وكان يوما عظيما ثم ان جميع اهل القافلة صاروا
يصنعون الولايم فتوالت وكل وليمة يدعوننى
فاحضرها حتى جاء عمى وتوجهت صحبته الى والدى
وذلك انى كنت فى ضيافة بعض الاصحاب واتيت
قرب المساء فدخلت الحجرة المعدة لى فرايت فيها
رجلين وعبدين اما الرجلان فاحدهما اسمر
قصير ذا هيئة حسنة جميل البزة يقرب لونه
من لون الحبشة والاخر اسود رث الهيئة فسلمت
عليهما فردا على السلام وجلست متعجبا كيف دخلا

في حجري بغير اذني فرايتهما يتغامزان ويقول احدهما
للاخر اهو هو فيقول الاخر نعم هو ولا اعرف على م
يقولون ذلك ثم سالني الرجل الاول وقال لي أأنت من
هنا فقلت لا انا من مصر جئت ملتمسا لأبي فقال
ومن ابوك فقلت ابي السيد عمر التونسي فقال لي
السوداني سلم على عمك السيد احمد زروق فسلمت عليه
حينئذ وبعد السلام اخرج لي مكتوبا فيه بعد السلام
انه جانا كتاب من ولدنا السيد محمد اخبرنا فيه انه قدم
محبتك وفعلت معه من المعروف ما انت اهله فجزاك
الله عنا خيرا وهذه منة لا اكاد اقوم بشكرها وصنيعة
لا اقدر على مكافأتها ومن المعلوم ان المهادات
سنة من اول الزمان وقد قبل الهدية سيد ولد
عدنان ولذا قال عليه صلاة ربنا المنان تهادوا
تحابوا وتذهب الشحنا من قلوبكم وقد ارسلت
لحضرتك صحبة اخي السيد احمد زروق عبدين سدا اسيز
ومهرا احمر ارجو من سعادتكم قبولهم وهم على قدر مقامي
لا على قدر مقامك ولله در القائل

جات سليمان يوم العرض هدهدة	اتت له بجراد كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة	ان الهدايا على مقدار مهديها

لو كان يهدى الى الانسان قيمته	لكان قيمتك الدنيا وما فيها

ومنا السلام عليكم وعلى اولادكم واهل منزلكم ومن
يحويه مجلسكم السعيد وقال لي خذ الكتاب هذا
الكتاب واقراه على عمك السيد احمد فذهبت به وقرأته
عليه واحضرت الهدية فرآها وبارك فيها ثم
قال اني قبلتها ووهبتها لابني هذا يعنيني فألححت
عليه انا وعمي في قبولها فابى الا ذلك وقال لي
لو فديت اموالي كلها في مرضاته لما كان ذلك جزاء
له بما صنع معي من المعروف فتجاسرت عليه حينئذ
وسالته بالله العظيم الا ما اخبرني عن هذا المعروف
الذي صنعه معه فقال لي اعلم يا ولدي ان اعدائي
وشوا بي الى حضرة السلطان باني ابيع الاحرار
وزخرفوا له القول حتى استقر في ذهنه ان الامر
صحيح فغضب لذلك وقال تاجر مثل هذا في غنائه
يفعل هذا الفعل العفن اولى به فاحضرني من
داري على غير صورة وحين دخلت عليه وبخني وقرعني
بالكلام المولم وطلبت تحقيق ما قيل في فلم اتمكن
من ذلك ولا سمع لي قولا بل امر بالقبض علي وان
توضع الاغلال في عنقي ويضيق علي في الحبس وكان
من لطف الله تعالى ان اباك حاضرا بالمجلس فلم يتجاسر

احد يشفع لي عنده لما قام به من الغضب وحين رأى والدي
ذلك تقدم وتشفع وذكر احاديث في العفو عن الجاني
وتلا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ثم
شفع في فشفعه السلطان وامر باطلاقي وبعد
ذلك ظهرت له براءتي ولكن لو لم يسخره الله لي في تلك
الساعة لذهبت نفسي واموالي كلها فأي جميل اكبر
من هذا واي صنع اعظم من هذا ومع هذا كله فاجر
ابيك فيما فعله معي على الله واني طالما كنت اترقب
له حاجة تأتي على يدي فاقضيها له لم يتيسر لي الا
هذه الخدمة وعسى ان يكون فيها قضاء بعض ما وجب
علي ولا اظن ذلك ثم اراد عمي ان يسافر صبح ذلك
النهار فاتى السيد احمد فمكثنا بعد ذلك ثلاثا
وفي صبيحة اليوم الرابع دخلت عليه لأودعه فاعطاني
خرزا كثيرا يضعه نساء السودان في اوساطهن
من قبيل الزينة يسمى عندهن رقاد الفاقة ومعناه
نوم الراحة واعطاني خرزا آخر غالي الثمن يجعلنه
في اجيادهن وهو على انواع منه ما يسمى بالريش وهو
خرز ابيض مستطيل فيه بعض خطوط سمر معروف
بهذا الاسم في مصر ايضا ومنه ما يسمى بالمنصوص
وهو خرز اصفر من كهرمان مستدير مفلطح ومنه
خرز كروي الشكل احمر غير ناصع يسمى بالعقيق

فاعطاني

فاعطاني منها ما يزيد على عقدين [illegible] وثمنه ينوف
عن ثلاثة رؤس من الرقيق واعطاني عمامة خضراء
من الشاش جديدة وسنبلا ومحلبا وصندلا كثيرا
وهذه الثلاثة من العطريات يتطيبن بها نساء
السودان وقال فرق هذه الاشياء بين نساء ابيك
وذبح لنا شاة وحنذها وبلغتهم يقال لها نفيص
زوَّدَنا ها وودعنا وركبنا وكان مع عمي عبد آخر
كبير فركبت الفرس وركب عمي هجينا وركب الرجل حمارا
فارها وسعت العبيد امامنا وسرنا قاصدين محل ابي
وكان بحر يقال له ابو الجدول وبينه وبين سوق
الدجاج اربعة ايام سفرا فخرجنا من سوق الدجاج
ومررنا بالبلد المسماة بكبكابية وهي بلد اشبه
ببلاد ريف مصر الا انها اعمر منها واخصب لانها آهلة
بالسكان مغتصة بالقاطن واهلها تجار اغنياء
وهم وعندهم من الرقيق ما لا يحصى كثرة ولهم نخيل
وارض واسعة فيها آبار قريبة الماء يزرعون بها
انواع الخضراوات والبقول من بامية وملوخية
وقرع وباذنجان وفقوس وقثاء وبصل وحلبة وكمون
وفلفل وحب رشاد وكلها مما نعهده الا الفلفل
فانه حب رفيع اغلظ من الشعير بقليل وعندهم
بعض شجر من الليمون الحامض وبقربهم جبل يقال له

مَرّة وهو جبل يشق اقليم الفور من اوله الى اخره مع الاستقامة
وله عدة طرق تصعد الناس منها اليه ولكل قطعة منه اسم
خاص به غير اسمه العام والفور يسكنون في اعلاه ولا
يألفون الوهاد بل يرون ان ذلك اصون لهم ولاموالهم
وسيأتي لهذا مزيد توضيح وحين مرورنا بكابكابية
وجدنا سوقها عامرا فاخذنا منه ما احتجنا اليه ثم توجهنا
فسافرنا ثلاثة ايام في عرض جبل مَرّة وصرنا نبيت
ببلاد اقوام مستوحشين [illegible] الضيوف خصوصًا
اذ كانوا من اولاد العرب و[illegible] بنا منهم مشقة عظيمة
حتى صرنا لا نبيت عندهم الا كرها عليهم مع ان معنا
ازوادنا ولا نحتاج لهم في شيء فكانوا ينفرون منّا
بالطبع وبعد ذلك خرجنا الى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل
يقال له تارنيه فاكرمونا هناك وصنعوا لنا ضيافة
عظيمة وفي ضحى اليوم الخامس دخلنا البلد التي فيها
والدي المسماة بحلة جولتو وهي من جملة حلل ابي الجدول
فرأينا على باب دار والدي خيلا وحميرا وخدما الاضياف
كانوا عنده فدخلنا الدار وعرضنا جواري وعبيد يسلمون
علينا ويهنوني بالسلامة ثم جاء والدي بعد ان ركب
اضيافه وسلم علي فقمت وقبلت يده ووقفت امامه خدمة
له فامرني بالجلوس فجلست فسألني ما الحرفة التي تعلمتها
فقلت له القرآن وشيئا من العلم فسرّ لذلك وصنع ثاني يوم

بلغ

مجيئي وليمة ذبح بها عدة شياه وبقر ودعا الناس فجاء خلق
كثير فاكلوا وكان يوم سرور ثم انه بعد ثلاثة ايام جهزني وعمي
السيد احمد الى الاعتاب السلطانية بهدايا من عنده الى حضرة
السلطان ووزيره الاعظم اذ ذاك الشيخ محمد كُرّا والفقيه
مالك الفوتاوي وهو وكيل الى وحوائجه التي تعرض
للدولة كلها على يده وهو من قبيلة تسمى الفلان واهل
دارفور يسمونها الفلاتة والفقيه مالك المذكور اعظم
الوزراء من اولاد العرب وكان يومئذ السلطان محمد فضل
ابن المرحوم السلطان عبد الرحمن صغيرا وكان زمام الأمور
كلها بيد الشيخ محمد كُرّا ومعناه بالفوراوية الكُرّا الطويل
لانه هو الذي عضد السلطان محمد فضل بعد موت ابيه واجلسه
على سرير ملكه وناب عنه في الاحكام وتدبير المملكة لصغر
سنه وقد شاع على ألسنة الناس من اهل دارفور انه من عبيد
السلطان وليس كذلك بل هو حر خدم السلطان واغنى
في خدمته وقام بمهمّ الأمور حتى ترقى الوزارة العظمى
بحسن تدبيره وتصرفه في مملكة دارفور حتى كان لا تعلو
على كلمته كلمة غير السلطان وكان رحمه الله فيه دهاء ومكر
وشجاعة واقدام وجبر على الأمور حتى ينفذ اغراضهم
وسيأتي سيرته وسيرة السلطان عبد الرحمن وابنه
السلطان محمد فضل واخيه السلطان محمد تيراب مفصلة
ان شاء الله تعالى فركبنا من ابي الجدول الى تندلتي وهو مقر السلطان

فى اول شعبان سنة ١٢١٨ ويسمى بلغتهم العاشر وكل محل سكنه
السلطان يسمى عندهم فاشر فسافرنا بومين سفرا غاير
نشطط ودخلناه ضحوة الثالث فوجدنا بلدا يموج بالساكن
ويترنح بالقاطن ما بين راكب وماشى وجالس وغاشى
وطبول ترعد وخيول تركد فدخلنا دار الفقيه مالك فوجدناه
جالسا بين خدم وحشم وارباب الحوايج محتفون به فدخلنا
عليه فسلم عليه عمى فاعظم ملقاه ورحب به فعرفه عمى بى
فسلم على وبش فى وجهى ورحب بى ثم ان عمى اعطاه الكتاب
الذى له والكتب التى للدولة فقراكتنا به ورحب وافرد
لنا محلا وضعنا فيه متاعنا ثم اخذنا فى الحال الى دار الشيخ
محمد كرا فرأينا دارا على بابها من الخيل والدواب ما لا يحصى
كثرة ودخلنا فرأيناه جالسا فى مجلس حفل وارباب
الدولة محتفون به فسلم علينا ولم يعلم من انا ثم سال
وقال من هذا فقال له الفقيه مالك هذا ابن الشريف عمر
التونسى العالم الفصيح بابى الجدول وقد ارسله صحبة عمه
ليسلم على سعادتك وهذا كتاب ابيه فاخذ الكتاب
وفتحه ولما علم ما فيه صار يلاطفنى ويحيينى اكراما لوالدى
وقدمت له الهدية فقبلها وامر بادخالها الخزائنه
واقبل يلاطفنى بالتحية اكراما لوالدى ثم امر الفقيه
مالك ان يبقينا عنده حتى ياذن لنا فى التوجه فبقينا عند
الفقيه مالك ثلاثة ايام ونحن فى اكرم ضيافة وألذ

اثنناس

اثنناس وفى اليوم الرابع دعانا الشيخ محمد كرا على يد الفقيه
مالك وكسانى كشمير الاخضر وجبة خضرا وقفطانا
من القطنى الهندى وامرلى بجارية وعبد وكتب لابى
كتابا قرانه بعد ذلك عند ابى وصورته من حضرة من
اكرمه الكريم ولا يفارقه الخير والنعيم الوزير الاعظم
المتوكل على من يسمع ويرى الاب الشيخ محمد كرا الى حضرة
الاستاذ الاعظم والملاذ الافخم علامة الزمان ونخبة
سلالة سيد ولد عدنان السيد الشريف عمر التونسى دام
مجده امين اما بعد انه قد حضر لدينا نجلكم المكرم صحبة
اخيكم المحترم المعظم بما اهديتموه لنا حسبما هو مشروح
فى جوابكم ففرحنا غاية الفرح بامرين الاول اجتماع
شملك بقرة عينك والثانى باننا الان نؤمل اقامتك
فى بلادنا وهذا هو المقصود الاعظم لتحصل لنا البركة بكم
اهل البيت وقد اتحفناه بما صحبه ونرجو ان يكون
مقبولا لديكم ولولا ما نحن فيه من الاشغال لكان الامر
ابلغ من ذلك فالمعذرة اليك والامل ان لا تنسانى من
صالح دعواتك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
ثم ان الفقيه مالك قدم جاريتنا هدا وجوابا قرانه
بعد ذلك ايضا مضمونه بعد السلام انه قد ورد علينا
كتابكم صحبة نجلكم واخيكم وقدمناهما الى حضرة الشيخ
محمد كرا وقد دخل عليه من السرور ما لا يعلمه الا الله بقدوم

خلك كما يفصح لك كتابه عن ذلك ونحن اشد فرحا منه لما
بيننا من المودة وما اهداه الشيخ محمد كرا لخلك سيتلى عليك
ويعرض بين يديك وها نحن قد اتحفنا خلك الكريم بجارية
كو عبه مزينة اراد كاعبة واسمها حميدة عسى ان تحظ
بالقبول كما هو المأمول والسلام فاخذنا جميع ذلك
وتوجهنا الى والدي فرحين مسرورين نفرح بعدو ما ثم
اقمنا جميعا مدة شهر رمضان وحين انقضائه توجه
ابي الى الفاشر للسلام وقابل الاب الشيخ محمد كرا وطلب
منه الاذن في التوجه الى تونس ليرى امه واخويه ويجتمع
بهم قبل وفاة امه واعلمني انه سيتركني في بيته وبلاده لان
البلد٧ الذي كان فيها اقطاع له اقطعها له المرحوم السلطان
عبد الرحمن قبل وفاته وكان قبل ذلك اقطعه بلادا في المحل
المسمى بعترلي فابى والدي الاقامة فيه لعجمة لسان اهله
وعدم معرفتهم العربي فنقله الى هذه البلد وهذا الاقطاع
يشتمل على ثلاثة بلاد دحلة جولتو الذي فيها بيتنا
والدبة وام بعوضة فاتفق مع الشيخ محمد كرا ان يتركني
في هذه البلاد اجمع خراجها وانتفع بزرعها فاخذ عليه
المواثيق بالعود واذن له وكتب له عدة اوامر الى العمال
الذين بطريقه ان يعطوه جميع ما يحتاج اليه وان يرسلوا
معه جندا يوصله الى محل الامن وودعه ورجع الينا
مهتما بامور السفر فجهز نفسه في اقرب وقت وذلك انه

٧ التي صح

باع ما عنده من القطن وكان عنده قطنا كثيرا ينيف
عن مائة قنطار لانه كان زارعا قطعة ارض تزيد عن
عشرين فدانا افدنة بمصر قطنا وكانت هذه القطعة
يجمع منها وقت هجوع القطن في كل يوم اربع عشرة ربطة
والربطة في عرف اهل دارفور كالقفة في عرف اهل مصر
وهي وعاء لو صب فيها غلال يسع نحو خمسة ارباع
بالربع المصري فباع كل ذلك وباع مراح غنم كان عنده
وكذا باع البقر والحمير واخذ جواريه وعبيده وما حصل
لي من السيد احمد بدوي ومن الاب الشيخ محمد كرا ولم
يترك لي الا جارية على احدى عينيها بياض تسمى فرحانة
وعبدين وامرأتيهما وحمارا وهجينا ضعيفا وترك لي
احدى ثنائه تسمى زهرة وامراة اخيه وكل منهما معها
بنت ورعها وباع مطامير الغلال ولم يبق لي الا مطمورا
واحدا واعطاني نسخة الاقطاع الذي كتبها له
المرحوم السلطان عبد الرحمن حين اقطعه الارض المذكورة
ونصها من حضرة السلطان الاعظم والملاذ الافخم
سلطان العرب والعجم ومالك رقاب الامم سلطان البرين
والبحرين وخادم الحرمين الشريفين الواثق بعناية
الملك المبدي المعيد السلطان عبد الرحمن الرشيد
الى حضرة الملوك والحكام والشراتي والدمالج واولاد
السلاطين والجبايين واهل دولة السلطان من العرب

والسودان اما بعد فان السلطان المذكور المبرور المؤيد
المظفر المنصور نصره الله وامده بمعونته واعطى العلامة
السيد محمد التونسي الشريف عمر التونسي قطعة من الارض
كائنة بابي الجدول حاوية لثلاث حلل حلة جولتو والدبة
وام بوصنة بحدودها المعروفة واتخامها الموصوفة
حسبما حدده الملك جوهر لملك خميس عرمان لا يعارضه
فيها معارض ولا ينازعه منازع من اهل المملكة خصوصا
جبايين العيش يتصرف فيها باي نوع من وجوه
التصرفات شاهبة لوجه الله تعالى وطلبا للثواب
في دار المآب والحذر ثم الحذر من الخلاف والتعرض
من الخاص والعام ثم ان والدي حمل اثقاله واخذ
رفيقه وسريته واخاه وتوجه وابعانى في الحلة
وفي شهر رجب سنة ١٢١٩ قتل الاب الشيخ محمد كرّا
بعد حرب عظيم وقع بينه وبين السلطان محمد فضل
وسببه ان اعداء الاب الشيخ محمد كرّا دخلوا
بالفتنة والسعاية بينه وبين السلطان وقالوا للسلطان
ان الاب يريد نزع المملكة من يدك ويولي عليها اخاه
باسي عوض الله فاظلم الجو بينهما واحتالوا واحتال
السلطان وجماعته في القبض عليه فلم يتيسر له ذلك
وانعزل الاب بجماعته بعيدا عن السلطان وارسل
له السلطان ان ياتي اليه فابى فلما لم يجد السلطان

وجماعته

وجماعته حيلة للقبض عليه وامتنع منهم منعوه الماء فترك
ثلاثة ايام يستقي من جديد السيل ثم لما اشتد العطش
بجماعته قالوا له انا قد عطشنا وليس عندنا من الدواب
والقرب ما ياتي لنا بالماء الذي يكفينا فارحل بنا الى
محل اخر نشرب منه الماء او دبر لنا حيلة فركب حينئذ
هو وعسكره وتوجه للوهد وهو غدير الماء فوجد عليه
حارسا من دولة السلطان مع عسكر كثير يمنع
جماعته وهو الملك محمد دلدن ابن عمة السلطان محمد
فضل فقتله وقتل جماعته قتلا ذريعا وسمع بذلك
جماعة السلطان فخرجوا عليه ونشب الحرب بينهما
فانكشفت جماعة السلطان وكان ظهر يوم الخميس
وخاف السلطان على نفسه ففر الى جديد السيل وكان
يوما على السلطان وجماعته لا لهم ومازال الحرب
بينهم حتى امسى المساء فنزل الشيخ محمد كرّا بجماعته
في عرض الغدير ونزل جماعة السلطان قبالتهم من
الجانب الآخر حتى اصبح الصباح وكان الاب افتقد
بالليل جماعته فوجد اخاه باسي عوض الله قد قتل
في الحرب فحزن له لذلك وقال لمن اننا نرد وقد مات اخي
واعز الناس عندي وكان قد اخرج معه باسي طاهر
ابن السلطان احمد بكر عم السلطان محمد فضل وبايعه
على السلطنة وتلك حيلة عملها لئلا تنفر منه اهل دارفور

لان من عاداتهم ان لا يتولى عليهم الا من كان من بيوت
اولاد الملوك من بيت سلطنتهم ولما عزم بقتل اخيه قال
لمن حوله انى قد كرهت الحياة ففى غد اياكم ان تقاتلوا
بل ادخلونى فى الحرب وانجوا انتم بانفسكم فحين شاع
عنه ذلك فرت جميع عساكره الاباعد ولم يبق معه الا ذووا
قرابته فى نفر يسير يبلغ عددهم الفا او اكثر بقليل فلما
اصبح ضربت طبول الحرب وركبت جماعة السلطان
وركب هو ايضا فى جماعته وادخلوه فى الحرب والتحم
القتال وغاص الاب فى جماعة السلطان واخترق
الصفوف حتى لم يبق بينه وبين السلطان شيء ولو
اراد قتله لفعل لكن تذكر معروف ابيه فمنع يده عنه
ووقف امامه برهة وقال له يا ابن الفاعلة اتسمع
فى كلام الناس ويكون هذا جزائى معك وخاف
السلطان حينئذ على نفسه منه واراد ان يفر ونادى قد
جاء ليقتلنى فانطبقت عليه الناس من كل جانب وداروا
به كالخاتم بالاصبع ولم يجد معينا ولا مساعدا
فقاتل حسب طاقته وقتل عدة ابطال وجرح جراحات
غير بالغة فلم يكترث بها وخافوا ان يدركه احد
من جماعته فيخلص من ايديهم مع ان جماعته كلها
انكشفت عنه وبقى فيهم وحده فصار يقاتلهم
نحو ساعة ثم لما عجز واعيا عثر جواده فوقع على

الارض

الارض فما استطاع النهوض لثقله لانه كان لابسا
درعين من الحديد فتكاثروا وتكالبوا عليه بالرماح
والسيوف حتى قتل رحمة الله عليه ولقد جردوه بعد
موته فوجد فيه ما ينوف عن مائة جرح من ضربة
سيف وطعنة رمح ورجع ابن زوجته محمد شلفوت
ظنا منه ان يجده حيا فينقذه من ايديهم فوجده
قد قتل فجرد سيفه وغاص فيهم فقتل منهم عدة ابطال
وهو ينادى يا لثارات الشيخ محمد كرا واخيرا تكالبوا
عليه وقتل هو الآخر بعد ان قتل اكثر من عشرين
من المعدودين واذ قد ذكرنا مقتل الاب الشيخ محمد
كرا فلنذكر مبدأ امرهم وكيف ترقى به
الحال ونتعرض لسلاطين دارفور حسبما علمنا
من ثقاتهم واخبرنى به الجم الغفير من مسنيهم
فاقول ان السلطان محمد فضل هو ابن
السلطان عبد الرحمن بن السلطان احمد بكر فيقال
ان السلطان احمد بكر كان له من الولد سبعة بنين
وهم عمر وابو القاسم وديز وريفه وتيراب وطاهر
وعبد الرحمن وهو المدعو باليتيم لان اباه مات
وتركه حملا فلما حضرته الوفاة جمع ارباب دولته
وجعل ولاية العهد لجميع اولاده يتولاها كلهم الاكبر
فالاكبر وشرط ان لا يتولى هذا الامر احد من اولادهم

الا بعد انقراضهم فلما توفى تولى اكبرهم المسمى بعمر فمكث
فى الملك سبع سنين ثم قتل فى حرب كان بينه وبين السلطان
محمد جوده سلطان دار صليح المسماة بدار وداى
وبدار برقو ثم تولى بعده اخوه ابو القاسم فمكث ثمان
سنين وقتل فى الحرب مع سلطان برقو ايضا ثم تولى
بعده السلطان محمد تيراب فكره الحروب واقام فى بلده
امرا ناهيا سلطانا ثلاثا وثلاثين سنة وكان رحمه الله
جوادا كريما حليما فيه اناءة وكان فيه مجون يحب الزينة
وانواع الملاهى وكانت ايامه كلها خصبا ودعة
ورخاء اسعار الا ان اخر مدته امره كرهته الناس لظلم
اولاده لانه لما ينوف عن ثلاثين ولدا ذكرا غير
الاناث فصاروا يركبون ويجوسون خلال
البلاد وكلما سمعوا بشئ جميل اخذوه من صاحبه
ويكلفون الرعية ما لا تطيق حتى كان فيهم ابن له يقال
له مساعد كان من عتوه وتجبره يابى ان يركب
الخيل بل كان يركب ظهور الادميين فكلما وجد شابا
امر بالقبض عليه وركبه حتى اعياه وربما سافر السفر
البعيد لا يركب فيه جوادا ولا حمارا بل يتنقل على
الناس حتى ينتهى سفره واذا لم يجد غريبا ركب من
جماعته وكانت الرعية ترفع شكاياتهم لابيهم فكان
لا يشكوهم ولا يقبل منهم بل ربما غضب وقال ان هذا

لهو

لهو العجب ايليق مثل هذا الا يخدم اولادى وكلما عملوا صغيرة
يشكون الى فلما راى الناس ذلك ابطلت الشكوى ورفعت
امورها الى الله عز وجل وكان قد ولى المناصب الجليلة
لاقارب ازواجه فكان جميع وزرائه اقارب زوجاته
وكان اكبر اولاده اسحاق المسمى بالخليفة شجاعا مهابا
ذا راى وحزم الا انه كان فيه نوع ظلم وجور وسبب
تسميته بالخليفة ان اباه جعله خليفة بعده ولقبه
بهذا الاسم وجعل له دولة كدولته ووزراء
كوزرائه فكل وزير كبير له ولد وكان السلطان
يامر ان ياتى بابنه للخليفة ليكون عنده بمنزلة ابيه
عند السلطان ومكث على ذلك مدة حتى سافر
السلطان تيراب الى كردفال وابقاه خليفة
فى دارفور كما ياتى بيانه ان شاء الله تعالى وكان
السلطان تيراب يحب الخلاعة والانبساط حتى
كانت الشبان تلعب مع البنات امامه اى يرقص
البنات والشبان وهو ينظر اليهم فمما اتفق
ان طائفة جاءت امامه من البرقد وهم قبيلة
من السودان لهم رقص معلوم يسمى تندكه ومن
عاداتهم اذا تعبوا من الرقص تجلس كل فتاة وشاب
معا على حدة فلعبوا حتى تعبوا تفرقوا وجلسوا على
عاداتهم فقال شاب لفتاة اترضى ان اكون لك زوجا

كان اسحاق المذكور هو

فقالت نعم ما الذي تعطيني من المهر فقال لها انا رجل فقير
ولا اجد شيئا اعز علي من المقابل لنا هذا واشار الى
السلطان وكان السلطان جالسا على كرسي مقابلا لهما
فقالت الفتاة قد رضيت ونظر السلطان لاشارتهما
له فدعا بهما فلما مثلا بين يديه سالهما عن ذلك
فقال الشاب اني سالت محبوبتي هذه في ان تتزوجني
فرضيت وطلبت مني المهر فقلت لا املك شيئا اعز
من هذا المقابل لي واشرت اليك فانبسط لقوله
وقال ارضيت بي مهرا لها قال نعم فقال السلطان
ارضي بالفدا وانا افدي نفسي قالت ارضى نعم
فدعا بابيها وخطبها منه وعقد له عليها وامهرها
جاريتين واعطى الرجل عبدا وامر لهما معا برزق
يعيشان فيه وهذا نهاية مكارم الاخلاق
اذ لا شيء اعظم من جمع بين متحابين في الحلال
ومن ذلك ما حكي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه كان في ايام خلافته يطوف
في المدينة المنورة ليلا ليقف على احوال الناس
ويعلم مظلومهم من ظالمهم وبينما هو في طوافه اذ
سمع جارية تغني وتقول

وهويته من قبل قطع تميمتي ... متمايسا مثل القضيب الناعم

فكان

فكان نور البدر يشبه وجهه ... يغيب ويبدو من ذوابة هاشم

فطرق الباب وقال لها من هويت فقالت
اليك عني فقال لابد وان تعلميني فقالت له بحق
صاحب القبر الا ما انصرفت عني فقال والله لست
بزائل من مكاني هذا حتى تعلميني فتنفست الصعداء
وقالت

وانا التي فرح الغرام بقلبها ... فتنت بحب محمد بن القاسم

فقال لها احرة انت فقالت لا بل مملوكة فقال
لمن فقالت لفلان وسمته له فتوجه رضي الله عنه
ولما اصبح سال عن محمد بن القاسم فوجده غازيا
بالعراق فارسل الى مولاها واشتراها منه وارسلها
الى محمد بن القاسم بالعراق وكتب له القصة
ثم قال واعلم يا اخي انه كم مات بهن سقيم وعطب
بهن سليم ومن ذلك ما حكي ان سليمان بن
عبد الملك بن مروان كان غيورا على النساء جدا
حتى انه ربما سفك دم من ظن انه نظر الى بعض
محاظيه نظر عشق فاتفق له اذا احضر مغنيا
في بعض الايام وكان في النهار فاجلس المغني تحت
السرير وامره ان يغني واستلقى على ظهره على السرير

وكانت معه جارية تروح عليه من شدة الحر فاخذ النوم
نزنغ المغني راسه على حين غفلة فراى الخليفة قد نام
والجارية تروح عليه فتأملها فوجدها كالشمس
في رابعة النهار فافتتن بها ولم يقدر على التكلم
خوفا من الخليفة فانهملت دموعه وهاج ولوعه
فاخذ قرطاسا وكتب فيه

اني رايتك في المنام ضجيعتي
مسترشفا من ريق فيك البارد
وكاننا وكاننا
بتنا جميعا في فراش واحد

ثم القاه عليها فاخذته وقراته وكتبت له فيه

خيرا رايت وكلما املته
ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي
وتحل بين مراشفي وسواعدي
ونكون اولصاحبين تلاقيا
رغم الزمان بلا مخافة حاسد

ورمت القرطاس اليه فالتقفه الخليفة قبل ان
يصل اليه فلما قراه احمرت عيناه وكاد يتميز غيظا
وقال ما حملكما على ما صنعتما احب قديم بينكما
ام عشق حاضر كما في هذه الساعة فقالا لا والله

في هذه

في هذه الساعة ولم يكن لنا به عهد قبل ذلك واهملت
دموعهما فلما راى منهما ذلك رق لهما وقال للمغني
خذها ولا تعد تقربنا اهـ فمات السلطان
تيراب مدة مديدة كما ذكرنا واكثر من الازواج والسراري
حتى كان له من الولد اكثر من ثلاثين ذكرا ر البنين
الخيز غير الاناث والصغار وفي ايامه تلاع خدمة الشيخ
محمد كُرّا وكان غلاما مراهقا فامر ان يكون في كُورْكُوا
اي اهل الحراب اي يكون مع الجماعة الذين يحملون الحراب
خلف السلطان حين يركب وحين يجلس للحكم والخصومة
للسلطان في ذلك بل كل ملك من ملوكهم وقائد
من قوادهم له جماعة يحملون الحراب خلفه حين
يركب او حين يجلس للحكم يسمون كُورْكُوا ويرون
ان ذلك من تمام نظام الملك حفظا للناموس
وهيبة للمخدوم في قلوب رعاياه فخدم الشيخ محمد كُرّا
في تلك الخدمة مدة وظهرت منه علامات النجابة
فاحبه السلطان تيراب ونقله الى سُومِيْندُجُلَه ومعناه
دَرْأُ العبارد والدرأ بلغتهم العربية اسم للحجار واهل
سُومِيْندُجُلَه هم الامنا على مصالح المخدوم يرسلهم
في اسراره ورئيسهم اعظم شانا من رئيس كُورْكُوا
فاعتنى في خدمته حتى ان السلطان كان لا ينادي
في اكثر حوائجه غيره فحسده بعض اهل الدرأ فسعى به

الى السلطان قائلا ان محمد كرا خائن غدار وانا اراه يجتمع
هو وفلانة الحظية في كل ليلة ويأتيها بالطعام الجميل
فغضب السلطان لذلك وهم بالبطش به فبلغ الخبر الى
كرا فاخذ مدية واختلى بنفسه في حجرة واستأصل مذاكيره
بيده وجاء بها الى السلطان وكان قريبا منه والقاها
بين يديه وقال انما قيل فيّ ما قيل لهما حتى لا [illegible]
وها انا قد استأصلتها لئلا يبقى في قلب مولاي مني
ريب ثم سقط مغشيا عليه فرحمه السلطان وامر
بمداواته فعولج حتى برئ ثم ان السلطان امره ان يكون
صحبة الامين علي ودجابغ احد الوزرا العظما ووصى
عليه الامين المذكور بان قال له خذ هذا الغلام الى
دارك واعتن به واكرمه واياك ان تتهاون به فاني
ارجو ان يخلفك في منصبك فاخذه الامين على مضض
منه ووضعه في سوميندجله كما كان عند السلطان وقد
ذكرنا قريبا ان اهل سوميندجله هم الامنا على المصالح
المهمة يرسلهم المخدوم في اسراره فجلس كرا في ذلك المحل
مدة وكان لا يغيب عن باب مخدومه وكلما نادى الامين
على احد من اهل سوميندجله يجيبه محمد كرا بادرا فلما لم يجد
غيره فكان يرسله في قضاء مصالحه وكان من عادته
ان لا يذهب لقضاء مصلحة الا نجح واغنى فيها فاحبه الامين
فتراعنه لما راى من كفايته فجعله ملكا على اهل سوميندجله

وميزه عنهم فصارت جميع الخدمة تحت يده يأتمرون
بامره وحين ولي هذا المنصب اجتهد في الخدمة زيادة
عما كان عليه ولازم باب مخدومه وكان في الامين نوع اهمال
للامور منها انه كان يأتيه من الطعام وقت الغدا
والعشا ما يزيد عن الغذا اناء فكان لا يلتفت الى
ذلك بل كان يأتيه هو ومن معه ما يكفيهم والباقي تتوزعه
الخدمة بغير ترتيب وكثير من الانية ما يرجع الى الحريم
ملآنا فالتفت محمد كرا الى ذلك ورتبه احسن ترتيب وهو
انه كان يبعث الخدمة من اتباع سيده ينظرون من عنده
ضيف منهم فياتونه بالاخبار ويقولون فلان عنده ضيوف
وفلان وفلان هلم جرا فكان اذا احضر الطعام اختار لمخدومه
من احسنه ما يكفيه هو ومن معه ثم يوزع على الخدمة كفايتهم
ثم يوزع الباقي على محال الضيوف كل منها على حسب حاله
في المرتبة والغنا والجاه والعلم ويوصي الحاملين ان
يقولوا ان الامين ارسل لكم هذا ضيافة والامين
لا يعلم شيئا من ذلك فصارت الناس تشكر الامين
وتمدح به وحين ياتون اليه يقولون جزاك الله خيرا
ارسلت الضيافة العظيمة فلا يوجد نظيرك في امناء
السلطان ويثنون عليه غيبة وحضورا فكان الامين
يتعجب من ذلك ويقول هؤلاء يثنون علي ويقولون
لي ارسلت لهم الطعام مع اني لم افعل شيئا من ذلك

لانه لا يعلم سببه وبقي متحيراً كيف يعلم سبب ذلك حتى اتفق
له انه كان عند الحريم في المسا وجاء خارجاً الى الديوان
فراى محمد كُرّا يوزع الاطعمة فلما احس بذلك تربص واكمن
في محل فسمع محمد كُرّا يقول للخدمة كم في بيت الملك
فلان من الضيوف فقالوا له كذا وكذا فقال احملوا لهم
كذا وكذا فاتوا لهم فتدارك هذا الفتى الامين
حتى وزع الطعام كله فقال من هنا جاء العمار فقربه
واكرمه واعلا رتبته وجعله على الكورايات وملك
الكورايات في عرفهم هو الذي يحكم على الخيل وجميع الخدمة
وهو منصب جليل عندهم وان كان في عرف غيرهم لم
يخرج عن كونه رئيس السياس واقام محمد كُرّا في صحبة الامير
علي على هذه الحالة حتى سار الامير علي الى كوردفال
صحبة السلطان تيراب وسار معه الشيخ محمد كُرّا •

• سبب سفر السلطان محمد تيراب الى كردفال

قد حكى لنا الثقة العارف بالانساب ان السلطان
سلون المدعو سليمان الجد الاول لسلاطين دارفور كان
له اخ يقال له المسبع فاقتسم هو واخوه الاقليمين
فاخذ السلطان سليمان اقليم دارفور واخذ المسبع اقليم
كوردفال وتعاهدا ان لا يخون احد
منهما صاحبه فبقيا كذلك حتى كان في زمن السلطان
محمد تيراب كان الوالي على كردفال من اولاد المسبع

السلطان هاشم المسبعاوي وكان فيه شهامة وشجاعة
واقدام على الامور الشاقة فاكثر الغزوات على بلاد
التروج والبادية حتى صار ذا مال عظيم وصار عنده
من العبيد ما ينوف عن عشرة آلاف عبد حامل للسلاح
واجتمعت عليه اوباش الناس من الونا جلة والشايجية
والكبابيش وعرب الرزيقات حتى صار في جند كثيف
فطمعت نفسه في تملك دارفور واستشار ارباب دولته
في ذلك فاشاروا عليه ان يبث السرايا اولاً على اطراف
البلاد ليضعفوا اهل مملكة دارفور ثم بعد ذلك يتوجه
اليها فسمع قولهم وبث السرايا على اطراف مملكة دارفور
فقتلت وسبت واغتنمت اموالاً عظيمة فارسل
السلطان تيراب الى السلطان هاشم يقول له بعد
السلام يا ابن عمي لم ارسلت سواريك على سراياك
على اطراف بلادي وانت تعلم ما بيننا من المودة ولم
يقع منا ما يخالف المودة مع انك تعلم ان الذين
اخذت اموالهم مسلمون والذين قتلوا موحدون
وهذا الفعل لم يبحه احد ولا يفعله عاقل فاذا
وصلك كتابي هذا فانته والا استعد للقا في مصرعه
والسلام فلما وصله الكتاب ما زاد الا عتوا واستكبارا
وبث السرايا ثانيا فعلم السلطان تيراب انه لم
يتداركه ويتاصل شافته زاد شره واخرب

البلاد فتجهز وتوجه اليه وهذا هو السبب الظاهر والسبب
الباطن انه يعلم ان الناس غير راضين عنه ولا يرضون
بتولية احد من اولاده خصوصا مع وجود اولياء عهد
السلطان احمد بكر الذين هم اعمامهم ولا سيما اذا تذكروا
ما وقع منه ومن اولاده من الظلم وهو يريد ان يعهد
الى اكبر اولاده المسمى باسحاق الخليفة كما تقدم فاغتنم
الفرصة حين وقع من هاشم ملك كرد فال هذا الامر
واغتاظ في الظاهر واعلن ان هذا الامر لا يقوم به غيره
مع انه لو بعث الامين على او احد وزرائه لكفاه مؤنة
السفر والمشقة ولكن اراد ان يسافر وياخذ معه جميع
اولاد السلطان كبارا وصغارا ويقتحم بهم الحروب حتى
يهلكهم ويهلك الوزرا الذين لا يحبون الولاية لابنه
ليتمكن اسحاق من البلاد والاموال والرجال وينفرد
بالذكر ولما كانت هذه نيته جمع جميع اولاد السلطان
والوزرا الكبار وابقى مع الخليفة اولاد الوزرا كلا منهم
في منصب والده وارتحل بهم على هذه النية وان كان اخفاها
لهم فقد ظهرت على حد قول القائل

ومهما تكن عند امرء من خليقة ۞ وان خالها تخفى على الناس تعلم

مع انه عومل بخلاف قصده واعقبه الله بقتل ولده ولم
ينفع تدبيره بشيء ورحم الله القائل

اذا لطاف الهي ۞ لم تدع في الكون ضنكا

بلغ

كلما رمت احتيالا ۞ لي قالت خل عنكا
سلم الامر الينا ۞ نحن اولى بك منكا

وفي كون الامور دائما تاتي على خلاف المراد قال المتنبي

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ۞ تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فلما سمع ملك كرد فال تقدمه فرهو وجماعته والتجار
بملك سنار واقام عنده فدخلها بغير حرب وصار يبث
السرايا والجند في اطراف البلاد حتى دوخها وجبى الاموال
واستفاد الاحوال فمكث على ذلك حتى حال الحول وملت
الناس من المقام وسالوه العود الى بلادهم فغضب لعدم
ظفره بما امل لكنه اخفى ذلك وقال لهم كيف ترجعون
وقد بلغني ان هاشم استجار بملك سنار والملك قد
جهز له جيشا ويريد التقدم علينا فان رجعنا وجاء
بعدنا ضاع ما قررنا [illegible] وبعد ذلك
[illegible] الى [illegible] وانا الان مضطر الى
[illegible] ان ياتي [illegible] حتى تحقق الخبر ومكثوا
بعد ذلك مدة فلم يظهر لما قاله اثر فتنكرت قلوبهم
وتاقت احوالهم واشتاقوا الى اهلهم وعيالهم وتذاكروا
مع بعضهم في ذلك في خلوة فقال الوزير الامين على
ود برقو وكان صهر السلطان اي ان السلطان كان
متزوجا بابنته ماذا جعلتم لي ان قتلته واراحتكم
منه ولو لم يعد عليكم من شئتم فضمنوا له مالا عظيما

[illegible] ولو استشهد
[illegible] ابي الطيب [illegible]
اقول اني [illegible] الفرق معا لطا
ولطالما اخترت [illegible] مرادي
واختلف [illegible] الوصال لا اسم
ورغبت عن [illegible] مرادي
تاتي الامور على خلاف المشتهى
لا اصاب [illegible] وقوله بما لا يشتهي السفن
السفن صعوبة بما لا يشتهي [illegible]
لان السفن الملاح وله الشهوة اه
املاه حسين [illegible]

وتعاهد وامه على ذلك وجعل بينه وبينهم العلامة
صوت الطبل فمهما سمعوا الطبل يكونوا على اهبة مستحضرين
فصار الامين على حتى جن الليل ولبس درعين سابغين
متينين ولبس ثيابه عليهما وتقلد بسيفه ودخل دار السلطان
وقصد حجرة ابنته لما يعلم من حب السلطان لها لان
السلطان كان له بها مزيد اعتنا فكثيرا ما كان يجد عندها
فلما دخل عليها عرفت الشر في وجهه وخافت جده ان
السلطان لم يكن عندها في تلك الليلة فسالها عن السلطان
فقالت لا اعلم اين هو ولكن ان اردت بحثت لك عنه واعلمته
بقدومك فقال لها نعم ما تصنعين لاني شديد
الاحتياج اليه في هذه الليلة وكانت في وقت محادثتها
له رات طوق الدرع من تحت طوق الثوب فبالكدت
الشرود ذهبت الى محل السلطان واعلمته ان اباها
جا طالبا له وانها رات منه امورا انكرتها منه لانه
لابس درعا تحت ثيابه ومتقلدا سيفه مع ان العادة
لا يدخلون على السلطان بسيف ابدا ومنها ان في وجهه
علامة الغضب فاحس السلطان بالشر لانه هو
الذي هو الذي كان يلح عليه بالعود ويبالغ في القول له
فامرها ان لا تعود اليه وخرج السلطان ونادى كبراء
العسس وامرهم بالقبض على من جاء خارجا عن الدار
وان افلت منه لا يلومون الا انفسهم واخذ هو جماعة

منهم

منهم وسار بهم منتبهين باسلحتهم وغاص في لجة داره
ودخل في حجر بعض نسائه واحتاط الحرس بها فجلس
الامين علي في انتظار ابنته تعود فلم تعد اليه بخبر
السلطان او ان السلطان ياتي اليه ليبلغ اربه منه
فلم ياته احد بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع
مارن انفه بكفه على حد قوله

الى حتفي سعى قدمي		ارى قدمي اراق دمي

ولما اعياه الانتظار قام يريد الذهاب الى داره خوفا
من ان يطلع النهار عليه ويفتضح لعله قليلا حتى اذا فار
العسس نهضوا اليه وقالوا له ارجع حيث كنت فابى وعرفهم
بنفسه لاجل ان يخلوا سبيله فما امكن بل قالوا له نحن
مامورون بالقبض عليك ان لم ترجع الى المحل الذي جئت
منه فسبهم واراد ان يخرج قهرا عنهم فهجموا عليه ليوثقوه
حتى يصبح فقاتلهم وجرح اناسا منهم فتكالبوا عليه
وقتلوه ولم يستفد من بغيه الا فنا اجله لهذا قال
عليه الصلاة والسلام لكل باغ مصرع اذكما قال
ورحم الله السيد علي الغراب حيث يقول

زارع البغي حاصد للندامه	
	فاطلب السلم ان اردت السلامه

لا تثق بالمنى فما كل باغ	نال ما يرتجي ودون مرامه
ربما كانت الاماني مطايا	للمنايا وموردا للندامه

ربما خلت لراح منالا ... مثلما خلت لرامنا مه
رب ساع لمجتني طيب عيش ... وهو يجني وليس يدري حمامه

واخبر السلطان حينئذ بموته فقال اجعلوه في رداه وضعوه
في محل حتى يصبح وحين بزغ الفجر امر السلطان باحضار
عبيده كلهم لابسين السلاح فحضروا ورتبهم على
الابواب وامر البوابين ان يفتحوا الابواب حتى اذا
لم يبق احد اغلقوها عليهم وامرهم ان لا يدعون
حواشي القواد يدخلون معهم بل لا يدخل الا الامرا فقط
ووصى العبيد اذا اغلقت الابواب ياتي جماعة منهم
ويقفون امامه محيطين بالعالم الذين يكونون بالمجلس
ثم امر ان تضرب الطبول ضرب حزن وازعاج لان
لهم في حال السرور ضربا معروفا وفي حال الحزن كذلك
نضربت الطبول لامر وجاءت الوزرا والملوك على
طبقاتهم ظنا منهم ان على ود برقو نفعل ما اتفق معهم
عليه فجاؤا متهيئين فحين وصلوا الى دار السلطان
راوا الامر على غير ما يعهدون فلم يجدوا بدا من الدخول
ودخلت اتباعهم معهم فخنقوا وبقوا منفردين عن
اتباعهم وجا العبيد الذين اوصاهم بالاحاطة بهم
فاحاطوا بهم شاكين السلاح مظهرين الغضب
وخرج السلطان عليهم غارقا في ثياب سود متطيلسا
بشمير احمر وهذا نهاية الاسلوب الغضب فجلس

السلطان

السلطان في محله المعد له وامر باحضار القتيل ملفوفا
بالردا فلما احضر فامر بوضعه في وسط الحلقة وقال
اريد منكم ان تعرفوا هذا من هو وبادروا اليه وكشفوا
وجهه فعرفوه ولم يتجاسر احد منهم على التكلم لما قام
عندهم من الغضب فقال لهم السلطان هل عرفتم هذا
فسكتوا كلهم فقام رجل منهم ذو دهاء وصهر للسلطان
ايضا فقال نعم فتاه وهو الامين على ود برقو
وقد دخل عليك باطلاعنا اجمعين فان اردت
قتلنا فها نحن بين يديك وان عفوت فالامر اليك
فقال السلطان وما حملكم على ذلك فقال انك اتيت
بنا الى هنا وتعلم ان لنا في بلادنا اهلا وعيالا واولادا
قطعتنا عن رؤيتهم والتمتع بمعاشرتهم وليس لنا
هنا شغل تعذرك في الاقامة بسببه ولسنا نراك
ناويا اوبة ولا يطيب لنا عيش الا بمكاننا فاجل
ما نصنع معنا ان تردنا الى اوطاننا فان قلوبنا
انكرت الغربة وحنت الى الاوطان

حنيني واشواقي لاول تربة ... واول ارض مس جلدي ترابها

لا سيما وقد ورد عن سيد ولد عدنان حب الوطن من
الايمان فلما سمع مقالة ذلك الرجل عرف صدقه
وخاف ان بطش بواحد منهم قامت عليه القيامة لانهم

معذورون في ذلك فتخلص منهم بان قال لا تستعجلون
موتي فاني ميت لا محالة لاني مريض مرضا لا يمكنكم
اطلاعكم عليه وهو الذي يمنعني عن السفر فان عافاني الله
في هذه المدة رجعت اليكم واياكم ان تفعلوا مثل هذه
والسلام ثم انه بعد ذلك بايام اظهر الخبر انه مريض وصار
لا يخرج الى الديوان ولا ينظر في احوال الناس مع انه
معافى الجسم ولم يعلم ان كل من تمارض تغلب الهزال
جدا ومرض حقيقة وربما مات وقد قال عليه
افضل الصلاة واتم التسليم لا تمارضوا فتمرضوا
فتموتوا فانغلب عليه الدست وجاء به المرض والمقت
وايقن انه هالك لا محالة وحينئذ كتب للخليفة كتابا
يقول فيه بعد السلام اعلم يا ولدي انه قد اعتراني مبادي
ما لا بد منه ولا محيص عنه فاذا وصلك كتابي هذا فخلف
ولدك خليل على دارفور وعجل بالقدوم عسى ان تدركني
وبي رمق لعلي ادبر لك شيا ينفعك والسلام وختم
الكتاب وارسله صحبة هجان وطاش الخبر ان السلطان
تغلب عليه المرض وارجف بموته وصار الناس لا يتحدثون
الا بذلك وكان محمد كرا كثيرا ما يدخل دار السلطان
ويجتمع على نسائه وكان ممن يجتمع عليها اياكري كنانة
اعظم نساء السلطان صاحبة الرتبة الجليلة لان كل
سلطان يتولى لا بد وان يجد احدى نسائه ومراجها

وقلدها

وقلدها امور الحكم في بيته هي التي تسمى اياكوري حقيقة وهذا
اللفظ معناه السيدة المكية وان قيل لغيرها من نساء
السلطان اياكري فذلك من باب التعظيم لا غير وهذه
كنانة كانت صاحبة راي وتدبير كان السلطان تيراب
لا يالف غيرها الا لماما ولهذا قلدها هذا المنصب لان
هذا المنصب له اقطاع ومعاليم واموال تجبى لها منه وتصدر
منها اوامر ولها نواب يضبطون اموالها واحوالها فلما رات
ان السلطان ميت لا محالة خافت على نفسها وكان لها ولد
يسمى حبيب خافت عليه ايضا فاجتمعت على كرا وقالت له يا محمد
هل لك في حيلة تخلصني وولدي من هذا الامر قال لها
نعم الحيلة انك تعملين حيلك بما يتم له انه هو صاحب
الدولة بعد السلطان تيراب لان كل الناس راضون
عنه فقالت هل لك ان تجعل بيني وبينه عهدا وتتوثق
منه بازاء انه تولى يجعلني اياكري ويجعل ولدي حبيب
خليفة فقال لها كرا انعقد لك ذلك ولك ما يسرك ان
شا الله وكانت كنانة تخاف على ولدها حبيب من
الخليفة اسحاق لانه ابن ضرتها وعرفت ان اليتيم لا ولي
له فقالت اذهب يا ولدي فذهب الى محمد كرا واقراه
سلامها واخبره انها تريد ان تعينه على التولية بشرط
ان يتزوجها ويجعل ولدها خليفة فعاهده على ذلك
فقال محمد كرا وماذا لي انا ايضا ان كتمت سركما واعنتك

يهدى على التولية ودبرت يجيلني على قدر طاقتي
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما
الموت الا فاعي من سموم العقارب

فقال اليتيم ان فعلت ذلك واغبت فيه قلدتك منصب
الاب وعاهده على ذلك فرجع اليها محمد كرا واعلمها انه
استوثق منه بما ارادت فاطمأنت لذلك وصارت
تجد ترسل معه اخبار السلطان وقتا فوقتا ولما ثقل
مرض السلطان تيراب ويئس من مجيئ ولده اسحاق الخليفة
احضر الامين على ود جامع وسيد محمد كرا والامين حسب الله
جوان والامين ابراهيم ود رماد والاب الشيخ عبد الله
جنا وامينا اخر نسيت اسمه وقال اعلموا انى صنعت
معكم معروفا وارجوان تكافئوني عليه بتنفيذ وصيتي
التي اريد ان اوصيكم بها فقالوا سمعا وطاعة فقال
للامين على انى اوصيك اذا انا مت بان تجمع العساكر
كلهم تحت يدك وتوصلهم الى اسحاق ولدى بدارفور فقال
سمعا وطاعة وقال للامين حسب الله قد جعلتك
امينا على خزائن اموالى اذا انا مت توصلها الى ولدى
فقال سمعا وطاعة وقال للامين ابراهيم ود رماد
قد جعلتك امينا على دوابي وخيلي اذا انا مت توصلها
الى ولدى بدارفور وقال للاب قد قلدتك الحريم والخدم
والعيال اذا انا مت توصلها الى ولدى وقال للاخ

قد جعلتك امينا على اسلحتي وملبوساتي واولادي اذا
انا مت توصلها الى ولدى فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة
ودعوا له بالعافية وبكوا لما هو فيه من المرض لانهم اصحاب
ماعدا الاب لانه خصي ثم ذهبوا الى محلهم وقضى السلطان
نحبه وهم غائبون وحين توفي ارسلت كنانة الى اليتيم
بسبحة السلطان ومنديله وخاتمه وحجابه تعلمه بموته
وكان اولئك الوزراء الذين اوصاهم توجدوا فقضى عليه
فندموا على خروجهم من عنده ودبروا حيلة واجمعوا امرهم
ان يجعلوا السلطان في تخت بعد تحنيطه والقاء ما في
امعائه وتصبيره ويغطى ويجمع بالعساكر ولا يتركون
احدا يصل اليه وكل من سال عليه قيل له مريض حتى يصلوا
الى دارفور ويسلموا كل ذلك الى ولده اسحاق الخليفة والشيخ
محمد كرا اخذ الاشيا المذكورة وتوجه الى اليتيم وقال
له عوضك الله في اخيك خيرا واعطاه الخاتم والسبحة
والمنديل فتحقق موت اخيه واخذ الاشيا وذهب
الى اخيه الاكبر المسمى ريز فحين اعلمه نهض قائما واخذ
ربعه وظاهر وتوجهوا الى دار السلطان فلم يقدر احد
(ريف)
على منعهم وما زالوا داخلين حتى وصلوا الى المحل الذى
فيه الجماعة والسلطان تيراب مسجى امامهم وهم يبكون
عليه فدخلوا عليهم ولم يخاطبوهم بل جلسوا حول اخيهم
وبكوا حتى فاوا ثم التفتوا الى الجماعة وقال لهم ريز

اما كفاكم ان مدة حياة اخينا كان خيره لكم والان اتريدون
ان تاخذوا شلوه ايضا لاجل ان يكون لكم حيا وميتا فها
فها نحن قد اطلعنا على موته فافعلوا ما بدا لكم فقد تركناه
لكم ثم خرجوا وتركوهم فاختلف راى الجماعة بعدهم وقالوا
قد فسد تدبيرنا واطلعوا على موت السلطان فلا يمكننا
ان ننفذ وصيته الان فقال الامين على ود جامع
لابد لى من تنفيذ وصيته او اموت دونها ثم نادى
يا محمد كرا اذهب الى محمد ولدى وقل له يجمع عساكرى ويلبسوا
دروعهم واسلحتهم وياتون الى باب السلطان فقال
سمعا وطاعة وذهب الى محمد بن الامين وقال له ان
حضرة الامين يامرك ان تجهز العساكر وتركب معهم
وتذهب الى اولاد السلطان وتكون معينا لهم حتى ياتيك
امرى فقال الامين محمد سمعا وطاعة ونادى فى العساكر
فتاهبوا وركبوا وتوجهوا الى اولاد السلطان ورجع
هو بعد ذلك للامين وقال له قد ذهبت فوجدت
سيدى قد اخذ العساكر وتوجه الى اولاد السلطان
فاغتاظ الامين على بذلك وعلم انه لا يقدر على تنفيذ
وصية السلطان بتراب وخاف من الايمان والعهود
فاخرج علبة صغيرة كانت معه وفتحها واستف منها
شيئا مما كان فيها فوقع ميتا ولما مات اخذ الباقون
وتفرق رايهم وهذه اقوى مكيدة عملها محمد كرا فى الامين

وولد

وولده بسببها وقعت العداوة بينه وبين الامين محمد بن
الامين على المذكور كما ياتى بيانه ثم ان الجماعة تفرقوا وذهب
كل منهم الى جهته وهاجت الناس وماجت وعلموا انه لا بد
للبلد ولهم من سلطان يقوم بامرهم ويجمع كلمتهم وكانت
اولاد السلطان احمد بكر الذين هم اخوان المتوفى جالسين
هم وابناء عمهم على حدة واولاد اخواتهم وابناء عمهم على حدة
والرعايا على حدة فنهضت جماعة من المدبرين ودعوا
بالقاضى والعلما وارسلوهم الى اولاد السلطان بكر
لانهم هم الكبرا واوليا العهد من ابيهم وقالوا لهم قولوا لهم
بعد السلام اعلموا انه لا بد لهذا الامر من سلطان يجمع كلمة
الناس ويقوم بامرهم والملك لكم وانتم اربابه فعينوا
لنا سلطانا نرضاه نحن وانتم فتوجهت العلما والقاضى
واخبروهم بذلك فقالوا قد عينا لهم اخانا ريز لانه
هو اكبرنا وسيدنا ونحن تحت امره ونهيه فتوجهت
العلما لاولاد السلطان الصغار واخبروهم ان
باسى ريز يكون عليهم سلطانا فابوا وقالوا ان باسى
ريز عمنا ووالدنا لكن لا نريد ان يتولى علينا لانه
صعب المراس فيه حدة تخشى غائلته خصوصا ونحن
اولاد صغار نريد سلطانا حليما يربينا وان صدر
من احدنا بادرة يعاملنا فيها بالحلم وقالت الرعية
ان باسى ريز ملكنا وابن ملكنا ولكن به حدة والاولى

ان يختار هو غيره لانه هو سلطان تولى ام يتولى فرجعت
العلما واخبروهم فقالوا بذلك فقال رباسي دبر قبلنا عذرهم
قد ولينا عليكم باسي طاهر فاخبروهم فقالوا اولاد السلطان
لا نرضى بعمنا طاهر لانه له اولاد كثيرة لا يشتبه لتربيتنا
بسببهم وقالت الرعية انما كرهنا السلطان تيراب لكثرة
اولاده فان يولوا علينا طاهرا فنحن نرضى بالخليفة ان
يكون سلطانا لانه اقل اولادا منه فرجعوا واخبروهم
فقال ادريز قد ولينا عليكم اليتيم فاخبروهم فرضوا به
كلهم رعية واولاد ملوك وانعقد امرهم عليه فاخذوه
وتوجهوا به الى دار السلطنة والبسوه الخاتم واقعدوه
على كرسي المملكة ولم يختلف عليه اثنان .

الباب الثالث

في ذكر نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد
واول امره وولايته ووفاته .

قد ذكرنا فيما مضى ان السلطان احمد بكر خلف سبعة
من الولد منهم السلطان عبد الرحمن المذكور وهو اصغرهم
لان اباه توفي وهو حمل في بطن امه ولذلك سمي باليتيم
ونشأ على احسن حال حفظ القران وقرا في الفقه وعرف
الحلال والحرام ولم ينتبه الى ما انتبه له اولاد الملوك
في دار فور لان اولاد الملوك هناك متى كبر الواحد منهم يخوض
في البلاد يتضيف وينهب اموال الناس وكلما راى

شيا اعجبه اخذه بدون ثمن ويقولون ان جميع ما في دار فور
من العالم عبيد لابيه الا عبد الرحمن فانه من صغر سنه
كان صالحا تقيا عفيف النفس وكان في غاية من
ضيق العيش وكان اذا سافر وامسى عليه المسا في بلد
قال لمن ينزل عنده انا ضيف الله فان قبله مكث
والا ذهب الى محل اخر ولم يسمع عنه انه ظلم احدا قط وكان
لا ينسى الصنيعة لمن فعلها معه بل يتذكرها ويجازيه
عليها ومما ذلك ما اتفق انه كان مسافرا فنزل على رجل
من قبيلة يقال لها البرتي فعرفه الرجل وذبح له كبشا
سمينا ولا طفه ولما جا العشا وحضر الطعام راى السلطان
عبد الرحمن ان الرجل قد تكلف له فقال له يا هذا اما
كان يغني عن هذا ما هو اقل منه لو ذبحت لنا دجاجة
لقامت مقامه وكنت اديت ما وجب عليك فقال لا
يا مولاي والله لو ملكت جزور النخ لهالك الست
عبد الرحمن اليتيم ابن سلطاننا فقال له اليتيم ومن
اين تعرفني قال عرفتك بحسن خلقك وتقواك وانه
سيصير لك شان فقال اليتيم لئن ملكت لا اطعمنك
اسمن مما ذبحت لنا وكان الامر كذلك فانه لما ولي
دعا بالرجل وكان يسمى محمد دردوك وولاه منصبا
جليلا واخرجه بجباية اموال قبيلة العرب المجانين
وهي قبيلة عظيمة اهلها اصحاب ابل فحصل منها

من الاموال والنوق والجمال ما لا يوصف ومنها انه مر
ببلاد الزنج ونزل على رجل فقير يقال له جدو فاكرمه
على قدر طاقته وكان هذا الرجل من بيت كبير وابوه كان
ملكا يقال لمن تولى في منصبه التكيناوي فلما ولي اليتيم
ولاه منصب ابيه ورأيته واجتمعت به ومنها
ان الفقيه مالك الفوتاوي الذي اسلفنا ذكره كان
رأى له مناما وصورته انه رأى قمرا في السماء والناس
ينظرون اليه ويقولون هذا اليتيم فاوله ان يلي
الملك وذهب وبشره بذلك فقال له ان صدقت
رؤياك لارفعن قدرك فكان كما قال وكان يصوم
الخميس والاثنين على الدوام ويصوم رجب وشعبان
ورمضان وكان يحب اهل العلم ويكرمهم وقبل
ولايته بايام شاع عند المنجمين واصحاب خط الرمل
ان اليتيم هو الذي يتولى السلطنة بعد السلطان
تيراب وسمع السلطان بذلك فحقد عليه واراد قتله
مرارا والله يمنعه منه وكان يدعوه للطعام ويجعل له
السم فيه فكان اليتيم يقول اني صائم ولا يأكل منه
شيئا ولقد اخبرني من شاهد وقت توليته حين
ادخلوه لدار السلطنة انه كان عليه قميص قد بلي حتى ان
كتفيه ظاهران منه وبيده سبحة من خشب تساوي
في مصر عشرين فضة ومكث عزبا حتى بدا الشيب

عظيما مع

في لحيته

في لحيته وما ذاك الا لفقره وعدم المال الذي يشترى
او يتزوج به ولم ير النساء الا حين سافر الى كردفان
صحبة اخيه السلطان محمد تيراب فمر على بلاد يقال لها
البيتو فاعطاه ملكها جارية وخشية تسمى انبوسة
فغشيها فولدت منه السلطان محمد فضل ولما
انعقد الامر عليه اجلسوه على سرير الملك كما تقدم
وبايعوه وكان اول من بايعه اخوه الاكبر ريز ثم
ربيعا ثم طاهر ثم اولاد السلاطين فبايعوه ثم
القاضي والعلماء ثم الامراء وضربت طبول الحزن
اعلانا بموت السلطان تيراب ثم بطلت قليلا
وضربت طبول الهنا اعلاما بتولية السلطان عبد الرحمن
وكان من عادة ملوك الفور ان السلطان اذا تولى
يمكث سبعة ايام في بيته لا يباشر حكما ولا امرا ولا
نهيا بل يجلس للتهنئة والسرور يدخل عليه العلماء
والوزراء وارباب الديوان فلما تولى السلطان
عبد الرحمن ابطل تلك العادة وخرج صبيحة توليته
فجاءت الوزراء فرأوه جالسا في ديوانه وتناول
بعض احكام فلاموه وقالوا ليست العادة كذا
فقال هذه العادة ليست في كتاب الله ولا في سنة
رسوله ثم جمع جميع ارباب الدولة وقال لهم ان كان
لكم ارب في ان اكون سلطانا عليكم تبطلوا الظلم

ولا تحدثوا به انفسكم وتوبوا الى الله تعالى منه فان الظلم يخرب
الدول ويقصر اعمار الملوك فقالوا سمعا وطاعة ثم لما
كانت صبيحة اليوم الثالث امر باخراج خزائن السلطان
تيراب فاخرجت ففرق ما كان فيها من العين من ذهب
وفضة وثياب على العلما والاشراف والفقرا ووجد
فيها من الكشمير والجوخ الذى عث شيء كثير فامر ان يرمى
خارج الدار وكل من وجد شيا ينفعه اخذه فاخرج
فكان كالطود العظيم واجتمعت عليه الفقرا ينهبونه
وبسطوا ايديهم بالدعا للسلطان عبد الرحمن ثم
لما كان سابع يوم اخرج جوارى السلطان تيراب
وفرقها ايضا ولم يترك الا الحواير وامهات الاولاد
الذين تزوجهم اخوه بالعقد ثم نصب المناصب فجعل
محمد دكمى امينا فى منصب ابيه الامين على ود جابع
وامرهم بالاهبة للرحيل الى دارفور فتجهزوا وحين
خرج من كردفال مر على جبل الزوج فاوقع بهم
واخذ جميع ما فيه من الشبان والبنات ولم يترك
فيه الا المسنين واجتمع بمشايخ عرب البادية من
الرزيقات والمسيرية فالتمس منهم المسير معه لحرب
الخليفة وكلما التمسوه من مال وسلاح وخيل فهو
لهم فاجتمع عليه منهم الوف وتوجه الى دارفور لكنه
لم ياتها من جهة الشرق بل اتاها من جهة الجنوب

وبلغ وصوله كتب الى الخليفة ابقو رقيه من عبد الرحمن
سلطان دارفور الى ولد اخيه اسحاق اما بعد
فانى اعزيك فى والدك وان كان اخى لانك اقرب منى
اليه واوصيك ببر الوالدين فاذا علمت هذا فاعلم
انى عمك وحرمتى كحرمة ابيك وعار على الولد ان
يصادر اباه او عمه فضلا عن ان يجرد فى وجهه
حساما فانهاك عن القتال واياك ان تستفزك
رعونة الشباب وتسمع قول المفسدين فيحول بينى
وبينك ولك على عهد الله وميثاقه ان اقرك
خليفة كما كنت فى ايام ابيك واجعلك ولى عهدى
كما كنت ولى عهد ابيك فاسمع قولى واحقن دماء
المسلمين وان خالفت حلت بك الندامة وسيعلم الذين
ظلموا اى منقلب ينقلبون فلما وصل الكتاب الى الخليفة
وعلم ما فيه كتب الى السلطان عبد الرحمن بعد السلام
اما بعد فانى عاهدت الله تعالى ان لا اطا غير
بساط ابى وانا ولى عهده ولا حق لك على وان قاتلتنى
فانا مظلوم والسلام ثم جهز له جيشا كثيفا بنظر الحاج مفتاح
داداه واكثر عبيده فتلاقى هو وجيش السلطان
عبد الرحمن فى محل يقال له تبلديه فكان مع جيش كل
انسان من جيش السلطان عبد الرحمن سفروكا والسفروك
قطعة من العصى صورتها هكذا ٧ فحين التقى

الجمعان التحم جماعة السلطان العاربك على جماعة
الخليفة وقالوا الله اكبر فغروا وتبعهم جماعة السلطان
بالسيوف ونجاهم دون الاسلاب والخيول وتبعهم
العرب ايضا وغنموا منهم غنيمة عظيمة ونجا الحاج
نفاح وفرس اصحابه براس طمره وحين دخل
الحاج نفاح على الخليفة قال له ما وراك قال
يا سيدي اني ناصح لك صالح عمك وان طلب منك
مالا فاعطه اياه واجعلني اول ما يعطى فانا فداؤك
فلما سمع منه الخليفة هذا الكلام زجره وقال
رجعت الى اصلك يا عبد السوء لكن اللوم علي
في ان اقدمك على العساكر ثم ان الخليفة حشد
الحشود وفتح الخزائن وفرق الاموال واعطى
الاقطاع وجمع جيشا عظيما لا اول له ولا اخر
وبرز يوم النصر على السلطان فوصل الى محل يقال
له نالدوا فادركه السلطان هناك ولما عاين كل
منهما صاحبه رتبا جيوشهما وصفا صفوفهما وكان في
جماعة الخليفة رجل من الملوك يقال له عمر الجباي
وهو الذي يجبي الغلال للسلطنة ومعه اتباعه
ما ينوف على عشرة الاف من الخيل خلاف الرجالة
فلما تلاقى الجمعان اخذ جماعته وزحف على جيش
السلطان عبد الرحمن كانه يريد قتالهم ودخل بينهم

والصف

والصف صفه بهم وبقي يقاتل الخليفة فنزل في صفوف
الخليفة ثلما عظيما وفرجة ما قدروا على سدها
فانكسرت قلوب عسكر الخليفة بما فعل الملك عمر
والتحم القتال فلم يكن الا كلمحة بارق حتى تقهقر
جيش الخليفة وحين راى الخليفة ذلك خرج يقاتل
بنفسه فكان كل من عرفه يعرض عنه اكراما له ولابيه
وما زال يقاتل كذلك حتى راى جيشه انهزم وبقي
هو في نفر قليل فلحق بجيشه فراى قد قتل اكثره
وتبعتهم عساكر السلطان يأسرون ويسبون
حتى امسى المسا حكى لي من كان حاضرا انه راى وقت
التحام القتال بينهما راى النجوم في السما وكان
الوقت ضحى ولقد شاهدت محل الوقعة فرايته
جدبا في وقت الربيع فسالت عن سبب ذلك فقيل
انه لا ينبت فيه نبت لما سالت فيه من الدما ثم
ان الخليفة توجه باصحابه الى الجهة الشمالية
ونزل السلطان بالجهة الجنوبية ولما انفرد
الخليفة عن السلطان وابعد عنه ظلم وتعدى
وجار وصار يخرج الناس معه قهرا عليهم وكلما
عثر بجواد اخذه او جملا بماله استاصله فاجتمع
له بذلك مال عظيم وخلق كثيرون وعظم شره
واستغاثت الناس منه الى السلطان فاراد ان

يتوجه اليه بنفسه لخفة ارباب دولته فكتب له كتابا
يقول فيه بعد ما يليق فانك طغيت وبغيت وظلمت
وتعديت وقد نصحتك اولا الآن ان تحقن دماء الناس
فابيت وكان منا ما كان وقد استنهضت على قتالنا
بطغام العالم [illegible] اموالهم وانا انصحك ثانيا ان
تترك ما انت عليه من الرعونة والجبر والعتو فان
رجعت [illegible] ثانيا [illegible] جعلنا لك ما جعلناه
اولا وان ابيت فالاثم عليك وان [illegible]
على القتال والرعية لا ذنب لها فعف نفسك [illegible] اموال
الناس وها هو ما لي بين يديك خدمة [illegible]
بحكم الله والسلام فلما وصل اليه الكتاب [illegible]
مزقه ولم يرد له جوابا وزاد شره وكثر [illegible]
اليه اكبر ملوك الجهة الشمالية ويسمى بالشكنباوى
في جيش فذهب اليه الشكنباوى فادركه في محل يقال
له بر[illegible] فحين راى الخليفة الجيش قد اقبل رتب صفوفه
وتوضى وصل اليه الجيش والتقى الجمعان وكان
جيش الخليفة قد اثر فيه الرعب من وقعة تالدوا
فاراد الانهزام فثبتهم الخليفة واقتحم الحرب بنفسه هو
وجماعة من تربه فكان كلما حمل في جهة يفرون
منه حيا لا خوفا حتى دخل في القلب ووصل الى
التكنباوى فقال له يا عبد السوء الست عدا بى تقدر

بلغ

وتقاتلني

وتقاتلني وجود حسامه وضربه حتى قتله وحين خر
قتيلا تشوش صفه وانهزم جنده وتبعهم عسكر الخليفة
فاخذوهم قتلا واسرا ونهبا ولم ينج من العدو الا القليل
وغنم الخليفة خيلهم وسلاحهم وما كان معهم فانجبر حاله
وامل النصرة على عمه وتقوى بما حصل له من الغنيمة وبلغ
ذلك السلطان عبد الرحمن فاغتاظ ثم ارسل اخاه ربغا
مع جيش اخر فادرك الخليفة في بر[illegible] ايضا وحين رآه
الخليفة رتب صفوفه وهيا عساكره وكان قد اعد
كمينا في محل منخفض وقال لهم اني اتقهقر بالعساكر
وهم يطمعون فيّ ويأتون خلفي فاذا رايتموهم فعلوا ذلك
فاصبروا حتى تروهم امامكم ثم كونوا من خلفهم وانزلوا
فيهم واثخنوا ونحن نرجع عليهم فنكون امامهم وانتم
خلفهم فلا يفلت منهم احد وكان الامر كذلك فحين
التقى الجمعان تقهقر جماعة الخليفة فظن جماعة السلطان
انه انهزم فاوغلوا فيهم حتى صاروا امام الكمين وهم
لا يعلمون فخرج الكمين عليهم واثخنوا فيهم بالقتل
وكر الخليفة راجعا فتضعضع جيش السلطان واختل
امرهم وتشوش صفهم وقتل باسي ربغا اخو السلطان
امير الجيش وقتل اكثر الجيش ولم ينج منهم الا القليل
وحينئذ قويت شكيمة الخليفة وطمع في ان يرجع
الى السلطان ويقاتله وما علم ان الامور بالخواتيم

ولما سمع السلطان بموت اخيه ريفا اغتم عليه غما شديدا
ولام نفسه على القعود عن الحرب وقال لو لم اسمع كلام الناس
وتوجهت بنفسي لم يحصل هذا الامر وكان امر الله قدرا
مقدورا ثم ارتحل من يومه وقصد جهة الخليفة بجيش
سد السهل والوعر وجات عيون الخليفة فراوا جيش
السلطان وما فيه من العساكر التي لا يقدر الواصف على
وصفها والعاد على حصرها واسرعوا بالخبر اليه فخاف على
نفسه وجماعته فاصبح راحلا قاصد بلاد الزغاوة
لان ملكها خاله يريد ان ينزل عليه ليمده بجند من عنده
فسار يقطع الارض ليلا ونهارا والسلطان على اثره لان
الجواسيس اخبروه بقصده فخاف السلطان انه اذا
وصل الى زغاوة يمده خاله بجيش ويعسر امره ويطول
الحال بينهما فجد في طلبه حتى ادركه بمحل يقال له جركو
وكان في طليعة جيش السلطان الامين محمد دكمي ابن الامين
علي ود جامع الذي سم نفسه في كردفال كما سبق فلما
التقى الجمعان ظن الخليفة ان هذا الجيش فقط فكر راجعا
عليهم وناوشهم القتال وقاتل بنفسه فوق الناس
امامه حتى وصل الى الامين محمد دكمي فوقف امامه
وصار يضربه بالسيف ويقول له يا عبد يا خاين يا غدار
الك عين ترفعها تخون نعمتي ونعمة ابي وتاتي لقتالي
والامين ساكت لا ينفوه بحلوة ولا مرة لكن كان

لابسا درعين فلم يعمل سيف الخليفة فيه شيا فلما اعيى
الخليفة امره تركه واراد ان يذهب فضربه عليه الامين
محمد وضربه على عاتقه الايمن بالسيف وكان ذا قوة فكسر
عظم ترقوته وانكسر الناس من مقبضه وطار في المجال
فخذلت يد الخليفة ورخى ذراعه وعلم بذلك الامين
محمد فطمع فيه واراد ان يقبض عليه فادركته جماعته
فخلصوه منه وانهزم حينئذ جيش الخليفة وتبعه الامين
محمد بجيشه وارسل السيف المذكور الى السلطان عبد الرحمن
يخبره بما وقع فارسل السلطان في الحال للامين محمد
سيفين عظيمين محليين وامره بالمسير خلفه وانه على
اثرهم وكان حينئذ بالعسكر رجل من ابناء العرب يقال
له زبادي قيل انه من فلاحين مصر وكان يصطاد بالبندق
ويصيب فتجاسر على السلطان وقال له يا مولاي ان
ارحتك من عدوك في هذه الساعة فما ذا يكون لي عليك
قال السلطان عبد الرحمن له ان ارحتني منه لك علي مائة
راس رقيق فقال له ارسلني الى الامين لاكون في عسكره
وترى ما يصير اليوم فارسله في الحال الى الامين بكتاب من
عند السلطان يقول فيه ان زبادي قد التزم براحتنا من
عدونا والتزمنا له الجزا في ذلك وطلب ان يكون في عسكرك
فها هو واصل اليك فان التمس منك شيا
فساعده واكرمه واني على اثركم وركب زبادي على هجين

ولحق بعسكر الأمين فاعطاه امر السلطان فقراه ورحب
به وسار في الجيش وبالامر المقدر أن الخليفة المه ذراعه
واراد ان ينزل للراحة فمنعه ارباب دولته عن النزول
فقال لهم ولم تمنعوني فقالوا ان الامين محمد قارن
اثرنا بجيشه والقتال بيننا وبينه دائر فغضب وقال
الم يرجع عنا فقالوا لا فكر راجعا على عسكر الأمين
فتعرضوا اليه ايضا فقال ولا بد وبينما هو بينا زعمهم
على الرجوع ويلاطفونه في الترك اذ جاء زبادي وتأمل
الخليفة وعرفه واخذ عليه النيشان واطلق البندقية
فاصابته قيل في صدره وقيل في راسه فخر فاسندوه
ومشى قليلا وصار يجود بنفسه فحين راى ارباب دولته
انه يجود بنفسه نصبوا له سرادقا وادخلوه فيه ووقف
الجيش يذب عنه والقتال دائر بين الفريقين حتى
وصل الامين فراى العساكر وقوفا ونار الحرب تستعر
فسال عن الخبر فقيل له ان الخليفة اصيب بالرصاص وهو
يجود بنفسه وعجز عن الحركة فنصبوا له هذا السرادق
ووقف جيشه يذب عنه فقال اما اذا كان الأمر
كذلك فاتركوا القتال واحيطوا بهم حتى ننظر
ما يكون وارسل خلفه الى السلطان يعلمه ان الخليفة اصيب
برصاصة من زبادي وهو يجود بنفسه فان كان يمكن
مولانا ان يحضر قبل زهاق روحه فليفعل وبعد

ذهاب الرسول الى السلطان بقليل قضى على الخليفة واعلن
بالبكاء ونزل الجيش الذي كان يقاتل عن ظهور الخيل
وكذا نزل جيش الامين مفرد

لا يامن الدهر ذو بغي ولو ملكا
جنوده ضاق عنها السهل والجبل

مفرد لمؤلفه

لا يمنع الجيش الكثيف من الردى ولا يمنع المقدور برج مشيد

وبعدها بقليل حضر السلطان وجيشه فاخترق
الصفوف وحين راه جيش الخليفة اعطوه الطاعة
فدخل السرادق هو والامين محمد وجماعة من ارباب الدولة
وكشف الغطاء عن وجه الخليفة وبكى بكاء شديدا
وقال يا ولدي انت فعلت هذا بنفسك ونصحناك
فلم تقبل وكان امر الله قدرا مقدورا ثم التفت
الى ارباب دولة الخليفة وقال لهم لقد زينتم القتال
لولدي حتى قتلتموه اما فيكم ذو عقل يكفه وينصحه
فحلفوا كلهم انهم برآء مما كان فيه وانهم نصحوه فلم يقبل
وقالوا له يا سيدنا نحن تقلدنا نعمته وقاتلنا عنه
حتى قضى الله فيه وما خناه وان انت قبلتنا نقاتل
عنك كذلك ولو خناه وخدمناك نخونك ايضا
فعرف صحة قولهم وقال قد عفوت عنكم فمن اراد ان
يكون معي منكم فهو على رتبته ومقامه ومن ابى يلحق خيرا

ثم امر بدفن الخليفة في ذلك المحل وابى ان يدفنه في مقبرة
السلاطين وقال هذا عاق لا يدفن في مقابرنا فدفن
هناك واقام بقية نهاره وليلته واصبح قافلا الى
الفاشر محفوفا بالنصر مستبشرا بذهاب العسر كأن
ابا الطيب راه على تلك الحالة حين انشد وقال

سر حيث شئت تحلك الأنوار
واراد فيك مراده المقدار
واذا ارتحلت فرافقتك سلامة
حيث اتجهت وديمة مدرار
وصدرت اغنم صادر من مورد
مرفوعة لقدومك الأبصار
انت الذي بجح الزمان بذكره
وتزينت بحديثه الاسمار
واذا تنكر فالفناء عقابه
واذا عفا فعطاؤه الاعمار
وله وان وهب الملوك مواهب
در الملوك لدرها اغبار
لله قلبك لا يخاف من الردى
وتخاف ان يدنو اليك العار
وتحيد عن طبع الخليقة كله
ويحيد عنك الجحفل الجرار

يامن

يا من يعز على الاعزة جاره
ويذل في سطواته الجبار
كن حيث شئت فما تحول تنوفة
دون اللقاء ولا يشط مزار

وكان الفاشر اذ ذاك بالمحل المسمى جرلي وكان فاشر
السلطان تيراب بالريه وفاشر الخليفة بجديد راس
الفيل ثم انتقل بعد ذلك وجعل الفاشر بالمحل المسمى تندلتي
وهو فاشر ابنه الآن ولم يعهد للفور اقامة في فاشر
كاقامتهم في فاشرهم هذا المسمى تندلتي ولما اراح
قلبه من قتال الخليفة وسكن جاشه نظر في امر
الرعية فابطل المكوس ودفع المظالم وولى المناصب
وانتبه لعمار البلاد ورفاهية الحال وقطع الاعلان
بشرب الخمر والزنا وامن الطرق وكانت مخوفة فبعد
ذلك صارت امنا حتى ان المراة كانت تسافر من
اقصى البلاد الى ادناها محملة من الحلي والمتاع لا تخشى
الا الله وكثرت التجارات وتتابع الخصب واظهر
العدل التام فكان لا يكرم ظالما ولا يعينه ولو
كان من ذوي قرابته ولقد اخبرني الثقة
ان اعرابيين تعرضا له يوما وكان قادما من الصيد
فقال له احدهما انا مظلوم يا رشيد الله بخليلك يا رشيد
انا مظلوم ومن عادتهم ان المظلوم اذا جاء امام السلطان

يضع اصبعي يده اليمنى اي السبابة والابهام على شدقيه
ويرددهما مع اخراج صوت عال فيه كاف واحد وراآت
كثيرة مضمومة فيخرج من فيه صوت يقال له الكوراك
وهذا الصوت لا يصوت به احد الا اذا اصيب بمصيبة
فكان الاعرابي يصوت كذلك ويقول بعد كل صوت
الله يخليك يا رشيد انا مظلوم وشغل عنه السلطان
اما لامر قام به او لانه لا يسمعه لكثرة الطبول
والغنا واصوات الجند فكورك الاعرابي مرار فلما لم
يجبه السلطان قال له صاحبه خله عنك رشيد لنفسه
لا لك فسمعه السلطان فوقف وسأل الاعرابي عما قال
فقال ان اخي هذا كورك مرارا واشتكى لك وهو
ينادي يا رشيد انا مظلوم فلما لم تجبه قلت له خله
فانه رشيد لنفسه غير رشيد لك فضحك السلطان
وقال بل انا رشيد لك ايضا قل لي من ظلمك قال
ظلمني باسي خبير وكان باسي خبير من اقاربه فقال
وما اخذ منك قال اخذ مني خمس نياق فوقف مكانه
ودعا باسي خبير وسأله فاعترف فامره ان يدفع له
عشرة نياق خمسا حقه وخمسا تاديبا له فدفعها
وذهب الاعرابيان وهما في غاية الغبطة والسرور
وفي ايامه تلك نصب محمد كرا في منصب الاب الشيخ
وهو اجل المناصب هناك صاحبه مطلوق السيف

له دولة كدولة السلطان ذو شارات كشاراته ومن
عادة هذا المنصب لا يتولاه الا خصي لانه يخشى من غير
الخصي اذا تولاه وقويت شكيمته ان يصادر السلطان
ويطلب الملك لنفسه وبعد توليته الاب الشيخ محمد كرا
وجهه الى البلاد فنزل في ابي الجدول وسلك طريق
العدل في العالم وضبط الامور حتى انه قتل اناسا
كثيرين لما وقع منهم من الظلم ولما ظهر عدل السلطان وحبه
للعلماء واهل الفضل والاشراف وفد عليه الاشراف
والعلماء من جهات عديدة فكان اول وافد عليه
والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان وكان
حين قدومه الى دارفور نزل بكوبيه على الفقيه حسن
ود عووضة وبلغ اهل كوبيه انه جاءهم رجل عالم
من تونس فاجتمع عليه اكابرهم كالفقيه محمد
كوريتيم والشريف سرور بن ابي الجود وعبد الكريم
ابن الفقيه حسن ود عووضة واضرابهم وطلبوا
منه قراءة مختصر الشيخ خليل فقرا لهم منه ربع العبادات
ووصل خبره الى الفقيه مالك الفوتاوي فاعلم به
السلطان فارسل اليه فذهب له فاكرمه واعطاه
عدة جواري وامره ان يكون عند الفقيه نور
الانصاري زوج ابنته المرحوم فوا وكان رجلا
من سلالة الانصار محبا لاهل العلم والفقه

فقرأ على والدي نبذة من صحيح البخاري واعلم السلطان
بعلميته وانه ماهر في العلوم العقلية والنقلية فاحضره
لابنه دفترا أعليه في شهر رمضان جزأ من الحديث
وتعلق به آمال الفقيه مالك فامر اولاده ان يحضروا
عليه فحضر عليه من اخوانه الفقيه ابراهيم والفقيه
مدني والفقيه يعقوب ومن اولاده الزاكي
والسوسي ومحمد جلال الدين وابن اخيه الفقيه
محمد البرفاوي وحضر عليه الفقيه حسين ود تورس
وامره السلطان ان يكتب على الخصائص التي الف
متنها مغلطاي التركي فكتب عليها شرحا عظيما نحو ستة
عشر كراسا سماه الدرة الوفية على الخصائص المحمدية
وسائل في شرح على مختصر الشيخ خليل المالكي في الفقه
فكتب عليه شرحا في مجلدين سماه الدر الاوفاق على
متن العلامة خليل بن اسحاق وكتب على الاجرومية
شرحا كبيرا ادخل فيه نحو مائتي بيت من الالفية
الفية ابن مالك ثم اختصره في كراريس وكتب
على السلم المرونق شرحا لطيفا في كراريس ايضا
والف رسالة في علم الفلك الكنف ووفد على
السلطان عبد الرحمن الفقيه الزاهد الناسك
الشيخ تمرو الفلاني ووفد عليه الفقيه النبيه
الشيخ حسين عماري الازهري ووفد عليه من اشراف

وحضر

فاني مجلد اختصاره

مكة

مكة الشريف مساعد يقال انه من اولاد الشريف
سرور وكان قاضيه الفقيه النزيه الشيخ عز الدين
الجامعي وهو قاضي القضاة بدارفور واعمالها وكان
السلطان عبد الرحمن جوادا كريما عادلا عفيف
النفس وكان وسط القامة شديد السواد قد
وخطه الشيب ابح الصوت شديد الغضب سريع
الرضا ذا تدبير حسن فمن حسن تدبيره انه لما
دخلت الفرنساوية مصر وهربت الغز عنها
توجه الى دارفور منهم كاشف يسمى زوانه كاشف
قيل انه من مماليك مراد بيك او هو احد كشاف
الالفي ومعه اكثر من عشرة مماليك ومعه امتعة
زائدة وجمال وخدم وطباخ وفراش وسياس
واخذ معه مدفعا وهاون بنسب فحين حل بدارفور
اكرمه السلطان عبد الرحمن واحسن ملقاه وانزله
نزلا حسنا واجرى عليه من الارزاق شيئا كثيرا
حتى صار لا يعرف رفيقه لكثرته ثم طلب من
السلطان ان يبني بيتا كبيوت مصر فاذن له
في ذلك فضرب الاجر واستخدم العبيد
في قطع الاحجار وصنع بيتا جميلا وسوره بسور
وجعل السور عريضا وجعل فيه مزغلتين
متقابلتين لبيت السلطان يضع في احداهما

المدفع وفي الاخرى هاون البنب وكان محل هذا البيت
اعلا من محل بيت السلطان بحيث كان يرى السلطان
حين يدخل وحين يخرج فسولت له نفسه ان يقتل
السلطان ويملك البلد بان يتركه وهو داخل او خارج
ويطلق عليه مدفعا يهلكه به لكن خاف ان قتل السلطان
لا يطيعوه اهل المملكة وارباب الدولة فاحتال ان اجتمع
بالفقيه الطبيب ود مصطفى وكان هذا الفقيه وزيرا
للسلطان تيراب وصهره اعني ان السلطان تيراب
كان متزوجا باخته ولم تأت منه بولد فلما اجتمع
عليه زوانة كاشف فشى سره له بعد ان عاهده على
الكتمان وقال له انه قد بلغني ان ابن اختك ابن السلطان
واريد ان تجعل يدك معي فنقتل هذا ونولي ابن اختك
ونصير المملكة بيننا فرضي الفقيه الطبيب بذلك
ثم قالوا ان هذا الامر لا يتم لنا الا بادخال بعض
الناس الذين تكون لهم عساكر فقال زوانة ذلك
اليك وانت اعرف الناس به فصار الفقيه الطبيب
يخادع الناس ويأتي بهم الى الكاشف والكاشف
يعطيهم الاموال ويحلفهم ان يكونوا معه حتى ادخلوا
في امرهم عدة رجال واتفق ان رجلا من الامرا
خدعه الفقيه الطبيب وجاء به الى الكاشف
فاعطاه عطية سنية واطلعه على الامر وحلفه

على الكتمان فحلف واخذ العطا وتوجه به الى السلطان
واطلعه على جلية الامر وحقيقته فقال له السلطان
خذ عطاك واذهب وكن معهم على ما انت عليه
واياك ان تخبر احدا انك اتيتني ولما كان من الغد
جاء زوانة الكاشف الى بيت السلطان فاكرمه اكثر مما
كان يكرمه واعطاه في ذلك الوقت مائة عبد
ومائة جارية ومائة ناقة ومائة جرة سمنا
ومثلها عسلا ومائة حمل دخنا وكساه كشميرا
احمر وجوخة حمرا وقلده سيفا واعطاه جوادا
مسرجا من ذهب وتوجه الكاشف الى منزله مغتبطا
بما حصل له من السلطان وقال هذه اموال ساقها
الله الي استعين بها على هذه المصلحة ولما امسى
المسا وكان بعد العشا امر السلطان باحضار ملك
من الملوك بعسكره وامره ان يقف حتى يرى الكاشف
دخل دار السلطان يعقبه ويضبط جميع ما في بيت
الكاشف من الاموال وحذره من ان يفلت
منه شيء ثم ارسل للكاشف غلاما يقول ان سيدي
جلس للسمر وقد اراد ان تحضر مجلسه الآن وانبه
عبيده القبض عليه عند امر السلطان به فذهب
الغلام واخبره بمقال السلطان فحضر معه ولما
دخل على السلطان اكرمه وكان معه بعض من الخدم

دخلوا معه بابين ومنع ان يدخل من الثالث وقيل
له اصبر هنا حتى يأتي سيدك فكدس مكانه وجلس
السلطان يتحدث مع الكاشف حتى فات من الليل
حصة فقال السلطان انى جائع والشمس ما يوكل
فاتى بلحم حنيذ نضيص اى حنيذ غير مقطع فالتمسوا
سكينا فلم يجدوا فاخرج الكاشف سكينا كان معه
واراد ان يقطع اللحم فحلف عليه بعض الحاضرين ان
لا يفعل وانه هو الذى يقطع فاخذ منه السكين
وصار يقطع بها فاخرج الكاشف الخنجر فاخذ
اخر وحينئذ امر السلطان بالقبض عليه فلما
قبض عليه قال له السلطان اى ذنب جرى لك منى حتى
انك تريد قتلى وتغوى عساكرى وتخادعهم فقال
اقتلنى فقال لا والله انا اقتلك وامر بذبحه
فى الحال فذبح كالشاة وفى الحال جيئ باموال وما كان
عنده من رقيق وغيره حتى لم يبق فى البيت شيئ
وامر السلطان بهدم بيته فهدم ومحيت رسومه
وكانه لم يكن وقبض على اتباعه فى تلك الليلة وباتوا
محبوسين ولما اصبح الصباح دعا بهم السلطان
ففحص وانضفا عنهم واطلقهم وامر عليهم خازندار
الكاشف وكان يسمى يوسف ثم تتبع جميع من تعاهد
مع الكاشف وقبض عليهم واحدا بعد واحد حتى لم يبق

منهم

منهم احد وكان اخرهم الفقيه الطبيب فانه قبض عليه وقتله
اشر قتله وسجن ابن اخته سجن الدوام الى ان يموت
وكيفية القبض على الفقيه المذكور انه ارخى له العنان وبذل
له الاموال واظهر له الود التام بحيث ان الفقيه الطبيب لم
يخطر بباله ان السلطان معه علم بانه كان مع زوانه
كاشف ومضت على ذلك مدة حتى كان فى بعض الايام
حضر الفقيه الطبيب دار السلطان وكان السلطان جالسا
فى ديوانه وحضرت للسلطان اجل من فوره عسلا فاعطاها
للفقيه الطبيب وامر له بكسوة فاحضر له كشميرا احمر
وكسوة جليلة فلبسها ودعا للسلطان بدوام العز وجلس
ودهش ومن عادة ملوك الفور اذا كسوا انسانا كسوة حمرا
فانهم فى غضب عليه ولابد ما يقتلونه وتذكر السلطان
ما كان منه ونفاقه مع الكاشف فى اخر المجلس فالتفت
الى الحاضرين وقال لهم اشهدكم بالله هل هذا الفقيه
فى ايام اخى ارفه حالا واكثر مالا ام هذا الوقت فقالوا كلهم
لا والله بل فى هذا الوقت ارفه واغنى وانفذ كلمة فقال
السلطان سلوه حينئذ لم خاننى ولم اطاع الكاشف
على قتلى وخراب دارى فسالوه فاقسم على السلطان
بالله العظيم ان يقتله ولا يكلفه جواب هذا السؤال
لان الموت عنده اهون من ذلك فابر السلطان
قسمه حينئذ وامر بضبط جميع ما عنده من الاموال

والضياع ولم يفلت منه شيء وقد سبق انه ارسل العساكر
لاخذ ماله من ضياعه قبل ذلك بمدة وعين لهم ان يكبسوها
في ذلك اليوم بعينه خوفا ان يطيش الخبر ويفلت منها
شيء وذلك كله من سعادته ومن سعادة السلطان
عبد الرحمن ان جميع من رامه بسوء يخذل ويمكنه الله منه
ومن ذلك ما حصل من اباكرى كنانه ام حبيب المتقدم
ذكرها وذلك ان السلطان تغافل عنها ولم يوف بما
وعدها به اما لامر قام به او خوفا على نفسه منها او من
منصبها فلما رات تغافله لها وكانت في دار السلطان
وابنها حبيب مع اهله في دار له عقدت له بالمكاتبة مع
بعض الملوك عهدا واتفقت معه من يساعد حبيبا ليتولى
سلطانا خصوصا وقد انقطع املها حين رات
السلطان ولد له فخافت على ولدها لكن السلطان وان
كان تغافل عنها الا انه كان مبقيها في منصبها آمرة
ناهية مقاليد امور الدار كلها بيدها فلما نوت
الغدر بالسلطان استاذنته في ان حبيب يريد ان
يصنع وليمة واريد ان امده بطعام من هنا فاذن
لها السلطان في ذلك فصنعت الطعام وصارت
تاتي بالجفنات وتضع الدروع في الجفنة ثم تجعل الطعام
فوقها بحيث ان من يرى الجفنة لا يظن ان فيها غير
الطعام وكانت تضع في واحدة دروعا وفي اخرى سيوفا

فاخرجت ما يزيد عن مائة جفنة بهذه الصورة ثم
مكثت مدة ايام واستاذنته في وليمة اخرى فاذن
لها ولم يخطر بباله شيء مما في نفسها لانه كان سليم الصدر
غير ظنان بالسوء ففعلت كما فعلت بالمرة الاولى وبعد
ايام ايضا استاذنت كذلك وقبل ابراز الوليمة الثالثة
كانت عندها بنت من بنات الاكابر جميلة الصورة
تربيها فراها السلطان على حين غفلة فاحبها ونوى
في نفسه ان يخاطب اباكرى في شانها ويعقد عليها
وكان ام حبيب فهمت من السلطان ذلك فصارت تؤذيها
لانها كانت اعدتها لولدها حبيب فلم تطق البنت الاذية
خصوصا وقد انكشفت على غدرها بالسلطان وما تريد
ان تصنعه معه فاختلست نفسها وقابلت السلطان
على خلاء واخبرته ان ام حبيب اخربت خزينة
السلاح والامتعة وان الولائم كلها مملوءة بالدروع
والسيوف وانها تعاقدت مع الملك فلان وفلان
بانهم يساعدوها على قتلك وتولية حبيب الملك
وان كنت في شك مما اقوله اقلب جفنة من الجفان
التي تخرج في الوليمة في غد فانك تعلم صحة قولي فقال
لها السلطان ارجعي الى مقرك واياك ان تقولي انك
اعلمتني بشيء فرجعت وضاق صدر السلطان لذلك
واخبر بعض الخدمة ان اخرج في غد قبل خروج الوليمة

الى حبيب واستكتمه فكتم وبقى كذلك الحال كذلك حتى
اصبح الصباح وصنعت الوليمة ونادت العبيد والجواري
برفع الجفنات فاخبره الخادم بان الوليمة قد تجهزت
فدخل فراى ام حبيب ترتبها فقال على رسلكم ثم قال
ارفعوا الاغطية واروني وليمة ولدي حبيب فرفعوا
الاغطية فراى طعاما حسنا فجاء الى جفنة فيها طعام
يحبه وقال اتركوا هذه لي واجعلوا ما فيها في اوان
صغار لاكل منها انا وبعض اصدقائي فقالوا سمعا
وطاعة وجاءت ام حبيب حين بلغها ذلك وقالت
فداك ابي وامي عندنا من نوع هذا الطعام كثير فليترك
مولاي الجفنة ونحن ناتيه بكثير منه فقال قد علمت
وانما نفسي طلبت من هذه ولعل ما تاتون به وان كان
من هذا بعينه لا تتشوق اليه نفسي فحينئذ لم تجد بدا
من طاعته وقالت دع الخدم يرفعن هذه الجفنات
واجبر انت هذه فقال لا بل حتى تفرغ هذه الجفنة
وتملأ كما كانت ونحملها كله مرة واحدة ولما جيء بالاواني
واغترف من الجفنة ظهر الدرع من تحت الطعام فنادى
يا ام حبيب ما هذا فخجلت ولم تحر جوابا فعند ذلك
امر بالقبض عليها وقلب جميع الجفنات فوجد فيها كلها
دروعا وسيوفا وبالات ونحو ذلك فقال
لها اي ذنب وقع مني حتى دبرتي على هلاكي فلم ترد جوابا

فامر

فامر بقتلها في تلك الساعة فقتلت وفي الحال ارسل
ملكا من ملوكه الى بيت حبيب بعد ان دعا حبيب اليه
فحضر حبيب على حالة الطمانينة فلما مثل بين يدي
السلطان امر بالقبض عليه فوضع في المحبس ثم ارسله
تحت جنح الليل الى جبل مرة واستصفى ما عنده من
المال ورد الدروع والسلاح الى مقرها ثم قبض على جميع
من تواطأ مع حبيب ولم يبق منهم احدا وتمهدت
اموره واستوزر الفقيه مالك الفوتاوي لظن علميته
وصلاحه وكان يدعي انه يعرف سر الحرف وعلم الاوفاق
مع انه كانت فيه عامية وكثيرا ما كان يظهر الورع
والصلاح ويبطن ضده وكنت اظن ذلك منه حتى
حقق الله ظني فيه في مجلس واحد وذلك انه لما ترقى
الوزارة ادخل جميع قبيلة الفلان التي بدار فور
تحت امره وصار يذب عنهم عند السلطان وكلما
وقع منهم امر مع اعدائهم من القبائل الاخر يذب عنهم
عند السلطان ويحور لهم عند الدولة حتى صار لا يجبى
منهم مال وكلما نهبوه من غيرهم من القبائل لا يرد لهم
حتى صاروا من اقوى القبائل واغناها فاتفق ان
قبيلة الفلان اغاروا على قبيلة المسابط وقتلوا
منهم خلقا كثيرا ونهبوا منهم اموالا جمة من بقر وخيل
ورقيق وجاء رئيسهم وكان يسمى بجد العيال والى

بخيل وبقر ورقيق وجاء رئيسهم من المنهوب هدية الى الفقيه
مالك ليذب عن القبيلة وكان فى شهر رمضان وكان
وقت العصر والفقيه مالك اذ ذاك يقرأ فى تذكرة القرط
القرطبى فى صفة اهل النار فاتى على قوله ولا زالت
النار تقول يارب زدنى حتى يضع الرحمن فيها رجله
والرجل هى الجماعة من الناس وعليه قول الشاعر
فمر بنا رجل من الحى وانزوى البيت فقال ولا زالت
النار تقول يارب زدنى وكان من عادته ان يقول بعد كل
كلمة او كلمتين اى نعم قال الكتاب ولا زالت النار تقول
يارب زدنى اى نعم قال الكتاب ولا زالت النار تقول
يارب زدنى اى نعم قال الكتاب حتى يضع الرحمن فيها
رجله اى نعم قال الكتاب والرجل هى الجماعة من الناس
اى نعم قال الكتاب وعليه قول الشاعر اى نعم قال
الكتاب فمر بنا رجل اى نعم قال الكتاب وكررها
مرارا فقال له السنوسى ولدك يا ابو فمر بنا رجل فقال
اى نعم فمر بنا رجل وكررها مرارا وكنت جالسا ولم
يسعنى السكوت فاخذت نسخة من رجل بجانبى ورأيت
فيها فمر بنا رجل من الحى البيت فقلت يا ابو فمر بنا
رجل فقال لى اسكت انت الآن صغير عن مثل هذا
وانا اعلم ان هذا هو الذى يصلح ان يكون شاهدا
فسكت ومن عاميته ما حكى والذى عليه سحائب

بلغ

الرحمة والرضوان

الرحمة والرضوان ان السلطان التمس من الفقيه المذكور
ان يخطب يوم العيد فقصد والدى ان يؤلف له خطبة
فالفها وكتب فى اخرها تمت على يد مؤلفها الفقير الى
المنان عمر التونسى ابن سليمان فى يوم كذا وسنة كذا
واعطاها واعطاها اياه فلما كان يوم العيد صلى
بالسلطان ثم رقى المنبر فخطب وبعد الخطبة قال
تمت الى اخر ما كتب ولم يتفطن ان هذه الكلمات
خارجة عن الخطبة وكان من اغنى ارباب الدولة
وكان له من الاقطاع ما ينوف عن خمسمائة بلد وذلك
غير اقطاع اخوانه ثم ان السلطان اجل مقام
الشيخ محمد كرا واعلا كلمته حتى صار لا تعلو على كلمته
كلمة وبلغه ان هاشم المسبعاوى ملك كردفال رجع
اليها واخذها من يد عامل السلطان فجهز جيشا
كثيفا لنظر الاب الشيخ محمد كرا فتوجه الى كردفال واغنى
غناء حسنا واخذ كردفال من يد السلطان هاشم وقتل
عساكره وشرده فى القفار واستوطن كردفال مدة
سبع سنين وفيها ارسل للسلطان ابو الاجمة من رقيق
وذهب وغيره وسعى به بعض الاعداء الى السلطان فارسل
السلطان الامين محمد بن الامين على ود جامع بجيشه
اليه وارسل معه قيدا وقال له خذ هذا العبد وقيده به
وارسله مع جيشه وكان ذلك امتحانا من السلطان



فلما وصل الابن محمد الى كرد فال ظن فى نفسه ان الاب
الشيخ محمد يعارضه او ينازعه فلم يفعل شيا من ذلك بل
حين وصل اليه قال له بماذا امرك السلطان قال بتقييدك
وارسالك اليه فقال سمعا وطاعة هات القيد فاعطاه
اياه فاخذه وقيد نفسه بيده ودعا الحداد وامره ان يسمره
ويبرد عليه امتثالا لامر السلطان ففعل واصبح مسافرا
والقيد فى رجليه حتى وصل الى دارفور وحين اخبر السلطان
بقدومه ارسل له من ينزع القيد من رجليه وقال
اما قلت لكم ان محمد كرا لا يعصينى ثم امره ان ياتى الى
الفاشر فى موكبه فاتى على احسن حالة وخرج اليه السلطان
واحسن ملقاه وسوره بسوار من ذهب امام الوزرا
والحاضرين وبالغ فى اكرامه ورده الى منزلته بل صار
اعظم مما كان وكان هذا الفعل من السلطان هو عين
البخت التام لابنه محمد فضل فانه لما توفى السلطان قام
بامره الاب الشيخ محمد كرا ولولاه لما نظر اليه احد ولا
عنى به وكيفية ذلك ان السلطان لما ثقل به مرضه
دخل عليه الفقيه مالك العوتاوى فوجد الاب الشيخ
محمد كرا عنده فقال له الفقيه مالك يا سيدى ان
الوصية فيها خير عظيم وانك فعلت من المعروف مع
الناس من المعروف ما لا يوصف وكل وزرائك واهل
مملكتك راضون عنك فان وصيت بشىء اظن انه يحقق

انه

انه ينفذ ولا بد فاوص لبعض اولادك ينتفع بوصيتك فقال
ومن يتوكل على الله فهو حسبه فاعاد عليه الفقيه مالك هذا
القول ثانيا فقال هو ذلك ايضا فاعاد عليه ثالثا فقال
ذلك ايضا فتركه بعد الثالثة ثم قضى نحبه عليه سحائب الرحمة
فحين توفى بكى عليه الاب والفقيه مالك وبعد البكا قال
الفقيه مالك للاب ماذا انت صانع الآن قال له الاب
سار يك ما اصنع فقام من وقته ودخل الدار ودعا بمحمد فضل
وكان اكبر ولديه لانه لم يترك من الذكور الا محمد فضل
وبخارى ومن الاناث حوا وست النسا وام سلمة فاقعد
محمد فضل والبسه الخاتم وعممه وقلده بالسيف واجلسه
على كرسى السلطنة وادخله فى حجرة وارخى عليه سترا وارسل
فى الحال الى جماعة فحضروا متقلدين سيوفهم شاكين
السلاح فاوقفهم على الابواب ورتب منهم جماعة يحرسونه
ونفعه فى ذلك باب سر كان بينه وبين السلطان بحيث
ان العساكر دخلت منه ولم يشعر بها احد ثم ارسل الى اكثر
الوزرا جماعة واقواهم شوكة الملك ابراهيم ودرماد
انسانا يقول له ان السلطان يامرك بالذهاب اليه
فجا فلما دخل الباب وجد العساكر وقوفا فراعه امرهم
ولم يجد بدا من الدخول ولما وصل الى محل السلطان
وجد الاب الشيخ محمد كرا والفقيه مالك جالسين والسلطان
بينهم مسجى فلما راه كذلك بكى ثم بعد ساعة قال له

الاب الشيخ محمد ان السلطان قد توفي فماذا ترى فقال لا ارى
سوى رايك فقال له الاب اتعاهدني على ذلك قال نعم
فخلعه واخذ مواثيقه ان لا يتعدى رايه ثم رفع الستر وقال
هذا السلطان يعني محمد فضل فقال الملك ابراهيم وهو كذلك
فقال قم فبايعه فبايعه وجلس ثم ارسل الى الوزراء
والملوك واحدا بعد واحد وكلما جاء احد فعل معه كما
فعل بالملك ابراهيم حتى استوثق من اكابر الدولة كلهم
ولم يترك منهم الا من لا قوة له ثم اعلن بموت السلطان
وضربت طبول الحزن وسمعها اولاد السلاطين فركبوا
وجاؤا شاكين السلاح هاجمين على دار السلطان فراوا
الامر مهولا والجند محيط بها حارسا لها منهم ومن غيرهم
فلما لم يجدوا الى الدخول سبيلا ضربوا في البلاد وصاروا
ينهبون اموال الناس وتجمع عليهم الغوغا حتى صاروا
في جند كثيف وثقلت وطاتهم وعظم شرهم فجهز لهم الاب
الشيخ جيشا لنظر الملك الديك الذي اسلفنا ذكره
وهو ابن عمة السلطان محمد فضل فخرج اليهم واوقع بهم
وانهزمت الغوغا الملتفة عليهم وقتل منهم كثير وظفر
باولاد السلاطين وجيء بهم الى الاب مصفدين فارسلهم
الاب الى السجن في جبل مره وسكنت الفتنة وتمهدت
الامور ثم امر السلطان بالقراة وطلب العلم لصغر سنه
وعدم خبرته بالامور فثقل ذلك عليه ولم يجد بدا من

الامتثال

الامتثال فكابد مشقة التعليم نحو سنتين وتسلك الشيخ محمد كرا
في تلك المدة بعض الملوك لغفلتات وقتت منهم ورمى
بعضهم في السجون وكلهم من اسرة السلطان وعصابته
وولي مناصبهم لجماعته فثقل ذلك على ارباب الدولة
وخافوا شره فاغروا السلطان على قتله او سجنه فوقع
بينهما الحرب وقتل كما قدمنا ذلك كله والله اعلم

المقصد وفيه ثلاثة ابواب الباب الاول

في صفة دارفور واهلها وعوائدهم وعوائد ملوكهم
واسماء مناصبهم ومراتبهم وفيه خمسة فصول

الفصل الاول في صفة دارفور

اما دارفور فهي الاقليم الثالث من ممالك السودان
وحدها من جهة الشرق اقصى الطويشة ومن الغرب
اخر دار المساليط واول دار تامه وهو الخراب الكائن
بين دار صليح وبينها ومن الجنوب الخراب الكائن
بينها وبين دار فرتيت ومن الشمال المزروب وهو
اول بئر يعرض لمن يتوجه لها من الديار المصرية
وتتبعها عدة ممالك صغيرة ففي الشمال مملكة الزغاوه
وهي مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرة
ولهم سلطان وحدهم ولكنه بالنسبة الى سلطان
الفور اشبه بقائد من قواده ومن جهة الشمال
ايضا مملكة الميدوب والبرتي وهما مملكتان كبيرتان

الآن اهل الثانية اكثر من اهل الاولى ومع كثرتهم فهم
اكثر انقيادا لسلطان الفور اكثر من المبدوب وفي خلال
دارفور مملكة البرقد ومملكة البرقو والتنجر ومملكة
ميمه الان مملكة البرقد في الوسط ومملكة البرقو والميمه
من جهة الشرق ومملكة الداجو والبيقو من الجهة الجنوبية
وكذا مملكة فراوجي ولكل من هذه الممالك حاكم يسمى
سلطانا لكن يوليه عليهم سلطان الفور وكلهم على نسق
واحد الا في الهيئة والملبوس الا ملك التونجر فانه يلبس
عمامة سودا وسألته عن سبب سواد عمامته فاخبرني
ان اصل مملكة دارفور لاجداده وتغلب عليها سلطان
الفور فلبس العمامة السودا اشعارا بحزنه على فقد مملكته
وقد احاط بجانبيها الشرقي والجنوبي كثير من عرب
البادية كالمسيرية الحمر والرزيقات والفلان
وكل قبيلة من هذه القبائل لا تحصى كثرة وهم اهل
بقر وخيل واثاث واكثرهم اهل ثروة لا يبالون
بالحاضر بل يتبعون الكلا حيثما كان ويلحق بهم
القبيلة المسماة ببني حلبة لانهم اهل بقر ايضا
لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون واما اهل
الابل فاولهم المحاميد وفزارة والمجانين وبنو عمران
وبنو جرار والمسيرية الزرق وغيرهم وعلى كل من
هذه القبائل ضريبة يأخذها السلطان من اموالهم

في كل سنة لكن في ذلك تفاوت اما المسيرية الحمر والرزيقات
فلقوتهم وتوغلهم في الخلا فلا يعطون للملك الا قبح
اموالهم ولا يقدر العامل ان يأخذ من كرائمها شيئا
الا برضاهم وان تاقت نفسه الى ذلك طرد وربما
قتل ولا يقدر السلطان لهم على شيء ولقد بلغني أن
الرزيقات عصوا امر السلطان تيراب وجهز لهم جيشا
فكسروه فخرج اليهم بنفسه ففروا امامه ودخلوا
في البرجوب بمواشيهم فتبعهم فقتلوا منه خلقا كثيرا
والبرجوب موضع يسافر فيه المسافر عشرة أيام
لا يقطعه وهو طين لين مغطى بماء يبلغ عانة
الرجل ومن لين طينته تسوخ فيه قوائم الدواب
ومع ذلك فهو ذو شجر شائك وهذا الموضع لا ينقطع
عنه المطر الا شهرين في السنة ثم ان طول اقليم
دارفور من اول بلاد الزغاوة الى دار رونگه
نحو ستين يوما وان عدت مملكة كل من رونگه وفرتيت
تبلغ مسافة طولها نحو ثلاثة اشهر بل وان عدت
ممالك الفرتيت المعاهدة لملك دارفور ويؤدون
له الخراج في كل سنة كبنگه وشالا تزيد عن
ذلك بنحو عشرة ايام ايضا وعرضها من الخلا الكائن
بينه وبين دار صليح الى اخر الطويشة لاول الخلا
الكائن بينه وبين كردفال نحو ثمانية عشر يوما وهذا

الاقليم نصفه سهل ارض مرملة قليلا الا اخره من الشرق
فانه كثير الرمل ويسمى بالقوز واما اراضي جبل مرة
ففى طين اسود وهو جبل يشق دارفور من اولها
الى اخرها حتى قيل انه متصل بالمقطم المطل على القاهرة
لكنه ليس قطعة واحدة بل هو متقطع من عدة اماكن
وله طرق عديدة وفى هذا الجبل امم وعالم لا يحصى
كثرة وفيهم القبيلة المعروفة بالكنجارة التى
ينتسب اليها سلطان دارفور وفى هذا الجبل كهوف
عديدة تحبس فيها اولاد الملوك واخوان الوزرا
وفيه من الخيرات شىء كثير وذلك ان فيه من البقر
والغنم ما لا يوجد فى غيره من الاماكن ومن
العجيب ان جميع مواشيهم ترعى وحدها بدون راع
ولا يخشون عليها سارقا ولا سبعا ولا ذئبا
ولقد استاذنت السلطان محمد فضل سنة ١٢٣٠
فى التوجه الى جبل مرة للفرجة فتوقف اولا فى الاذن
خوفا علىّ من غائلة اهل الجبل ثم اذن لى وعيّن معى
خداما وكتب لى فرمانا الى جميع عمال الجبل يقول
فيه من حضرة السلطان الاعظم والخاقان المكرم
سلطان العرب والعجم والواثق بعناية الملك العدل
الصبور السلطان محمد فضل المنصور الى جميع ملوك
جبل مرة اما بعد فان السيد الشريف محمد التونسى

ابن الشريف العلامة السيد عمر التونسى التمس منا اذنا
فى ان يرى الجبل وما فيه ويختبر ظاهره وخافيه
وقد اذناه بذلك فلا يمنع من محل يريد النظر اليه
وامر كل ملك نزل به ان يكرمه ويعظم ملقاه وقد
اصحبته بعلقنا وبينا من فلان فتنى ليكونا واسطة
بينكم وبينه فى تبليغ الكلام ونيل المرام والسلام
فتوجهت صحبة العلقنا وبينا وعبدين لى ورجل
من اهل البلدة التى انا فيها فسافرنا يومين وفى
اليوم الثالث اتينا اطراف الجبل فنزلنا فى بلد
يقال لها نميلة ولها رئيس يقال له الفقيه عمر
وله ولد يقال له الفقيه محمد واخ يقال له سليمان
فنزلنا فى بيت رئيس البلدة وحضر هو واولاده
واستقبلونا بقصد زرج فاخبرناهم بمقصدنا
واظهرنا لهم امر السلطان فاهتموا حينئذ بشانى
واعظموا ضيافتى فبتنا ليلتنا تلك ومن الغد
توجهوا بى الى سوق نميلة وهو سوق يعمر فى كل يوم
اثنين يحضره جميع اهل الجبل رجالا ونساء يقضون
مصالحهم فرايت اناسا شديدين السواد حمر الاعين
والاسنان وحين راونى اجتمعوا الىّ متعجبين
من احمرار لونى واتوا الىّ افواجا افواجا لانهم لم
يقع لهم رؤية عربى قبل ذلك واراد واقتلى

خواص جم

فقف سياتى بعد ثلاثة اوراق
فى الصحيح الذى فيها الاعداد وقوله
عليه وبهنا تخليه وفى ترجمة الله
الفرنساوية تخليه عليه فليحرر اهـ

على سبيل الاستهزاء وكنت اذ ذاك لا اعرف من لغة القوم
شيئا فما راعني الا اني رايت من معي من الناس اخترطوا
سلاحهم وجردوه في وجوه القوم وحالوا بيني وبين
القوم فسالت عن السبب فقالوا لي انهم يريدون
الفتك بك فقلت لماذا فقالوا العلة عقولهم لانهم
يقولون ان هذا لم ينضج في بطن امه وبعضهم
يقول لو نزلت عليه ذبابة لاخرجت دمه فقال
احدهم اصبروا وانا اطعنه بحربة وانظر ما مقدار
ما ينزل منه من الدم وحين سمعنا منهم ذلك خفنا
عليك واحطنا بك ثم ان الجماعة اخرجوني من
السوق فتبعني خلق كثيرون فطردوهم عني بكل جهد
ثم ذهبوا بي الى واد هناك فرايت فيه نخيلا واشجار
موز وبعض اشجار من الليمون ورأيت قد زرع
في ذلك الوادي من البصل والثوم والفلفل الاحمر وهو
قرون صغيرة رفيعة اكثر من حب الشعير بقليل
والكمون والكسبرة والحلبة والقثا والقرع شيء
كثير وكان ذلك في ايام الخريف وقد احمر البلح
فقطعوا لي عرجونين من البلح احمر واصفر واهدوا لي
نخة عسل لم ار نظيره حسنا وطعما ولذة وبتنا
في اكرم ضيافة والذ عيش ولما اصبح الصباح طلبت
التفرج فاخذوني ودخلنا الاودية فصرنا نقطع واد

بعد

بعد واد وبين كل واد وواد اقل من ميل مسافة وفي كل
واد زرع عجيب وماء يتدفق على رمل كالفضة وقد
احاطت به الشجر من جانبيه يتمنى الناظر ان لا يفارقه
فجلسنا على شاطئ الوادي في ظل شجرة هناك وذبح لنا
كبش عظيم وحنذ فاكلنا منه ارادتنا ثم ذهبنا لبلد
تحت الجبل فبتنا فيها فاكرمنا في اكرم ضيافة ولما اصبحنا
صعدنا الجبل فمكثنا صاعدين نحو ثلاث ساعات
حتى علوناه فرأينا فيه أمما كثيرة كبيرة وبلادا متفرقة
فادخلونا على شيخ الجبل وكان حينئذ يسمى ابا بكر
وهو جالس في خلوة فلما دخلنا عليه وجدناه رجلا
مسنا قد ناهز الستين قد اثر فيه الكبر فسلمنا عليه
فرحب بنا واجلسنا

لطيفة

هذا الجبل لا يرتفع عنه السحاب في السنة الا اياما
قلائل ولكثرة المطر يزرعون القمح وينبت عندهم
قمح لا يوجد نظيره الا في بلاد المغرب او في بلاد أوربا
لانه حسن جدا وبقية دارفور لا ينبت عندهم قمح
لعدم الارض الصالحة ولعدم الامطار الا ما قل
كارض كوبيه وكبكابيه فانه يزرع فيها القمح ويسقى
بماء الابار حتى يتم نضجه ولزيارة الشيخ المذكور يوم
معلوم من السنة تذهب اليه الناس من كل جانب
ويقول لهم ما يحصل في جميع العام من قحط ومطر

وحرب وسلم ورخاء وشدة ومرض وصحة والناس يعتقدون
ذلك واختلفنا اهل دارفور في ذلك فمن قائل انه من طريق
الكشف وان كل من تولى شيخا يكون وليا وما يقوله للناس
من طريق الكشف وهذا قول اهل العلم ومن قائل ان
الجان يخبره بجميع ما يحصل وهو يقول للناس وكلا
القولين لا اعرف صحتهما بل قد نقولت عنه امور كثيرة
وحصل ضدها فابرزنا فرمان السلطان وقراه
عليه الفقيه محمد فرحب واكرم ودعى لنا بطعام وشراب
ثم ضرب طبلا يقال له النقبل فجاء اناس كثيرون فانتخب
من شبابهم نحو مائة نفر وارأس عليهم رجلا من ذوي
قرابته يعرف بالشجاعة يقال له الفقيه زيد وامره
ان يكون معي هو والجماعة وان يكونوا على اهبة وحذر
من جهال اهل الجبل ثم ركبنا وتوجهنا الى مكان هناك
فيه جبل صغير وهو المسمى مرّه وسمي الجبل كله باسم
ذلك المحل فرأينا فيه مكانا اشبه بمعبد جميع اهل
الجبل يعتقدون تعظيمه ويرون ان حرمته كحرمة
المساجد فدخلنا فيه وقد اظلته شجرة بحيث صار
لا تراه الشمس فجلسنا فيه قليلا ورأينا فيه خدما للتنظيف
واستقبال النذور ومحو ما يأتي بها ثم انتقلنا من ذلك
المكان ومشى العسكر امامنا فلحق بنا عالم كثير
نساء ورجالا وجعلوني اعجوبة وتكالبوا وازدحموا على

واراد العسكر تفرقهم فما امكن ذلك حتى قال بعضهم
ان السلطان ارسل لاهل الجبل رجلا لم ينضج في بطن
امه ضيافة لهم فقال بعضهم هو ادمي وقال اخرون
هو ليس بادمي بل هو حيوان ماكول اللحم على هيئة
الادمي لانهم ينكرون ان يكون للادمي لون ابيض او احمر
وهؤلاء القوم لا يعرفون من اللغة العربية الا كلمتي
الشهادة ولما عجز من معي من الدفع عني جاءني الفقيه
زيد وامرني ان استر وجهي بلثام لا يظهر منه الا الحدقتان
فتلثمت واحتاط بي اهل العسكر وحين راى السودان
اني تلثمت اختلط عليهم الامر وسالوا عن الاحمر
قالوا ذهب الى السلطان فانكفوا قليلا وحينئذ
توجهنا الى محال الحبس اي الكهوف التي فيها المحبوسون
من اولاد الملوك والوزرا فمنعنا الحرس من الوصول اليها
وكاد ان يقع بينهم وبين جماعتنا شر فتلافى الفقيه
زيد الامر واخذ مني الفرمان وذهب الى رئيس الحرس
وقراه عليه وعند ذلك امتثل وقال ان كان ولا بد
فليات المامور له بالتفرج وحده وجميع من معه يجلس
على بعد حتى يقضي شانه ويرجع اليهم فجاءني الفقيه
واخبرني بذلك فابيت ذلك وادركني خوف عظيم فانثنيت
عن الدخول الى الكهوف وطلبت الرجوع فرجعنا ومن
غرائب عوائدهم ان الرجل لا يتزوج المراة حتى يصاحبها

ونقعد لوحدها منقطعتين من العجمة مع
الفقيه

مدة ويجامعه مرة او مرتين وحينئذ يقال انها ولود
فيعقد عليها ويعاشرها ومن عوائدهم ان النسا لا يحتجبن
عن الرجال حتى ان الرجل يدخر داره فيجد امراته مختلية
مع اخر فلا يكترث ولا يغتم الا اذا وجده عليها ومن
طبعهم الجفا وسؤ الخلق خصوصا اذا كانوا سكارى ومن
طبعهم البخل الزائد لا يقرون ضيفا الا اذا كان من
ذوى قرابتهم او لهم به علقة او انسان يخافون منه
ومن عوائدهم ان الصبيان والبنات الصغار لا يسترون
الا بعد البلوغ فيلبس الصبى قميصا وتشد الانثى وسطها
بمئزر ويبقى ما زاد عن السرة الى وجهها بارزا ومن عاداتهم
عدم الترفه والتفنن فى الماكل بل كلما وجدوه اكلوه
لا يانفون طعاما مرا كان او نتنا بل ربما احبوا اكل
الطعام المر واللحم النتن واستحسنوه عن غيره ومن
عاداتهم ان الشبان لهم فى كل بلدة رئيس وكذلك النساء
لهن رئيسة فرئيس الرجال يسمى الورناك ورئيسة
النسا تسمى الميرم فاذا كان فى الافراح والاعياد والمواسم
يجمع الرئيس اصحابه ويجلس بهم فى محل وتاتى الرئيسة
وصواحبتها فيجلسن امامهم على حدة فيتقدم الورناك
ويدنو من الميرم ويخاطبها بكلام يعرفه هو وهى فتامر
الميرم جماعتها ان يتفرقن على جماعة الورناك فياخذ
كل فتى فتاة ويذهبان الى محل يناما فيه الى الصباح

ولا عار فى ذلك على احد منهن وليعلم ان الرجال فى دارفور
لا يشتغلون بامر البتة الا الحرب فليس للنساء دخل فيه
وما سوى ذلك فهم والنساء سوا بل اكثر الاشغال واشقها
على النسا وللرجال اختلاط عجيب بهن بالليل والنهار
فى جميع الاعمال ومن العجب فى اهل جبل مرة انهم لا ياكلون
من القمح الذى يزرعونه بل يبيعونه ويستبدلون بثمنه دخنا
واعجب من ذلك غلظ قلوبهم وجفاوتهم مع انهم ممتزجون
بالنسا امتزاجا كليا وهذا خلاف المشاع على السنة
جميع اهل بلاد اوربا من ان الرجال اذا امتزجوا بالنساء
تذهب غلاظة قلوبهم ويكتسبون الرقة وحسن الطبع
ومن غلاظة طبعهم ان الرجل يسافر الفراسخ العديدة
راجلا ويكون معه حمار فيسوقه امامه ولا يركبه وان
سئل يقول ان ركبته ابطا بى واما لغتهم فهى لغة
فيها حماسة الفاظها تشبه الفاظ اللغة التركية لانهم اذا
دعوا انسانا يقولون له جلا والترك يقولون جال
وقوقى تشبه اللغة التركية ليس معناه انهما متقاربتى المعنى
بل وجه الشبه فى مجرد الالفاظ وان اختلف موضوع معنى
كل منهما وذلك ان الفور يقولون للفرس ياموريتا
وعند الترك هو اسم للبيض والقبيح عند الفور اسمه
جتى وعند الترك فعل ماض بمعنى ذهب ولم اسمع
لغة انفعى من لغتهم لان العدد بلغتهم ينتهى الى ستة

ويعدّا بالعربى فيقولون •
اُوصَانْدِيكْ • اُوشْ • اُوكَلْ • اِيشْ • اَوْ • دِيكْ •
(واحد) (اثنان) (ثلاثه) (اربعة) (خمسة) (ستة)
ثم يقولون بالعربى سبعة ثمانية تسعة ثم يقولون وايّه
وهو لفظ يدل على عاشر الاعداد **لطيفه**
من اعجب ما سمعته بجبل مرة ان الجن ترعى مواشيهم
التى ترعى فى الكلا بدون راع معهم ولقد اخبرنى عدة
رجال ممن يظن صدقهم ان الانسان اذا مر بمواشيهم وراى
ان لا راعى لها ربما طمع فاخذ منها شاة او بقرة او غير ذلك
فان ذبحها تلتصق يده بالسكين على منحرها ويعجز عن فكاكها
حتى تاتى ارباب الماشية فيقبضونه عليه ويغرمونه ثمنها
باغلى قيمة بعد اهانتهم له وضربهم اياه الضرب المولم
ولقد تكرر على سماع ذلك حتى بلغ مبلغ التواتر مع انى
لا اصدقه وحين كنت فى جبل مرة توجهت الى دار رجل
منهم فى عملية اسال عنه فما رايت فى داره احد لكن سمعت
داخل الدار صوتا غليظا مرعبا اقشعر منه جلدى يقول
لى أكبا يعنى انه ليس هنا وفى ذلك الوقت اردت ان
انقدم واساله اين ذهب فمر بى انسان وجذبنى وقال
ارجع فان الذى يخاطبك غير ادمى فقلت وما هو
فقال هذا الحارس الجنى لان لكل انسان منا حارسا
من الجن ويسمى بلغة الفور دامزوقه فخففت

فخففت

فخففت حينئذ ورجعت من حيث اتيت ولما رجعت
من هذه السفرة وتوجهت الفاشر اجتمعت مع الت[illegible]
احمد بدوى الذى اخذنى من مصر وذهب بى الى دارفور
فاخبرته القصة فقال صدقت واسمعنى اعجب من ذلك
وقال لى يا ولدى اعلم انى كنت فى اول امرى اسمع
ان الدمازيق تباع وتشترى ومن اراد منها دمزوقا
يذهب الى من يعلم ان عنده دمازيق فيشترى منه واحدا
بما يرضيه ثم ياتى بقرعة فيها لبن ويدفعها الى رب
المنزل فياخذها ويدخل الى المحل الذى هو فيه فيسلم
عليهن ويعلق القرعة التى فيها اللبن فى علاقة
فى البيت ثم يقول لهن ان صاحبى فلانا عنده مال
كثير وخايف عليه من السرقة واراد منى حارسا
فهل منكن احد يذهب الى داره لان عنده لبنا كثيرا
وخيرا غزيرا وقد اتى بهذه القرعة مملوءة لبنا
فيمتنعن اولا ويقلن لا احد يذهب معه فيتحنن
لهن ويتملق حتى يرضين فيقول من اراد الذهاب
منكن فلينزل فى القرعة ويبعد عنهن قليلا وحين
يسمع بصوت وقوعه فى اللبن يغطى القرعة بطبق
من سعف وياخذها من علاقتها مغطاة ويدفعها
لصاحبه المشترى فياخذها ويذهب بها الى داره
ويعلقها فى بيته ويوكل بالقرعة جارية او امراة

تاتى كل يوم على الصباح وتاخذ القرعة وتريق ما فيها
من اللبن وتغسلها جيدا ثم تضع فيها لبنا آخر محلوبا
في ساعته وتعلقها وحينئذ يامن الانسان على ماله
من السرقة والضياع وكنت اكذب ذلك حتى كثر مالي
وصارت العبيد والخدم يسرقونه فاحتلت على منع
السرقة بكل حيلة فلم يمكني ذلك وشكوت لبعض اصحابي
فامرني ان اشتري دمزوقة وانا الكي شر السرقة
فحدا بي حب المال ان توجهت الى رجل سمعت ان عنده
دمازيق وقلت له اعطني دمزوقا يحرس لي مالي واعطيته
ما طلب فقال لي اذهب واملأ قرعة من اللبن الحليب
وهاتها ففعلت واتيته بالقرعة مملوءة لبنا فاخذها
وذهب وبعد ساعة جاء بالقرعة مغطاة وقال لي
علقها حيث مالك مخزون وعرفني ما ينبغي ان يفعل
كل يوم من غسل الآنية وتجديد اللبن ففعلت ذلك
ووكلت جارية بذلك وامنت على مالي حتى اني كنت
اترك بيت مالي [illegible] مفتوحا ولا يقدر احد على
الوصول اليه وفيه من العين والامتعة شيء كثير
وكل من رام اخذ شيء بغير اذني تنكسر رقبته فقتل
لي عدة عبيد وعشت آمنا على مالي مدة حتى كبر لي
ولد كان اسمه محمد فلما شب واحتلم تعلقت آماله
بالبنات واراد ان يهاديهن ببعض خرز وحلي

فترقب غفلتي يوما واخذ المفاتيح وفتح خزينة
الامتعة واراد ان يدخل فكسر الدمزوقة رقبته
ومات في الحال وكنت احبه حبا شديدا فلما
اخبرت بموته جزعت عليه جزعا شديدا وسالت عن
سبب ذلك فاخبرت انه اراد ان ياخذ شيئا من
الامتعة فقتله الدمزوقة فحلفت يمينا ان الدمزوقة
لا يجلس في بيتي واردت اخراجه فاعجزني وشكوت
لبعض احبابي فاشار علي ان اصنع وليمة واجمع
فيها اناسا كثيرين يكونون عندي مع كل واحد منهم بندقية
وبارود وياتون كلهم دفعة واحدة يطلقون
البنادق ويصيحون بصوت واحد بكلام الفور دمزوقة
أبيّيه ويكررون الطلق ويرفعون اصواتهم بذلك
حتى يدخلون الى المحل الذي فيه المال فربما خاف
وهرب منه ففعلت ذلك ففر ولله الحمد وخلصت
من معاشرة الدمازيق اي الشياطين ولقد
اخبرني عدة رجال ان النقاقير التي في بيت
السلطان فيها واحدة تسمى منصورة متملكها
الشياطين وانها ربما ضربت بغير ضارب فاذا
وقع ذلك يحدث في دارفور امر عظيم اما حرب عدو
لهم او حرب بينهم وسيأتي لهذا مزيد توضيح حين
نتكلم على عوائد الملوك واما عوائد القبائل

الاخر كالبرنى والداجو والبيقو والزغاوه والبرقو والمينة
وغيرهم فان بعضها يقرب من عوائد اهل الجبل وبعضها
يخالفهم اما المخالفة فان بعض هذه القبائل فيه كرم ونجدة
ورقة طبع وذلك لمخالطتهم للعرب اهل البادية وللتجار
الذين يذهبون من ارض مصر وغيرها فتراهم اذا راوا
ضيفا اقبلوا عليه واحسنوا ضيافته وان راوا غريبا
اكرموه وذلك بخلاف الفور الاعجام كاهل جبل مرّه
وتوركة فانهم لا يكرمون الضيف ولا يالفونه ولا
ينزل الضيف عندهم الا فقراؤهم

الفصل الثانى فى عوائد ملوك دار الفور

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلائق بقدرته
وميزهم بحكمته وجعل اختلاف عوائدهم واحوالهم عبرة
لاولى الابصار وتذكرة لذوى الاستبصار ليعلم
العاقل اذا تامل فى احوال الممالك واختلاف عوائدها
وطرائقها المتنوعة وفوائدها ان الخالق الاكبر
جلت قدرته وعظمت ارادته انما نوع احوال هذا
العالم وخص كل قوم بمزية لا توجد فى غيرهم ليعلم
عظم قهره وحكمته كما انه اذا نظر فى اختلاف السنتهم
والوانهم وزيّهم ومعاشهم علم انها اية كبرى كما قال
تعالى ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين ومن اياته

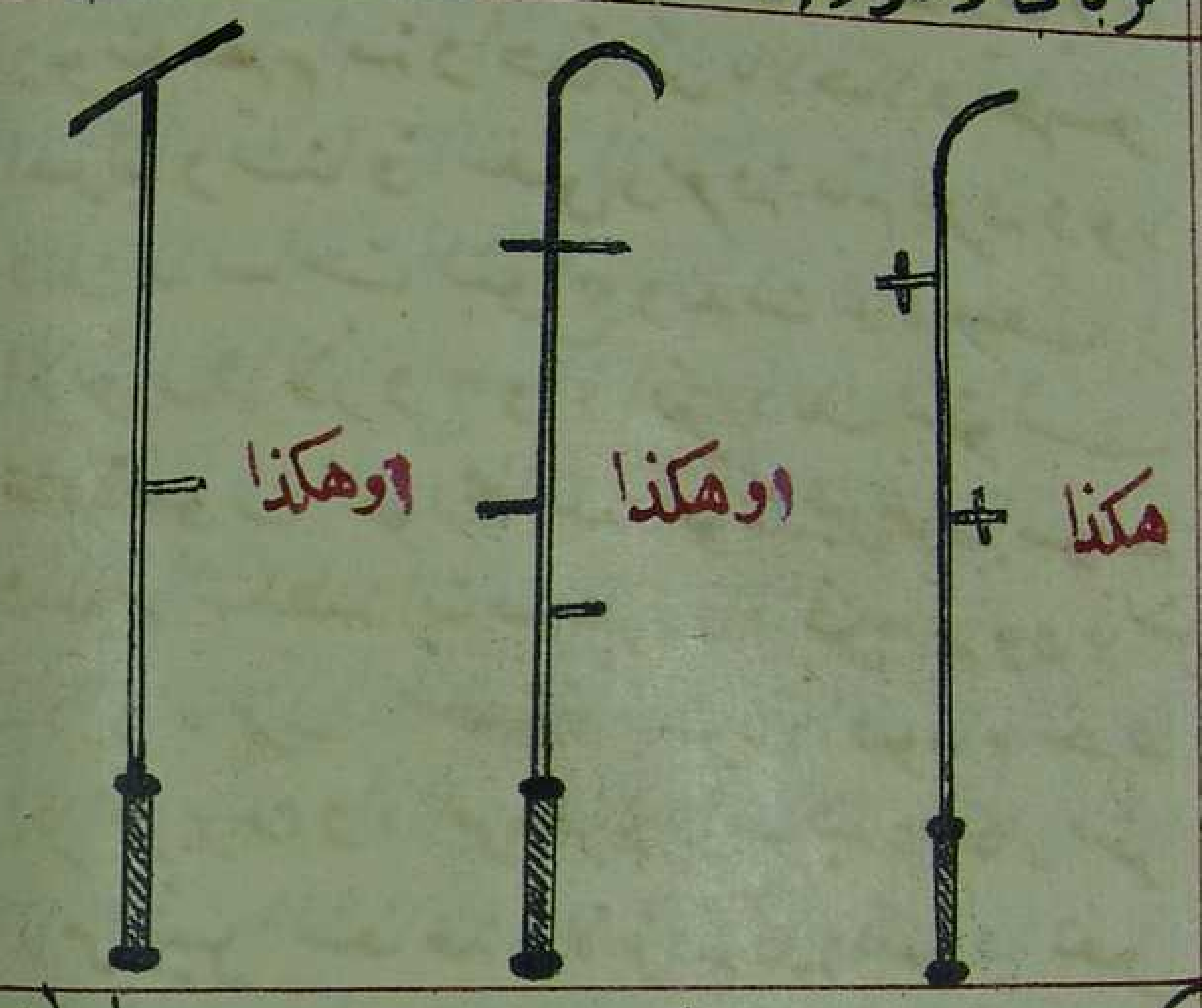
بلغ

قف كتب الشيخ محمد التونسى
هذه الاية على غير الواقع فى القرآن
فى النسخة التى بخطه ومسودتها ومن
اياته منامكم بالليل والنهار واختلاف
السنتكم والوانكم وصححها الفقير وله
كذلك فى ترجمة الرحلة اهـ عبد [illegible]

منامكم

منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك
لايات لقوم يسمعون ثم ان الله جعل لكل اقليم طبيعة
فمن الاقاليم الحار ومنها البارد ومنها المتوسط بين
الحرارة والبرودة وذلك بحسب قرب الاقليم من
خط الاستواء او بعده عنه فسبحان الفعال لما يريد
ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكن بالاختلاف تظهر
المزايا وتشتاق النفس الى معرفة ما لم تعرفه ولولا
ذلك لما ساحت السواح وبذلت فى الاسفار
الاموال والارواح واذ تقرر ذلك فنقول
عادة ملوك الفور مخالفة لعوائد غيرهم من الملوك
ولملكهم السلطنة التامة عليهم فاذا قتل منهم الوفا لا يسئل
لماذا وان عزل ذا منصب لا يسئل لماذا فهو تام التصرف
فى كل امر يريده واذا امر بامر لا يراجع فيه ولو كان منكرا
الا من قبيل الشفاعة ولا ترد له كلمة لكنه اذا فعل
ما لا يليق من ظلم وعسف تحصل له بغضاء فى قلوبهم ولا
يعتدون له على شيء فاول عوائدهم ان الملك لا يكون
الا من بيت الملك اى من سلالتهم ولا يمكن تولية اجنبى
منهم ولو شريفا وتحقق نسبه عندهم وثانيها ان
الملك اذا تولى يجلس فى بيته سبعة ايام لا يامر ولا
ينهى ولا تقام بين يديه دعوة وكلهم على ذلك الا
السلطان عبد الرحمن فانه خرق عادتهم كما مر عند الكلام

على نوبته وبنا لنا ان لهم عجايز تسمى الحبوبات وهن طائفة عظيمة ولهن رئيسة تسمى ملكة الحبوبات فعند خروج السلطان يوم الثامن يجتمعن ويأتين الى السلطان وكل واحدة منهن بيدها اربع قطع من الحديد تسمى القطعة منها كرباجا وصورتها



ويضربن بها على بعضها فيحصل منها صوت هويدا حداهن قبضة من سعف ابيض ومعها ثناء آحتلف اهل دارفور في ما تركب منه فتبل العجوز السعف من ذلك الماء وترش به على السلطان مع قول كلام لا يعقله الا هن ويأخذن السلطان في وسطهن ويطفن به البيت ويتوجهن الى دار النحاس وهو المحل الذي فيه النقاقير وهي طبول السلطان فيدخلن البيت ويأتين الى النقارة المسماة بالمنصورة

في كل يد كرباجان مع

فيقفن حلقة ويجعلنها في الوسط والسلطان معهن ويضربن الكرابيج على بعضها ويقلن من كلامهن ثم يرجعن بالسلطان الى كرسي مملكته وبعد جلوسه ذلك تدخل اليه الدعاوى ويبتّ ولا الاحكام ومن عادتهم ان السلطان لا يسلم على غيره الا بترجمان صغيرا كان او كبيرا عظيما او حقيرا وكيفية ذلك اذا دخل عليه اناس يجثون على ركبهم ثم يتقدم الترجمان ويسميهم واحدا بعد واحد الى اخرهم وهو ان يقول انّو نُورَّا فلان دُوكُه كِشّيحي دارِي ومعناه ان هنا فلان يسلم فاذا تم اسما الجالسين قال كِيكِيتْ دُقَلَه كِرِكِيهْ ومعناه حتى ابنا عمهم حتى خدمهم فتقول العبيد الواقفون خلف السلطان المسمون كُورْكُوا وقد تقدم ذكرهم دونكراي دونكا دونكراي دونكا ومعناه سلام سلام فان كان في ديوان حفل ضرب اذ ذاك طبل يقال له الدنقار وهو طبل عظيم من خشب مجلد من جهة واحدة اهرامي الشكل

صورته هكذا

له صوت عال وان لم يكن ديوانا لا يكون ذلك ثم من شدة تعظيمهم السلطان ان السلطان اذا بصق في الارض يمسحه واحد بيده

واذا تنحنح قالوا كلهم تِسْ تِسْ واذا عطس لفظوا بحروف
لا يلفظ بها الا الوزغ واذا جلس واطال المجلس روحوا عليه
بمراوح من ريش النعام وان خرج الى الصيد يظللونه
بشمسية واربع مراوح كبار من ريش النعام مغلفات
بجوخ احمر وهذه المراوح تسمى بالريش وصورتها هكذا

فيقفون بالشمسية على
راس السلطان ويحملون
المراوح اثنان عن اليمين
واثنان عن اليسار هكذا

فيصير على السلطان ظل واسع والشمسية المذكورة
والريش ملك مخصوص واعوان يتداولونها نوبة
فنوبة ومن عادة السلطان اذا ركب ان ترفع امامه
السجادة واما ملك مخصوص واعوان يتداولونها
ايضا ومن تعظيمهم للسلطان انه اذا ركض جواده
وعثر الجواد فرماه او وقع من شدة الركض انهم يرمون
انفسهم جميعا من على ظهور الخيل ولا يمكن ان يثبت احد

منهم على ظهر فرسه بعد وقوع السلطان بل ان راى الخدمة
احدا ثابتا على ظهر جواده ولم يرم نفسه يرمونه الى الارض
ويضربونه ضربا مولما وان كان عظيما ويعدون ان ثباته
احتقارا بامر السلطان واذا جلس السلطان للحكم في ديوانه
لا يكلم الناس مباشرة بل بواسطة ترجمان ان لم يكن
ديوانا عاما فان كان ديوانا عاما كانت المترجمون
سبعة اولهم عند السلطان واخرهم عند الناس
وهم في الوسط والناس حولهم والعلما والاشراف جالسون
يمنة ويسرة والعساكر محتفون حول الديوان هكذا

كوركوا
امرا
وزير
وزير
خادم
خادم
امرا
المترجمون
علما
عساكر
عساكر
ارباب دعاوى
ارباب دعاوى
عامه
عامه
موجيه
عساكر

والناس جاثون على ركبهم امامه واضعين ايديهم على التراب
فاذا سلم السلطان عليهم مسحوا التراب بايديهم واذا تكلم
احد في مجلسه لا يبدا الكلام الا بقوله سلم على سيدنا ان كان
عربيا وان كان فوراويا قال ايا كوري دوكاجني ومعناه
ذلك واذا كان السلطان هو المتكلم يقول سلم عليه
اذا كان المتكلم السلطان وتكلم بالعربي فالترجمان
يقول دوكاي دايك سيدي واذا كان بالفوراوية
يقول الترجمان سيدنا بيسلم وسوا كان المتكلم السلطان
او غيره بعد كل كلمة يقول دوكاجني ان كان اعجميا
وان كان عربيا يقول سلم عليه ولا خصوصية لمجلس
السلطان في ذلك بل كل مجلس تقام فيه دعوى يقال
ذلك حتى في مجلس القاضي ومشايخ البلاد ولا يمكن
ان تقام دعوى بغير دوكاجني ويلزم لذلك ان يطول
الكلام وان كان قصيرا لتكرير هذه الكلمة بعد كل
كلمة او كلمتين واذا افتتح احد دعوى بغير ذلك
يعيبون عليه ويرون انه غير متمدن بل اذا كان
في مجلس حاكم يؤدب بالزجر ما لم يكن غريبا فيعذر
ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس وهي عادة لا توجد
في غير دارفور وتجليد النحاس هو تغيير جلود الطبول
المسماة في اقليم مصر بالنقاقير وهذا التجليد يعظمونه
ويجعلون له موسما في السنة ومدته سبعة ايام وكل

وكيفية

وكيفية ذلك ان السلطان يامر بنزع جلود الطبول
كلها في يوم واحد فتنزع ثم يؤتى باثوار خضر اللون
فيذبحونها وياخذون من جلودها ويجلدون به
تلك الطبول لكن اهل دارفور يقولون في ذلك كلاما
لا يقبله عقل عاقل ممارس للكتب ولكنهم مطبقون
على ذلك وكيفيته انهم يزعمون ان هذه الاثوار من نوع
معروف عندهم وانها حين الذبح تنام وحدها
بدون من يمسكها ولا يذكرون اسم الله عند ذبحها ويقولون
ان الجن هو الذي يمسكها وينيمها ثم ياخذون لحومها
وتجعل في خوابي وتترك ستة ايام مع الملح وفي اليوم
السابع يأتون ببقر كثيرة واغنام وتذبح كلها ويطبخون
لحومها وفي حال الطبخ ياخذون اللحم الذي في الخوابي
ويقطعونه قطعا صغيرة ويجعلون في كل قدر منه قطعا
تخلط باللحم الجديد ثم تفرق الموائد للملوك واولاد
الملوك والوزرا على حسب طبقاتهم ويقف على كل مائدة
منها حارس من طرف السلطان ينظر من ياكل ومن
لم ياكل فاذا اخبر السلطان بان فلانا لم ياكل امر
بالقبض عليه في الحال لانهم يقولون من كان في قلبه
خيانة للسلطان او غدر لا يمكنه ان ياكل من هذا
اللحم وان تعلل احد بانه مريض او لا يقدر على الحضور
ارسلت اليه اواني منه مع حارس امين ينظر هل ياكل او لا

فان الى يقبض عليه الا اذا كان معذورا بقوة مرض وبعض
اهل دارفور يقولون انه يؤتى بغلام وصبية لم يبلغا
الحنث ويذبحان سرا ويقطع لحمهما ويجعل في القدور
ويقطع ~~لحمهما ويجعل في القدور~~ مع لحم الحيوانات المذبوحة
وبعض الناس يقول لابد وان يكون اسم الغلام محمدا
واسم الصبية فاطمة وان صح هذا فهو غاية الكفر بالله
ورسوله ولكني لم اشاهد ذلك ولم اقف عليه لاني غريب
والاغراب لا اطلاع لهم على مثل هذا الامر ابدا لكني
سمعته من اناس كثيرين يحلفون لي بايمان مغلظة ان
هذا الكلام صحيح لا ريب فيه وبعد اخراج الطعام تحضر
العساكر كلها ويقعدون في بطحا واسعة امام دار السلطان
ثم يخرج السلطان عليهم في زينته وابهته فتعرض
عليه الجيوش كل ملك باتباعه واحدا بعد واحد وكيفية
العرض ان الملك ياخذ اتباعه ويركض حتى يصل
الى محل السلطان فان كان من العظماء برز السلطان
من جماعته الى ملاقاته مقدار خطوتين او ثلاث
وان كان غير عظيم ثبت السلطان في موضعه فيرجع
الملك وجماعته ويفعل ذلك ثلاث مرات هكذا

الملك

وفي

وفي الثالثة يعرضون على السلطان ثم يرجعون الى
محل وقوفهم فيخرج ملك اخر بجيشه ويفعل كذلك
وهلم جرا فاذا تم العرض خرج السلطان راكضا
ويتبع الملوك فيذهب اولا الى اعظمهم ثم الى مثله ثم الى
اقل منه وهكذا حتى يمر عليهم اجمعين جبرا لخاطرهم
وكلما اتى قوما صاحوا في وجهه بكلام يعظمونه به
وهو انهم يقولون له بصوت عال برنوس جر السلاطين
جنزير الملوك اداب العاصي فرتاك الجبال بلاديوان
فاذا تم العرض دخل السلطان داره ودخل وراءه جميع
ارباب المناصب من الوزرا والملوك واولاد السلاطين
فيدخل السلطان الى دار النحاس وياخذ قضيبا ويضرب
به النقارية المسماة منصورة ثلاث ضربات والعجائز
المسماة بالحبوبات محدقات به وبايديهن الكرابيج
يضربنها على بعضها كما تقدم ثم يمشين زوجا زوجا
والسلطان بين الزوج الاخير حتى يدخلن بالسلطان
الى محل جلوسه وانا شاهدت ذلك ثم تفرق الاطعمة
كما ذكرنا واذا كان بعض القواد او الوزرا غائبا عن
العاشر في وقت تجليد النحاس ثم جاء بعد ذلك واتهم
بغدر او خيانة يسقى من ماء كيلي وهو ماء ينقع
فيه ثمر شجرة كالجوز تقول اهل دارفور ان المتهوم
بشيء اذا شرب منه وكان بريئا تقاياه في الحال

في النسخة المطبوعة بمدينة باريز خط المعلم بيرون الرسم
في الصحيفة المارة محله هنا بعد قوله ثم يمشين زوجا
زوجا والسلطان بين الزوج الاخير هكذا

حبوبات

السلطان

حبوبات

كوركوا

وان لم يكن بوسعه يشرب منه حتى يمتلا بطنه ولا يتقايا
حتى انه ربما شرب ملأ خابية وانا شاهدته لكن في تهمة
سرقة ولعل هذا من خواص النباتات لان النبات
في دار فور له خواص عجيبة سنذكرها بعد ان شا الله تعالى

الفصل الثالث في مناصب ملوك الفور وملابسهم

اعلم ان واجب الوجود تقدست ذاته عن المعين
لما كان منفردا بالقدرة المطلقة والارادة التامة
المتصرفة احوج الملوك الى الوزرا والمدبرين والمعينين
ليعلم عجزهم عن الاستقلال في تدبير ممالكهم ومصالحهم
ولولا ذلك الاحتياج لطغوا وبغوا اكثر مما هم فيه من
الطغيان بل ربما ادعوا الالوهية التي لا تليق الا بذاته
العلية لكن خص كل اقليم بترتيب وتنظيم فلهذا نجد
اسما مناصب وزرا الخلفا كانت مغايرة لاسما
مناصب وزرا الملوك الآن واسما مناصب وزرا
ملوك هذا الزمن متخالفة ايضا ففي مملكة آل عثمان
اسما المناصب الوزير الاعظم والكتخدا والخازندار
والسلاحدار والمهردار والدوبدار وچوخدار وسربوابين
وقابجي باشي وغير ذلك من تونجي باشي وسرتبجي باشي
وقهوجي باشي وقفطان اغاسي وبنكرا اغاسي
وباشات وامرا الدولة الالوية وامرا الايالات
واما اهل دار فور فانهم لتعظيمهم السلطان لم ينتبهوا

الا الى جسم السلطان فسموا المناصب باسما اعضائه
فاول مناصبهم اروندولوك وهو منصب عظيم
القدر صاحبه يكنى عنه براس السلطان اما سفرا او
فانتصارا ووظيفته ان يمشي بعساكره امام الجيش كله
لا يسبقه احد وثانيها منصب الكامنة وهو
في العظم والجلالة اعلى من اروندولون ويكنى عنه
برقبة السلطان لكن من عادة السلاطين الفور
ان السلطان اذا قتل في الحرب وسلم الكامنة حتى رجع
الى محل الامن يقتلونه لكن يخنقونه سرا ويولون
غيره للسلطان المتولى واذا مات السلطان على فراشه
لا يقتل الكامنة وهذا الكامنة يسمى بلغة اعجام
الفور ابا فوري ومعناه ابو الفور ولصاحب هذا
المنصب اقطاع جليلة وعساكر كثيرة ويفعل مثل
ما يفعل السلطان ووظيفته ان يمشي خلف جيش
اروندلون وثالثها اباوماك وهو قرين
الكامنة في كل شيء وهو كناية عن فقرات ظهر
السلطان ووظيفته ان يمشي خلف الجيوش
بحيث لا يعقبه احد واذا اعقب الجيش عدو فيه
كفاية لدفعه والذب عن الجيش حتى يدرك ويلحق
بالجيوش وثالثها ابا ديما وهو اعظم ممن تقدم
جلالة وابهة وعساكرا ويحكم على اثني عشر ملكا

ولهذا المنصب اقطاع عظيمة
وبلاد وصاحبه لا يعلم عليه الا
وبخاراى د وكلاو وفخ
بدو في [illegible] امامه كالسلطان
والسعادة اذا كان
وصاحب هذا المنصب
السلطان صح

من ملوك الغور وله اقليم واسع يسمى تموركه وله جميع
ما للسلطان من الشارات والابهة ماعدا النحاس
فان طبله دنقار وهو كناية عن ساعد السلطان اليمين
ووظيفته ان يمشي هو وعساكره عن يمين السلطان
ورابعها منصب التكنياوى وهو قرين ابا ديما
فى كل شيء وهو كناية عن الساعد الايسر للسلطان
ويحكم على اثنى عشر ملكا ايضا من ملوك الجهة الشمالية
وله اقليم واسع وخامسها منصب الاب الشيخ وهو
اعلى من جميع ماذكر ولا فرقا بينه وبين السلطان
واوامره تنفذ على جميع من ذكر وغيرهم ولا فرق بينه وبين
السلطان واوامره تنفذ على جميع من ذكر وغيرهم
وله اقطاعات جليلة كثيرة واقليم واسع وصاحب هذا
المنصب مطلوق السيف يقتل بغير اذن وجميع اهل
المملكة تحت يده وهو كناية عن تجيزة السلطان
وقد تقدم بعض ذلك في حديث الاب الشيخ محمد كرا
وسادسها مناصب الامنا وهي اربعة كل واحد
منهم يدعى امينا واصحاب هذه المناصب لها اقطاع
وعساكر وليس لها من شارات الملك شيء وهؤلاء
الاربعة ملازمون لمجلس السلطان وسابعها مناصب
الكورايات وهي مناصب جليلة القدر الا انها اقل من
مناصب الامنا رتبة ومناصب الكورايات اربعة

ايضا

ايضا وثانيها منصب سومنبدجله وصاحبه عظيم
القدر وابهة عظيمة واقطاع واموال وافرة ويليه
منصب كوركوا واعلى من هذين منصب ملك ورديايه
وهو منصب جليل عظيم من عادة ملوك الغور ان صاحب
هذا المنصب لا يكون الا خصيا لانه ينال منصب الابوة بعد
موت الاب الشيخ محمد وتقدم لنا ان منصب الاب
لا يتولاه الا خصي وصاحب هذا المنصب يحكم على جميع
الخصيان الموكلين بحريم السلطان وصاحب غضب
السلطان وتحت يده الحبس فكلما غضب السلطان على
انسان اعطاه له فيسجنه في سجنه وتحت يده عساكر
كثيرة ومعنى ورديايه بالغورية باب الحريم وصاحب
هذا المنصب تحت امر الاب الشيخ ويليه منصب ملك
وردادبيه ومعناه ملك باب الرجال ولكل بيت من
بيوت الملوك والوزرا بابان احدهما للرجال والثاني
للنسا فباب الرجال يسمى وردادبيه وباب النساء
يسمى ورديايه ويليهما منصب ملك العبيدية وهو منصب
جليل القدر صاحبه يحكم على جميع عبيد السلطان الخارجين
عن داره الذين في البلاد بنسائهم واولادهم وكذلك
تحت يده مواشي السلطان وآلات السفر من خيم
وقرب وغير ذلك ويليه منصب ملك القوارينة
وهو منصب جليل صاحبه يحكم على جميع المكاسين

اي المكاسين صح

وجميع الجلابة وله اقطاع وعساكر عظيمة واعلى منه
منصب ملك الجابين وصاحبه في ابهة عظيمة وملك
كبير وهو ملك الجابين اى الذين يجبون الغلال من
البلاد ومعنى الجباية انهم ياخذون عشر ما يخرج من
الحبوب ويجعلونها في مطامير لاحتياج السلطان وبعد
ذلك ملوك كثيرة فحكام الاقاليم عندهم يسمون الشراتى
واحدها شرتاى وحكام القبائل يسمون الدمالج واحدها
دملج ولكل من الشراتى عساكر كثيرة ولكل من الدمالج اعوان
وهؤلاء خلاف السلاطين الصغار الذين ذكرناهم
سابقا ثم اعلم ان جميع من ذكر من ارباب المناصب
لا يعطيهم السلطان رواتبا ولا مرتب لهم عنده بل كل ذى
منصب له اقطاع ياخذ منها اموالا وما ياخذ من
الاموال يشترى به خيلا وسلاحا ودروعا ولبوسا
وينفقها في العساكر وكيفية ما ياخذه هو ان زكاة الحبوب
كلها للسلطان كزكاة الماشية فلا ينالون منهما شيئا
وانما لكل ملك منهم اقدنة كثيرة يزرعها دخنا وذرة
وسمسما وفولا وقطنا تزرعها الرعايا وتحصدها وتدرسها
له قهرا عليهم وله الهامل وهو الضال من رقيق وبقر
وغنم وحمير يبيعونها له وياخذ ثمنها وله التقادم وهي
الهدايا التي يقدمونها له حين التولية والقدوم على
البلاد وله الخطية وهي في عرفهم اموال يدفعها الجاني

للحاكم

للحاكم وتسمى عندهم بالحكم واذا شج انسان آخر يؤخذ
من الشاج مال يدفع للحاكم واذا احبل رجل امراة في الحرام
يؤخذ من كل منهما مال على قدر حالهما ايضا وذلك خلاف
المظالم التي ياخذونها بغير حق وخلاف الاعمال الشاقة
التي يكلفونهم بها لانهم اذا اقتتل قتيل وله الدم وهو في
عرفهم اذا قتل قتيل وودى يشارك الحاكم اقارب
القتيل في الدية سواء كانت دية العمد او دية الخطاء
وذلك خلاف المظالم التي ياخذونها بغير حق وخلاف
الاعمال الشاقة التي يكلفونهم بها لانهم اذا اقتتل
قتيل يبنون لهم بيوتهم ويسخرونهم في جميع اعمالهم
ومن مناصب الفور ملك الوجيه وانما اخرناه
لطول الكلام عليه وغرابته وغرابة المنصب وغرابة
افعال اهله وهو عندهم ادنى المناصب واقلها رتبة
لكن الكلام عليه يحتاج الى تمهيد وهو ان صاحب
الحكمة الازلية والسلطنة الازلية الابدية واهب
العقل ومانح الفضل وهب لكل انسان عقلا يميز به
الخير ليتبعه من المكروه ليحذره واودع في كل انسان
حب راى نفسه وعقله بحيث يرى ان عقله اتم من عقل
غيره ورايه احسن من راى غيره الا من بصره الله بعيوبه
وعلم عجز نفسه عن تدبير جلب مصالحها ودفع مضارها
واذا تقرر ذلك فنقول ان علامة من طبيعة

بلاد العود الميل الى اللهو والاستهزا واللعب والطرب
يستفزهم ادنى طرب فتراهم لا تخلو اوقاتهم عن مطرب
ملوكا كانوا او سوقة ولذلك استحضروا جميع ما يمكنهم
من آلات الطرب فتجد كل ملك له غلمان صغار حسان
الاصوات فمنهم المسمون كوركوا ومعهم صغا فير يصفرون
صفيرا هو فى نفس الامر غنا مع حسن اصوات الصفافير
وحسن اصوات الغلمان فيسمع من جميع ذلك صوتا
حسنا وكيفية ذلك ان الملك ان كان عنده من الغلمان
عشرة مثلا يكون منهم ارباب الصفافير اثنان او ثلاثة
والرابع بيده قرعة جافة خاوية الباطن مستطيلة
احد طرفيها غليظ والطرف
الثانى رقيق يقبض عليه
باليد صورتها هكذا
فيجعلون فيها بعض حصباء
ويقبضها الغلام بشرط
ان يكون فمها منسدا بالغار ويهزها فيسمع للحصى
فيها صوت يوفق على اصوات الصفافير والستة
الباقون يغنون وربما اخرج السلطان بعض جوارى
مزينات حاملات لاوانى من الاطعمة ما شابه
خلف صحبة الغلمان فيغنين مع الغلمان والصفافير
وربما زادوا معهما طبلا من خشب مستطيل كالطبلة

المسماة فى عرف مصر بالدرابكة وصورتها هكذا



وله علاقة كما فى الصورة
فيدخل الضارب يده
من العلاقة ويضع
العلاقة على كتفه ويصير
الطبل تحت ابطه ويضرب
عليه بكلتا يديه نغمات
محكمة على صوت الصفافير
وما يغنون يكون بلسان
العود ولهم معلمون يعلمونهم التصفير والغنا
والضرب على الطبل المذكور والمشاة الذين يمشون
امامه وبين يديه يغنون غناء وحدهم وكيفية
ذلك انهم يكونوا كراديس كراديس يغنى من كل
كردوس واحد والباقى يرد عليه بصوت عال
ولذلك اذا ركب السلطان تضرب جميع الطبول
وتغنى جميع الناس مشاة وركبانا فيسمع لذلك ضجة
عظيمة مع اصوات الصفافير وغناء الغلمان يخشى
الانسان على سمعه منه لقوته وهذه الصفافير تسمى
طير الصعيد وذلك ان بلاد صعيدهم طيورا لها
اصوات حسان فاخترعوا هذه الصفافير على شكل
اصواتها وينضم لتلك الاصوات اصوات الموجية

وهذا اللفظ فى لغة الغوز يطلق على الواحد والجمع وهى
طائفة عظيمة لها سلك مخصوص وهو فى عرف الغوز
كالخلوص او المسخرة فى عرف اهل مصر او كالسوترى
فى عرف الترك لكن الموجيه يخالف ما ذكر لانه يتولى
قتل من يامر السلطان بقتله وصفة الموجيه ان يلبس
على راسه عصابة فيها صفيحة من حديد مستديرة الشكل
مع التجويف وفى العصابة المذكورة قطعة من حديد
ايضا كالمسمار معلقة بخيط مجرورة على التجويف التى
فى الصفيحة بحيث اذا هز راسه تضرب التجويف المذكور
ويسمع لها رنة عليه واعلى منهما فى العصابة ريشة
او ريشتين من ريش النعام وصورتها هكذا



وعلى الطرطور ودع وخرز
معلق ايضا وفى رجله
اليمنى خلخالان من الحديد
وفى اليسرى خلخال واحد
وتحت ابطه جراب صغير اذا حل عصابته وطرطوره
يضعهما فيه وبيده عصى معوج أعلاها هكذا



معلق فيها جلاجل فيقف بين يدى
السلطان من الموجيه اثنان او ثلاثة
ان كان السلطان فى ديوانه وان كان
فى سفر او قنص مشى امامه اربعة او خمسة

مستطيل صح

وكل

وكل منهم يغنى ويرقص ويقول كلاما مضحكا يضحك
منه سامعه ويحاكى نباح الكلب وصوت الهر وغناه
بكلام الغوز لا بالعربى وليس فى رقصه غير ان يهز
راسه يمنة ويسرة ويضرب احدى ساقيه بالاخرى
فترن الحديدة التى فى العصابة على راسه وترن
الخلاخل التى فى ساقيه واذا كان السلطان مسافرا
فاحيانا لا يغنون بل يصيحون جميعا صيحة
واحدة بقوة اصواتهم يقولون يا بواى وهكذا
مادام السلطان راكبا ولا خصوصية فى ذلك
للسلطان بل كل ملك من ملوك الغوز الكبار له
موجيه يقف امامه فى ديوانه ويمشى امامه فى سفره
والموجيه لا يخشون باس السلطان ولا غضبه
ولهم جراءة عظيمة على السلطان فمن دونه لا يكتمون
السلطان امرا بحيث انهم اذا سمعوا امرا فظيعا
يقولونه فى محفله وينسبون الكلام لقائله
حقيرا كان او جليلا لا يخافون لومة لائم واذا
اراد السلطان اشاعة امر او اعلان حكم امر الموجيه
ان ينادى به فينادى به الموجيه بعد المغرب وقبل
العشاء نداء يسمع الخاص والعام ومما اتفق
ان السلطان عبد الرحمن كان يحب العلماء ويكثر
الجلوس معهم فى ليله ونهاره وقلما يجلس مجلسا

الا ومعه عالم او اثنان فاغتاظ الوزرا منه وقالوا
كيف يتركنا ويجلس مع هؤلاء لكن ان مات هذا السلطا
لا نولي علينا بعده رجلا يقرا ابدا فسمع احد الموجيه
ذلك فامهلهم حتى جلس السلطان في ديوانه وحضر
اولئك الوزرا فجاء الموجيه وقال بلسان الفور
كلاما معناه نحن ما بقينا نولي علينا من يعرف
القراة والكتابة فالتفت اليه السلطان وقال لم
ذلك قال لانك تترك الوزرا وتجلس مع العلماء
فاغتاظ السلطان لذلك ونظر اليه نظرة غضب
فخاف الموجيه ان يسطو عليه فقال ما ذنبي انا سمعت
هؤلاء واشار الى الوزراء يقولون ذلك فقلته
فالتفت السلطان اليهم ووبخهم على ذلك واراد
القبض عليهم فما خلصوا منه الا بجهد ومشقة قلت
والجاهلون لاهل العلم اعداء ومن ذلك ما حكاه
لي بعض الثقاة بدار فور ان السلطان تيراب السالف
الذكر صنع وليمة لامر نسيته وحين حضر الطعام
تبعه لينظر اي الطعام احسن فجاء الى طعام
صنعته اباكري كنانه وكشف عنه فاعجبه فامر به
للعلما فاتت عليه وقالت انا عندك بهذه المنزلة تعطي
طعامي للمشايخ وطعام غيري للوزرا والملوك فقال
انما امرت به للمشايخ لحسنه ولتحصل لك بركتهم فقالت

بلغ

دع طعامي

دع طعامي تاكله الوزرا والملوك ولا حاجة لي ببركتهم
فقال لا ياكله غير العلماء فقالت لا وحياتك لا ناكله
العلما وغلبت عليه حتى ارسله للملوك واختار من طعام
غيرها للعلماء وطائفة الموجيه من افقر اهل دارفور
لانهم ليس لهم حرفة الا السؤال فانهم دائما يقصدون
الامراء ويتكففون الناس وتخاف الامرا منهم ويكرمونهم
لانهم لا يكتمون حديثا ان احسن اليهم احد اثنوا عليه
واشاعوا الذكر بكرمه وان احرمهم احد ذموه واشاعوا
ذمه فهم في ذلك كالشعراء من اعطاهم مدحوه ومن
منعهم هجوه ومن مناصب الفور منصب اباكري
وقد اسلفنا ذكره ومنصب الحبوبات وقد ذكرناه
ايضا وان كان للسلطان المتولي ام فلها منصب
وان كان له جدة فلها منصب ايضا لكن هذان
المنصبان ليسا مقررين بل يطرآن عند وجودهما
ولقد رايت ام السلطان محمد فضل وهي جارية
وخشا من اقبح ما يرى لو ابيعت في دارفور لما كانت
تساوي عشرة من الغزانا ورايت جدته وهي عجوز
وخشا من اقبح ما يرى في عجائز السودان وكانت
ناقصة العقل ومن نقص عقلها كانت تجلس على كرسي
وتحملها الرجال على اعناقهم السفر البعيد ومعها من العساكر
خلق كثير ووشى اليها بعض الناس بان اهل دارفور

يقولون ان هذه الخادم قد طغت وبغت فحين سمعت
ذلك جلست في ديوانها واحضرت جميع اتباعها وقالت
انا الحادم للحادم جاب الفضة جاب الذهب وقولها
انا الحادم بالحا المهملة ومرادها الخادم بالخا المعجمة
لانها لا تقدر على النطق بالخا المعجمة لعجمتها وهناك
مناصب اخر اعرضنا عن ذكرها لحقارتها واما زيهم
في الملابس فاعلم ان بلادهم في الحرارة بمكان عظيم
ولشدة حرها لا يمكنهم ان يلبسوا الا الثياب الخفيفة
لكن يتفاوتون في ذلك فالاغنيا يلبسون الثياب
الرفيعة جدا بيضا كانت او سودا واما الفقرا فانهم
يلبسون ثيابا خشنة واما السلطان والوزرا والملوك
فان كل واحد منهم يلبس ثوبين كالاقمصة رفيعين
جدا اما مما يجلب لهم من مصر او مما يعمل في دارفور لكن
ان كانا من البيض فانهما يكونان في غاية من البياض
والنظافة وان كانا من السود يكونان نظيفين
ايضا ولا يتميز السلطان عن غيره في ذلك الا بما
يلبسه زيادة على القميصين وذلك انه يضع على راسه
كثيرا وهم لا يمكنهم ذلك والسلطان يتلثم بشاش
ابيض يضع على راسه منه طيات وعلى فمه وانفه لثام منه
وعلى جبينه ايضا بحيث لا يظهر منه الا الاحداق لكن
اللثام يشاركه فيه اورونددلوك والكامنة فانهما

يتلثمان

يتلثمان كالسلطان وكذلك السلاطين الصغار يتلثمون
ايضا لكنه يتميز بالسيف المذهب والحجاب المذهب
وبالمظلة وبالسروج المذهبة والركاب وعدة الجواد
التي لا يمكن سواه ان يجعلها على جواده ان كان راكبا
وبالريش ايضا وان كان في محل جلوسه لا يتلثم لا يمكنهم
الا هو وحده ومن ذكر لا يمكنهم ان يتلثموا بحضرته
الا ان كانوا راكبين معه او كان كل منهم في محل حكمه
وديوانه وانواع ما تلبسه اهل دارفور الاغنيا من
الملابس من المجلوب الشاش والبفت الانجليز والثياب
الحرير في يوم المهرجان كيوم العيد ويوم تجديد
النحاس ولهم ملاحف يتلفحون بها وهي كالملاءة
التي يتلفع بها في اقليم مصر وهذه الملحفة يتوشح
وهي اما من الالاجة او من الشاش لكن يكون لها هدب
طويل وهذه الملحفة يتوشح بها او توضع على الصدر
والاكتاف واذا حضر لابسها امام السلطان يشد بها
وسطه وذلك من كمال الادب عندهم وان كان من غير
المجلوب فالكلكف وهو ثوب من قطن غزله رفيع جدا
طوله عشرون ذراعا وعرضه ذراع واحد ومتوسطهم
يلبس من المجلوب الشوتر وهو كناية عن العبك المصبوغ
ازرق ويجلب لهم بعض نوع من القماش من المغرب اي
من بلاد الوداي والبرنو والباجرمي يسمى التكلو والفداني

لكنها غير عريضة لان عرض الشقة قيراطان لا غير
فيتعبون في خياطتها والشبكو والعداني المذكوران
سود لكن العداني مع انه اسود يرى في لونه من بعد
حمرة فهو كلون رقاب الحمام السود ومن عجيب
ما رايته في ذلك ان لابسه اذا تنحنح خرجت النخامة
من صدره سودا وذلك ان النيلة تدخل في مسام
جسمه حتى تؤثر في صدره وفي نخامته وبالجملة
فالغني سلطانا كان او وزيرا او ملكا يلبس ثوبين
وسراويلا وعلى راسه طربوش وباقي الناس لا يلبسون
الا ثوبا واحدا وسراويلا وملحفة ان تمكن وعلى راسه
طاقية بيضا او سودا واكثرهم يكون راسه عريانا
واما نساوهم فانهن يلبسن مئزرا في اوساطهن
يسمى في عرفهم الفرده او الفركة ثم الابكار يلبسن
فوطة صغيرة على صدورهن يقال لها الدراعة
وهي لبنات الاغنيا تكون من حرير او الاجة او بفت
ولبنات الفقرا تكون من التكاكي ويربطن في اوساطهن
اشرطة يجعلن فيها الكنافيس والكنفوس عندهن
عبارة عن منسوج عرضه اربع قراريط وطوله نحو من
ثلاثة اذرع تاخذه الواحدة منهن وتدخل طرفه
من الامام في الشريط التي في وسطها وتفوت الطرف
الاخر بين فخذيها وتشبكه في الشريط من الخلف

وهو كالحفاظ عند نسا المدن الان الكنفوس عند
نسا الفور لا يلبسنه لاجل الحيض بل يلبسنه مطلقا
والحفاظ لا يلبس في المدن الا ايام الحيض فقط فاذا
تزوجت البكر لبست ازارا كبيرا يسمى في عرفهم الثوب
وهو عبارة عن ملاة تلتحف فيها المراة ثم هو على قدر
مقامات الناس في الغنا والفقر فنسا الفقرا ثيابهن
من التكاكي والاغنيا من الشوارتر او الكلكف او التيكو
او الجداوي او البفت ولا يكون من حرير ولا من
الاجة واما حلي النسا عندهم فانهن يلبسن الخزام
وهو للاغنيا من الذهب وللمتوسطين من الفضة
وللفقرا من النحاس وهو على نوعين حلقي وشوكي
فالحلقي عبارة عن حلقة فيها ثلم وهذا الثلم تجعل
فيه مرجانة وهذه صورته والشوكي عبارة عن حلقة
نصفها غليظ ونصفها رفيع كالشوكة
يجعلن فيه اربع مرجانات بينها حبة
من ذهب او ثلاث حبات احداهن ذهب وراس
طرفه الغليظ كحبة مربعة الا سطحة وصورته
هكذا ويلبسن في اذانهن اخواصا كبارا من فضة
يزن الخرص منهن نصف رطل
ولئلا يضر اذانهن يربطنه بعلاقة
في روسهن تحمل ثقله عن الاذن

وهو عبارة عن حلقة واسعة احد طرفيها شوكي والآخر
كالحبة المربعة الاسطحة كالحزام ومن لم تجد خرزا ما
ولا خرصا تسد ثقب انفها بمرجانة او حبة خرز
مستطيلة وتسد ثقب اذنيها بقطعة من لب بوص
الدخن او الذرة او قطعة من خشب ويجعلن في اجيادهن
عقودا من انواع الخرز كالمنصوص وهو عندهم عبارة
عن خرز اصغر من كهربان وهو نوعان كروي ومفرطح
وتختلف افراد كل منهما في الصغر والكبر والريش
وهو عندهم عبارة عن خرز مستطيل ابيض فيه خطوط
ابيض منه وخطوط اسمر والعقيق وهو عبارة
عن خرز احمر كروي كله يتفاوت في الصغر والكبر
وهو من عقيق والمرجان وهو نوعان نوع يسمى
العفص وهو خرز اسطواني مستطيل قليلا ونوع
يسمى المدردم وهو خرز كروي ودم الرعاف وهو
نوع خرز احمر داكن منه ما هو اسطواني ومنه ما هو
كروي وهو من زجاج يجلب من بلاد اوروبا والفاو
وهو مرجان صناعي كروي كله فيعملن من جميع ذلك
عقودا ويلبسها كل منهن على قدر حالها في اليسار
وعدمه فترى منهن من يكون لها عقد
واحد ومن يكون لها اثنان هكذا
ومن يكون لها ثلاثة واغناهن لا تزيد على اربعة

عقود هكذا ويرتبن الخرز المذكور فيها ترتيبا حسنا
بحيث يالفه النظر ويميل
للابسه القلب ويضعن على
رؤسهن تمايم من حب نبات
يسمى الشوش وهو حب صغير احمر كالجلنار وفي
جانب كل حبة منه نكتة سودا وهذا الحب رؤيته مفرحة
جدا وودع وفول وهذا الفول عندهم ذو الوان
منه ما هو احمر ناصع الحمرة ومنه ما هو تبني اللون
ومنه ما هو اسوده ومنه ما هو عسلي فينظمن الشوش
والودع والفول وينظمن الشوش وحده تمائم لكن
يجعلن في اسفل كل تميمة اما جلجلا او ودعة
ويجعلنه عنا قيد هكذا
لكن يفصلن بين كل ترجيحة
بخرز ازرق ويلبسن في
اوساطهن خرزا على انواع
فنساء الاغنيا يلبسن خرزا
كبيرا مثل الجوز يسمى عندهم
رقاد الغافة ونساء المتوسطين يلبسن المنجور
وهو خرز اصغر من رقاد الغافة ويختلف عنه بعدم
الملاسة لان الاول املس وكلا النوعين كروي
ذو الوان اخضر واصفر وابيض وفي المنجور المتاهم

وهو خرز اسود كله فيه نكت بيضا كثيرة ونساء الفقرا
يلبسن اما الحرش واما الخدور وجميع ما ذكر يعمل في الخليل
من بر الشام لكن رقاد الفاقة املس جدا وهو ما بين
اخضر وازرق واصفر ومشاهرة وهو خرز اسود في
منقط بنقط بيض والمنجور كذلك في الالوان الا انه
اصغر حجما منه وفيه خروشه وعدم اتقان في صناعته
والحرش في لونهما لكنه صغير كحب السبحة مع الخروشة
الكلية وله عفونة واما الخدور فانه حب اسطواني
وهو اما احمر او ابيض ويلبسن في اذرعهن عقدا
يسمى المدرعة في المفصل بين الزند والساعد وهو عقد
مركب من خرز اسطواني طول الخرزة منه نحو قيراطين
وهو اما ابيض او اسود ويسمى الشوور فينتظم
خرزة بيضا وخرزة سودا ويفصلن بين كل خرزتين
بحبة اما من المرجان الحر الحقيقي او من المرجان الطبخ
اي الصناعي او من حب الزعاو وذلك على قدر حالتهن
في الفقر والغنا ومن حليهن اللداي وهو سلك
غليظ من الفضة نصف دائرة في طرفيه اعوجاج
كالسنارة فيوخذ سلك رفيع من النحاس وينظم
فيه خصوص ومرجان وعقيق ويربط طرفاه
في الاعوجاج الذي كالسنارة من الطرفين فيكون
السلك الرفيع وما هو منظوم فيه كالوتر للقوس

وصورته

وصورته هكذا فيجعلن الوتر قريبا من جباههن ويشبكن
السلك الغليظ في شعورهن
ويلبسن في اياديهن اساور
من عاج او من قرن فاذا
كانت من قرن سميت بالكبج
او من نحاس وبنات الاغنيا من الفضة والعاج معا
وفي ارجلهن الخلاخيل وهي من النحاس للجميع لكن بنات
الفقرا من النحاس الاحمر وبنات الاغنيا من النحاس
المخلوط بالتوتيا ويجعلن من انواع الخرز الرفيع الملون
في عصابة على جباههن وفي اياديهن واما طيبهن
فهو السنبل والمحلب وكعب الطيب وخشب الصندل وشيء
كالمحار الصغير يقال له الظفر وهو احمر الى سواد في
والشيبه والمرسين وبعض الاكابر يتطيبون بالجلاد
وهو جلد نوافج المسك وعندهم ثمر شجر ذكي الرائحة
يسمى الدايوق وهو حب احمر يميل الى الصفرة يسحقنه
النساء ويخلطنه بطيبهن ومن عادتهن ان يكتحلن
بالاثمد لكن لا يضعن الكحل في اعينهن بل يجعلنه
على الاجفان السفلى والعليا من الخارج فيلتصق
عليها بواسطة الدهن ويكحلن عناقهن كذلك فترى
الشباب والشابات كلها متكحلة كذلك ومن عادتهم
ان العاشق ياخذ من محبوبته شيا من حليها المعروف

لا حمرة النحاس المعروفة
فورا من القريب من
الى الاصفر
لون الذهب صح

ويلبسه افتخارا له وتذكارا لاسمها واذا اصابه مهم
او عثر يقول انا اخو فلانة وهي تقول كذلك ايضا واكثرهم
لا غيرة له على عرضه فربما دخل الرجل في داره فوجد امراته
مع غيره في خلوة فلا يغضب ان لم يجده على صدرها واما
اذا دخل ووجد ابنته او اخته مع اجنبي لا يسوءه ذلك بل
ربما سرّ به وظن ان ذلك يكون سببا لزواجها به
ومن عاداتهم ان البنت اذا طفر ثديها يفردون لها محلا
تبيت فيه ويأتيها من يحبها فيه وتبيت معه ويسمون
ذلك الونسة يعنون الانس ويرون ان البنت التي
لا تأتيها الرجال ولا يونسونها فيها عيب منفر بل ربما
لا تتزوج ابدا ومن ذلك يتبع الحبل باكثر بناتهم ولا عار عليهم
في ذلك وولد الزنا عندهم ينسب لخاله وكذلك البنات
فالبنت التي تكون من هذا القبيل يزوجها خالها ويأكل
من صداقها مالا لا سيما اذا كانت جميلة وبالجملة
لا يمكن في دار الفور ان تمتنع النساء عن الرجال ولا الرجال
عن النساء بل لا يمكن الرجل ان يحرز ابنته تحت كنفه
ولو كان عظيما اما ان كان فقيرا فانه يهان ويؤذى
وربما قتل ومن ذلك ما اتفق ان رجلا كانت له ابنة
وكان يغار عليها ولا يرضى ان يكلمها اجنبي ومن شدة
خوفه عليها كان يعزها على البيات معه في المحل الذي
هو فيه وكانت من الجمال بمكان فكان الشبان يأتون

على

على عادتهم الى بيت ابيها فاذا احس بهم زجرهم ولعنهم
وطردهم فلما اعياهم امره احتالوا عليه واخذوا قرعة
مستطيلة قليلا تقرب من شكل البيضة تنتهي بعنق
وفتحوها من اعلا واخرجوا لبها وملأوها غائطا وبولا
وحركوه حتى امتزج بعضه ببعض وتوجهوا الى منزله ليلا
ونادوه يا والدنا مُرْ فلانة تاتي لنتحدث معها
فقام على عادته ولعن وسب وزجر فما افاد ذلك بل
قالوا له نحن لا نبرح حتى تخرجها لنا فاغتاظ منهم وخرج
قاصدا طردهم ومن عادتهم انهم كانوا اذا سمعوا انه
خارج اليهم يفرون منه لهيبته الا في تلك الليلة فانهم
ثبتوا ومسك احدهم القرعة من عنقها وكمن له حتى
اخرج راسه من باب البيت فرفع يده بقوة وضرب
بها راس الرجل فانكسرت على راسه وسال الخبث الذي
فيها على راسه وثيابه فلما شم الرائحة الكريهة صاح
بشتم فقالوا له اسكت هذه الليلة فعلنا هذا معك
والليلة القابلة ان عارضتنا قتلناك فايقظ الرجل
الرجل اهله وجاؤه بماء فاغتسل وتطيب ونام وخاف منهم
فلما اصبح افرد لابنته حجرة لنومها فتراعنه وجرت
عليها عاداتهم وان كان غنيا صاحب حشمة وابهة
وعبيد وخدم يتحيلون في الدخول الى الكسنة الحريم
بالليل ولو على زي النساء ومن ذلك ما اتفق

ان رجلا من اكابر الناس له سبعة اولاد ذكورا ولم بنت
واحدة وكانت فريدة حسن وقد خطبها منه اناس
كثيرون فابى عليهم فحين طال الامد عليهما على البنت تحيلت
وادخلت شابا لطيفا من الشجاعة بمكان فمكث عندها
ما شاء الله ان يمكث وافتقده اهله فلم يعرفوا الوجهة
فاتفق انه اشتهى الشراب فشرب ولما اخذته النشوة طلب
الخروج فقالت له البنت اصبر الى الليل فابى وقال
لا اخرج الا الآن وغلب عليها وخرج وكان ابوها
واخوتها جالسين في منظرة لهم فما شعروا بالشاب
الا وهو خارج فصاح ابوهم على بواب بالدار اقفل الباب
فلما قفل الباب امر العبيد بالقبض عليه فاجتمعت
العبيد ليقبضوا عليه فجرح منهم اناسا وامتنع عليهم
فخرج الاولاد السبعة مجردين السلاح عليه قاصدين
قتله فناشدهم الله الا ابعدوا عنه وتركوه ان يمضي
الى سبيله فابوا وتراموا عليه فقتل منهم ورماهم
بالحراب فقتل واحدا منهم فكبر عليهم ذلك ورموه
بالسلاح يرومون قتله فصار يدفع عن نفسه ويرميهم
حتى قتل من الاولاد ستة وجرح السابع جرحا خفيفا
فحين راى والدهم ذلك نادى يا غلام افتح له الباب
ففتح له وخرج ولم يكن به جراح ولم يعرف من هو
لانه كان متنقبا وكانت ابنته سببا في خراب بيته

وقتل

وقتل اولاده ووقائع كثيرة من هذا القبيل تذهب
الدماء فيها هدرا لان البنت التي يكون هذا الامر من
شانها لا تخبر الناس باسم القاتل ولا من هو بل قصارى
امرها اذا سئلت عمن فعل هذا الفعل ان تقول
لا اعلم ولا يسلم من هذا الامر بيت فيه انثى الا اذا كانت
وحشا او بها عاهة تنفر الناس عنها وقد اجتهد
السلطان عبد الرحمن في منع ذلك فلم يمكنه ذلك حتى
انه جعل في السوق خصيانا كثيرين يمنعون النساء
من مخاطبة الرجال والاختلاط بهم فاحتالوا في ذلك
حيلا عجيبة منها ان الرجل كان يمر بالبنت التي
تعجبه فيقول لها يا بنية ما لراسك شاين منتثر
ديك السوكتايه فتقول هي وينوا السوكتايه الذي
المنتثر راسي فيقول ديكا ويفهمها له باصبعه فتعرفها
وبعد المساء تذهب اليه فتبيت عنده ولم ينفع الحرس
بشيء كما انه اجتهد في منع شرب الخمر فما امكنه واحتال
الناس حيلا عظيمة حتى كانوا ياتون لبيوت الخمارين
ويشترون منهم الخمر ويوردون لمن يراهم انهم يشترون
خبزا فكانوا يقولون بلغتهم تشرو بانسا اي عندكم
خبز فان خافوا ان يكونوا جواسيس طردوهم بقولهم
اكبا يعني ما عندنا وان عرفوا انهم اعراب يدخلونهم
داخل الدار ويعطوهم ما يريدون وكان السلطان

فى اثناء ذلك يأمن بشم افواه من حضر مجلسه من اكابر
الدولة وهم اكثر الناس ادمانا على الخمر فاستعملوا لازالة
الرائحة مضغ فروع شجر يقال له الشعلوب فكانوا
يشربون كفايتهم ثم يمضغون منه فلا تشم من افواههم
رائحة الخمر البتة وهذه عوائد ارتكزت فى طبائعهم
وامتزجت بدمهم ولحمهم فصارت سنة متبعة وان
كانت فى الاسلام محرمة ومن عوائدهم ان الرجل
اذا تزوج وكان فقيرا ام لم يواسوه اهله الاغنيا وجاء
يوم وليمة يعمد الى مرعى المواشى حتى يجد ماشية
اقرب الناس اليه فيعقر منها ما يكفيه لوليمة ثورا او ثورين
او بعيرا ان كان صاحب ابل وان لم يكن شيء من ذلك
ذبح اكباشا على قدر كفايته فان فطن رب المال له
ومنعه قبل العقر ربما قاتله الا ان يغلب وان شح
وطلبه للقاضى يلزمه القيمة فيدفعها له على التدريج
ان لم يكن متيسر الحال ومن عاداتهم ان الغلام
اذا اختتن يجتمع عليه يوم سابع ختنه جميع غلمان البلد
وغيرهم ممن لهم قرابة او معرفة ويأخذون السفاريك
ويخرجون فى بلدهم والبلاد القريبة منها فلا يرون
دجاجة الا قتلوها وان قدروا على ضبطها بالحياة اخذوها
حتى يجتمع عندهم دجاج كثير ولا يقدر احد من الناس
يعارضهم فى ذلك وكل من عارضهم ضربوه وهم صغار

لانقام عليهم شريعة ومن عاداتهم ختن البنات
لكنهم فى ذلك على اقسام فمنهم من لا يرى ذلك ابدا وهم
اعجام الغور ومنهم من يخفض خفضا خفيفا كعادة اهل
مصر وهم اكابر الناس ومنهم من ينهك الخفاض حتى يلتحم
المحل بعضه ويجعلون لمسلك البول ما سورة من صفيح
وهولاء اذا زوجوا ابنتهم لا يقدر الرجل على افتضاضها
حتى يشقون له المحل بالموسى وعلى ذكر الموسى تذكرت
ما وقع لبعض بنات اكابر المصريين وكانت من
الفصاحة بمكان واتفق انها سافرت مع زوجها
لبلاد الصعيد وطال شعر عانتها ولم تجد نورة تزيله
بها فارسلت الى اخيها مكتوبا فيه بعد التحية شعر

اشكو الصعيد اليك •	فانه ارض بوسى •
فقدت هرون فيه •	فابعث الى بموسى •

فهرون مقلوب نوره ارادت انها لم تجد نورة ويجب
ان تزيل الشعر بالموسى وهذا من غاية الفصاحة
واللطف وهنالك نساء لهذا المعنى وفى وقت الولادة
كذلك ايضا وهولاء اكثر بنات الفقراء المنهمكات
مع الرجال دائما ويفعلون ذلك خوفا الافتضاض من
الزنا ومع ذلك يقع الحبل فيهن وهن على تلك الحالة
وفى خفاض البنات يعملون افراحا عظيمة ويولمون
الولائم العظيمة ومن عاداتهم ان اقارب البنت

المخفوضة من الرجال يقفون خارج المحل التي تخفض فيه البنت والنساء يكن عندها فان صوتت وقت الخفاض وصاحت لعنوها وتركوها وان صبرت وهبها كل من اقاربها على قدر حاله وقرابته فمنهم من يهب لها بقرة ومنهم من يهب بقرات ومنهم من يهب لها رقيقا ومنهم من يهب لها شاة او شياها حتى تصير من ربات الثروة وابوها وامها يهبان لها الكثر من جميع الناس ان كانوا اغنيا ومن عادتهم ان يثقلوا مهور البنات فربما تزوجت البنت الوسيمة من الفقراء بعشرين بقرة وجارية وعبد فياخذ الاب والام جميع ذلك ويعقدون العقد على جذعة من البقر ولذلك يفرحون بولادة الاناث اكثر من ولادة الذكور ويقولون ان الانثى تملا الزريبة خيرا والذكر يخربها ومن عادتهم ان البنت اذا تزوجت تمكث بعد الدخول بها في بيت ابيها سنة او سنتين ولا يمكن خروجها لبيت زوجها الا بعد جهد جهيد والنفقة في تلك المدة على ابيها وما ياتي به الرجل في تلك المدة يكون على سبيل الهدية ومن عادتهم ان الرجل اذا خطب بنتا وكان قبل ذلك له اختلاط بابيها وامها وكانت لها اختلاط بابيه وامه ايضا تذهب تلك المخالطة ويستوحش كل منهم من الآخر فبعد ذلك اذا راى الرجل ابا البنت

المخطوبة

المخطوبة او امها يفر من الطريق التي هو عليها وهما كذلك وكذلك البنت تفر من مسارات اباه او امه وفي اثناء ذلك اذا دخل الرجل البيت يرسل السلام لام البنت اما مع البنت او اختها او جارية في البيت ونحو ذلك وهي ترسل له السلام ايضا ولا يتلاقيان ولا يزالون كذلك حتى يبنى بها فبعد سابع يوم من البنا يخرج ويقبل راس حماه وحماته ويجتمع عليهما وكذلك البنت ومن عادتهم ان كلا من الزوج والزوجة يرى اقارب زوجه كاقاربه فيحترم الرجل حماه ويخاطبه ياابت وام امراته يخاطبها باامي واختها ياختي وهي كذلك ويرون ذلك من أكد الحقوق عليهم

الفصل الرابع في معاملة اهل دارفور

قد تقرر في علم التوحيد ان الحق تعالت اسماؤه غني عن المحل والمخصص فهو صاحب الغنا المطلق لا يحتاج الى احد من خلقه وجميع الخلائق لفضله محتاجون ولنواله سائلون وعلى ابواب رحمته مزدحمون فنظر لهم بعين رحمته ووهب لكل منهم ما يقوم به وبعائلته وفضل بعضهم على بعض في الرزق فجعل منهم الملوك ومنهم الغني ومنهم الصعلوك وجعل لهم اسبابا يتبعونها في طلب الارزاق وامر بالسعي والاجتهاد دون الاملاق ومن عظيم منته

ان جعل البيع والشراء حلالا بين الناس ليتناولوا ما في نفوسهم
ويذهب عنهم الباس فجعل في البلاد المتمدنة النقدين
قرة للعين يتناولون بها ما يحتاجون في امور معاشهم
ويضطرون اليه في ارتياشهم وخص سبحانه وتعالى
كل مملكة بسكة معروفة ودراهم ودنانير بينهم مألوفة
لكن لما كانت اهل السودان في بون عن التمدن العظيم
وفي ظلمة وحشية كالليل البهيم كان اغلبهم لا يميز
الذهب من النحاس ولا القصدير من الرصاص حتى من
كان في بلادهم معدن الذهب يبيعونه تبرا ويرون
ان بيعه كذلك احرى وسيما مملكة دارفور ليس بها
شيء من المعادن الا ما جلب اليها من الاقطار حتى ان
اعظم حلى نسائهم كما تقدم من انواع الاحجار فهم جديرون
ان يكونوا بمعزل عن المعاملة بالفضة والنضار
لكن لما وطئت بلادهم التجار وتمصرت بالمتاجر
فيها الامصار احتاجوا الى سكة بها يتعاملون
ويشترون بها ما يشتهون فانقسموا الى ذلك اقساما
واذهب كل قسم منهم بما اصطلح عليه من المعاملة واما
فاولها الفاشر وهو مقر السلطنة وتخت المملكة
جعلوا من القصدير خواتيم يشترون بها ما يحتاجونه
من لحم ودجاج وطيب وحطب وخضراوات وغير ذلك
وتسمى بالفوراوية تارنية وهي على قسمين غليظة

وتسمى تارنية تونقاتية ورقيقة وتسمى تارنية بيتيا
يتعاملون بها في سفاسف امورهم كما ذكرنا والامور المهمة
يتعاملون فيها بالتكاكي جمع تكية وهي شقة من غزل
قطن طولها عشرة اذرع وعرضها ذراع وهي على نوعين
شبيكة ومنسوجها خفيف غير مندمج وكنكات
ومنسوجها ثخين مندمج فمن الاول كل اربع تكاكي
بريال فرانسه ومن الثاني كل اثنين ونصف بريال
فرانسه وما عدا ذلك فبيعهم كله استبدال الشيء
بشيء والامور العظام عندهم تباع بالرقيق فيقال
هذا الفرس بسداسيين او بثلاثة سداسيات
والسداسي عندهم العبد الذي اذا قيس بالشبر من
كعبه الى شحمة اذنه كان طوله ستة اشبار والسباعي
كذلك وقيمة السداسي من التكاكي ثلاثون تكية
ومن الثيران الزرق ستة ومن البيض ثمانية
ومن البقر ستة ومن الريالات الفرانسا عشرة
ريالات وكل انسان يشتري بما عنده ولا يعرفون المحبوب
ولا القرش ولا الفرانك ولا الخيرية ولا شيء من
معاملة اهل المدن سوى الريال الفرانسا المسمى
ابا مدفع واما اهل كوبيه وكبكابيه وسوق الدجاج
فانهم يتعاملون بالخرش وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع
منه اصفر ومنه ازرق يجعلونه سبحا كل سبحة مائة حبة

وقد قدمنا الشرح عليه في حلي النساء وزينتهن فيتعاملون
في سفاسف الامور عوضا عن التارية في الفاشر
ومن العجائب ان التارية في هذه الاسواق الثلاثة لا تشترى
شئ تمام المعاملة من خمس حبات الى مائة ومن سبحة
الى عشرة الى ما لا نهاية له وقيمة التكية عندهم ثمان سبح
وبقية الاحوال كالفاشر واما قرلي وما والاها
فيتعاملون بالفلقو وهو ملح صناعي يستخرج ترابا من
الارض ويصبون عليه الماء ويقطرون ماءه ويلقون
المقطر منه في قوالب كالاصابع فيجمد بعد برودته
ويصير كالاصابع وقد شاهدت محال استخراج هذا
الملح ورايت اواني التقطير ولا نعلم من اوصل هذه
الصناعة اليهم واما اهل البلد لا يعلمون ايضا بل
تقارى امرهم اذا سئلوا او قال لهم قائل من علمكم هذه
الصناعة ان يقولوا شيء وجدنا اباءنا يفعلونه
نفعلناه ولا نعرف اول من صنعه ولقد عاملت بهذا
الملح واشتريته وله لذة عجيبة في طعمه تخالف لذة
الملح الطبيعي الا انه غير شفاف وفيه سمرة وانواع
الملح في دارفور ثلاثة زغاوي وهو ملح طبيعي يخرج من
بئر الزغاوي وقد قدمنا ذكره وميدوبي وهو ملح طبيعي
ايضا الا ان لونه احمر كالدم ويستخرج قطعا كبارا
كاحجار الطاحون في العظم والاستدارة ولثقله لا يحمل

بلغ

اجمل

اجمل منه الا حجرين وله طعم لذيذ اكثر من النوعين
الاخرين واغلا ثمنا منهما ولا نعلم ما سبب احمراره وبالجملة
فاعلا الاملاح الميدوبي واصلحها واوسطها الفلقو
وادناها الزغاوي فاهل سوق قرلي وما والاها
يتعاملون بالملح الفلقو في سفاسف امورهم كالحرش
في كوبيه والتارية في الفاشر ولا يباع عندهم الملح
بكيل ولا وزن بل بالاصابع فيقال هذا الشيء بفلقوية
بفلقويتين بثلاث فلقويات وهكذا وباقي الامور هم
كغيرهم واما سوق كسا فيتعاملون فيه بالدخان
ويسمى بلغتهم تابا كما يسمونه الافرنج وهذا الاتفاق
من العجائب ولا خصوصية لاهل دارفور بل جميع السودان
يسمون الدخان تابا واما اهل غزان واهل طرابلس
المغرب فيسمونه تابغا وفي سنة ١٢٣٤ رايت قصيدة
لبعض البكريين في حل شرب الدخان واظن تاريخ
كتابتها في وسط القرن الثامن من الهجرة يقول فيها

وقد ظهر الله القدير بمصرنا | نباتا يسمى التبغ من غير مرية

بتاء مثناة وباء موحد وغين وضبط الغين لها بفتحة
ومنها

ومن يدعي التحريم جهلا فقل له | باي دليل ام باية آية

وليس بها سكر والله ذمها
فقولك بالتحريم من اى وجهة

ومنها
فان تنتشق دخانها فترى الشفا
فلا تنس نسم الله او لم صحة
وقل بعد ذاك الحمد لله وحده
نحمدك للمولى يزيدك نعمة

اه وهو اقماع اهرامية الشكل مصنوعة من ورق
الدخان بعد دقه وهو اخضر في مهراس من خشب
حتى يصير كالعجين ويجعلونه اقماعا ويجففونها في الشمس
وبعد جفافها يبرزونها الى سوقهم ويتعاملون بها
في سفاسف امورهم وهذا الدخان قوى الرائحة
يكاد اذا شمه انسان ان ياخذه الدوار ومن هذه
الاقماع يعمل النشوق ولا تصلح الا لذلك بل لا تصلح
للشبق اصلا وهذه الاقماع منها ما هو كبير ومنها
ما هو صغير فكبيرها كالكمثرى وصغيرها
كصغيرها واما كريبو والريمو والشعيرية فانهم
يتعاملون فيها بالربط وهى ربط غزل من قطن طولها
عشرة اذرع وفيها عشرون فتلة لا غير فيتعاملون
بالربط في سفاسف امورهم ويتعاملون في الامور
التافهة جدا بالقطن كما يجنى من شجرته اى بغلافه

لف

التى خرج منها فيتعاملون بقطع منه كاوقية واوقيتين
وثلاث اواق على سبيل الحدس والتخمين لا بالوزن
والامور المهمة كباقى الاسواق واما سوق غليه وما
والاها فمعاملتهم بالبصل يتزون به جميع امورهم
التافهة والقطن ايضا والربط وباقى امورهم بالتكاكى
ولا يعرفون الشواتر ولا الريالات واما سوق
راس الفيل فبالحشاشات وهى قطع من حديد مصنوع
صفايح ولها ابنوبة وصورتها هكذا



فيدخلون في طرفها الابنوبى
قضيب ويحرثون بها الزرع
فتقطع الحشيش الذى في الزرع
ولذلك سميت الحشاشات
فيتعاملون بها في سفاسف امورهم وثمنها من حشاشة
الى اثنين الى عشرين وما زاد على ذلك فبالتكاكى والشواتر
كباقى الأسواق واما لمو ركه فمعاملتهم بدمالج النحاس
في مهمات امورهم وبالخدور في سفاسف امورهم
وقد تقدم تعريف الدمالج والخدور في حلى النساء
فلا اعادة واما اهل القود فيتعاملون بالدخن
في سفاسف امورهم كلها كقبصة وحفنة وحفنتين
الى نصف مد الى مد وباقى امورهم المهمة بالتكاكى
والريالات كباقى الاسواق واكثر ما يتعاملون به البقر

فيقولون هذا الفرس بعشر بقرات او بعشرين
فانظروا ايها المتأمل الى اهل مملكة واحدة كيف تنوعت
معاملاتها واختلفت احوالها فترى هؤلاء يرون شيأ
حسنا وهؤلاء يرونه قبيحا والملك لا يحكم عليهم باجراء
معاملة واحدة في جميع هذه الاسواق بل ابقى كل قوم على
ما اعتادوا فسبحان الفعال لما يريد ولنمسك
عنان القلم عن الركض في ميدان المعاملات لان
ما ذكرناه فيه كفاية في الاعتبارات

الفصل الخامس فيما ينبت في دارفور من النبات

اعلم ان الغني عن المتى والاين والكيف المنزه عن
الجور والظلم والحيف قسم الاشيا وعدلها وانزل كلا
منها منزلها فجعل في البلاد الشمالية البرد الشديد
وفي الجنوبية الحر الذي ما عليه من مزيد لكن لرحمته
بعباده منّ على اهل الشمال بالدفء بالملابس وبا
وبالاكنان التي لا يبرد فيها الجالس ونظر لاهل الجنوب
بعين الاسعاف والتلطيف فجعل المطر يأتي لهم وقت
اشتداد المصيف ولما كانت اهل الفور من هذا القبيل
وفي وقت الصيف يشتد فيها القيل كان مدرار
الوبل مطفئا لوهج ذلك الحرور لطفا من العزيز الغفور
فيزرعون على مطر الصيف ويسمون ذلك الفصل
بالخريف فلذلك لا يزرعون برا ولا شعيرا ولا فولا

ولا

ارض مم

ولا عدسا ولا حمصا ولا ينبت عندهم المشمش ولا الخوخ
(ولا التفاح)
ولا الرمان ولا الزيتون ولا البرقوق ولا الكمثرى
ولا الاترج ولا الليمون الحلو ولا البرتقان ولا اللوز
ولا البندق ولا الفستق ولا الجوز ولا الزعرور
ونحو ذلك بل يزرعون الدخن وهو حب صغير اصغر
منه يقتاتون هم ودوابهم ومواشيهم فهو الغذاء
الرئيس عندهم ويزرعون الذرة على اختلاف انواعه
ويسمى عندهم الماريق وهو انواع فنوع منه يسمى
العذير وهو الذرة الحمرا ونوع يسمى اباشلوله وهو
الذرة البيضا ونوع يسمى ابا اباط وهو الذرة الحمرا
المعروفة في مصر بالذرة الشامي ولا يزرع القمح عندهم
الا في جبل مرة لكثرة الامطار فيه او في كوبيه وكبكبيه
ويسقونه من الابار حتى يتم نضجه كما تقدم ذلك كله
والدخن عندهم نوعان نوع يسمى دنبي وهو ما يزرعه
اعجام الفور في البلاد في الجبال وغيرها وهو حب كالدخن
المعتاد الا انه يميل الى البياض وسنبله اغلظ منه وينضج
زرعه قبله بنحو عشرين يوما وهو قليل في سهل دارفور
ولا يالفونه كالدخن الا صغروا واما انواع الذرة فلا
يالفون منها الا الابيض ومع ذلك لا يكثرون من
تناوله واما ابو اباط فيزرعون منه قليلا للشهوة
فياكلونه مشويا ولا يخزنون منه حبا واما العذير

فهو بغوض عندهم لا يأكله الا الفقرا وعند الاضطرار
وينبت عندهم في البرك والغدران ارز ينبت بدون
زارع فيجمعون منه ما قدروا عليه في ايام الربيع فيطبخونه
باللبن من قبيل الترفه وعندهم نوع اخر يقرب من
الارز وليس بارز ويسمى بالدفره وهو حب صغير
اصغر من حب الارز وفيه بعض خرطحة شديد البياض
بالغونه اكثر من الارز ويزرعون من السمسم شيئا كثيرا
ومن العجب انهم لا ينتفعون منه بزيت بل يأكلونه حبا
ويطبخون منه في اطعمتهم كما ان النحل كثير عندهم
ولا ينتفعون بشمعه بل يعصرون عسله ويرمونه
وهم احوج الانام اليه والى زيت السمسم لانهم يستصبحون
في بيوتهم بالحطب ومع كثرة الحطب عندهم لا يفحمون
منه فحما ينتفعون ولا يعرفونه ويزرعون اللوبيا
والبطيخ مع الدخن سواء فاما اللوبيا فهي كاللوبيا
بارض مصر الا انها اكبر لانها عندهم تقرب من حب
الفول المصري واما البطيخ فانه صغير اللحم الحجم
كالبطيخ الذي يكون في اخر فصل البطيخ في المقاث
فاذا كسر يكون غير نضيج لكن الذي في دار الفور مع
صغره نضيج ولهم في البطيخ ثلاث منافع الاولى
انهم يأكلون منه حال نضجه كما نأكل بطيخنا ويشربون
ماءه كذلك الثانية انهم يأخذون البطيخة

وينزعون قشرها بالسكين ثم يقطعونها اربع قطع
ويتركونها حتى تجف فيخزنون منه من هذا القبيل شيئا
كثيرا وفي وقت الاحتياج يدقونه في مهراس من
خشب حتى يصير دقيقا فيعملون منه حسوا يشرب
وتسمى عندهم مديده وهي المسماة بعرف الاوربا بالكريمه
وربما اكلوا منه بغير دق ولا طبخ الثالثة انهم يجمعون
من البزر شيئا كثيرا ويخزنونه ويدقونه وقت الاحتياج
وينسفون قشره ويأخذون اللب فيطبخونه في ادمهم
او يجعلون منه الكريمة ايضا ويزرعون البصل
والثوم والفلفل وهو حب صغير والكسبرة وحب الرشاد
في كوبيه وكبكابيه وفي اودية جبل الفور كما تقدم
ويزرعون القرع بانواعه ويزرعون نوعا من القثا
وفي كوبيه وكبكابيه يزرعون الخيار والفقوس
الطويل والباذنجان والملوخية والبامية وفي غيرها لا
لا. وهناك واد بين البلد المسماة بمربوطه والفاشر
يسمى وادي الكويفيض وقت الخريف من كثرة الامطار
فلا يعبره الا من يعرف السباحة وفيه تيار شديد
فاذا فاض هذا الوادي وطفا الماء على شاطئيه
ثم نضب ينبت فيه من البامية شيء كثير فيزرعون
له من الجهات القريبة له ويجمعون تلك البامية
ويجففونها ويدخرونها لادمهم العام كله وهذا

الوادي يشق دارفور بالعرض من اولها الى اخرها ومنشاؤه
من جبال مرة وعلى شاطئيه سياج من شجر الصنط واذا
فاض يعم من كل جهة من جهتيه ما ينوف عن فرسخين
الا ان بعض المحال منه تغمره الرمال وسعته في بعض
المحال كخليج مصر وفي بعضها اوسع بمرتين ويأخذ
المسافر على شاطئه نحو عشرين يوما وانما ذكرت
انه بين مربوطة والفاشر لاني مررت به كثيرا من
هناك والا فهو ممتد كما ذكرت ويزرعون فولا قرونه
تكون تحت التراب وليس كالفول المسمى في مصر بالسوداني
الآن لان ذلك فيه الوان عجيبة من احمر ناصع واصفر
وابيض وبني كما تقدم ذلك واما الاشجار فليس
عندهم من الاشجار المعروفة الا النخل وهو في كوبيه
وكبكابيه وصرف الدجاج وتُلبيه كما تقدم ذلك في الكلام
على جبل مرة وفي تملبيه بعض شجر من الموز وفي قرلي
شجرات من الليمون الحامض وبقية الاشجار الموجودة
هناك كلها نابتة طبيعة في الخلاء فاعظمها منفعة
الهجليج وهو شجر يعظم كما يعظم الجميز في ارض مصر
اوراقه بيضية قليلا وله ثمر كالبسر الغليظ احمر
يميل الى الصفرة حلو الطعم ببعض مرارة وله رائحة
خاصة به ولهذا الثمر غلاف ابيض يكون عليه
وهو قشرة ليست بالغليظة ولا بالرقيعة فينزعونها

ويطحنون

ويمصون الثمر مصا لانه خشب مكسو بشيء كالطلاء
يمتص او يبل بالماء فاذا ذهب صار الخشب ابيض
وهو غلاف لشيء كالصنوبر هيئة وباطنا الا
انه اكبر منه حجما لكنه مر الطعم فينقعونه في الماء نحو
ثلاثة ايام فتذهب مرارته وياكلونه على كيفيات
مختلفة ولشجر الهجليج هذا منافع لا توجد عندهم
في غيره من الاشجار لا يرمون منه شيئا بل ينتفعون
بجميع اجزائه فاما ورقه فانهم يطبخون الطري
الغض منه في ادمهم واذا كان بانسان جراح فيه
دود يمضغون من هذا الورق حتى يصير كالعجين
وينفخونه في الجروح فينقي من الدود وينظف من
اللحم النتن ويأخذ في البرء واذا اخذ ثمر الهجليج وهو
اخضر وهرس في مهراس حتى صار كالعجين نفع
كالصابون في غسل الثياب فان له رغوة كالصابون
ينقي الاوساخ وينظف الثياب المغسولة به الا انه
يصفرها واذا لم يكن وقت الثمر تؤخذ جذور
الشجرة وتدق ويغسل بها فتفعل ذلك وخشبه
يستصبح به في البيوت بالليل عوضا عن السراج
لانه لا دخان له ومن خشبه تعمل الواح القراءة
ومن رماده يعمل الكنبو وهو ملح سائل يؤخذ من
الرماد المذكور ويطبخ به الادام مرارا وذلك

عند اعوازهم للملح لعلته وغلوه والنبق وهو نوعان عربي
وكردنو والثاني انفع من الاول لانهم يجففونه وينحتون
جلدته الظاهرة ويعملون منها اقراصا ويجففونها
وياكلونها عند عدم النبق ويكسرون نواه فيخرج
منه بزر صغير يجفف في الشمس ويطبخ بالعسل
فيصير لذيذا ويسمى كنيكنا واذا مضغ من به دود
القرع من ورق النبق الكردنو وازدرد ريقه قتل دود
القرع واخرجه ميتا والتبلدي وهو شجر عظيم ضخم
اجوف الجذع ينبت في الغابات واهل البادية اذا اشتد
بهم العطش في غير وقت الأمطار ياتون الى التبلدي
فيجدون في تجويفه ماء مجتمعًا من المطر فيشربون
منه ويذهب اوامهم ولهذا الشجر ثمر مستطيل كبير
كالاكواز في باطنه بزر احمر كحب الترمس في الحجم وكبزر
الخرنوب في اللون الا انه في وسط دقيق ابيض حامض
الطعم يستف منه فيوجد مزا والاستفاف منه على
الريق يقبض اطلاق البطن وتعمل منه الكريمة
مع الدقيق فتصير لذيذة وشجر المدب وهو المسمى في عرف
مصر بالجوز الهندي الا ان هذا الشجر لا يوجد في جميع
دارفور بل لا يوجد الا في الجهة الجنوبية منها ويسمى
في عرف الفور بالدليب وهو شجر طوال كالنخل او اطول
وينتج جوزا كبيرا اذا كسر غلافه وجد ما في باطنه

في غاية اللذة لا سيما قبل تمام نضجه فانه يكون كاللبن
مع الحلاوة واللذة ومن اشجارهم الحميض وهو شجر
شائك كاضخم ما يكون وله ثمر كالتفاح الكبير الا ان له
عجما وفيه حموضة لذيذة ولونه ابيض يميل الى الصفرة
ومن اشجارهم الدوم وهو شجر معروف في صعيد
مصر ويسمى بالمقل ايضا ومن اشجارهم العندراب
وهو شجر متوسط في الطول والغلظ يحمل ثمرًا
اشبه بعنب الذيب الا انه احمر قاني الحمرة ولا عجم فيه
وهذا الثمر حلو الطعم جدا ينضج في اول فصل الدرت
اي الربيع بلغتهم وهو اول فصل الخريف عندنا ومن
اشجارهم العقديم وهو شجر اشبه بشجر الرمان يحمل ثمرا
صغيرا ذا فلقتين عليه جلدة حمراء ناصعة الحمرة
في غاية الحلاوة وعجمه كبير ولا اجد له شبيها في فواكهنا
أشبه به ومن اشجارهم البطوم وهو شجر كبير
هائل في الكبر والضخامة يعظم جذعه حتى يكاد
ان لا يكتنفه الرجلان اذا فتحا باعيهما ومن
اشجارهم شجر المخيط وهو شجر صغير يحمل ثمرا كالنبق
فيه مرار فيؤخذ وينقع في الماء اياما فتذهب
مرارته فيرش عليه الملح ويطبخ ويؤكل ومن الناس
من يجففه بعد النقع ويسحقه حتى يصير دقيقا
ويعمل منه عصيدة وهذا الفعل خاص بايام الغلاء

واشتداد الكرب ومن اشجارهم اللولو وهو شجر يقرب
من شجر الجوز المسمى بعين الجمل يحمل ثمرا كثمر ابى فروة
الا ان ثمر ابى فروة فيه تفرطح وهذا كى البندق لكنه
اكبر من البندق في الحجم يساوى حجم ابى فروة وابو فروة
هو المسمى في بلاد الترك بالكاستنا وفي تونس بالقسطل
ولهذا الثمر لب دسم ولا يوجد الا في الجهة الجنوبية في اواخر
دارفور اى في جهة بلاد الفرتيت واهل تلك الناحية
يعصرون منه زيتا ولقد رايته فوجدته اكثر شبها
بالسيرج في الهيئة وبزيت الزيتون في الطعم فيدهنون
منه ويجعلونه اداما في اطعمتهم ويوجد الخروب والجميز
لكنهما رديئين لا ينفعان بشئ ويزرعون القطن
بنوعيه البلدى ويسمى عندهم بالغزلي والهندى ويسمى
عندهم بلوى وينتفعون منه اتم المنافع لان منه كساوهم
وبه معاملتهم كما قدمنا ذلك في باب المعاملات واما
الاشجار التى لا يؤكل لها ثمر فكثيرة جدا تكاد ان لا تدخل
تحت حصر ولكن نذكر اشهرها وانفعها فنقول
من انفعها العشر وهو شجر قصير متعدد الفروع جذعه
مكسو بشئ ابيض كالشحم اذا مرس بين الاصابع تفتت
وورقه كبير واذا كسر يخرج منه عصارة بيضا كاللبن وله
ثمر كالكرة باطنه ممتلئ بشئ كالزغب او الحرير يتطاير
في الهوا لخفته ولهذا الشجر منافع منها ان عصارته اذا وضعت

على

على جلد حيوان ازالت شعره في الحال ويجود لحاءه فيوجد
فيه خيوط رفيعة كالحرير فيجمع ويفتل منها خيوط تنفع
لخرز القرب ويفتل من اللحاء حبال فتنفع للربط والحمل
والوبر الذى في الثمر تسد به خروق القرب ومن عادتهم
اذا سرقوا حمارا او فرسا وارادوا تغيير شعر مواضع
منه يدهنون المحل الذى يريدون تغييره بهذه العصارة
فيذهب الشعر ويخلفه شعر ابيض فيشتبه على اربابه
لكن منهم من يعرف ذلك للاعتياد به وخشبه خفيف
كخشب العشر ورايتهم يسودون البارود بفحمه وفي
اسبيتالية ابى زعبل شجر منه وفي الصعيد كثير منه
ايضا ومنها شجر يسمى الحشاب وهو شجر ذو شوك
ومنه يؤخذ الصمغ العربى ولا ينبت الا في المحال
المعطشة ولقد رايته واجتنيت منه الصمغ لينا مثله
كالعلك وينبت في الاماكن المعطشة الرملية ومنها
الصنط وهو شجر القرظ وهو شائك ضخم ومنها
الكتر وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة وشوكه
كالسنارة وله صمغ يجتنى منه لكن صمغ الحشاب اعلا
واحسن منه ومنها اللاووت وهو شجر صغير ذو شوك
صغير وفروع كثيرة فيه اخضرار لا يفارقه وانا جعه
اذا قشر لحاؤه تشم منه رائحة كريهة خاصة به
ومنها القفل وهو شجر ليس بالكبير ولا بالصغير لكن

الكثرة ينبت في الجبال ومنها الحراز وهو شجر هائل ضخم ذو شوك
يعظم جذعه حتى لا يعتنقه الرجلان اذا مدا باعيهما وظله
ظليل حتى ان منه ما يجلس في ظله مائة رجل واكثر وقد
قدمنا ذكره لمناسبة عرضت وان كان هذا محله وبالجملة
فالاشجار التي لا يوكل لها ثمر تنفع في امور أخر فانهم
يقطعون منها الاخشاب لبيوتهم اما السنط فقرظه
للدباغ وشجره الطويلة عمد لبيوتهم واما اللؤوت
فلحاؤه يربطون به سقف البيوت وفروعه يجعلونها
في السقوف وفي الصريف والصريف عندهم عوض عن
الحائط عندنا واما الكتر والحشاب فياخذون
منهما الصمغ ويقطعون شوكهما يجعلون منه الزرائب
لمواشيهم وبيوتهم لان لكل بيت زريبة وهي كناية
عن السور وصريفا وهي كناية عن الحائط والبيوت
في الوسط اشبه شيء بالخيم والطوزلك المضروب حولها
والبيوت اما من قصب الدخن او من قصب رفيع
يسمى المرهبيب والثاني لا يعمل الا للاغنيا واكابر الدولة
وهو قصب ناعم قليل الانابيب رفيع كالمسمار ابيض
يميل الى الصفرة ذكي الرائحة خصوصا بعد نزول المطر
واما دار فرتيت وهم مجوس السودان المحاذون لجنوب
دار فور فينبت فيها الابنوس والعنا ومنها يصنعون
اعواد حرابهم واكثر اعواد حراب اهل الدولة في دار فور

من العنا وهو جميل جدا ويجلب من دار فرتيت واما
النباتات التي فيها الخواص فمنها شجرة كيلي وهي شجرة
متوسطة لا شوك فيها تثمر ثمرا كالزعرور الا انه
خشبي يوخذ الثمر وينقع في الماء ويسقى للمتهوم ولون
هذا الثمر كلون الرمان الحامض اذا اجف والتعلوب
وهو شجر نصف خشبي كثير الفروع لينها ورفيعها تمتد
فروعه وتشتبك بعضها متراكمة حتى تصير الشجرة
وحدها كالاكمة وله ثمر كالبلح الكبير الاخضر ولا عجم فيه ولا
نوى فيه وفيه مادة عصارية بيعضا ببعض لزوجة
لطعمه بعض حلاوة ابدا وحرافة انتها اخضر لا يفارق
لون الخضرة ولو جعل ذا مضغه شارب الخمر ازال
ريحها وقد تقدم ذلك ومنها دفره وهو نبات
حشيشي ينبت في الاراضي الصلبة اوراقه رقيقة
فيها نوع استدارة اذا دق الورق في هاون وعصر ماؤه
في العين الرمدا المتورمة بالتهاب تماثلت ثلاثة ايام
صباحا ومساء أبراه ولقد كنت في سوق نمليه
في غاية رؤية الجبل ومسكت بيدي العلفة وصرت اعبث
به ثم هبت ريح فقذيت عيناي فدعكتهما بيدي ونسيت
امر العلفة فتألمت الما عظيما والتهبتا في الحال وتورما
فركبت وسافرت فلم اقدر على الركوب من شدة الالم
فدخلت في بلدة وبت عند امرأة عجوز فيها فلم اكتحل

بنوم وبت باقبح حالة وانقلب الجفنان وغلظا حتى خشيت
على عيني من العمى وصرت لا اعرف ما ينقذني من ذلك
فلما اصبح الصباح جاءتني العجوز صاحبة البيت ونظرت
عيني وتوجعت لي ثم قالت هذا امر سهل ثم دعت بابنة
لها صغيرة تكاد ان تكون ابنة سبع سنين او ثمانية
وقالت لها بلغة الفور اذهبي الى اسفل الجبل وائتيني
باوراق من النبات المسمى دقره فذهبت الصبية
وغابت قليلا ثم جاءت ومعها اوراق كثيرة فاخذتها
العجوز ودقت بعضها بين حجرين حتى صار كالعجين
وامرت بفتح عيني ومسك يدي ثم عصرت في عيني
من عصارة ذلك النبات فنزلت في عيني باردة
ثم ابتدا في عيني الاكلان بغاية الم حتى كانما في عيني دود
واريد ان احكهما بيدي فلا استطيع للضبط على فقاسيت
من ذلك مشقة حتى اضمحل الاكلان وجاءني النوم
فنمت واستغرقت في نومي مدة عظيمة فلم افق الا قرب
العصر فاحسست في عيني خفة وذهب الالم ولما
كان من الليل جاءت وعصرت لي من تلك العصارة
وبت بانعم ليلة وفي الصباح عصرت لي منها ايضا فانفتحت
عيناي وكاني لم ارمد ابدا بهما فذبحت اذ ذاك كبشا
سمينا وليمة لشفائي واعطيت العجوز جديا سمينا وبالجملة
فخواص النباتات في دارفور عجيبة حتى اني اخشى ان

ذكرتها يكذبوني ولا اجد لي شاهدا على ذلك واكثر الخواص
في الجذور وهناك معلمون بها يتبعون لهم تلامذة عديدة
الكثرة واوقاتهم مسافرون يصعدون اعالي الجبال ويتخللون
بطون الاودية يحفرون على النبات ويعلمون
تلامذتهم وهؤلاء القوم يسمون بالمعراقيين ولهم
في دارفور شان ولهم معاندة مع بعضهم كل منهم
يريد ان يرتفع صيته وجميع الجذور التي ياخذونها
يضعونها في قرون الغنم بل وفي قرون البقر وهي على انواع
منها ما هو للمحبة والقبول والجذور التي لذلك تسمى
نارة وكان في ايامنا اشهر الناس بها رجل يسمى بكرلوكو
وكان مقره بجديد السيل وكان من عشق صبية
وامتنعت عليه بغضا فيه ذهب الى بكرلوكو فاخذ منه
نارة ودلك بها وجهه ويديه وذهب الى محبوبته
ومسح بيده على كتفها او شيء من جسمها وقع حبه في قلبها
بحيث لا تقدر تفارقه فيفعل بها ما يريد وان خطبها
وابا ابواها فرت معه حيث يريد وتزوجته قهرا عنهما
ومن كان له حاجة بباب الملك وخشي ان لا تقضى
وذهب الى بكرلوكو واخذ منه قطعة من النارة ودلك
بشيء منها بين كفيه ومسح على وجهه احبه الملك وقضى
حاجته وان كان ضامرا له سوءا واشتهر بكرلوكو
بهذا الامر حتى ان النساء ليغنين به ويقلن

ويقلن بكرلوكو كان ابا بنيتين بسدا ومعناه ان بكرلوكو
ان اراد ان يرخص مهور البنات يجعل الرجل يتزوج بنتين
بسد اواحد والسد اهو عشرة اذرع غزلا قياما ومما
اتفق لي في ذلك انه في يوم من الايام جاني رجل معه ناره
يدعي انها عظيمة جدا وانه اخذها من بكرلوكو وعرضها
علي للشرا فقلت له يا هذا انما يحتاج الى الناره من تبغضه
النساء وانا في شبابي هذا وتيسير حالي لو اردت ابنة
الملك لما تعذرت علي فكيف بغيرها ويحتاج اليها من
يخشى سطوة الملك وانا في امن من ذلك لاني غريب
وشريف ولي عند الملك حرمة فاعرضها على غيري
فهو اولى بها مني لاني انا في نفسي ناره فما اصنع بالناره
ومنها ما يستعمل للمضرة وهو على انواع نوع يستعمل
لقتل العدو وكيفية ذلك ان يوخذ الجذر الذي فيه
خاصية القتل ويغرز في ظل راس المراد قتله ففي الحال
يتاثر ويلتهب المخ ويبقى الشخص لا يعي شيا فان لم
يتدارك سريعا بضد ما فعل له مات واذا اريد
ابطال عضو منه يغرز الجذر في ظل العضو المراد ابطاله
كاليد او الرجل ففي الحال يتالم العضو ويلتهب وينتفخ
وربما حدث فيه غدة كغدة الطاعون وان لم يتدارك
سريعا ينفتح الجرح وينتهي بفقد احساس العصب
وبطلان الوظائف كلها واذا اريد ان يصاب بالدوار

وبالتي

وبالتي هناك جذور توضع على الجمر ويتلقى دخانها
ولو في كم الثوب ويطبق عليه طبقا جيدا ويتوجه
للشخص المقصود فيفتح كم الثوب ونحوه بقرب انفه
فتسطع رائحة دخان الجذر في انفه فيقع في الحال
حتى تبقى رجلاه اعلى من راسه فان لم يتدارك في الحال
بقي كذلك اياما ومنها جذور خاصيتها جلب النوم
وهذه الجذور تستعملها السارقون وتجعلها في قرون
فيدخل السارق بالليل على المحل واهله مستيقظون
فيشير اليهم بالقرن الذي فيه الجذر ثلاث مرات فيضرب
الله على اذانهم فلا يعون شيا فيدخل السارق وياخذ
ما يريد اخذه وربما ذبح الشاة وسلخها وشوى من
لحمها واكل ووضع في يد كل من ارباب المحل قطعة من
الكبد ثم اخذ ما اراد وخرج وبعد خروجه من الدار يفيقون
ويسال بعضهم بعضا عن الرجل الذي كانوا راوه فكل
منهم يقول رايته ولا ادري ما فعل فاذا بحثوا
في محلهم يرون انه ما ترك لهم شيا وقد فاز بما اخذ
فيعضون انا ملهم تلهفا وقد امتنع عليهم وبالجملة
فهذا الامر في دارفور مشهور لا ينكر وكنت
سالت عن تلك الخواص استاذي الفقيه مدني الفوتاوي
اخا الفقيه مالك الذي تقدم ذكره فاخبرني
ان الكتب المنزلة على ادم وشيث وابراهيم وغيرهم

من الانبيا دفنت في الارض وانبت الله هذه النباتات
في المحل الذي دفنت فيه وانتثر بزرها بهبوب الرياح في الارض
فعم نباتها وانتشر واستفيدت منها هذه الخواص بالتجربة
اقول وهذا نوع من انواع السحر وضرب من ضروبه ومنها
نوع يعمل بالكتابة والتعزيم على الاملاك العلوية والسفلية
ومن هذا النوع تظهر امور كثيرة خارقة للعادة ولقد
اخبرني الثقاة بدارفور انه في محاربة الخليفة للسلطان عبد الرحمن
كان للخليفة عدة رجال يعوسون بالبندق فسحرهم جماعة
السلطان حتى ان البارود كان يخرج من البندق كالمبلول
لا يسمع له صوت ورصاصه كان لا يضر وبندق جماعة
السلطان بعكسه في الصوت والضرر ومما وقع من هذا
القبيل انه لما توفي السلطان عبد الرحمن وولي ابنه السلطان محمد
فضل مكانه ابى عليه اولاد السلاطين كاولاد السلطان
تيراب واولاد السلطان ابي القاسم واولاد الخليفة واولاد
السلطان عمر وخرجوا عن الطاعة وركبوا خيولهم وخرجوا
الى القرى وجيشوا جيشا عظيما فخشي الشيخ محمد كرا من خلل
يقع في البلاد فدعا بالفقيه مالك الفوتاوي واعلمه بما
يخشاه من غائلة هذا الامر فضمن له ان ياتيه بهم الى بين
يديه اذلاء فاخرج الشيخ محمد كرا جيشا لنظر الملك محمد
دلدن ابن عمة السلطان محمد فضل وذهب الفقيه مالك فعمل
سحره ما عمل وكانت اولاد السلاطين في محل بينه وبين الفاشر

بلغ

مسيرة

مسيرة يومين فلما عمل فيهم السحر ركبوا خيولهم عند المساء
خوفا من الملك محمد دلدن ان يهجم عليهم بجيشه وارادوا
البعد فعموا عن الطريق وباتوا ليلتهم تلك سائرين
الى جهة الفاشر ولما اصبح الصباح وراوا انفسهم
بقرب الفاشر ندموا على سريانهم وسمع بهم الشيخ محمد
كرا فارسل لهم جيشا وحين ما وصل الجيش اليهم اطبق
عليهم جيش الملك محمد دلدن لانه في اثرهم ولما صاروا
بين العسكرين انهزمت الناس الذين كانوا التفوا عليهم
وبقي اولاد السلطان في نفر قليل فقبض عليهم الملك
محمد دلدن وتوجه بهم الى الشيخ محمد كرا فامر بهم الى السجن
واكتفى شرهم وكان ذلك من السحر ولولاه لجاسوا خلال
دارفور وعاثوا فيها واتسع الخرق على الراقع والمخصوص
بالاعمال السحرية في دارفور هي قبيلة الفلان ولقد
رايت منهم رجلا يقال له الفقيه تمرّ بفتح المثناة الفوقية
وضم الميم اخره راء مشددة مضمومة يذكرون عنه
امورا عجيبة ويضيفون ذكرها مع التصديق
لها حتى بلغت مبلغ التواتر الذي يمتنع تكذيبه فمنها
ما اخبرني به الثقة من فقهاء دارفور انه سافر مع الفقيه
تمرّ المذكور من جديد كريو الى الفاشر ذهابا
وايابا انهما لما كانا في اثناء الطريق اشتد عليهما حر
الشمس وكان الفقيه تمر راكبا على بعير له فاخذ ملائته

والملك محمد دلدن في اثرهم فما اصبحوا الا وهم تحت الفاشر

وضعها بين يديه وقرا عليها بعض اسما ثم قذفها الى
العلو فانفردت على راسه كانها ظلة وظللته هو
وصاحبه من حر الشمس كانها مضبوطة من اطرافها
بين رجلين وجعلت تسير على راسهما اينما سارا
كالمظلة وهذا من اغرب ما يسمع واعجبه ومنها
بينما هما سائران في سفرهما اذ اراد نزل عليهما المطر
فقال الفقيه عمر لخادم كان معهما ائتني بقبضة من
تراب فناوله اياها فاخذها وقرا عليها بعض اسماء
ونشرها حول راسه فانقشع السحاب وطفق المطر
ينزل عن يمينهما ويسارهما وهما يمشيان لا تنزل عليهما
قطرة ومما بلغني ان القبيلة المسماة بمسلات اقتتلت
في بعض الاحيان مع قبيلة الفلان وانهزمت الفلان
واقتفت المسلات اثرها فعمل الفلان شيأ من سحرهم
فسحروا اعين المسلات حتى كانوا يرون اثر الذهاب
معكوسا كانه اثر المجيء ولقد بلغني عن استاذي الفقيه
مدني الفوتاوي عليه سحائب الرحمة ان ملك البرنو كان له
كاتب جليل القدر ذو امانة وصدق على غاية من التقوى
والصلاح فجاءه الوزير الاكبر وقال له ان الملك
يامرك ان تكتب كتابا لفلان مضمونه كذا وكذا فابى
عليه وقال لا اكتب الا ان يقول لي السلطان بنفسه
او يرسل لي علامة تدل على صدق رسوله فذهب الوزير

الى السلطان واخبره بما قال له الكاتب فاحضره السلطان
بين يديه وقال له قد اذنتك ان تكتب على لساني جميع
ما يطلبه وزيري هذا فامتثل الكاتب الامر ولصدقه
كان معه الخاتم الذي تختم به الاوامر السلطانية وصار
يكتب له كلما اراد فجاءه مرة وقال له اكتب الى فلان
العامل بالبلد الفلاني ان يتوجه الى فلان العامل
بالبلد الفلاني ويقطع راسه ويستصفي امواله ويرسلها
صحبة راسه فكتب له والسلطان لا يعلم بشيء من ذلك
فما كان الا بعد ايام وقد امتلأت البطحاء التي هي امام
دار السلطان بالاموال والرقيق والماشية وراس
العامل موضوعة على سن رمح ووقفت لذلك ضجة
فسمع السلطان وسال عن الخبر فقيل له ان هذه راس
فلان العامل وامواله قد جيء بهما حسبما امرت
فانكر السلطان ذلك ودعا بالكاتب وقال من
امرك ان تكتب بقتل فلان واستصفاء امواله
قال له الكاتب انت فقال له السلطان في اي
وقت امرتك بذلك قال له جاءني وزيرك هذا وقال
لي اكتب الى فلان العامل بالجهة الفلانية ان يتوجه
الى فلان ويقطع راسه ويرسلها على سن رمح ويستصفي
امواله كلها ويرسلها فقال السلطان لم آمره بذلك
ولا علم لي به وكيف كتبت له ذلك بغير استئذان مني

فقال الكاتب ايد الله مولانا انك قد احضرتني بين يديك
في اليوم الفلاني وقلت لي امرتك ان تكتب على لساني
كلما امرك به وزيري هذا ولا تراجعني فامتثلت امرك
من ذلك الوقت وصرت اكتب له كلما امرني به فغضب
السلطان وقال اني لم أأمرك ان تكتب له في مثل هذا
الامر المهم بل امرتك ان تكتب له في الامور التي لا ضرر فيها
على الدولة أو مثل هذا الأمر يكون بغير استئذان
فقال الكاتب ان مولانا لم يستثن امرا من الامور
حينما امرني بطاعته فزاد غضب السلطان وامر
بالقبض على الكاتب فلم يقدر احد على القبض
عليه وما ذاك الا ان كل من مد اليه يده ليقبض
عليه يتيبس فلا يقدر ان يثنيها ويصير كانها
قطعة خشب فلما راى السلطان ذلك قال له
اعف عن هؤلاء فقال لا اعفو عنهم الا ان اعفاني
السلطان من الخدمة فاعفاه من الخدمة وعفا عنهم
هو ايضا فلانت ايديهم ورجعت كما كانت وهذا
مصداق قوله صلى الله عليه وسلم من خاف من الله
خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من
كل شيء ومما ينخرط في سلك هذه الاعاجيب
ما شاع على ألسنة اهل دار فور من ان هناك قبيلتين
من رعايا الفور احداهما تسمى مسلات والثانية

تيموركه يتشكلان باشكال الحيوانات لكن المشهور
ان مسلات تتشكل بشكل الضبع والهر والكلب
واما تيموركه فتتشكل بشكل السبع لا غير واعجب
من ذا ان هذه القبيلة يقولون عنها ان الميت
منها يقوم بعد ثلاث من قبره ويتوجه الى بلد
اخر ويتزوج بها ويعيش زمنا ولقد اشيع على
ألسنة اهل دارفور ان للسلطان طائفة من هذه
القبيلة يرسلها في مهمات اموره وان لها ملكا
حاكما عليها وربما يعقدون في هذه الطائفة حتى انهم
يقولون انها تتشكل بجميع انواع التشكلات حتى
ان الرجل منهم اذا ضاق عليه المجال وخاف من
القبض عليه يبقى ريحا ولقد ادركت حاكم هذه
الطائفة وكان يسمى على كريت وكان رجلا مسنا
ضعيف الحركة من فقراء الجند لا يظهر عليه اثر الثروة
ثم انه مات وولى ابنه مكانه وكان شابا جسيما
وحش الخلقة لكن يظهر عليه اثر الثروة وكان يركب
العتاق من الخيل وله خدم واهبة فانعقدت
بيني وبينه صحبة وذهبت الى داره عدة مرار وكان
يسمى عبد الله كريت فاتفق انى خلوت به في بعض
المرار وسألته عما يقول فيه الناس من التشكل وانه
يسافر مسيرة عشرة ايام في برهة فشاغلني بكلام اخر

ولم يفد لي بشيء فتركته في ذلك الوقت وسالته ثانيا
في وقت اخر فتبسم وقال سبحان الله ما كنت اظن
انك تصدق هذا القول ثم شاغلني بغير ذلك حتى
خرجت من عنده ثم انكر عليّ رفقتي بعد ذلك وصار يمرّ
عليّ ولا يلتفت لجهتي وتركته انا ايضا لما رايت من
تنكره ولا اعلم لذلك سببا سوى تكرر سؤالي في هذا
الشان ولقد سافرت للغزو مع ملك من الملوك
اسمه عبد الكريم بن خميس عرمان وكان ابوه من اعظم
وزراء السلطان ونقم عليه وابد سجنه حتى مات وصار
ولده خادما للدولة حتى ارسل للغزو في الفرتيت
وكان لي عليه دين فذهبت معه لاستوفاه منه
فتوغلنا في بلاد الفرتيت مدة ثلاثة اشهر وكنا في محل
لا يوجد فيه شيء من البقول ولا الخضروات فدعاني
ذات يوم من الايام فلما دخلت عنده وجدت بصلا
اخضر وفقوسا وكل منهما كانما اخذ من مقاتة الآن
فسالته عنهما ومن اين وصلا له فقال من دارفور
فسالته عمن اتى له بهما وكيف بقيا طريين مع بعد
المسافة سيما الفقوس فانه كان غضا بالكلية فقال
قد جيء بهما في اقرب زمن وانظر الى تاريخ هذا المكتوب
فاخذت المكتوب منه ونظرت اليه فاذا هو من
بعض احبابه بدارفور وتاريخه صبيحة ذلك اليوم

فبهتّ وصرت متعجبا من ذلك فلما رآى اعجابي قال لي
لا تعجب فان معنا جماعة من التيموركه وفيهم قوة التشكل
يذهبون الى ابعد محل في اقرب زمن فقلت اريد
ان تريني اناسا منهم فقال لك ذلك ثم لما قفلنا نريد
دارفور ووصلنا الى اولها بتنا بخطاهر بلد من بلاد
التيموركه نسيت اسمها ولما كان عند الصباح جانا اناس
كثيرون يسلمون على الملك وانا جالس معه فرحب بهم
واكرمهم وكسا رؤساءهم ثيابا حسنة ففرحوا بذلك
ولما اردنا الرحيل قال رئيسهم انا نوصيكم ان رايتم
في طريقكم سباعا فلا تمسوها بسوء لان جميع ما ترونه
من السباع في هذه الجهة منا فقال الملك اذ ذاك
نحن نريد ان نسمع من بعض اصحابك الان فقال سمعا
وطاعة ثم ندب ثلاثة انفار منهم سماهم فقاموا
وتوجهوا الى الخلا فغابوا قليلا ثم سمعنا زئير اسد
عظيم ازعج القلوب وافزع الدواب فقالوا هذا
صوت فلان سموه ثم سكت وزأر اسد اخر تقرب
منه ثلاث زارات فقالوا هذا فلان ثم سكت وسمع
بعد ذلك زئير اعظم من الزئيرين السابقين حتى كادت
ان تنخلع القلوب لسماعه فقالوا هذا صوت فلان
سموه واعظموا امره ثم بعد قليل جاؤا على هيئتهم
الادمية ففرح بهم واكرمهم وحينئذ كساهم ثيابا فاخرة

وودعناهم وارتحلنا وحينئذ قال لي الملك هؤلاء
الطائفة هم الذين اتونا بالبصل والفقوس ونحن
في اخر دار فوريت ومما الحق بهذه العجائب ما يقوله
الرمالون حينما يضربون تخت الرمل لانهم يقولون
كلاما وقع للانسان لا يعلم به احد الا الله تعالى
ويقولون على امور تقع كانه يراها بعينه فمما دعاني
الى صدق اقوالهم اني حين اردت الانتقال من دارفور
والسفر الى دار وداي نحاذ في البلدة التي كنت فيها
رجل يقال له سالم له صهر في بلد اخر يقال له اسحاق
ماهر في علم الرمل وكنت ضيق الصدر لتعسر امور
السفر علي فقال لي سالم المذكور هل لك في ان
تتوجه معي الى صهري اسحاق يضرب لك رملا ويقول
لك ما يظهر له فاجبته لذلك وتوجهت معه لبلدة
صهره المذكور فدخلناها ضحى فرايناه غائبا في زرعه
فصبرنا حتى قدم فرحب بنا واكرمنا واتى لنا بغذاء
حسن ثم قال له صهره سالم ان الشريف قد جاء يلتمس
منك ان تضرب له رملا فقال على السمع والطاعة
وضرب الرمل وقال لي كلاما كنت اكذبه فيه فوالله لقد
وقع جميع ما قاله وكانه تكلم من اللوح المحفوظ لم يخطئ
في كلمة فمن ذلك انه قال لي انك ستذهب الى
دار وداي عن قريب بجميع اهل بيتك ما عدا امراة

ابيك

ابيك فانها لا تذهب معك وكنت اكذبه واقول كيف
لا تذهب مع انها احوج الناس للذهاب فصدق الله قوله
فلم تذهب معنا وعملت علينا حيلة وهي انها بقيت معنا
حتى كانت ليلة الرحيل فرت وتركت ابنتها بنت سبع
سنين فلما اصبحنا طلبناها فلم نجد لها اثرا وسافرنا
ولم نستقر لها على خبر ومن ذلك انه قال لي ليلة قدومك
على بيت ابيك ياتونك بجارية صفتها كذا وكذا فوقع
كما قال ومنها انه قال لي لا تجتمع بابيك في دار وداي
فكان كذلك ولم اجتمع معه الا في تونس ومنها انه قال لي
ان بيت ابيك حيطانه حمر كانها طليت بمغرة فرايتها
كذلك ومنها انه قال لي انك تركب هناك جوادا اخضر
فكان كذلك وقال لي ان السلطان ينعم عليك بجوار
وغيرها فكان كما ذكر ومن اعجب ما وقع حين كنا عنده
جاءته نسوة يتخاصمن مع بعضهن ويريدن ان يضرب
لهن رملا يظهر به مالا ضائعا لتعلم كل منهن من اخذه
فضرب الرمل وقال قد ضاع لكن خرز احمر منظوم في خيط
وهو مخبأ في رتاج البيت الفلاني فقامت امراة واتت
به من الرتاج المذكور كما قال لكن لم يعلم من الاخذ له
منهن وله في خط الرمل باع طويل ومن هذا
القبيل ما حدثني به عمي السيد احمد زروق والد والدي عليه
سحائب الرحمة والرضوان لما كان صحبة المرحوم السلطان

محمد صابون في محاربة جبرتا ما ضاع له جمل بازل وارسل
العبيد والخدم ليفتشوا عليه فذهبوا وغابوا طويلا ثم
رجعوا بالخيبة فيئس المرحوم والدي منه وكان ممن صحبه
رجل يعرف خط الرمل فقال له بعض الحاضرين انك رجل رمال
فان كنت عارفا بيّن لنا الجمل باقٍ ام لا فضرب الخط فقال
ان الجمل ههنا غير بعيد فقوموا وانظروه في ابل
جيراننا فذهبت العبيد الى ابل الجيران فوجدوا الجمل
باركا في وسطها وعرفوه وجاؤا به الى محله وهذه
غاية الاتقان في علم الرمل ومن هذا القبيل
ايضا ما حكى لي بعض الاشراف في دارورداي ان جماعة
من العلماء كانوا مجتمعين في محل وفيهم من يعرف
علم الرمل معرفة خبير وفيهم من يدعيه فتذاكروا
في علم الرمل والذي يدعيه يقول انا ضربت الرمل لفلان
الملك ولفلان القائد واخبرتهما بكذا وكذا فطلب
منه احد الحاضرين ان يضرب له فضرب وقال كلاما
لا يغني شيا فالتفت العارف الى الخط المضروب وتامله
ثم قال اني مبشرك انك في غد تقبض من السلطان
ستين راس رقيق وكان الامر كما قال واذا انجر
الكلام الى علم الرمل فلنذكر منه نبذة يعرف بها المتامل
على ما هيئته واشكاله واسمائه والاشكال السعيدة
والنحسة والمتوسطة فنقول اما اشكاله فهي ستة عشر

شكلا اولها الطريق وصورته هكذا ⁘ وهي جيدة
لمن كان مريضا فانها تدل على طريقة القبر وثانيها
الجماعة وصورتها هكذا ⁘ وهو شكل سعيد
الا في المريض فانه يدل على اجتماع الناس لجنازته وثالثها
اللحيان وصورته هكذا ⁘ وهو شكل سعيد في جميع
الاحوال ورابعها النكيس وصورته هكذا ⁘
وهو شكل نحس في جميع الاحوال الا في الحامل فانها تلد
ذكرا وخامسها الاجتماع وصورته هكذا ⁘
وهو شكل سعيد في جميع الاعمال الا في قبض الدراهم
وسادسها العقلة وصورته هكذا ⁘ وهو شكل
نحس الا في السؤال عن الحامل وسابعها العتبة الداخلة
وصورته هكذا ⁘ وهو شكل سعيد في جميع الاحوال فمن
كان اول خطه هذا الشكل او ثانيه ان كان مغموما زال غمه
وان كان مفترقا بمجيء غائب قدم عليه سريعا وان
كان معسرا زال عسره وثامنها العتبة الخارجة
وصورته هكذا ⁘ وهو شكل نحس يدل على موت المريض
وتعطيل الحاجة واضطراب الامور وطلاق الزوجة
وتاسعها القبض الداخل وصورته هكذا ⁘ وهو شكل
ممتزج يدل على قبض الدراهم والظفر بالعدو ولكنه
يدل على موت المريض وحبس المطلوب للحاكم وعاشرها
القبض الخارج وصورته هكذا ⁘ وهو شكل

لمن اراد السفر واجود منها
لمن يسأل عن قدوم الغائب
ورد بنسخة صح

يدل على عدم رجوع ما خرج من اليد وذهاب الابق
واباق الرفيق لكنه يدل على الخلاص من الحبس وعلى السفر
والانتقال من مكان لاخر وحادي عشرها البياض من
وصورته هكذا وهو شكل جيد في كل الاحوال الا
في المريض فانه يدل على الكفن وثاني عشرها الحمرة
وصورته هكذا وهو شكل يدل على اهراق الدماء
وعلى القبر للمريض لكنه سعيد للحامل فانها تلد ذكرا ويدل
على الثياب الحمر كما ان البياض يدل على الثياب البيض
وثالث عشرها الجودلة وصورته هكذا
وهو شكل سعيد يدل على الفرح والسرور وان الحامل
تلد انثى وان الامر ياتي على احسن حال ورابع عشرها
نقي الخد وصورته هكذا وهو شكل نحس ويدل
على الشباب والعدو والمجهول وطول المكث في الحبس وقبض
روح المريض وخامس عشرها النصرة الداخلة وصورته
هكذا وهو شكل سعيد يدل على النصر والظفر
وقضاء الحاجة ونجاة المريض والمسجون والحامل
وسادس عشرها النصرة الخارجة وصورته هكذا
وهو شكل يدل على امور حميدة الا في محاربة العدو
فانه يدل على انهزام الجيش وعدم الظفر به فاذا اراد
الانسان ان يضرب الرمل المذكور ياتي برمل نظيف
نقي ويبسطه على الارض ثم ينقط فيه بالاصبع الوسطى

اربعة اسطر من غير عدد ذاهبا بالاسطر من اليسار
الى اليمين هكذا

ثم يمسحه زوجا فزوجا حتى ينتهي الى الاخر فان كان
الاخر زوجا اثبته وان بقي فردا اثبته فيثبت ما يحصل
من السطر الاول اولا وما يحصل من الثاني بعده وهكذا
حتى تتم الاربعة اسطر فيتحصل منها شكل من
الاشكال الستة عشر المتقدمة ومن لم يجد رملا ضرب
الخط بعود او حمص وهو ان ياخذ قبضة من غير عدد
ويسقطها زوجا زوجا ويثبت الاخير ان كان
زوجا او فردا واما تولدات اشكاله وانقسامها وما
يتعلق بها من الاسماء والحروف والكواكب والعاقبة
وعاقبة العاقبة فذلك كله منوط بمؤلفات علم الرمل
فلا نطيل الكلام عليها وانما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة
ليكون للناظر في رحلتنا هذه إلمام بماهية الرمل
في الجملة ولئلا تخلو هذه الرحلة عن مثل هذه الفائدة
والله اعلم

الباب الثاني من المقصد وفيه اربعة فصول

الفصل الاول في سبب ارتحالي من دارفور الى دار
وداي اعلم اني بعد ذهاب والدي من دارفور

اقمت فيها سبع سنين وكسورا وكنت في تلك المدة اجوس
خلالها وانقبا ظلالها واجول في بلدانها واعاشر
سكانها فكنت طورا بمشرقها وطورا بمغربها وطورا
بصعيدها واخر بهت شمالها على حد قول القائل

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالـ	
	عذيب يوما ويوما بالخليصاء

ومع ذلك ما دخلت بلدة الا واجتمعت على كبرائها ولا دخلت
قرية الا نادمت علماءها استقصي منهم عما قرا وجل
واستمطر الوبل والطل استنهز الفرص ولا ادع في قلبي
محلا للغصص حتى عرفت قليلها وجليلها ومأمورها
واميرها ولما اتممت عرفان ما كان مجهولا ونلت
من كل ما طلبته مأمولا توجهت امالي للاستقرار
والكتاب الدرهم والدينار فبينما انا قار في مكاني
راض بما الله اعطاني منهما في طلب معاشي معتزل على
كل امر فيه ارتياب اذ جاءني من والدي كتاب فيه
بعد السلام اني اريد ان اتوجه الى امي بتونس واريد
ان لا اخلف وراء ظهري احدا ممن له علقة بي
فاذا اتاك كتابي هذا فعجل الينا بالقدوم ليكون
الشمل بشملكم منظوم واياك ان تترك احدا من
العيال ولكن ذلك من غير اهمال فانه السلام لما ان
عرفت مضمونه اهتززت للسفر وتاهبت في ايام

يسيرة ولم ادر ما يجري به القدر وخرجت من البلدة
التي انا فيها بجميع ما عندي من العيال وتوجهت الى
الفاشر لاخذ الاذن في السفر الذي استقر
عليه الحال فحال حلولي بفاشر السلطان بلغني ان
السلطان محمد عبد الكريم سلطان وداي غزا
قبيلة التاما وهي قبيلة عظيمة لها حاكم مخصوص بها
يسمى سلطانا كما تقدم ذلك وارضهم كلها جبال وهي
من رعايا الفور فارتعد بدار فور ان السلطان
المذكور غير مقتصر على قبيلة التاما بل يريد اخذ
مملكة الفور ايضا وسمع السلطان محمد فضل ذلك
فرجف فؤاده وطار رقاده واظهر الات السفر
والمحاربة ونوه على الرحيل في ايام متقاربة فلما
استقر بي الحال دخلت عليه لاستاذنه في السفر
الى والدي كما امر فعبس وتولى واستتر بشره
الذي كان لاهل المجلس تجلى وقال عجبا لابيك وافعاله
وما يبدو لدينا من اعماله ايظن انا لا نستشعر
بما اضمره او يخفى علينا الامر الذي دبره اريد
ان ياخذك عنده ويريح فؤاده الا ما يعلم ان
سلطانا قادم علينا وان جيشه عن قريب واصل
الينا فاراد ان ياخذك بجانبه من قسطل المحاربة
ومن وقع السيوف وقت المضاربة ونحن لا ندعك

ان نتوجه اليه فلا نطمع بانا نقربك عينيه ثم امر الشيخ
عبد الله دكسا بالاحتفاظ علي حتى ينفصل الحال والشيخ
عبد الله دكسا هو الاب الذي ولي عوضا عن الشيخ محمد
كرا الذي اسلفنا ذكره فاخذنا الشيخ عبد الله ووضعني
انا ومن معي في دار امام داره ووكل بي اسني عشرة انفار
من اتباعه فجاؤوا بحذائهم وجلسوا على باب الدار
وفي سقيفتها ومنعوني الخروج من باب الدار وكانوا بالليل
يتناوبون الحراسة على التعاقب اثنين اثنين لكن كانوا
لا يمنعون اتباعي من الخروج لبعض اشغالهم فلما رايت
ذلك داخلني من الغم ما الله به عليم وبقيت في وادي الفكر
اهيم لكن صانعت كبيرهم بالاحسان وصرت ادعو
لطعامي واجعله في كل اداي امامي ومن لطف الله تعالى
كان في طبعه رقة فلاطفني وصار يقوم لعيادتي ويسرع
بقضاء مرامي وبقيت على تلك الحال حتى نفد زادي
وقل اعتدادي فطلبت ان ارسل الى اقطاعي واتي بشيء
منها يكون به استمتاعي فمنعت ذلك وكان مانعي
هو الفقيه مالك فطفقت ابيع من رقيقي فتنكر لي كل
منهم بعد ان كان رفيقي فتخيلت ان ذاك احدى الجواري
وفرت ولم ادر في اي محل استقرت فاردت الخروج
نهارا للبحث عليها فمنعت منه جهارا وقيل لي ان لك
في خروجك بالنهار عصيانا لامر السلطان وان فيه

لانا من

لانا من الانتقام لهذا الشان فاصبر الى ان يجن البهيم
وينقطع التهويم واذهب بعد ذلك حيث تريد وما انا
لك الا كاحد العبيد فصغيت لقوله الجميل وصبرت
حتى جن الليل فخرجت وتبعني هو وواحد من اتباعه
فتوجهت الى دار الفقيه مالك واخبرته بفرار الجارية
وان دموعي على فقدها جارية فاسف على حالي
في الظاهر واعد خروجي في الليل من المناكر وقال
اعلم يا ولدي ان مولانا السلطان شديد الغيظ على
ابيك وان علم بخروجك ربما يؤذيك فان حدث
لك بعد هذا امر مهم ارسل الي وانا اسعى فيه بجهدي
فقلت له كيف اصنع في هذه القضية التي دهتني بكل
بلية فقال كن خالي البال مطمئن الحال وانا ارسل
الى كل الجهات وارسل واسال عن جاريتك كاملة
الصفات فقلت يا مولاي قد فني زادي وكثر
لفنائه سهادي وبعت احد الجواري لاقوت بثمنها
الدراري فهلا تستاذن لي حضرة المشار اليه في اتيان
شيء من الغلال يحسن لي به الحال فقال لك علي ذلك
ورب هذا الليل الحالك فخرجت من عنده مغتبطا
بمقاله شاكرا لافضاله وتوجهت الى داري فمكثت
مدة لم يظهر لما قاله اثر ولا جاءني عن الجارية ولا عن
الاذن بمجيء الغلال خبر فعرفت ان الامر مموه علي

وان كلاما فالامامى لا يغنى شيا فكتبت له ورقة فيها
بعدما يليق بمقام والدى العزيز ان الانتظار يورث الاصفرار
وان من علامة الايمان الوفا بوعد اللسان وقد صبرت
امدا طويلا وما من نجاز الوعد كثيرا ولا قليلا وقد
قال تعالى فى الكتاب المكنون يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون واعلم مولاى انى صرت صفر اليدين من
الفضة والعين وقد نفد ثمن الجارية التى بعناها
والامر محتاج للاقوات التى القلوب تهواها فالمؤمل
من مولاى ان يبرد حر الالباب ببرد الجواب وارسلته
صحبة احد الحارسين فغاب مليا وحضر واخرج
لى جوابا فيه بعد التحية ان المال لا بد خير الا لمثل هذا
الحال وقد طلبنا من حضرة السلطان مطلوبك فهاج
غضبه واورى لهبه ولم يرد لى جوابا شافيا فاصبر حتى
يحكم الله بامره وهو خير الحاكمين ولولا انك من اهل البيت
المكرمين لكان الامر عليك غير ذلك والسلام فلما قراته
وفهمت ما حواه زاد لهيب القلب وجواه فصبرت على
مضض لعدم قضا الغرض وبعد ذلك بايام ابق
منى جاريتان وغلام فندمت على ابقا الرقيق وحلت
بابا فهم نار الحريق وقطعت الوسائل بينى وبين
الفقيه مالك ولم اعلم بشى من ذلك وحينئذ
لم يبق عندى الا جارية عودا وسرية لنعمى واذى لى

وعبدين سداسيين فما راعنى اذ اصبحت فلم اجد
سريتى فقامت لذلك قيامتى وصرت كالطائر الذى
لا يجد مناصا من ضيق الاقفاص فدعوت برئيس
الحرس واعلمته بما حدث فتحزن وتحسر وتلهف وتضجر
وسلانى ببعض الكلام حتى امسى المسا فخرجت معه
قاصدا دار الفقيه مالك المذكور لاحكى له ما وقع
من الامور وبينما انا واياه سائرين اذ دهمتنا
كبة من الخيل وكان السلطان فى تلك المدة يطوف
بالبلد بنفسه وينوب الحرس خوفا من الجواسيس
والدخيل بكلما وجد انسانا مجهولا قتله فقتل
اناسا كثيرين على تلك الحال لان اذ ذاك السلطان
محمد عبد الكريم لم يرجع الى بلده فقال احد
الفرسان من انتم فقلت انا الشريف محمد ابن الشريف
عمر التونسى فقال لى قف مكانك حتى ياتى سيدنا
فوقفت وتلاحقت الخيل واحتاطوا بى وصاحبى
كان حين سمع بوقع حوافر الخيل فر كما يفر الطير
وبعد هنيئة جا السلطان ومن لطف الله تعالى
ان جا معه احد وزرائه وكان من احبابى وخلص
اصحابى فقال له الملك سليمان تيرفو فوقف السلطان
وقال من هذا فقال له الفارس الاول وكان يعرفنى
هذا الرجل الذى ابوه فى دار برقو فقال لى السلطان

يا هذا ما الذي اخرجك في هذه الساعة فشكوت له حالي وضياع
رفقتي ومالي واسناني تصطك من الفزع فقال ابليس قد وكلنا
بك جماعة من الحراس فقلت نعم ومنهم جاءني الضر والباس لانهم
يمنعوني الخروج ولا يمنعون رفقتي حتى لم يبق لي منهم احد واني
عجلت على الخروج في هذه الساعة لاذهب الى دار العقبة مالك
واخبره بما وقع لي من الضنك والمهالك لعله يخبر مولانا اما ان
يمن باطلاقي او يامر بقتلي فانه خير من ابقائي على هذه الحالة
فقال السلطان ولم قلت يا امير المؤمنين انه قد نفد زادي
وفني اعتدادي وفرت جواري وبقيت اياما لا اذوق طعاما
ولقد اصابني من الجوع ما منعني الهجوع حتى اني لاضطراري
اختلست حفنة من عليق حمار جاري واكلتها كما تاكل الدواب
وقد لصقت يدي بالتراب فحينئذ تقدم الملك سليمان شير
وقبل ركبة الملك وقال اعز الله مولانا ان هذا الرجل مظلوم وهو
منا الان وقدره لديك معلوم وعادة ابائك كعادة سعادتك
اكرام الاشراف والنظر لهم بعين الرحمة والاسعاف فنتوسل
الى سيدنا ان لا يؤاخذه بذنب ابيه وان يعمره بالاحسان
والجميل يوليه فلما سمع السلطان مقاله هزته اريحية الكرم
ونخوة حسن المكارم والشيم وقال قد رفعنا عنك الحراس
وابحنا لك الاجتماع بالناس لكن لا نطلق لك السراح الا ان
تحققنا ان ملك الروم ترك الحرب وراح فاستبشرت بذهاب
الانكاد واملت ان اليسر قد عاد فقلت اسأل مولانا

بلغ

من فضله ان يطلق يدي لصنعتي ليكون منها معيشتي فانه
لا ضرر بعد بؤس ولا عطر بعد عروس حتى ياذن لي مولاي
بالرحيل وذلك عند الله الثواب الجزيل فاجابني لمطلوبي وانا الذي
اقصى مرغوبي وقال قد اطلقنا يدك لصنعتك فرجعت وانا
فرح بما حصل مسرور بتيسر الامر وكان من وقت ما رسم علي
الى تلك الليلة اكثر من اربعة اشهر فذقت اذ ذاك حلاوة الامن
بعد مرارة الخوف والجزع وقلت هذا مصداق قوله صلى الله
عليه وسلم لو كان العسر في جحر ضب لاتبعه اليسر حتى يخرجه
ومصداق قوله تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا
ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين
ومن قبيل ما وقع لي من العسر ما حكي ان الشيخ الامام الحافظ
ابا حفص ابن شاهين المحدث كان يجلس في دكان رجل عطار
في بغداد وكان ذلك العطار يقرأ على الشيخ جزءا من الحديث
وبينما هو ذات يوم في الدكان المذكور اذ جاءه رجل من الطوافين
الذين يطوفون بالعطريات في الازقة ومعه خمسة دراهم
نقال وطبق وكان رجلا مسنا فقال للعطار اعطني بهذه
الدراهم اصنافا من العطر سماها له فاخذ العطار الدراهم
ووضع له في الطبق من العطر ما يساوي الخمسة دراهم فاخذها
الرجل وانتقل من محله واراد ان يذهب فزلقت رجله وانكب
الطبق بما فيه على الارض فجزع الرجل جزعا عظيما وصار
يحثو التراب على راسه فلما رآه الشيخ على تلك الحالة رق له

وقال له يا هذا لا تجزع هكذا واعلم بان امور الدنيا كلها
اهون من ذلك فقال له يا مولاى لقد علم الله تعالى انى لست
جازعا على الخمسة دراهم وانى لاعلم انها شيئ يسير ولقد
كنت فى القافلة الفلانية فى السنة الفلانية وانا احد التجار
وضاع منى اذ ذاك هميان فيه اربعة الاف دينار وفصوص يواقيت
وما يساوى اربعة الاف ايضا فما جزعت ولا هلعت
وذلك لانى اعلم ان عندى غيرها ولكن يا مولاى انى الآن
فى فقر ولم يبق عندى من العين الا هذه الخمسة دراهم وقد
ولد لى ليلة البارحة مولود واحتجت ان اتى لامه بما تحتاجه
النفسا وخفت اذا اشتريت لها بهذه الدراهم ابقى بغير راس
مال ولا اقدر على التكسب فخطر ببالى ان اشترى بها عطرا
واطوف به صدر النهار لعلى احفظ راس مالى واستفضل
منها شيا اسد به رمق النفسا فلما انكب الطبق علمت انه
لا يبقى الا الفقر فجزعت لذلك فقال الشيخ ابو حفص
للعطار اجمع له من الارض من العطر ما تقدر على جمعه وكمل
له ما نقص واجرك على الله فامتثل العطار وجمع ما قدر
على جمعه وكمل له من عنده وكان امام دكان العطار دكان
اخر جالس عليه رجل من الجند وكان يسمع حكاية
الطواف فقام وقال للشيخ ابى حفص يا مولانا اريد
الا من فضلك ان تشرف منزلى انت وهذا الرجل الفقير
فقال الشيخ فى سره لعله يريد ان يعطيه ما يسد به رمق

النفسا وبعينه على حاله فاخذه الشيخ وتوجه به الى دار
الجندى والجندى يمشى امامهما حتى دخلوا الدار فقال
الجندى للطواف انى تعجبت من جزعك على هذا
الشيئ اليسير فقال الرجل والله ما جزعت على الخمسة دراهم
وحكى القصة التى كان ذكرها للشيخ على الدكان من كونه كان
فى القافلة وضاع منه الهميان الى اخره فقال له الجندى
انت كنت فى تلك القافلة قال نعم والدليل على صحة مقالى
انه كان فيها من التجار فلان وفلان فقال له الجندى
وما علامة هميانك فقال علامته كذا وكذا فدخل الجندى
داره وغاب قليلا ثم خرج ومعه هميان فلما راه الرجل
صاح قائلا هذا هميانى والله وعلامة صدقى ان فيه
اربعة الاف دينار وفيه من الاحجار النفيسة ما يساوى
اربعة الاف دينار ففتح الهميان فوجد كما قال الرجل
فقال له الجندى خذ هميانك بارك الله لك فيه فقال الرجل
يا مولاى أأخذ الدنانير وخذ انت هذه اليواقيت فقد
جعلتك فى حل منها فقال الجندى والله ما كنت اخذ على
امانتى شيأ فاخذ الرجل الهميان بما فيه ودخل وهو من
الفقرا وخرج وهو من الاغنيا شعر

وكم لله من لطف خفى	يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر اتى من بعد عسر	وفرج كربة القلب الشجى
وكم امر تساء به صباحا	فتاتيك المسرة بالعشى

غيره في هذا المعنى

وكم ليلة بت في كربة	يكاد الصغير لها ان يشيب
فما جانا الصبح الا اتى	بنصر من الله وفتح قريب

ومن هذا القبيل ما حكي ان ملك افريقية ارق ذات
ليلة ولم ياخذه نوم وكان ذلك على خلاف عادته فقال
في نفسه انه لم يحصل لي هذا الامر الا لخلل وقع في مملكتي
فارسل من ساعته ودعا بوزيره وقال له اني ارقت
ولم اكتحل بنوم وهذا خلاف عادتي وظننت انه حصل
في مملكتي خلل فاذهب الى قائد البحر وقل يخرج في هذه
الساعة بعض الشواني يتجسسون الاخبار وارسل
فرسانا يذهبون الى اطراف البلاد وينظرون ما حدث
وياتون بالاخبار فقال الوزير سمعا وطاعة وذهب
الى قائد البحر وامره باخراج احد الشواني كما امر الملك
واخرج فرسانا كذلك فاخرج قائد البحر احدى الشواني
وشحنها بالرجالة فجدفوا بالمجاديف وساروا ملججين
فلما ابعدوا عن الساحل سمعوا انسانا ينادي يا غياث
المستغيثين يا غياث المستغيثين ثلاث مرات فنادوه
لبيك لبيك ويمموا نحوه وادركوه واذا هو رجل في اخر
رمق فاخرجوه من البحر وسالوه عن حاله فقال انا
كنت في سفينة وقد انكسرت وتمزق شمل اهلها ما بين
غريق وناج ولي ثلاثة ايام وانا سابح ولو لم تدركوني

في هذه

في هذه الساعة لهلكت فاخذوه ورجعوا من حيث اتوا فلما
اصبح قائد البحر وجد السفينة والرجال الذين ارسلهم
قال لهم لم تذهبوا فحكوا له القصة واروه الرجل الذي وجدوه
فاخذه وذهب به على الملك وحكى له ذلك فسال الملك الرجل
فقص عليه قصته فقال السلطان سبحان من ارقني لغريق
في البحر حتى انجاه من ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة الوحدة
وظلمة البحر فسبحان القادر على كل شيء قال الشاعر

ان الامور اذا التوت وتعقدت	نزل القضا من الكريم فحلها
فاصبر لها فلعلها ولعلها	ولعل من عقد الامور يحلها

ولنرجع الى ما كنا بصدده فبت ليلتي وانا
في غاية من السرور ولما اصبح الصباح جانا [illegible]
من طرف الاب الشيخ عبد الله دكسا واخذ الحراس باجمعهم
وكفانا الله همهم وفي ضحى ذلك النهار توجهت الى دار الفقيه
مالدا واعلمته بما حصل فاظهر الفرح والاستبشار وان كان
في قلبه المقيم المقعد من حر النار ثم اني ارسلت الى ضيعتي
وقوزع وفوت عائلتي ومكثت في القنا شهر حتى توالت
الامطار بصيبها المدرار فامرت بالرجوع الى الجديدة
وان اتنعم بها ولا احول فارتحلت على الفور اليها واقمت
بين اظهر اهلها واكثرت من زرع الحبوب لا سيما الدخن المرغوب

فتنازعني على احسن حال حتى تغاءلى الناس بحسن الحال ولا
زال كذلك حتى امتلا سنبله حبا ومالت قلوب الناس اليه
حبا فلما بان حصاده تعلمت وقدم على من ملوك العود
ملك جليل والزمني ان اصاحبه في سفره واكون
جليسه في حضره ووعدني بكل جميل فوافقته على ذلك
فاتحدت معه من اني الجد والرغبة في ودك وطمعا
في انجاز وعده فسرت معه مسيرة يوم وبت معه في بلدة
له فيها اصهار لمنعوم الذهاب وضيعوه ضيافة حسنة
وهو يلاطفني ويحييني واذا دعوت يلبيني وبينما
انا احسن معه حالي بالبيان الحالي اذ وصل الينا احد
رسل السلطان المدعوين بالغلاقة في تلك الاوطان
نحيي الملك ومن حضر وقال ايكم ابن الزيغ عمر فقلت له
انا ذاك جعلت فداك فقال ان السلطان يدعوك
اليه لتشرف بالمثول بين يديه فاجبت بالسمع والطاعة
وجزعت حتى ظهر اثر الجزع للملك والجماعة فقال لي لم
هذا الجزع والخوف والفزع فقلت لاني لا اعلم لماذا
يدعوني فقال دع عنك هذا الوسواس فما عليك في هذا
الطلب من باس وعلى ذكر لفظ ما عليك من باس
تذكرت **حكاية** وقعت من بعض الملوك
وصورتها انه كان له نديم ينادمه على الشراب وكان
له على الملك عادة وهي انه كلما نادمه ليلة يعطيه

جائزة

جائزة فوقع انه نادمه في احدى الليالي ولم يجزه بشيء ثم
انقضى المجلس وذهب الرجل الى داره فقامت اليه زوجته فلم
تر معه شيئا فقالت له اين الجائزة فقال لم يعطني شيئا فقالت
انا اعطيك ثم دعت بجواريها الحضر واعطت كل واحدة
منهن خفا وهي الاخرى كذلك ونزلت في ساحة قفاه وتبعنها
في ذلك حتى انتفخ ولما اصبح الصباح نوى الملك على
الشرب فارسل للنديم يدعوه ليحضر المجلس فلم يقدر على الذهاب
لان قفاه اصبح متورما للغاية فكتب للملك ما اصابه
في ليلته تلك وكتب في اخرها بيتين يقول فيهما شعر

وتراسلت بيض الاكف كانها ... تصفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كانها ... وقع المطارق من يدي نحاس

فلما وقف الملك على الرقعة والبيتين كاد ان يهلك
من الضحك ودعا بالقاضي ورمى له الرقعة وقال له
اجب عن هذين البيتين فاجاب عنهما بقوله

فاصبر على اخلاقهن ولا تكن ... متخلقا الا بخلق الناس
واعلم اذا اختلفت عليك فانه ... ما في وقوفك ساعة من باس

فارسل له الملك البيتين وجائزة حسنة اه ومما

يلحق بهذه الحكاية ما وقع لابي نواس وهو ان الخليفة هارون
الرشيد دعى باحدى جواريه وقال لها انى معطيك لابى نواس
واياك ان تمكنيه من نفسك بل كلما طلب منك خذى الخف
واثرلى فى ساحل قفاه فقالت سمعا وطاعة ثم دعا بابى نواس
واعطاه الجارية ففرح واخذها وتوجه بها الى منزله ولما
كان الليل اراد منها ما يريد الرجل من اهله فنزلت فى ساحل
قفاه فقال لها ولم ذلك فكانت لا تتكلم حتى ظن ابو نواس
انها من البكم وصارت كلما مد ابو نواس يده اليها نزلت
فى ساحل قفاه حتى انفجخت فاصبح متورما فلما اصبح
دعاه الخليفة فلما مثل بين يديه قال له كيف كانت
ليلتك يا ابا نواس قال بخير يا امير المومنين الا ان امير المومنين
عودها عادة قبيحة يشير بذلك انها كانت تفعل بالخليفة
ذلك فضحك عليه وقال له قبحك الله ما اردت ولنرجع
الى ما نحن بصدده فلما احلولك الليل خرجت على نية
قضاء الحاجة وامرت غلامي ان يسرج لى دابتى ويخرجها
ظاهر البلد ويقف بها حتى اتيه ففعل وغافلت القوم
حتى ناموا وخرجت وركبت دابتى وتوجهت انا وغلامى
وسرنا مجدين فما اصبح الصباح الا وانا بابى الجدول
فدخلت الدار فاخبرت بان الفلغناوى كان بائتا
عندهم فى الليلة الماضية فاخذت زادى ووصيت اهلى
وركبت دابة اخرى وخرجت وجديت فى السير ولم يقرلى

قرار

قرار حتى دخلت العاشر فتوجهت الى دار الفقيه مالك
فاستاذنت فى الدخول عليه فاذن لى فلما حضرت مجلسه
رحب بى واحسن ملقاى وقال لى ان مولانا السلطان
اطلق سراحك واطال للسفر باعك واجل لك ثمانية
ايام لا غير فارجع وأت باهلك واسرع كما يسرع الطير
فقلت ان لى زرعا قرب حصاده فهلا امهلني مولاى حتى اضمه
فقال ان مولانا السلطان يريد ان يرسل الفقيه احمد ابو سارة
رسولا الى سلطان الوادى ومرسلا معه هدية ويريد
ان تكون فى صحبته فان اردت تجهز نفسك وسافر وان
ابيت لا تطمع فى السفر بعدها وتكون قد خالفت اباك
بمكثك بعد ذهاب الرسول المذكور واما ما تعنى من الزرع
فامره يسير بالنسبة لما هو امامك وانما مرعاة قل
فاختر لنفسك ما يحلو فقلت له انا الولد وانت الوالد
فبرايك استدل وبغيتك استظل ولا غنى لى عن مشورتك
ولا انفرد الا بما تامرنى به والسلام فقال يا بنى انى
نصحتك كما امر الله فاذا عزمت فتوكل على الله واقطع
الراى الآن امامى لاعلم ما اتفق عليه رايك واخبر
به حضرة مولانا السلطان فقلت يا مولاى على السفر قد ثبت
عزمى خصوصا بصحبة الفقيه احمد ابى سارة فانه من خلص
الاخوان بل هو كالوالد الشفوق فقال اذن فبادر
لما انت عليه عازم واسال الله يقيك المكاره والمغارم

فخرجت من عنده وتوجهت الى الجدود واخذت اهلى وتركت
جميع زرعى على سوقه وقد آن نفاق سوقه لكن جمعت اناسا
كثيرين واشهدتهم انى قد وهبت الزرع لخادم لى كان يدعى
عبد الله جراب واخذت اهلى وارتحلت فلما وصلت
الفاشر دخلت على الفقيه مالك فاعطانى حالا وخولنى
عليه شيا منشورا من السلطان فيه الاذن لى بالسفر
والوصية على جميع العمال خصوصا لعامل الولاية الغربية
وان يركب معنا بجيشه حتى نصل الى المحل الذى نامن فيه
على انفسنا وعيالنا وقال لى خذ المنشور وارحل فى هذه
الساعة وادرك الفقيه احمد ابو ساره فانه فى انتظارك
فى كبكابيه ففعلت سمعا وطاعة واخذت المنشور وودعته
وبت ليلتى واصبحت مرتحلا فوصلت كبكابيه بعد
يومين ونزلت بسوق الدجاج فى بيت السيد احمد الصغير
وهو ابن اخ السيد احمد بدوى الذى كان اخذنى من مصر
فاقمت عنده نحو ثلاثة عشر يوما حتى اجتمعت علينا اناس
كثيرون يريدون السفر الى بلاد وداى ثم ارتحلنا
الى الولاية الغربية وهى بلاد المساليط فسرنا مدة
خمسة ايام ونزلنا على ملك الولاية الغربية فى سادسها
فدخلنا عليه واطلعناه على الامر السلطانى الذى معى
ومع الفقيه احمد ابو ساره فهش وبش واجاب بالسمع
والطاعة ووعدنا انه يذهب معنا بجيشه الى محل

الاطمئنان

الاطمئنان كما وعد الله موسى بن عمران فاستطلنا المدة
وخفنا على زادنا من النفاد فقال الحق اقول وعنه لا احول
انى فى هذه المدة مشغول ولا اقدر فيها على تبليغكم
المامول فان رضيتم حبا وكرامة وان ابيتم فبالسلامة
نقتلنا له فى الذروة والغارب فابى وعن مقصدنا
نبا فلما رايناه عزم على التصميم وابى الا موعد
الكليم رضينا بما قال وانتظرنا ما يؤول اليه
الحال فلما تمت العدة شكونا له ما لقينا من الشدة
فوعدنا بالرحيل بعد ثلاثة ايام ولم ندر انه كعرقوب
من اللئام فمضت ثلاثة فى ثلاثة فسئمنا المقام
وعزمنا على الرجوع الى المقام ولما راى منا ذلك فهمهم
ودمدم وتاسف وتندم واعتذر باعذار موجبة
للقبول وقال بعد ثلاث نرحل والله المامول
فصبرنا له رغما عنا وبعد الثلاثة جئناه وقلنا له
انجز حر ما وعد وسح خال اذا رعد فخرج بجيشه
وجنده وارتحل بنا مسيرة ثلاثة ايام كانت عندنا
كانها احلام ونزل فى رابع النهار على بيت له فى اخر
ايالته اقام به اسبوعا يجمع بنى خيل ورجل وقد طال علينا
المطال وخشينا تغير الحال فوفدت عليه فى تلك المدة وفود
واى وفود حتى امتلا السهل من كثرة الجنود ولما راى كثرة
العساكر التى قدمت عليه وكثافة الجند الذى صار بين يديه

اذن بالرحيل وامرنا بالتجهيز فارتحلنا ضحى من النهار
ودخلنا في وسط ذلك الجيش الجرار فراينا جيشا
عرمرما وجندا كثيفا متراكما فدخلنا الخلاء الكائن
بين الدارين الفاصل بين الحكمين فراينا فيه من الوحوش
والغزلان والارانب والفيلة ما لا يحصى عدده ولقد
رايت في ذلك النهار ان الارنب تخرج في وسط الصف
وتجري حتى تتعب فتقف ولا تجد الخلاص منا ممكنا
فقتلوا من تلك الوحوش ما شاء الله ان يقتلوا حتى جاء
وقت القايلة فقال الملك وقلنا وشووا من تلك
اللحوم واطعمونا فاكلنا كفايتنا ثم ارتحلنا وسرنا قليلا
فوقف الملك واراد ان يرجع فابيت وقلت له ان رجعت
رجعنا معك لاننا الان في الخلاء ولا نامن على انفسنا
فاعتذر باعذار واهية وقال ان لي اشغالا فقلنا
له لا اهم من هذا فعند ذلك عين لنا قائدا من قواده
ومعه ما ينوف عن خمسين فارسا وامره ان يصاحبنا
حتى نبلغ مامننا ونقول له ارجع واوصاه واكد عليه
وودعنا الملك وانكفا راجعا وصحبنا قائده المذكور
الى بعيد العصر واراد الرجوع فما مكناه وقلنا له كيف تتركنا
هاهنا مع اننا قوم عزل وان ظهر علينا اربعة شاكي
السلاح اخذوا اموالنا وارواحنا ويبقى دمنا في ذمتك
فقال اعلموا انكم قد دنوتم من زراعة الوادي ونحن لا نامن

ان يرونا وهم لنا اعداء فياتونا ويقع الحرب بيننا
وبينهم وتكونون انتم السبب في ذلك فتوسلنا له بكل
ولي ونبي وفتلنا له في الذروة والغارب حتى سهلت
عريكته ولانت شكيمته فمشى معنا بعد ذلك نحو ربع ساعة
وتوقف عن الذهاب وقال لا اقدر ان اقدم من هاهنا
قدما واحدا وحلف انه لم يسبق لاحد وصول من العساكر
الى هذا المحل الا انتم ثم عين معنا احد الادلا وودعنا
وانكفا يركض هو وجماعته فلما كان بعد ذهاب
القائد بقليل استوحشنا وصار نخال كان الايك
كله رجال وداخلنا من الخوف ما يعظم وصفه ولما
امسى المساء وفي احدنا رمق من الخوف فلما ادلهم
الغاسق اغنا المطايا ولخوفنا من السباع جمعنا
حطبا كثيرا واججنا حولنا الركايا وبتنا باقبح ليلة
من الخوف لم يكتحل بالنوم فيها الا كل بليد لان زئير
الاسد وعوي الضباع والذئاب اخذ ان باسماعنا
ولقد راينا في تلك الغابة من الفيلة ما لا نقدر
على حصره ورأينا انياب الافيال الميتة منها ما اصفر
من الشمس حتى ضرب الى السواد ومنها الناب الذي
لا يقله البازل ومنها الناب المفلوق قطعتين ومن
كل ناب صنف من الانياب المذكورة راينا شيئا
كثيرا فبتنا حارسين لامتعتنا وارواحنا الى الصباح

وما طلعت الشمس الا ونحن قد اتممنا التحميل واخذت
العيس في الزمير فسرنا نحو ثلاث ساعات ثم
دخلنا في ارض يظهر انها كانت مزروعة وعند ذلك وقف
الدليل وقال مالي للمجاوزة عن هذا المحل من سبيل وودعنا
وانصرف مهرولا خائفا على نفسه وسرنا نحن نحو ربع ساعة
فما راعنا الا واناس قد اقبلوا شاكين السلاح بايديهم
الحراب والرماح ورمونا بالسلاح فوقفنا وقلنا لهم
لا ترمونا فنحن ضيوف فقالوا لنا قفوا مكانكم حتى نعلم
الملك بكم فوقفنا في الحر وما مكنونا من الدخول تحت
الفيء فتفيأنا ظلال المطي ووقفوا اماما بالسلاح
ما نفينا من الغدو والرواح ووجهوا احدهم يعلم الملك
فغاب نحو نصف ساعة وقدم الملك علينا في نحو عشرة
فرسان في عنق كل فرس من خيلهم ناقوس من نحاس
حاد الرنين فجاؤوا حتى قربوا منا ونزلوا عن خيولهم
في ظل شجرة ودعونا فجئنا اليهم فانتدب واحد من اتباعه
وقال لنا ان الملك يسلم عليكم لان العادة ان الملك وان
كان حاضرا لا يبتدئ بالكلام بل يتكلم واحد من اتباعه
فرددنا عليه السلام ثم قال يقول لكم من انتم ومن اين
اقبلتم وماذا تريدون فقلنا له نحن جئنا من دارفور فمنا
ما هو تاجر ومعنا رسول من سلطان الفور الى السلطان
ومنا ما ليس بتاجر كابن الشريف عمر التونسي فكتب اسماءنا

في ورقة كانت معه وابتعدنا وركب الملك في خمسة فرسان
وابقى معنا خمسة وتلك الرجال الاول وقال مكانكم حتى
يأتيكم امري فانخنا مطايانا وجلسنا في ظل تلك الشجرة
وطلبنا ماء فاتونا به ومكثنا كذلك نحو ساعتين ثم
ما راعنا الا وكردوس من الخيل قد اقبل وفي عنق كل فرس
جرس وثيابهم كاثواب نساء فلاحي مصر التي تسمى
بالبداوي عاري الرؤس وفي اخدعي كل انسان منهم
غدد اشبه بغدة الطاعون من اثر الحجامة وما ذاك
الا ان الحاجم وقت الحجامة بعد ان يجذب الجلدة
بالقرن حتى تتورم يمسك الجلدة بين اصبعيه ويقطع
بالموسى قطعتين متقاربتين ويقلع الجلدة التي بينهما
فتنقطع كذلك في كل اخدع اربعة او خمسة ثم يضع القرن
ويجذب الدم وبعد ما يكتفي من اخذ الدم يقلع القرن
ولا يضع على محله شيئا ولا شيئا اخر بل يضع
في محل الجروح قطنا فينحبس الدم هناك ويجمد ويبقى
كالغدة وبهذين الغدتين يفتخرون ومن لا غدتين
له يسمى عندهم جبانا فيها ذو لا يكرم وهاتان الغدتان
يقال لهما في عرفهم دومتان تشبيها لهما بالدوم
الذي هو ثمر المقل ويعيرون الاعراب الذين لم يكن
لهم غدد مثلهم ويقولون هذا من الجبن والخوف
ولو كانوا شجعانا لكانت لهم دومات لانهم يعتقدون

ان الشجاعة انحصرت فيهم وان شجاعة غيرهم بالنسبة
وان بلغت مهما بلغت فهي بالنسبة لهم كلا شيء وكلهم
عارون الرؤس كما ذكرنا الا كبيرهم فعلى راسه عرقية سودا
وعلى كتفه ملاءة تدعى عندهم بالملحفة فنزلوا عن خيولهم
بعيدا عنا ودعونا فسرنا اليهم فقال لنا كبيرهم ان العقيد
يسلم عليكم فحييناه ودعونا له وللسلطان ثم قال لنا
من انتم وماذا تريدون فقلنا له كما قلنا اولا فدعا بـ
وكتب اسماءنا فردا فردا وكم مع كل انسان منا من جمل
وما بضاعته وما اسمه وما قبيلته وما حاجته ثم
قال لنا قيلوا وبعد القيلولة ارحلوا بنا الى دار العقيد
فقلنا له سمعا وطاعة فقلنا واكلنا وشربنا ونمنا حتى انبسط
الظل وانكسر حر الشمس فامرونا بالتحميل فحملنا وركبوا
خيولهم واحاطوا بنا وسرنا سيرا حثيثا فدخلنا
البلد التي فيها العقيد اخر النهار قبل غروب الشمس
بقليل فادخلونا في دار العقيد فوجدنا دارا في وسطها
بطحا واسعة تقرب من رميلة القاهرة فاشاروا لنا
على جهة منها فانخنا المطي فيها وبعد ان رتبنا لوازمنا
ترتيبه دعونا فقمنا جميعا فادخلونا في دار وسط الدار
واجلسونا بازاء ستارة ساترة من المرهبيب وخرج
لنا رجل وقال ان العقيد يسلم عليكم فرددنا السلام فقال لنا
العقيد من وراء الساتر من انتم وماذا تريدون ومن

اين

اين اقبلتم وما معكم من البضائع فقلنا له ما قلناه
اولا وثانيا فسال كلا منا عن اسمه ونسبه ومن اي بلد
هو وعن بضاعته التي جاء بها وعن سبب مجيئه فاخبرنا
عن ذلك كله فقال بعد ذلك مرحبا بكم انتم ضيوف
هنا مولانا السلطان قوموا الى موضعكم ها انا ارسل
الى مولانا السلطان خبركم وانتظر ماذا يكون
جوابه فقمنا الى رحالنا وهو اخرج فارسا في تلك
الساعة واعطاه مكتوبا للسلطان وجميع القائمة
التي فيها اسماؤنا طيه فخرج الفارس من
ساعته واقمنا في انتظاره سبعة ايام وفي كل ليلة
تاتينا منه ضيافة وكان ذلك العقيد يسمى جاب الله
وهو حاكم الولاية الشرقية ويسمى بعرفهم عقيد الصباح
اي حاكم الجهة التي يصبح منها الصباح فلما كان اليوم الثامن
لم نشعر الا وكردوس من الخيل والرجال اقبل ومعهم طبل
من خشب طويل كالكوبة المسماة في عرف المصريين بالدرابكة
له صوت هاد ومعهم ابواق كل بوق يقرب طوله من
ثلاثة اذرع له صوت غليظ مفزع فحين قربوا من
البلد ضربوا الطبل ونفخت البوقات فخرج العقيد
جاب الله وجماعته وتلقوا القادمين فدخلوا في دار
العقيد وفي عنق كل فرس من خيلهم ناقوس واغشية خيل
الجميع كلها من جلد احمر وكلهم في ذلك سوا العقيد والملك

والاتباع وحين نزلوا من خيولهم واستقر بهم المجلس دعونا
فذهبنا اليهم وجلسنا امامهم فقال احدهم ان السلطان
يسلم عليكم فرددنا السلام وقرانا الفاتحة ودعونا للسلطان
بالنصر والظفر فقال لنا احدهم وكان يسمى كامكلاك
من انتم ومن اين اقبلتم وماذا تريدون وما معكم من
البضائع فاخبرناه عن اسمائنا كما اخبرنا الفقيه وغيره
فكتب ذلك كله وقابله بما في يد الفقيه دعيز فوجده موافقا
فامرنا بالاهبة للسفر وان الرحيل في غد فبتنا فرحين
ولما اصبح الصباح ارتحلنا وركب الكامكلاك وجماعته
وساروا بنا يومين وفي مغرب اليوم الثالث نزلونا في بلد
يقال لها عبالي ينزلون بها كل مسافر اتاهم من مملكة غير
مملكتهم فمكثت بها ثلاثة ايام اشبه بما يفعل من الكرانتينا
في امصار الافرنج وامصارنا الآن واما اهل وداي
فانهم لا يعرفون الكرانتينا بوجه واسلافهم كذلك
يفعلون ففعلوا مثلهم فانخنا في عبالي المذكورة وبتنا
ضيقين الصدر لحبسنا عن احبابنا ولما كان بعد
العشاء تشعر الابعمي المسمى بزروق قد اقبل وذلك
انه بلغه اني جئت مع الفقيه احمد ابي سارة وكان والدي
اذ ذاك توجه الى تونس بعد ان يئس من قدومي عليه
فلما علم بقدومي استاذن السلطان في نقلي من عبالي
في تلك الساعة فاذن له فجاء وامرني ان احمل جمالي

فحملت

فحملت وتوجه بي الى داره وكانت في طرف البلد وقريبة
جدا من عبالي فما مشينا نحو خمس دقايق الا وقد انخنا
في دارنا وبت مع عمي بانعم ليلة فلما اصبحت رايت عمي حيوط
الدار حمرا كما اخبرني اسحاق الرماد فتعجبت من ذلك
واولم عمي وليمة لقدومي ودعا الناس للطعام وازدحمت
الدار من المسلمين علي ولما كان وقت المسا حضرت لنا
من بيت السلطان ضيافة عظيمة فيها اثنى عشر باطية
والباطية في عرفهم اناء عميق مربع من خشب مستطيل
في كل طرف من طرفيه عروتان في كل عروة سلسلة
وهذه الباطية قصعة في كل قصعة اربع سلاسل يحملها
اربعة من العبيد فكانت جملة العبيد الحاملين
للجفان ثمانية واربعين عبدا يقدمهم طواشي صغير
من طرف السلطان يسمى في عرفهم طويره لان جميع
العبيد الذين يرسلهم السلطان يسمون طويرات
وهم الذين يسمون في عرف الفور ربكوركوا فتقدم
فتقدم الطويرة المذكور وقال ان السلطان يسلم عليك
يا ابن الشريف ويقول لك هذا العشا ضيافة فقبلنا
ودعونا للسلطان واعطينا الى كل اربع العبيد الحاملين
جفنة منها فاكلوا حتى شبعوا وبقيت فيها بقية وهذه
القصاع كانت كلها مملوءة بالطعام الفاخر فكان
منها اثنتان مملوءتان بارز مصنوع بعسل يسمى في عرف مصر

بالزردة واثنان مملوءتان بالدجاج المقلو في السمن
واثنتان مملوءتان بفروخ الحمام واربعة مملوءة بالعصيدة
المتخنة والادم العظيم وواحدة مملوءة بالفطير الجميل
وعليه العسل الذى لا نظير له وواحدة مملوءة باللحم المحمر
في السمن وجميع ما ذكر من الدجاج والحمام واللحم مغمور
في السمن بحيث لو اراد الانسان ان يصفي السمن منها
لملأ قدرا فاكلنا وفرقنا على الجيران والعبيد والخدم وبقي من
الحمام والدجاج واللحم شيء كثير وفي ثاني ليلة ارسل لنا
السلطان سبع جفان مملوءة كذلك وفي الليلة الثالثة
كذلك ايضا وفي ثالث الايام حضر لدارنا الكاملاك
ناصر ومعه الشيخ محمد رئيس تراجمة السلطان وهو
كبقية التراجمة يسمى في عرفهم خشم الكلام واخذوا
مني الهدية التي اريد اهداها للسلطان وكانت قليلة
فمنها عشرة ارطال من بن القهوة اليمني وعشرة ارطال
من كعب الطيب وعشرة ارطال من الصابون وحلقتان
من السلك النحاس الاصفر زنة كل حلقة رطلان
فكتبوا جميع ذلك وذهبوا به وبعد ساعة حضروا
وقالوا ان السلطان يسلم عليك وقبل هديتك وكانت
هديتي من احقر الهدايا واخسها منزلة لكن انما
قبلها لجهلها في والدي ولما كان المساء حضر عندنا طوبرة
من طوبرات السلطان ومعه بقجة وسريتين عظيمتين

بلع

احداهما

احداهما بكر والاخرى ثيب لكن الثيب اجمل من البكر
واحسن زينة وقال ان مولانا السلطان اهدى
لك هذين السريتين وهذه الثياب فدعونا للسلطان
وقرانا له الفاتحة وبتنا ليلتنا تلك ولما اضحى الغداة
اتى طوبرة ومعه اناس حاملون لاشيا كثيرة وجمال
محملة فوضعوا ما على اعناقهم وانزلوا الحمول وقال
الطوبرة ان السلطان اهدى لك هذه الاشيا فاذا
فيها خمس جرار من العسل وعشرة سمنا وجملان من البر
وجمل من السمك المملح وجمل من النكاكي وجواد ازرق
عليه سرج يقوده عبد سباعي وجاريتان للخدمة
فتقبلنا ذلك ودعونا للسلطان وفتحنا البقجة فاذا
فيها ثوبان من ارفع ما يوجد من الثياب احدهما
ابيض والثاني اسود يساوي كل ثوب منهما راسين
من الرقيق وطاقة من البفتة الانجليزي وكان
في الهدية ثوران سمينان للذبح وناقة للذبح ايضا
وبعد كل قليل يتفقدني بالالطاف حتى انه ارسل لي
مرة قفتين صغيرتين في كل قفة منهما مائة بيضة
من بيض دجاج الوادي وما ذلك الا ان الدجاج المذكور
وحشي فيبيض في وقت الربيع في الخلا بيضا كثيرا ويجمعه
اهل تلك النواحي فيجتمع عندهم منه شيء كثير وعليهم
للسلطان عادة منه في كل سنة يأتون بها فيحملون

كان حو

للسلطان في كل سنة اكثر من مائة تكخير حمل بعير منهم فلما
كنت هناك في تلك السنة وجاؤا بعوائد البيض فرقه
السلطان على ارباب دولته بحسب مقاماتهم ونالني منه
القفطان فكنت في دار وداى مدة اربعة اشهر ولم
ار السلطان ولا رآني الى ان قدر الله علي واحترقت
يدي من البارود وذلك اني كنت اريد ان اشتري زوج
طبنجات فاردت اختبار زندها فوضعت في قلبية
احداهما بارودا من جراب فيه بارود فحين انكأت
على الغماز ثار البارود وكان شرارة وقعت على الجراب
وكان فيه نحو ثلاثة ارطال فارتفع اللهب الى الجو فاحرق
يدي اليمنى وذراعي الى قرب الكتف واحترق معي رجل
يسمى شمس كان خادما لابي فقاسيت من الالم غاية المشقة
حتى اشرفت على الموت وبلغ السلطان خبري فالم ووصف
لعلاجي زيت الزيتون القديم فارسل لي قدرة زيت
عمره اكثر من ستين سنة حتى احمر وامرأ فكان هو
دوائي ولما شفاني الله وركبت وصليت الجمعة
مع السلطان اخبر بخروجي فسر ولما كان الليل
ارسل لي طوبية فاحضرني عنده وكان في محل ليس
فيه غيره فسلم علي وادناني ورحب بي ولاطفني وامرني
بطلب العلم وحضني عليه وان الازم درس الفقيه السيد
احمد الفاسي فامتثلت امره ولازمت درس الفقيه

السيد احمد

السيد احمد المذكور مدة سنة فحضرت عليه كتاب ابي الحسن
شارح رسالة ابن ابي زيد القيرواني المالكي وربع
كتاب الاجارة من شرح الشيخ احمد الدردير على مختصر
الشيخ خليل حتى ظهر لي منه عدم الود فقطعته

الفصل الثاني في احوال دار وداى وعوائدهم وعوائد ملوكهم واسماء مناصبهم

لما كان الخالق الاكبر تنزهت ذاته وتقدست
صفاته مخالفا لجميع مصنوعاته فلا يماثله احد في ذاته
ولا في صفاته ولا في افعاله نوع العوائد كما نوع
على الفوائد وجعل زينة قوم شينة اخرين
ولو شاء لجعلهم امة واحدة ولكن بتنوع العادات
واختلاف الاصطلاحات يعلم اللبيب الحاذق
ان الحكمة الالهية اقتضت لكل قوم ما اعتادوا
عليه واشق عليهم تغيير عوائدهم دينية كانت او
دنيوية اذا تقرر ذلك اقول ان عادة الوداى
تقرب من عادة الفور في بعض الاحوال وتخالفها
في البعض الآخر اما وجه القرب ففي المآكل والمشارب
وملابس النسا وزينتهن فانها وان لم تكن بينهما
مماثلة كلية في ذلك فهي قريبة منها جدا واما
وجه المخالفة ففي اسماء المناصب وعوائد الحكم
وترتيب الديوان والكرم الذي لا يدرك شاؤه

فكلهم كرام فقيرهم كغنيهم وكل يجود على قدر حاله وقبل
ان نذكر العوائد واسماء المناصب نذكر السلطنة وبيت
الملك وكيف يتوارثونه وما عادتهم في ذلك فنقول
انى لما استوطنت دار وداى وصليت الجمعة في مسجدهم
الجامع سمعت الامام حين يدعو للسلطان في الخطبة
يقول اللهم انصر السلطان محمد عبد الكريم ابن السلطان
محمد صالح ابن السلطان محمد جوده ابن السلطان صليح
فسالت من مسنيهم هل احد يعرف كيف كان ابتداء
امر السلطان صليح والى اى قبيلة ينسب فاختلفت
الآراء فبعضهم يقول هو سناوى من قبيلة يقال
لها السناوية نسبة لجد عندهم يقال له ابو السنون
وهذه القبيلة اعظم قبائل الوداى شرفا ورفعة
ثم انى رايت في خاتم السلطان السلطان محمد عبد الكريم
ابن السلطان صالح العباسى فبحثت عن هذا
النسب الشريف من اين وصل الى هؤلاء الاعجام حتى
امتزج بهم وصار كانه منهم فمن قائل يقول ان
هذا النسب مفترى وانه لا علاقة له بالعرب البتة
ومن قائل ان هذا النسب حق الا انا لا نعلم وقت
دخوله فينا ثم سالت الفقيه احمد من رؤساء
الدولة ودهاتهم فاخبرنى ان التتار لما تغلبوا
على بغداد واخربوا بيت ملك العباسيين

انتقلت

انتقلت الخلافة الى مصر وبقيت كذلك حتى تغلبت
الاتراك والمماليك على الخلفاء وذلك بعد دولة
الفاطميين تفرقت اولاد الخلفاء في البلاد وكان
منهم رجل فر الى ارض الحجاز واستوطن بها حتى
ولد له فسمى ولده صالحا فلما كبر صالح اجتمع مع
بعض حجاج علماء سنار وكان فقيها ورعا عابدا
فاحبوه وكان رجلا كثير السياحة في البلاد فحكوا
له على بلدهم وما فيها وشوقوه لرؤيتها فتوجه معهم
اليها ولم يطل المقامة بها لما رأى بها من العسف
والفجور فخاف على نفسه ففر وتنقل في سياحته
من بلد الى اخر حتى نزل بجبل ابى السنون باقليم
وداى وكانوا مجوسا لا يعرفون الاسلام ولا
الكفر فدخل بينهم وصار يعبد الله ويصلى
ويصوم ويكثر الذكر والقراءة فاحبوه السناويون
وسالوه لاى شيء يفعل ذلك فقال عبادة لله
فقالوا له وما الله فقال الذى خلق السموات
والارض والليل والنهار والشمس والقمر والكواكب
والاشجار والانهار فهداهم الله على يده واسلموا
فعلمهم سورا من القران والصلاة والصيام
وما زال بهم حتى تمكن الايمان بهم من قلوبهم وكانوا
طائفة عظيمة فسموه شيخا وكان ياخذ الزكاة

من اغنيائهم فيفرقها في فقرائهم ثم قال لهم ان الله امرنا
بالجهاد فهلموا نجاهد من لم يوحد الله فاجابوه فخرجوا
معه الى اقرب طائفة بجوارهم فارسل لهم رسولا يدعوهم
الى الاسلام فاسلموا وذهب الى طائفة اخرى فاسلمت
وهكذا حتى اسلم منهم اربعة طوائف من عظام طوائف
السودان وهم اهل المملكة الآن ومن عاداتهم
ان الملك اذا لم تكن امه من هذه الطوائف الاربعة
لا يرضون بولايته ثم جاهد والبقية طوائف
السودان فمن اسلم منهم بدون قتال عندهم يسمى
حرا ومن لم يسلم الا بالقتال يسمى رقيقا لكن
السناوبون وثلاثة طوائف هم اهل بيت الملك
ولما اتسعت المملكة سموه سلطانا وجعلوا الملك
في عقبه واخبرني رجل يسمى الشريف سميح ان
سلطان الوداي وسلطان الفور وسلطان كردفان
اولاد رجل واحد وان صليح وسلون سلمان والمسبع
اخوان وانهم من عرب فزارة وكانوا اصحاب
ثروة وخير وصلاح فسكن كل منهم اقليما فاما
صليح فانه نزل عند السناويين كما تقدم واما
سلون سلمان فانه نزل عند الكونجاره وحين تقوى
بالرجال اخذ الملك من يد التنجر وقد ذكرنا
ذلك سابقا في الكلام على دارفور والذي دعانا

للاختلاف

للاختلاف في نسب هؤلاء الملوك كونهم لم يحفظوا
نسبهم في كتاب ولم يقع من علماء الفور ولا علماء
الوداي تأليف في انسابهم وانما يخبطون خبط
عشوى واذا سئل احدهم عن ذلك فقصارى امره
ان يقول بلغني كذا وكذا وهي دعوى بلا دليل
والله اعلم بحقيقة الحال لكن القول بانه من فزارة
وان جد وجد سلطان الفور وسلطان المسبعات
واحد يكون الجد الفزاري هو السادس للثلاثة
فان السلطان محمد عبد الكريم الملقب بصابون رحمة
الله عليه ابن السلطان محمد صالح ابن السلطان محمد
جوده الملقب بخريف التيمان ومعنى خريف التيمان
عندهم المزدوج الخيرات لان الخريف عندهم هو زمن
نزول المطر والزراعة والتيمان هما التوءمان
اللذان يولدان معا في بطن واحد فشبه السلطان
بالخريف التيمي الذي تأتي امطاره قدر ما تأتي في خريفين
لانه كان جوادا كريما اذا وجه عنايته الى شخص
اغناه كما اذا جاء الخريف عظيما لصاحب الزراعة
ابن السلطان محمد عروس وهو صليح الاصغر ابن
الشيخ صليح ابن الفزاري وكذا السلطان محمد فضل
الفوراوي ابن المرحوم السلطان عبد الرحمن
الملقب بالرشيد ابن السلطان احمد بكر ابن السلطان

سليمان ابن السلطان سلون ابن سلمان الفزارى وكذا
السلطان هاشم الذى كان ملك كردفال الا انى لا اعلم من اجداده
الا المسبع ابن الفزارى واما على القول بان سلطان الوداى
من العباسيين فيكون له جد منفرد غير جد سلطان الفور
والمسبعات وهذا القول هو الاليق به وبكرمه وعلو همته
لانه كان من مكارم الاخلاق وعلو الهمة والتقوى والصلاح
والجود بمكان عظيم فكان في مكارم اخلاقه يضاهى المامون
ابن الرشيد العباسى وكان في كرمه يفوق الرشيد
وآل برمك بل يوشك حاتما بيوم لما ذكر حاتم على السنة
العرب في الشعر والنثر واما شجاعته وبراعته
فاشهر من ان توصف وساذكر كلا من هذه الاوصاف مفصلا
فشتان ما بين بخل الفور وجبنهم وشجاعة الوداى
وكرمهم والعرق دساس فدل ذلك على اختلاف اصل
السلطانين وعلى كل فتاسيس الملك في كل منها اى من
الثلاث ممالك قريب العهد لا يبلغ مائتى سنه

ذكر ما وقع بين الوداى والفور من العهد وما وقع من نقض العهد والحروب والهدنة

حكى لى الحاج نصر السناوى وكان من مسنيهم ناهز
الثمانين ان السلطان سلون سلمان جد سلطان
الفور اجتمع مع السلطان صليح جد سلطان الوداى
في الخلا الكائن بين الايالتين وتعاهدا ان لا يخون

احدهما صاحبه وقاسا المسافة الكائنة بينهما وقسماها
بالسوية واخذا مسامير كبارا من الحديد وضرباها
في الاشجار العظيمة وجعلاها حدا حاجزا بين
المملكتين وحين كنت متوجها من دارفور الى دار وداى
صحبة الفقيه احمد ابى ساره والجيش الذى كان يشيعنا
رايت في وسط الغابة الذى ذكرت ان الارانب
والوحوش فيها كثيرة ثلاث شجرات على خط واحد
في جذع كل شجرة منها قضيب من الحديد غائص في جذع
الشجرة وبارز منه نحو شبر فتعجبت لذلك وسالت
الفقيه احمد ابا سارة فاخبرنى ان هذا هو الحد الكائن
بين مملكة الفور والوداى واظن ان القضيب منها
لا اقل من ان يكون طوله ذراعا ونصفا لان جذع الشجرة
منها من لا يعتنقه الرجل العظيم الباع فلا اقل من
ان يكون المسمار داخلا منه في سمكها نحو ذراع
والبارز منه نحو الشبر ولخوفهم على المارين ثنوه حتى
اعوج منه مع طول الجذع ولقدم العهد نبت الشجرة
واندمج جرحها حتى صار كانه منها وحلف كل منهما
لصاحبه ان لا يتجاوز هذا الحد بخيانة وتوافقا
ان كل من تجاوزه قاصدا ضرر صاحبه لا نصره الله
عليه واشهدا على ذلك من حضرهما من اكابر دولتهما
وتوافقا على ذلك فلما ماتا وورث الملك ابناؤهما

بعدهما طمح نظر كل منهما لاخذ مملكة الاخر وضمها لمملكته
قصد الاتساع الايالة وارتفاع الصيت ونشر الذكر
كما هي عادة الملوك فاراد الله ان السلطان احمد بكر حين
ولي في دار فور كان صغيرا لا يملك من نفسه شيا ولا يقدر على
التصرف في الامور وكان الحكم والامر والنهي لوزرائه
وبلغ خبره الى سلطان الوداي وكان اذ ذاك السلطان محمد
عروس فتاقت نفسه ان يتوجه الى دار فور ويملكها فمنعه
ذو الراي والحزم من وزرائه فابى عليهم وقال لابد من
ذلك ولا اترك ولدا صغيرا يتمتع في مملكة مثل هذه
فقال له احد وزرائه ايد الله مولانا انما الصغير الذي
لا رجال معه ومادامت الرجال مساعدون للصغير فهو
غير صغير ارايت لو قدر الله عليك وخلفت ولدا صغيرا
بين ظهرانينا وجانا العدو افلا نذب عنه بارواحنا
فكيف ان الفور يسلمون ابنه لنا فقال دعوا عنكم هذا الكلام
فاني لابد لي من ذلك وحينئذ لم يمكنهم الا الطاعة فخرجوا
فلما امكنهم الا الطاعة فخرج وكان له ولدان فخلف انجبهما
واجبهما الذي ملكا في بلاده واخذ الثاني معه وخرج
بنصف العسكر وترك النصف لحماية البلد والذب عنها
ولما دخل في ايالة الفور صار لا يتعرض لاحد منها
بسوء ويقول هذه رعايا لا علقة لي بها وانما انا قاصد
الملك فتوغل في دار الفور حتى قرب من بيت السلطان

الذي

الذي في المكان المسمى بنفرلى فنفرت جنود الفور وذهبوا
الى السلطان وكان صغيرا كما ذكرنا وقالوا له ان
الوادي قد جاؤا يريدون اخذ بلادنا فقال لهم
السلطان احمد بكر ما حيلتي وانا صغير ولا اقدر
على مشاق الحروب ولا اعرف كيف اصنع فيها فقالوا
له لا تخش باس شيء وانما نريد ان تركب معنا
وتقف في القلب ونحن نقاتل عنك وعن بلادنا فما
امكنه مخالفتهم فامتثل وخرج من بيته والتفوا عليه
وكان الوزرا قد كتبوا لجميع الافاق بتحشيد العساكر
للذب عن البلد فحضرت جنود تملا السهل والوعر
ومن جملتها اهل البلاد الذي تركهم السلطان وراه
وقال هولاء رعايا لا علقة لي بهم فاجتمعوا واحاطوا
به احاطة الخاتم بالاصبع ووقع القتال وكان
يوما عبوسا ولشوم الغدر ودخامته جا الناس
لابن السلطان وقالوا له ان اباك انما جاء بك الى هنا
وترك اخاك خليفة في البلاد كراهة فيك ومرامه
ان تموت في الحرب ويتملك اخوك البلاد فاخذ
نصف العساكر وانهزم بها الى دار وداي وترك
والده في اشد المضايقة فضاق الحال وقل الجند
وتكاثرت عليه الفور في كل يوم يزيدون والوداي
في كل يوم ينقصون وحلف السلطان ان لا يوجه

وجه جواده لجهة المغرب لان الفرار عنهم قبيح من رعاياهم
فما بالك بالملوك فوقع القتال بين السلطانين سبعة ايام
وفي اليوم الثامن انكسرت عساكر الوداي من الجناحين
وبقي السلطان ثابتا في القلب وثار النقع وارتفع الغبار
من حوافر الخيل حتى صار النهار كالحندس ورأى
الوزرا وارباب الدولة ان انهزامهم وترك السلطان
في وسط الاعداء من اقبح المعايب فادار وجه جواد
السلطان الى المغرب ولم يشعر وسار دابته بوجهم
والعساكر محيطون بهم يذبون عنهم وابلوا بلاء حسنا
وكلما سأل السلطان وقال الى اين انا سائر قالوا
للمشرق ولم يزالوا كذلك مدة اربعة ايام فلما كان
اليوم الخامس انقطعت العساكر عنهم وخلا الجو فظهر
الحال للسلطان انه انهزم وانه متوجه لبلاده فقال
لهم خنتم بوداي فقالوا لولا خفنا لانهزمنا وتركناك
للعدو ولكن كثر علينا المدد وقل منا العدد فرجعنا
بك سالمين فقال لهم ما فعل فلان يعني ولده فقالوا
اخذ نصف العسكر ورجع الى دار وداي فاستشاط
غيظا وعض على انامله وقال حينئذ الحق معكم
ثم انه توجه الى بلاده وحين وصل الى فاشره المسمى
بواره وجد ولديه يقتتلان ولم يغلب احدهما الآخر
لان الذي في دار المملكة كان متمكنا من العدة والرجال

وكذا

وكذا الذي فر من والده كان معه عسكر عظيم فتكافآ
ولم يغلب احد منهما صاحبه وحين جاء ابوهما بطل
القتال وخرج الذي كان في دار المملكة واصطفا
صفين ودخل ابوهما في دار ملكه ودعا بولديه فحضرا
بين يديه فقال للذي رجع عنه في الحرب ما الذي
حملك على ذلك فقال حب المملكة وعدم عدلك فقال
له والده كيف يتصور العدل في ذلك لاني ان ابقيتكما
معا في دار الخلافة كان ذلك جالبا للخراب لان كلا
منكما يريد ان يتناول الحكم ويفعل ما يفعل وانا اخذت
اخاك وتركتك قال اخوك كما قلت ولا يسوغ لي
ان اكون اجنبيا ولي ولدان ولكن حيثما خالفت
امري ورجعت بالعساكر وكنت سببا في خذلاني
وانهزامي امام العدو واشمت بي عداي لافعلن
بك ما تستحقه ثم امر بالقبض عليه وتكحيله
بمراود محماة فاعمى بصره وبقي كذلك الى ان مات
اقول وهذا قليل في جزائه لانه تسبب
بهذا الفعل مفاسد وامور عظيمة اولها العقوق
وثانيها انهزام السلطان من عدوه وثالثها سفك
الدما الذي وقع حين قاتل اخاه ثم وقعت الهدنة
بين الملكين حتى ماتا فولي عوضا عن السلطان
عروس ولده جوده الملقب بجرنيز التيمان وولي

عوضا عن السلطان احمد بكر ولده عمر فمكث عمر في ايالته
في ارغد عيش ثمان سنين ولما راى كثرة الجنود ورفاهة
الحال حدثته نفسه باخذ مملكة وداي فخرج في عسكر
كثيف ونصحه وزراؤه فلم يقبل فلم يزل سائرا حتى
بلغ ايالة وداي فجعل لا يمر بقرية الا اخربها ولا
ببلد الا احرقها ولا باناس الا قتلهم وعظم شره
فالتجا الناس لسلطانهم فلما تحقق السلطان جوده
الخبر ركب فيمن حضر عنده من الجيوش وارسل للافاق
بحشد الرجال والسلاح والكراع فاجابوه واهلوا
عليه كما يهطل الصيب المدرار فما وصل الى العدو حتى
امتلأ السهل والوعر وكانت الفور امتلأت
ايديهم من الغنائم وطمعوا في اخذ المملكة وظنوا عجز
الوداي عن ملاقاة مثلهم فما راعهم الا وقد طلعت
عليهم نواصي الخيل تتلوها الرايات السلطانية وتتابعت
المواكب وكلما جا كردوس من الخيل اكبوا رؤسهم
على قرابيس سروجهم ودخلوا للحرب فاحاطوا بالفور
من كل جانب مع ما اعطاهم الله من الشجاعة والاقدام
لان الرجل من الوداي يقابل عشرة من الفور ولا
يبالي ولشجاعة الوداي كان الرجل منهم اذا اراد
قتال الفوراوي يرميه الفوراوي بالسلاح عن بعد
فيقول له الوداوي اصبر لا ترم فاني اتيك ويتقدم

عليه

عليه لا يخشى من رميه حتى يعانقه ويلزمه حتى يموت
احدهما وحين راى عساكر الفور انهم ابتلوا بما لا طاقة
لهم به رجعوا القهقرى وتبعهم الوداي حتى كشفوهم
ولم يات السلطان جوده الا وهم منهزمون وقتل
السلطان عمر وداسته الخيل ولم يعثروا على شلوه
واغتنم الوداي خيل الفور واسلابهم وجدوا بهم
وتبعوهم يقتلون ويأسرون حتى اخرجوهم من
ايالتهم ولما رجع الفل منهم الى ايالتهم ودار ملكهم
ولوا ابا القاسم بن السلطان احمد بكر سلطانا عليهم
وانقادوا له فمكث في ارغد عيش سبع سنين ثم
لانقضا اجله تذكر ان ياخذ بثار اخيه السلطان
عمر من الوداي فصار يجمع الجموع ويهيئ العدة
حتى جمع جيشا لا يعده العاد ولا يحصره الحاصر واصبح
راحلا بهذا الجيش العظيم الى دار وداي وحين
دخل في ايالة الوداي ارسل وزيرا من وزرائه
الى جهة الصعيد منها الجنوب وهو الصعيد منها ومعه
نحو عشرة الاف من الخيل عدا الرجال وامره باحراق
البلاد وقتل الرجال ونهب الاموال فتوجه وفعل
ما امره به وتوجه هو ببقية العساكر قاصدا دار
ملك الوداي ولما بلغ السلطان جوده سلطان الوداي
ان السلطان ابا القاسم توغل في بلده وفعل ما فعل

ارتحل من محل سلطنته وتوجه جهة الجنوب كانه فار منه
ولما وصل الخبر الى السلطان ابي القاسم ان السلطان جودة
ارتحل من دار ملكه وقد طمع واعجبته نفسه وايقن ببلوغ
الامل واصبح متوغلا في البلاد واما السلطان جودة فانه
سار الى ناحية الجنوب مدة يومين وانعطف في اليوم الثالث
الى ناحية المشرق واستمر سائرا حتى حال بين السلطان
ابي القاسم وبين دارفور وكان حين فشا الخبر ان السلطان
جودة فر من مقر سلطنته كان احد وزرا السلطان
ابي القاسم حاضرا فقال لا اظن ذلك لان الرجل لم يقاتلنا
ولم يعاملنا ولا رأى منا طيبا ولا خبيثا فكيف يفر ويترك
بلاده وبلاد ابيه بغير ما يوجب ذلك وسيتضح لمولانا الامر
ان شا الله تعالى ثم لما كان عند المسا امر بلقحة حلوب
فجيء بها وامر بغسلها بالماء والصابون فغسلت حتى
لم يبق بها درن ولا وسخ ثم امر باناء فغسل وامر بحالب
فغسل يديه وحلبها واخذ اللبن ووضعه على ظهر سقف
عريشه للسلطان ولما اصبح دعا باللبن فاحضر بين
يديه فرآه اسود فجاء به الى السلطان وقال يا مولانا يقولون
ان الرجل فر وهو سار ليله لم يكتحل بنوم فقال
السلطان ومن اين لك ذلك قال اما ترى اللبن فهو بعد
بياضه وبلغني ان بعض جهال الفور راوا اسيرة دخن
بعد حصاده وفيل دراسه وعندها امراة عجوز فصاروا

يعبثون بالغلال ويعطون منها لدوابهم فكانت
تلك العجوز تقول لهم مساكين يا اولادي افعلوا ما شئتم
فان جودة لا يتركم هكذا وسوف يأتي ويسوقكم كالغنم
وكان عندما راى عساكر الفور امر احد وزرائه
المسمى بالعقيد قوت ان يكمن مع اثني عشر الفا من
الخيل في محل وانه لا يأتيه الا ان دعاه ولو فنيت
عساكره ولم يبق منها احد فامتثل الامر وكمن المذكور
في المحل الذي امر بالكون فيه والتقى الجمعان فيا له
من يوم ما كان اصعبه ارتفع فيه القتام حتى اسود
النهار ورئيت النجوم نهارا ولقد شاهدت موضع
هذه الواقعة وهي مجدبة حمرا من مستنقع الدم ورايت
رجالا ممن شاهد هذه الواقعة انقطع ولده من
هول ما راى يومئذ وكان يوما كان فيه الضرب يقد
والطعن يهد ولما اختلط العسكران مع بعضهما
كان من شدة الاختلاط لا يتميز الوداوي من الفوراوي
وحينئذ خاف السلطان جودة ان يغتاله احد بجهود
جند الفور وهو لا يدري فامر باحضار العقيد قوت فما
كان الا كلا ولا حتى حضر بجيشه كالسيل اذا سال
والرمل اذا انهال فوجد الاختلاط العظيم فتحير امره
وتوقف على عن الحملة خوفا من مصرع قبيلته ولما
راى السلطان توقفه ارسل اليه ان احمل ولا تخش شيا

واضرب بكل من كان امامك فحمل بجيشه حملة عظيمة فقتل بها
عالما عظيما وانفرز الجيشان بعد الاختلاط ولما راى
الوداى انفراز جيش الفور عن جيشهم حملوا عليهم حملة
واحدة وحمل معهم العبيد قوت بجماعته وكانوا مرتاحين
لم يلحقهم تعب فبذلوا جهدهم في عدوهم فلم يكن الا كلمح
البصر او هو اقرب حتى انهزم الجيش الفوراوي وقتل
سلطانه وتضعضعت اركانه وساروا بين قتيل
وجريح واسير والسيف يعمل في اقفيتهم فلم ينجوا الا ابراس
طمرة وكانوا حين انهزامهم يفرون الى ناحية المغرب
لذهول عقولهم عن جهة بلادهم فارسل لهم السلطان
جودة فرسانا على اثارهم ينادونهم يا فور طريقكم الشرقي
يا فور ليست هذه طريقكم حتى استيقظوا وتوجهوا الى
جهة بلادهم وغنم الوداى اسلابهم وسلاحهم واموالهم
ومن جملة ذلك نساء السلطان اللائي كن صحبته
لان من عادة ملوك السودان سوا كان الفور والوداى
لا يتوجهون الى سفر الا ويكون معهم جماعة من نسائهم
ولقد شاهدت حين كنت في دار وداى عجوزتين
بلغتا من العمر نحو التسعين واخبرتا انهما من اسيرات
الفور اللائي كن مع السلطان ابي القاسم وبعد انقضاء
القتال رجع السلطان جوده الى مقر سلطنته مؤيدا
منصورا وامتلات ايدى العساكر بالاموال وبعد ثلاثة

ايام

السلطان ابو القاسم لخراب البلاد صح

ايام من هزيمة الفور وقتل السلطان قدم الوزير الذي
كان ارسله قطانا ان سلطانه ملك البلاد وقتل سلطان
الوداى ولم يعلم بما وقع لسلطانه وعسكره وذلك كان
سببا لدنو اجله واجل من بات معه فخرج اليه احد
وزراء السلطان وعارضه وعاقه عن السير وقتله
وقتل جماعته قتلا ذريعا ولم ينج من قتلهم الا القليل
فيا لها من وقعة انست حرب البسوس وازعجت طيور
الارواح من اشباحها بفقد الاجسام وتطيير الروس
ولقد اخبرني الثقاة عن اموات تلك الوقعة المهولة
ان الارض كانت مغطاة بالاموات وان الطيور والسباع
احرزت منها الاقوات وانها لما جافت الارض من نتن
تلك الرمم امر السلطان جودة بدفن تلك الامم فما
وجدوا لدفنها طريقا الا انهم شقوا لها قليبا ورموهم
فيه وهالوا عليهم التراب وكانت عندهم في تلك السنة
من اعجب العجائب وحين رجع الفور الى بلادهم ولوا عليهم
السلطان محمد تيراب وكان رجلا يحب الخلاعة
ويميل للمجون كما تقدم فمكث ثلاثا وثلاثين سنة لم
يخطر له غزو الوداى على بال فوقعت بينهما هدنة وهدايا
وسلكت الطريق بين المملكتين لان السلطان تيراب لم
يغز في تلك المدة الا غزوتين الاولى غزوة العرب
الرزيقات كما ذكرنا والثانية غزوة كردفال ووقعت

الهدنة بين السلطانين وتواصلا بالهداية الى الان وقد مر ذلك كله مفصلا •

الفصل الثالث في نبذة من سيرة السلطان عبد الكريم

الملقب بصابون وكيف كان اول امره وكيف وصل اليه الملك وما وقع بينه وبين اخوته وكم حارب من البلاد وكم قهر من الملوك وفي مناقبه وسيرته حسبما شاهدته ورايته وبلغني من الثقاة •

اعلم ان السلطان محمد عبد الكريم هو اول اولاد السلطان محمد صالح وكانت امه سناوية وكان له اخوان احدهما احمد والثاني اصير فكان صابون احسن اخويه عقلا وعلما وصلاحا وديانة وكانت امه مبغوضة عند السلطان وام احمد هي المحظية فبغض صابون لبغض امه لكن كان يكرمه ويعلي منزلته لعقله وذكائه وفطنته وكان الحب في ام احمد وام اصير وولى اقاربهما المناصب الجليلة وجعلهم وزراءه وارباب دولته حتى صار لهم الامر والنهي بدار وداي وكان السلطان لبغضه في ام صابون اخرجها من بيته هي وولدها واجرى عليها رزقا فنشأ صابون على اكمل حالة حتى بلغ مبلغ الرجال لكن لعقله كان لا يميل الى لهو ولا نساء ولا شرب خمر بل كان مستغرقا اوقاته في القراءة والمذاكرة والصلاة والعبادة وكانت اماله متعلقة بالمملكة فكان يهيئ لها كلما قدر عليه من خيل

بلغ

وسلاح ورجال ودروع وسيوف ثم راى نفع البندق من الاعراب الذين يسافرون الى وداي للتجارة وذلك انه لما راهم حاملين للبندق وكان لا يعرفه سالهم ما هذا فقالوا هذا سلاح نذب به عن انفسنا فقال وكيف يمكن الذب بهذا مع انه غير قاطع فقالوا له انا نضع فيه بارودا ونقوس به هكذا واروه التقويس وكيفية التعمير فتعلقت اماله بذلك واراد تحقيقه فخرج معهم الى الخلاء ونصبوا غرضا للتقويس فقوسوا عليه واصابوه فاعجبه ذلك فكان لا يرى بندقية الا اشتراها من صاحبها باقصى ثمن ولا يرى فرسا ولا انواع شيء من السلاح الا اشتراه كذلك حتى جمع من ذلك شيأ كثيرا واقتنى عبيدا وجلب لهم معلمين من الاعراب المذكورين يعلمونهم التقويس بالبندق وحين راه وزراء ابيه يفعل ذلك خافوا من استيلائه على الملك بعد موت ابيه فذهبوا الى ابيه وحملوا قلبه عليه بان قالوا له ان ابنك صابون لم يبق بينه وبين ان يكون سلطانا الا ان يدعيها لانه لم يترك شيأ من الاستعدادات الا استعد به من خيل وكراع وسلاح ورجال ونظنه عن قريب يقاتلك فاستشاط السلطان غضبا وامرهم بالقبض عليه ففرحوا بذلك وظنوا انهم بلغوا مأمولهم فارسلوا له ملكا من ملوك الترافة مع طائفة وهولاء الترافة يقال لهم العزبان ايضا

شيأ من



وهم رسل الغضب بمعنى أن السلطان اذا غضب على احد الملوك
واراد القبض عليه يرسل اليه من هولاء الزراقنة فذهب
الملك مع طائفة الى دار ابن السلطان ولبختة كان جالسا
على محل عال في بيته يقال لهم الترجة وهو بنا مستدير
اشبه بالمصطبة في البنا لا في الاستدارة يبنى بين
الزربية وحائط الدار لان لكل دار حائطا وبعدها
زربية هكذا والترجة تكون بينهما عالية يشرف
من يجلس عليها على من يمر على الدار
من الخارج ومن ياتيه فراى الزراقنة
قادمين عليه وعرف مقصودهم
فدعا حينئذ بجند وعبيد وامرهم ان يخرجوا خارج
الدار وان يصطفوا صفا واحدا وان يمنعوا الزراقنة
من الوصول الى الدار ويبادروهم اولا بالسوال فيم جاوا
فامتثلوا الامر وخرجوا متهيئين بآلات الحرب
ووقفوا صفا واحدا كانه بنيان مرصوص وحالوا
بينهم وبين الدار وجات الزراقنة فوجدوا هولاء
على هذه الحالة فما قدروا على الوصول الى الدار فوقفوا
وسالهم جماعة ابن السلطان عن سبب مجيئهم فاخبروا
انهم مامورون بالقبض على ابن السلطان فقيل
لهم لا سبيل الى ذلك الا بعد موتنا اجمعين فلما
راى الزربان ان لا سبيل الى القبض على ابن السلطان

الا بعد مقاتلة هولاء استاذنوا السلطان في القتال
وقالوا له ما وقع من ابنه وانهم لن يصلوا اليه الا بعد
تفرق جمعه فارتبك عليه الامر وتحير وعلم انه ان امرهم
بالقبض عليه ولا بد يسفك دم اناس كثيرين وربما
تتقد نار لا يمكن اطفاوها ففكر في امره ثم
امر باحضار العلما فحضر القاضي والخطيب والمفتون
فلما مثلوا بين يديه امرهم ان يتوجهوا الى ابن صابون
ويحذروه عاقبة العقوق ويعلموه انه ان امتثل
لامر ابيه كان احسن له فتوجهوا اليه واعلموه بما قال
ابوه وحذروه من المخالفة فقال انا ممتثل لامر
الله مطلقا وامر ابي ان كان من عند نفسه واما
كون وزرائه وزراء السو يغرونه على القبض على
بغير ذنب لا امتثل ابدا فان اراد ان امتثل له يعرفني
ذنبي وانا مطيع لامره واما كوني اسلم نفسي ويقبض
على ابتغا مرضات وزرائه لا يمكن ذلك ابدا او اذب
عن نفسي حتى اموت كريما فلما ذهبوا الى السلطان
واعلموه بما قال ولده علم ان الحق معه فترك وامر
برد العساكر الى محلها ومكث ابن السلطان في بيته
سارا قارا مدة اشهر فاتفق ان السلطان مرض
وثقل مرضه وكانت اعظم نسائه لا اولاد لها وخافت
ان تولى احد اولاد ضرائرها اهانها وربما قتلها

وعلمت ان صابون وان كان ابن ضرتها ايضا الا انه رجل
عاقل تقي حليم اذا مات ابوه دون مكانه يكرمها ويحترمها
فارسلت اليه سرا ان استعد للسلطنة فان اباك مريض
فارسل صابون من وقته الى جماعة في افاق دار وداي ان
يجتمعوا سريعا وكل من جاء منهم لا يدخل وارة بل يقيم
بالبلاد الغربية من وارة كالبلد المسمى بجبير ونمو وعباي
حتى ياتيهم امره فكان كذلك واجتمعوا في اقرب وقت
وسارت الرسل تتردد بينه وبين امراة ابيه مدة ايام
حتى ان السلطان قضى نحبه وكان الوقت ضحى فارسلت
الى صابون تقول له ان اباك قد توفي فاعجل وتلافى
امرك في هذه الليلة والا خرج الملك من يدك فارسل
في الحال الى عساكره يعلمهم بان يتأهبوا وان لا ياتي
العشا الا وهم مجتمعون عنده ونادى اخصاءه واستشارهم
كيف يفعل في الدخول في دار السلطان فتحيروا في الدخول
من الباب المصفح بالحديد وهذا الباب هو الباب
الرابع لان بيت سلطان الوداي له سبعة ابواب كلها
سهلة الدخول الا الباب الرابع لانه مصفح بالحديد ومحكم
غاية الاحكام فانتدب الفقيه موسى اخو الامام بدر الدين
امام السلطان صابون وكان خادما عنده وقال
يا سيدي انا افتح لك الباب الرابع فقال له صابون
اوتقدر على ذلك قال نعم قال اذن فافعل ما شئت فقام

على الفور واخذ حجرا وشج به راسه حتى سال دمه ومزق
اثوابه ودخل دار السلطان فلما راه الخدمة والبوابون
قالوا له ما شانك يا موسى ومن فعل بك ذلك قال
اني خدمت ابن السلطان بنصح وكافأني بما ترون
فقالوا له ما الذي فعلته حتى فعل بك هذا الفعل فقال
لا ذنب لي الا اني نصحته وحذرته من مخالفة ابيه وحثثته
على الامتثال لامره فما وسعه الا ان شجني ومزق
اثوابي وانا جئت اشكوه الى السلطان فقالوا له الم
ننهك عن خدمة هذا الوغد الاحمق مرة وانت تابى ذلك
جزاؤك ما حل بك فقال جزاكم الله خيرا قد نصحتم وابلغتم
ولكن اذا وقع القضا عمي البصر فقالوا له كن معنا حتى
نرفع دعواك الى السلطان فقال نعم ما اشرتم به وقعد
معهم من داخل الباب الرابع هذا ما كان من امر صابون
والحاكمات من امر الوزرا واما ما كان من امر الوزرا
فانهم اطلعوا على موت السلطان ولسوء بختهم كان
ابنا السلطان احمد واخوه اصيل اللذان هما ولدا ذوي
قرابتهم غائبين يتضيفان في البلاد ويظلمان عباد الله
في اموالهم واعراضهم فارسلوا اليهما بالخبر وحرضوهما على
القدوم سريعا وكتموا موت السلطان حتى ياتيا ولم
يعلموا ان الامور تحكمت وربح من ربح وخسر من خسر وما
واورث الله صابونا مملكة ابيه لا لكونه صالحا عاقلا كريما

وهذا مصداق قوله تعالى على بعض التفاسير ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وعلى بعضها ان الارض هي الجنة وقولي الا الكونه صالحا
عاقلا ليس مرادي ان اللام للعلة اذ انما رالله لا تقلل
بل هي لام العاقبة كما في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ولما امسى المساء وسدل الظلام استاره
اجتمعت عساكر صابون حتى ملات بطحا الفاشر وخرج
صابون في زمرة من اصحابه وتقدم حتى وقف على باب
دار السلطان وكانت الزراقنة نائمين امام الباب
لان العادة ان كل ليلة يبيت احد الزراقنة بجماعته
امام الباب امام فخاف صابون ان يشعروا به فمشى هو وجماعته
حفاة على رؤس اصابعهم حتى دخلوا من الباب الاول
والثاني والثالث وجاؤا الى الباب الحديد الذي هو
الرابع فطرق صابون الباب طرقا خفيفا فاستشعر
موسى وكان قد اتخذ البواب صاحبا واخذ منه
المفتاح ووضعه تحت راسه ونام فلما طرق الباب
واحس به قام مسرعا وفتحه فقال له البواب لمن تفتح
الباب في هذا الليل يا موسى فلم يحر جوابا حتى دخل ابن
السلطان وجماعته والتفت موسى فراى حربة من كبار
الحراب صورتها هكذا فاخذها وقال للبواب النائم
الذي قال له لمن تفتح الباب

في هذا

في هذا الليل يا موسى اتدري لمن فتحت الباب قال لا
قال فتحته لسيدك وسيد امك وابيك وطعنه بالحربة
في كرش بطنه فاخرج امعاءه وجذبها منه وطعن بها
اخر واخر حتى قتل نحو خمسة عشر رجلا وكان السلطان
قبل دخوله للدار ارسل اوقف الفرسان امام الدار يمنعون
الامدادات التي تاتي من اعدائه واوقف الرجل على فم
الباب امام الزراقنة ودخل الدار بما ينوف عن خمسمائة
رجل ولما طعن موسى هولاء الرجال تحرك ساعد الباقون
بقتل جماعة السلطان واستيقظ جماعة السلطان
من سنتهم فوجدوا الطعن احر من الجمر فمنهم من قاتل
حتى قتل ومنهم من اسلم نفسه لجماعة صابون وصار منهم
وكان مع السلطان بندقية فاطلقها في عريش الحريم
فالتهبت نارا وامتدت النار منها لغيرها واضاءت
حتى صار الليل كالنهار وكان هذا الفعل من لطف الله
تعالى لان بذلك الضوء حصلت امور عجيبة اولها
انهم عرفوا اعداءهم فقتلوهم ثانيها ان الاعداء اندهشوا
حين راوا النار اشتعلت بغتة ثالثها ان حرارة
النار اخرجت من كان كامنا وفعل به ما فعل ولولا ذلك
لخيف على صابون من خائن يخونه ولما ملك الجماعة الدار
وامن السلطان صابون من الاعداء دخل داخل الدار حتى
وقف على شلوابيه وهو مسجى والنساء محدقين به فبكى قليلا

واحتسب مصيبته بابيه عند الله تعالى ثم طلب شارات الملك
فحضرت وهي خاتم موروث من اباهم وسيف وحجاب وكرسي
فاحضرت كلها الا الكرسي لم يعلم له موضع فاستشاط غضبا
وقبض على نساء ابيه والزمهن به فانكرن وحلفن انهن
لا يعلمن له محلا واصررن على ذلك فحبسهن ووكل بهن
وسامن الطواشيه وامر بقية الجوار والخدم بالبحث عليه
وان كل من جاء به يعطى جعلا عظيما بعد عتقه فما كان الا
كلمح البصر حتى جاء به بعض الغلمان وقال ها هو وجدته
في محل كذا من الدار فاخذه السلطان وضمه لشاراته ووضعها
في المحل اللايق لوضعها وكان ذلك كله والقتال داير ونار
الحرب تضطرم وما ذال الا ان الزراقنه افاقوا من نومهم
فراوا الرجال واقفين باسلحتهم فقالوا لهم من انتم قالوا
نحن جماعة السلطان صابون فانكروا ذلك وقالوا متى
صار صابون سلطانا حتى تقولوا ذلك فغضبوا جماعة
السلطان لقولهم وقالوا هو السلطان وقد ملك الدار
فاما ان تسلموا انفسكم والا قتلناكم فثار القتال بينهم
وبينما هم في تلك الحال اذ جاء وزراء السلطان المتوفي
اخوال احمد واصيل فوجدوا الدار قد ملكت واستقر
صابون بها فارادوا الدخول عليه فمنعوا فنشب الحرب
بينهم ودام القتال بينهم الى الصباح ولما اصبح الصباح
جاء الامرا والملوك وبلغهم ما وقع فاختاروا صابونا

لحلمه

لحلمه وعدله وما لوا معه وقاتلوا اولئك فتقوى السلطان
صابون وتزايد مدده حتى صار في جيش عظيم وما جاء
الضحى الا والاعداء مغلولون ما بين قتيل وجريح وفار
وغنم اصحاب السلطان صابون اسلابهم وخيلهم وسلاحهم
ولما كان الغد حضر احمد واصيل اخوا السلطان صابون
ومعهما جيش وارادا ان يقتحما الدار على صابون فمنعهما
عساكر صابون فثار الحرب بينهم نهارا كاملا وانهزم
احمد واصيل متفرقين فاما احمد فانه توجه الى اخواله في قبيلة
يقال لها أَبُ دَرَقْ واما اصيل فامه كانت من مساليط
وداي الذين تحت حكم عقيد الكلاج الصباح فتوجه
اليهم ايضا ومنهم سار الى دار فور وسياتي خبر القبض
عليه فيما بعد ان شاء الله تعالى ولما بلغ الخبر الى
السلطان صابون ان اخويه فرا وانهزم جيشهما
حمد الله الذي فرج عنه تلك الكربة لان الكماكلة
الكبار والوزرا العظام كانوا كلهم من اهل ام احمد وهو
لعقب السلطان صالح على امه لم يول احدا من اهلها
منصبا ولما انهزم الاعداء وراق الحال خرج
السلطان صابون في ديوانه وانعقدت له البيعة
بحضور العلماء وولى اقاربه في المناصب الجليلة
واطاعته البلاد وانقادت له فمنها ما انقاد له رغبة
ومنها ما انقاد له رهبة حين نظروا ما وقع لاخيه

احمد وجماعته لانهم لم يقدروا على احصا القتلى وكان الدم
يوم قتاله لجيش احمد يسيل كالنهر وهذا معنى قول الشاعر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى تراق على جوانبه الدما

وكان القتال المذكور في اواسط رجب الفرد اظنه من
سنة ١٠١٩ فمكث في بيته سارا قارا بقية رجب وشعبان
كله وفي شهر رمضان توجه لقتال اخيه احمد وذلك
انه بلغه ان احمد اخاه جيش جيشا عظيما وساعده
على جمعه بعض اخواله ممن انهزم يوم الواقعة وكان
من الوزرا العظام فخاف السلطان صابون عن
ذلك الامر ان تراخى فيه تفتتن الناس ويكثر جيشه
ويتسع الخرق على الراقع وهذه عادة كل ملك حازم
لرايه لان اول الغيث قطر ثم ينهمر فخرج في ثالث
ليلة من رمضان في جيش كثيف وكان بينه وبين
اخيه احمد مسافة يومين سفرا معتدلا فسرى ليلة اجمع
وسار جل نهاره وقبل العصر وصل الى محل معسكر اخيه
والتقى الجمعان وكان الوزراء الذين مع احمد اخيه اشاعوا
ان السلطان صابون عاق لوالده وان والده حي وهو يريد
قتله واخذ الملك منه فنفرت عن صابون طباع الناس
واستقبحوا فعله وانحرفت قلوبهم عنه وبلغ الخبر الى السلطان
صابون فعلم انها حيلة دبرت لنفور الناس عنه فلما وصل

ارسل اليهم يقول لهم انه قد بلغني انكم تقولون ان والدي حي
وانا اريد قتله واخذ الملك منه فان كان قولكم صحيحا
اروني ابي وانا اسلم له نفسي يفعل فيها ما يشا وان كنتم
تخافون مني عليه فانا عندي اناس امنا اتقيا ترضونهم
وارضاهم فابرزوه لهم فان اخبروني انه هو سلمت
له نفسي ليفعل فيها ما يشا فلما بلغهم الرسول مقالته
ردوا عليه اشنع رد وقالوا له انا لا نملكك ولا نمكن
غيرك من رؤيته بعد ان وقع ما وقع فلما بلغه ذلك
زحف عليهم بالعساكر وتوضا وصلى ودعا الله امام
الناس وطلب النصر على الاعدا فنشب القتال بينهم
فلم يكن الا كلمحة بارق او خطفة باشق حتى ولوا
الادبار وركنوا الى الفرار فلما راى السلطان انهم
يريدون الانهزام ارسل امامهم جيشا قطع عليهم طريقهم
واعدمهم توفيقهم ونادى مناديه الا كل من قبض على
احمد اخي فله عندنا من الجزاء كذا وكذا وذكر امرا
جميلا فما جاء المغرب الا واحمد في قبضة الاسر وجيء
به ذليلا حقيرا فامر بتصفيده ثم جيء باكثر اقارب احمد
مقرنين في الاصفاد فحملهم السلطان معه الى ادرار كان به
بقاعدة مملكته ومقر سلطنته وبات في غبطة وسرور
ولما اصبح ضربت الطبول وجمعت الجموع وكان محفوظا
بالله من محفوظ وخرج السلطان الى الفاشر والرايات

نخنق على راسه والمظلة والريش ووقف كل من الامراء
في موقفه وجلس كل من ارباب الدولة المراتب في محله
المعد لجلوسه واصطفت التراجمة وحضرت العزبان
زمرا زمرا لابسين حلل الانتقام مروعين بسماتهم
جميع الانام ووقفوا في المحل المعد لوقوفهم وامر بمجئ
احمد هو واقاربه وعشيرته وشيعته فجئ بهم في اسوء
حالة يجلون في قيودهم واوقفوهم امام السلطان
واحد امامهم فقال السلطان لاحمد يا ايها الفاجر الخائن
الفاسق المارق ابن الفاجر الظالم الطاغي الغاشم اتظن ان
مثلك يصلح لان يكون اميرا او رئيسا ومشيرا حتى تطمع
في امامة الانام ورأسة الاحكام كلا ساء ما توهمت
وبئس ما ظننت انت لا تصلح ان تكون راعيا لعباد
الملك العلام بل لا تصلح لرعي الاغنام طالما ظلمت وتجبرت
وطغيت وتكبرت فكم من مخدرة هتكت وكم من اناس
ظلمت وكم من دم سفكت لقد تعديت حدود الله الذي
قال فلا تعتدوها وارتكبت من الفواحش التي قال الله
ولا تقربوها فان كنت كاذبا فيما ادعيه برهن عن نفسك
وانفيه فقال احمد بقلب جرئ وجنان قوي اسكت
فض الله فمك واهلكك واعدمك يا ايها الجبان العاق
لوالده المطرود من رحمة المنان لقد غلط الدهر في سوددك
وعن قريب يراجع عقله فيك اتظن اني اخشى باسك

او اخاف مراسك وانا اعلم انك لا تقدر على اكثر من قولك
اقتلوه والقتل عندي اهون من وقوفي بين يدي لئيم
مثلك فعند ذلك قال السلطان للعلما ومن حضر من ارباب
الشرع افتوني في هذا المارق فقالوا جزاء الخارج عن
طاعة الامام الذي انعقدت له البيعة من الانام
ان يقتل او يصلب او تقطع يده ورجله من خلاف
لقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف او ينفوا من الارض فعند ذلك امر السلطان
بان تحمى مراود الحديد ويكحل بها فكان كذلك ثم التفت
الى وزراء ابيه وقال لهم يا وزراء السوء اينما كنتم تدعونه
من حياة ابي وتزعمون اني عاق لوالدي واشعتم من
ذلك ما اشعتم وما قصدتم الا قتلي وتولية ابن بنتكم
والان ولله الحمد ثبت كذبكم وتزويركم ثم امر الكبرتو
وهم الموكلون بقتل من يامر السلطان بقتله وهم
الذين يضربون البوقات امام السلطان بان يقتلوهم
فاحتاطوا بهم وشرعوا في قتلهم بعصي ذوات رؤس عظيمة
كالمسماة في عرف الترك بالدبابيز كما هي عادتهم وسنتكلم
فيما بعد على عوائد الغور والوادي في القصاص والقتل
والحبس وكيفية سجنهم وعذابهم لمن غضبوا عليه ان
شاء الله تعالى فكانوا القوة قلوبهم وعدم اكتراثهم بالقتل

يتسابقون اليه وكل منهم يمد عنقه للقتل قبل صاحبه رغبة
في الموت وخوفا من عار الجبن لان الجبان عندهم لا يعد
من الرجال ولا يزوجونه من اعظم انسابهم بل يخرجونه
من انسابهم ولم اسمع فيما سمعت باشجع من هؤلاء
ولقد كنت رايت في بعض التواريخ ان بعض الخلفاء
خرج عليه خارج يقال له نعيم وجيش جيوشا عظيمة
فعاناه الخليفة حتى ظفر به فلما احضر بين يديه امر
بقتله ففرش له النطع وجرد السياف سيفه وقام على راسه
والتفت الخليفة الى نعيم فرآه ضاحكا غير مكترث ولا منزعج
ثابت الجنان لم يظهر عليه من اثر الرعب شيء فاستنطقه
الخليفة ليختبر حاله فقال له يا نعيم اذ كانت لك حجة
فأت بها فقال نعيم اما اذا اذن امير المؤمنين فالحمد لله
الذي جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين ولا عذر لي
الا اني اقول وانشد

ارى الموت بين النطع والسيف كامنا ... يلاحظني من حيث لا التفت
واكثر ظني انك اليوم قاتلي ... واي امرئ مما قضى الله يفلت
وما جزعي من ان اموت وانني ... لاعلم ان الموت شيء موقت
ولكن وراءي صبية قد تركتهم

واحشاؤهم

... واحشاؤهم من وحشتي تتفتت
كاني اراهم حين انعى اليهم ... وقد خمشوا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا امنين بغبطة ... اذود الردى عنهم وان مت موتوا

فذرفت عينا الخليفة رحمة عليه وقال قد وهبتك لله
ولصبيتك يا نعيم ثم امر باطلاقه وفكه من وثاقه
واحسن اليه ورده الى صبيته مغتبطا مسرورا ومن
هذا القبيل ما حكي ان النعمان ابن المنذر ابن
ماء السماء كان ملك العرب بالحيرة وكان قد قسم الايام
الى يومين يوم سرور ويوم بوس ففي يوم السرور
لا يقع نظره على انسان الا احسن اليه وجمله وفي يوم
البوس لا يقع نظره فيه على احد اجنبي الا قتله فاتفق
انه قصده رجل من الاعراب يطلب احسانه فصادفه في يوم
بؤسه فلما مثل بين يديه امر بقتله في الحال فقال الاعرابي
والله ان الموت احب الي من كل شيء ولكن اريد من
الملك ان يمهلني ثلاثة ايام ارجع فيها لأهلي
واعلمهم بما حدث وعندي للناس ودايع لاني ان انا مت
الآن ربما ضاعت على اصحابها فاردها اليهم وآتي
يفعل بي الملك ما هو فاعل فقال الملك اعطني كفيلا
واذهب فالتفت الاعرابي الى احد وزراء الملك وخاطبه

من دون الحاضرين وطلب منه ان يضمنه والشد في ذلك
شعرا نسبته لا اعلم منه الا قوله

يا اخا الاجواد جد لي	بضمان والتزام

فهزت الوزير اريحية الكرم وعلو الهمة وحسن الشيم وضمن
الاعرابي واطلقه فركب على ناقته وتوجه الى اهله واعلمهم
وفعل ما يلزمه فعله ثم رجع فكانه ابطأ قليلا واصبح
النعمان في اليوم الثالث يقول للوزير ان لم يات من كفلته
تسد مسده فقال الوزير وهو كذلك لكن لا سبيل للملك
على الا بعد عصر هذا النهار فان لم يات الا انا اسد مسده
فلما كان العصر قال النعمان لوزيره تهيا لوفاء ضمانك
فقال وهو كذلك فتهيا الوزير ونودي للسياف فحضر
واخذ الوزير الى محل القتل واجتمعت عليه الناس ما بين
باك وصارخ وبينما هم كذلك اذا بالاعرابي قد قدم
وهو ينادي خلوا من الرجل ها انا جئت اوفي بضمانه
فامسك السياف يده واعلموا الملك فامر باحضارهما
فلما مثلا بين يديه قال لهما ما رايت اعجب منكما في حسن
الوفا وعلو الهمة وقد عفوت عنكما وابطلت يوم بؤسي
اكراما لكما ومن هذا القبيل ما حكى لي الشريف محمد
ابن الشريف ابراهيم الملقب بكتاب العشرى من اهل سنار
قال كان عندهم ان الرجل اذا قتل اخر يمسك القاتل رجل
المقتول ويجلس حتى ياتي اهل المقتول فيقتصون منه

فاتفق

فاتفق ان رجلا قتل اخر عند عشيقة لهما ومسك رجله
وجلس حتى جا اهله وكان للمقتول ستة اخوان ذكور وعمه
وابوه وامه فسالوا القاتل لم قتلت اخانا قال قتلته قالوا
اترضى ان نقتلك فيه قال نعم الا اني اريد من افضالكم ان
تمهلوني ثلاثة ايام اذهب فيها لاهلي واودعهم واتيكم
فقالوا له هذا جبن منك وتريد ان تفر من القتل وان
كنت جبانا فلست حينئذ بكفو لاخينا فلا نقتلك فيه
وكان من عاداتهم ان لا يقتصون الا من شجاع فان كان
القاتل جبانا تركوه ونظروا اشجع اقاربه فقتلوه فيه
فقال لهم الرجل لا والله ما انا بجبان ولعنة الله على كل
جبان لكن لي عذر واضح هو الذي الزمني ان ارجع الى اهلي
فقالوا ائتنا بكفيل ونحن نتركك فاختار من الناس
الحاضرين رجلا توسم فيه الخير وساله ان يكفله حتى يرجع
فهزت الرجل النخوة وضمنه وشرطوا عليه انه ان لم
يات بعد ثلاثة ايام يقتلونه باخيهم فرضي واشهد
على نفسه بذلك وركب القاتل راحلته وودعهم وانطلق
الى اهله فلما وصل اليهم واعلمهم بما جرى له وكان حديث
عهد بعرس فقالت له زوجه لا تتاخر علي واذهب
فاوف بضمانك وقال ابوه واخوته كذلك فاغتسل وتطيب
وركب راحلته وتوجه راجعا ليوفي بضمانه فعرض له اسد
عاقه عن مسيره فنزل وقاتله حتى قتله واخذ قطعة من جلده

راسه علامة على صحة قوله ولما كانت عشية اليوم
الثالث جاء اهل المقتول للضامن وقالوا له قد ظهر
ان صاحبك قد هان فقم ووف لنا بالضمان فقام
من ساعته وتوجه بهم الى محل القتل وبينما هم محتفون
به وشارعون في قتله اذ جاءهم القاتل ينادي يا ويلكم
خلوا عن الرجل ها انا جئت اوفي بضماني فخلوا عنه
وحين راى ابوهم المقتول ان القاتل جاء ولم يفر دعا اولاده
كلهم ودخل بهم داره واغلقها عليه وعليهم وقال لهم
يا بني ماذا ترون في امر هذا الرجل وهل تعفوا على همة
ام الذي ضمنه فاتفقوا على انهما كفرقدين في سما فقال
لهم ابوهم الراى عندي هذا الرجل لا يقتل لحسن وفائه
فقال احد اولاده انترك دم اخينا يذهب هدرا
لا كان ذلك ابدا فحلف ابوهم بالطلاق الثلاث انه
لا يقتل وكل من ناله بسوء كان هو خصمه واغلق
عليهم الدار وخرج ودعا بالرجل وقال له قد عفونا
عنك فاذهب الى سربك فابى الرجل وقال لا يمكن
ذلك ابدا اكون قاتل ولدك وثمرة فؤادك واعيش
بعد هذا مما لا يكون فقال له ابو المقتول قد عفونا
عنك والحمد لله ان قتل مني ولد فقد بقي لي اولاد وتركه
ومضى فمكث القاتل ثلاثة ايام وهو ينادي
يا اهل الثار هلموا وخذوا بثاركم مني فلم ياته احد

فلما

فلما اعياه الامر ركب راحلته وانقلب الى اهله اغبط
انسان اه ولما قتل السلطان اعداءه من اخوال احمد
وعزم اظهر في الناس العدل وحسنت سيرته في الممالك
فهرعت العالم الى سدته من كل حدب ينسلون كانهم
الى نصب يوفضون فقمع الجبابرة الذين كانوا يدعون
بالعفاريت وامن السبل التي كان يخشى من سلوكها
كل قرن خريت حتى كانت المراة تسلكها محملة من
النضار لا تخشى الا الواحد القهار ومكث على ذلك مدة
لكن كان في قلبه من اخيه احمد ما يمنع الهدو والمنام
لكنه صابر حتى يحدث الله بعد ذلك امرا فاتفق
ان السلطان غزا ادرنا ما واخرب ديار اهلها
وشتت شملهم ومزق جمعهم كما يأتي بيان ذلك وكان
ملك الشام ينتمي الى سلطان الغور فاغاظه ما وقع
له فتفكر في مكيدة يكيد بها السلطان صابون واستشار
وزراءه في ذلك فاشاروا عليه ان يلتفت الى احمد
وينعم عليه بانعامات وافرة ثم يعاضده في شأن توليته
سلطانا على دار واداي فانه يرغب في ذلك ويأخذ
عليه العهد انه يعطيه في كل سنة كذا وكذا من المال
فمتى اخذت عليه العهد بذلك فمره ان يكاتب امراء
دولة صابون ويوعدهم المواعيد الحسنة ليفسدهم
عليه فاذا اتته الكتب منهم بان قلوبهم معه تهيئ له

جيشا كثيفا يذهب معه فتاخذ لك واداى وتصير من جملة
ممالكك وحينئذ صابون اما ان يقبض عليه وتبلغ
فيه مرادك واما ان يقتل في الحرب وقد كفيت شره واما
ان يهيم على وجهه فلا تقوم له قائمة فغفر ذلك السلطان
محمد فغفر ودعا باصير بعد ان كان نسيه وهو عنده
في زوايا الاهمال لا يعتنى به احد فانعم عليه واعطاه
خيلا ورقيقا وحوله في دار حسنة ووصله باموال
جزيلة واخذ عليه العهد على حسب ما قال وزراؤه فاصبح
اصير في ابهة وناموس وارتفع صيته بعد الخمول
وعرفته الناس وشاع على السنة الناس انه سيملك
دارواداى وكتب جملة كتب وارسلها الى وزراء السلطان
صابون ليفسدهم عليه ووعدهم بكل جميل فاخذوا
الكتب واطلعوا السلطان صابون عليها فلما راها فرح
واستبشر بقرب الفرج وقال لعظماء وزرائه كاتبوه
بانكم معه بالقلب والقالب لاني مضيق عليكم ومتعبكم
غاية التعب وكلكم مقيمون معي مع الكراهة لعدم
وجود غيري واخبروه انه غير محتاج الى معونة السلطان
محمد فضل لان في ذلك عارا عظيما لان مملكتنا بعد ان
تكون مستقلة تكون تابعة ويفوز غيرنا بخيرها ولا
يكون لك من السلطنة الا الاسم وهذا عار يبقى الى الابد
فان كنت تالف بلادك وتاخذك عليها غيرة اباك

بلغ

ان

ان ترضى بان تكون من تحت يد سلطان الفور وانما الراى
عندنا ان تختلس نفسك وتاتي الى المحل الفلاني وترسل
تعلمنا ونحن ناتيك باجمعنا ونترك صابون وحده وناخذك
وندخل بك البلد ويبقى صابون في قبضتك تتصرف فيه
كيف شئت ونقسم بالله واياته لئن جئتنا بجيش الفور
وسلطانهم لا نطيع لك ابدا ولو لم يبق في دارواداى الا
رجل واحد فاختر لنفسك ما يحلو ونحذر سعادتك
من ان تطلع على كتابنا هذا احدا من الواداى او الفور لانك
اذا اطلعت عليه احدا من الواداى لا نامن من ان يبلغ
ما فيه الى السلطان صابون فيقتلنا وانت تعلم ما عليه
اخوك من الحدة والعتو وان اطلعت عليه احدا من
الفور لا نامن ان يفسد بينك وبين السلطان قبل
ان تبلغ مقصدك والموعد بيننا وبينك محل كذا فنحن
نمكث فيه حتى تاتينا فمتى قربت منه فارسل لنا رسولا
يعلمنا بقدومك ونحن تحت امرك ان شاء الله تعالى
فلما وصل الكتاب الى اصير وراه انخدع واطمان بما فيه
سيما وقد راى فيه اختام الوزراء الكبار والكماكلة العظام
وراى ان ذلك انفع له فاغلق بابه وامر الخدم والبوابين
ان كل من سال عنه يقولون انه مريض وترك جميع امواله
ورقيقه ولم ياخذ معه الا خادم واحد وركب بعيد
العشاء وسار الليل كله والنهار كله ولم يسترح الا وقت

القائلة ثم ركب وسار الليل كله فقطع شقة عظيمة وفي
ثالث يوم وصل الى المحل الذي سماه له الوزرا فاختفى هناك
وارسل اليهم كتابا يعلمهم بانه جا على حسب وعدهم فما كان
الا كلمح البصر حتى اقبل عليه جيش وخدموا له واطاعوا
والتفوا عليه وتوجهوا به الى المحل المعلوم فرآى فيه من السرادق
والخيول والعلامات السلطانية ما ادهشه وحقق
ظنه وراى جيشا يعجز العاد ان يعده فامل الخير والنصر
وجا اولئك الوزرا وهنوه بالسلامة واكبوا على اقدامه
يقبلونها وهو يوعدهم بكل جميل وكان ذلك كله
مكيدة من السلطان صابون وهو الذي دبر هذه
الامور واعدها واخذ العهود على الوزرا والكماكلة
انهم لا يخونونه وحلفهم ايمانا بالغة ووعدهم
ان قبضوا له على اصيل انه يكافئهم بكل خير وبعد ان
استوثق منهم ارسلهم اليه في تلك الابهة من الخيول
والسرادق حتى انه ارسل له سرادق نفسه وكان
من جملة وصاياه لهم انهم لا يتوانون في القبض عليه
وانهم متى قبضوا عليه يرسلوه في طائفة من الفرسان امنا
ويأخذون عليهم العهود انهم لا يخونون فيما استومنوا
عليه ولما دخل اصيل في المعسكر واستقر ارسل الى كل
جهات الوادي مناشير سلطانية يحرضهم على القدوم
على اعتابه ويحذرهم الخلاف وعاقبته ولم يعلم ان هذا

كلا

كلا حيلة دبرت عليه ليخرج من بين اظهر الفور ويتمكن
من قبضه اقول ومثل هذه الحيلة لا ينخدع بها
الا كل غر احمق لانه لو كان فيه ادنى عقل ورأى مثل هيئة
المعسكر والعلامات السلطانية والسرادق وجميع
ما هيا له لعلم بفطنته ان الوزرا لا يمكنهم اخراج
شارات الملك وسرادقه الا باذن منه لكنه لغباوته
لم ينتبه لشيء من ذلك ولقد اجتمعت معه
في دارفور مرارا ورايت فيه من الكبر والزهو على اهل
الارض لوسعهم مع انه كان في غاية من الفقر والمسكنة
وحين كان يضمني معه مجلس كان ينظر لي شزرا نظر
عداوة ولم يكن بيني وبينه معاملة قط لكنه لما بلغه
انا والدي وزير للسلطان صابون يبغضني لذلك
وهذه غاية الجهل والحماقة اهـ وحين راى اصيل
اقبال الوزرا والكماكلة عليه تيقن ان حاله صلح وان
الدهر خدمه ولم يشعر بان الدهر افسد حاله افسادا
لا يرجى صلاحه على حد قول الشاعر

عجوز تمنت ان تكون فتية ... وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر
تروح الى العطار تبغي شبابها ... وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

فما كان في سعيه من دارفور الى دار وداي الا كالباحث

عن حتفه بظلفه او الجادع مارن انفه بكفه وكان راي
الوزرا انهم يدخلون به الى دار واداي حتى يصلوا الى وزرايهم
ويقبضون عليه هناك فاراد الله غير ذلك وعجل له النكد
من جميع المسالك وما ذاك الا ان بعض الملوك صمم على خيانة
السلطان ونصرة اصيل لما دام في صدره من الفساد لان
حضرة السلطان لا يمكن ظالما من الظلم ولا مفسدا من
الفساد وهذا البعض يعلم انه ما دام صابون سلطانا
لا يتمكن من اغراضه ويتمكن منها مع اصيل فجنح اليه بقلبه
وافشى ذلك وقال لبقية الامرا اراكم عزمتم بالرجل
وجئتم به تردمون فتلاموا انه ابن ملككم وفي ظني انه
اولى من صابون بالملك لانكم تعلمون ما عليه صابون
من الجبر والعتو وسفك الدما وعدم قبول نصحكم وان
كنتم تسمعون نصحي تجعلون هذا العهد جدا وتكونوا
مع هذا الرجل بالقلب والقالب وتفيدوا دولته
رحمة عظيمة فحين سمعوا منه هذا القول علموا انه
صبا وانه ان لم يتداركوه افسد حيلتهم فقبضوا عليه من
غير سؤال وقيدوه ثم وكلوا به من يحفظه وقاموا كلهم
ودخلوا على اصيل وقبضوا عليه في تلك الساعة خوفا
من ان ينمي اليه خبر ذلك الملك او تسمع شيعة ذلك الملك
فتشب نار يعسر اطفاؤها وبعد ان قبضوه عليه
صفدوه وجمعوا ايديه الى عنقه بجامعة متينة واركبوه

بعيرا وارسلوا معه الف فارس بعد اخذ العهود عليهم
بعدم الخيانة وامروهم ان يتوجهوا به الى واره وجعلوا
امرهم الى كاملاك كدرمي وهو ابن خالة السلطان
صابون وكان اشفق الناس عليه فاخذ عسكره وتوجه
وسرى به الليل اجمع وبالنهار تحذا الوزرا بالعسكر
وسروا خوفا من ان يحدث امر فوجدوا الكاملاك
كدرمي قد وصل بمن معه الى قرية هناك فسالوه هل
حدث شيء فقال لا فتوجهوا وتركوه يأتي على رسله
وتعجلوا السير الى واره فوصلوها في ثالث يوم ودخلوا
على السلطان واخبروه بما وقع فابتهج فرحا وامر
بسجن الملك الخائن واصبح ارسل ملكا من ملوك
الزراقنة بطائفة ياتون باصيل صحبة الكاملاك
كدرمي فذهبوا وبعد ثالث يوم وصلوا باصيل مقيدا
على البعير وخرج السلطان في الفاشر في اكمل زينة
وضربت الطبول والجوقات وخفقت الاعلام على
راسه واصيل راكب على البعير ثم امر السلطان بدخوله
في وسط الحلقة وقال له يا خائن يا غادر اتريد ان
تملك بلادنا لاعدائنا الاجل قضا شهواتك ثم امر
بقتله في الحال فقتل شر قتلة واراح الله العباد والبلاد
منه وكان يوم سرور في دار وداي لم ينظر مثله
قط ثم امر السلطان باحضار الملك الذي خان فاحضر

الصفاح

فامر بقتله في الحال فقتل وطرح شلوه مع شلوا صبيل
في بطحاء الغاشر من وقت الضحى الى المساء ثم امر بدفنهما
وهذه من اغرب الوقائع ولم اسمع بملك خدع كما خدع
قصير الاجذيمة الابرش ملك العرب فانه انخدع للزبا
وهذه كانت ملكة ايضا مات ابوها ولم يعقب غيرها
وكانت في مملكة واسعة فاحب جذيمة ان يتزوجها
وكانت تكره الرجال فارسل لها جذيمة انى خاطبك
لنفسي فعلمت انها متى امتنعت قاتلها جذيمة واخذ ملكها
وقهرها عليها فخدعته بحيلها وارسلت تقول له ان السعد
اصاب الغراب ووالله انك لكفوء كريم وطالما كنت
اراود نفسي ان اخاطبك في هذا الشان لكن لا يخفى عليك
الحيا الذي يمنع النساء من تمام اغراضهن والحمد لله الذي
الهمك لهذا الشان الان فاذا اتاك كتابي هذا فعجل بالقدوم
ليكون الشمل بسلكك منظوم والسلام فلما قرا الكتاب
اعجبه وارتحل واصبح مرتحلا وكان له ابن اخت يقال له
قصير جا الى الملك حين بلغه ذلك وقال له ايها الملك
انتخدع لامراة فقال لا خدعة فقال قصير لا يسمع
لقصير قول فصار مثلا ولما وصل جذيمة الى الزبا
تلقته اعظم ملتقى واخرجت له العلوفات والضيافات
وحضرت لديه وعقد عليها ولما عقد عليها اطمانت نفسه
ووثق بها ورد ما معه من العساكر وبقي في نفر قليل

٧ امتاع عروس نزى قطر

ولما دخل عليها في قصرها اعظمت ملقاه وتاملها لم يجدها
تاهبت ولا تزينت بشيء فاحس بالشر وقد غلقت
عليه الابواب وبقي وحيدا ثم انها غابت عنه قليلا
وعادت اليه مكشوفة السوءة وارته سوءتها وقالت
له انظر ترى عانة كادشعرها ان يكون لمة فقال
لا بل متاع امة بظرى فعند ذلك دعت بجواريها
وقالت افرشن نطعا ففرشنه وامرت حاجمان
يصنع راهشيه ففصدهما وتركت دمهما سائلا حتى مات
وكانت في اثناء ذلك تقول لجواريها احفظن دم سيدكن
فقال جذيمة دعنه فانه دم اهدره صاحبه وهذا
معنى قول الشاعر

فقدمت الاديم لراهشيه	والفى قولها كذبا ومينا

ثم ان قصيرا اخذ بثار خاله منها وقتلها هي وقومها
مع ابن جذيمة وقصتهما مشهورة فلا نطيل الكلام بها
وانما ذكرنا صدرها هنا لمناسبة الخدعة على سبيل
الاستطراد وانما قتل صابون اخاه والملك الذي كان
صبا اليه لان الرجل الحازم اذا تمكن من عدو يعلم
ان العفو عنه يجلب محنة له العفو لا ينبغيه وهذا
معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المومن من جحر
مرتين ومن هذا القبيل ما قيل انه لما
تزهد النعمان الاعور ملك بعد ابنه المنذر وانتهى ملكه

فى زمن فيروز بن يزدجرد ثم ملك بعده ابنه الاسود وهو
الذى نصر على غسان عرب الشام واسر عدة من ملوكهم واراد
ان يعفو عنهم وكان للاسود ابن عم يقال له ابو زينه قد قتل
له آل غسان اخا فى بعض الوقايع فقال قصيدته المشهوره
يغرى الاسود على قتلهم فمنها

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا
ولا يسوغه المقدور ما وهبا
واحزم الناس من ان فرصة عرضت
لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
وانصف الناس فى كل المواطن من
سقى المعادين بالكاس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم
بحد سيف به من قبله ضربا
والعفو الا عن الاكفاء مكرمة
من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد
رايت رايا يجر الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها
ان كنت شهما فاتبع راسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا
واوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا

ان نعف عنهم تقول الناس كلهم
لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا
هم اهلة غسان ومجدهم
عال فان حاولوا ملكا فلا عجبا
وعرضوا بفداء واصفين لنا
خيلا وابلا تروق العجم والعربا
ايحلبون دما منا ونحلبهم
رسلا لقد شرفونا فى الورى حلبا
علام نقبل منهم فدية وهم
لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا

وقد آن ان نخبس القلم من طغيانه ونرده عن
الجموح بالوا اعنانه ونشرع فى ذكر الوقائع التى جرت
جرت بين السلطان صابون واقرانه والحروب
التى حصلت منه الى اخر زمانه

الفصل الرابع فى ذكر ما وقع من السلطان صابون من الحروب وقهر الملوك وملك البلاد

اعلم ان القادر الذى لا يعجزه شئ تقدست ذاته
وتنزهت صفاته جعل الملوك فى الاكوان كالرؤس
من الابدان والراس هو الرئيس وهو محل العقل على
بعض الاقوال وهو اشرف اعضاء الانسان لان فيه
من الحواس الظاهرة اربع وهى السمع والبصر والشم والذوق

وفيه الحواس الباطنة بتمامها وهى الحس والخيال والمفكرة
والمدبرة والمتصرفة كما ان السلطان محل جمع الكلمة ومحل
العدل والظلم والانصاف والذب عن البلاد والرافة والرحمة
والانتقام من الظالم للمظلوم واقامة الحدود والتجاوز
والعفو ولهذا قال عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله
فى الارض ياوى اليه المسكين وبه ينتصر المظلوم وقال
عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
اذا تقرر ذلك فمن حيث ان السلطان محل القوة والنجدة
فمن الواجب عليه ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وفى
الحديث من راى منكم منكرا فليغيره اما بيده او بلسانه
او بقلبه وهو اضعف الايمان ولا احد اجدر بذلك من
السلطان خصوصا كسلطان الوداى فان جميع اهل
بلاده ينقادون لكلمته مطيعون لاوامره متجنبون
لنواهيه ولذلك لما تمكن السلطان صابون فى السلطنة
وثبت قدمه فيها مكثر لم يدع منكرا الا غيره ولا امر وفا
مع مستحقه الا فعله ومن جملة من ذلك تغييره للمنكر
الذى ارتكبه الحاج احمد سلطان الباقرمة وذلك
ان السلطان المذكور طغى وبغى وارتكب الفواحش
التى نهى الله عن فعلها منها انه اباح الظلم لقواده يظلمون
كيف شاؤا ولا يقبل فيهم شكوى من احد فاتفق انه
لما كثر الظلم على الرعايا اجتمع كثير من كبراء اهل القرى

والضياع

والضياع وشكوا الى العلماء ما نابهم من عسف العمال
وجورهم وان السلطان لا يقبل فيهم من احد شكوى والله
والتمسوا عليهم منهم ان يتوجهوا الى السلطان وان ينهوه
ويبالغوا فى نهيه عسى ان يرتدع ويامر قواده بالكف
عنهم فكان كذلك واجتمع جميع العلماء وتوجهوا اليه
فلما دخلوا عليه عرف مغزاهم واحسن ملتقاهم وبعد
اذا استقر بهم المجلس سالهم عن سبب اجتماعهم ودخولهم
عليه فسكتوا وكان فيهم رجل مسن يسمى الفقيه الوالى
فقال يا مولانا السلطان انا جئنا لننهاك عن امور
صدرت من قوادك فان كان لك بها علم نلتمس من
سعادتك امرهم بابطالها وان لم يكن لك بها علم
تزجرهم وتردهم فقال السلطان وما هى فقالوا له
الظلم لانهم ما تركوا قلبا باردا وانت السلطان وهم
لا يظلمون الا باسمك والرعايا لا تخشى الا منك
وانت المسئول يوم القيامة ثم ضرب له مثلا فقال
يا مولانا السلطان ارايت ان كان لك زرع وقرب
ابان حصاده وهو فى غاية من الخصب وكان فى وسطه
شجرة كبيرة قد عششت فيها الطيور وصارت تاكل
ما فى الزرع من الحب ولم ينفع فيها الزجر واعياك
الامر ما ذا تفعل بالشجرة فقال السلطان اقطعها
فقال الفقيه اعلم يا مولانا ان الرعايا هى الزرع

وانت الشجرة وعساكرك الطيور وقد حصل منهم من فساد
الزرع ما لا يتحمل ونحن نخاف الآن على الشجرة من القطع
لان صاحب الزرع الذى هو الله لا يرضى بالظلم اما سمعت
قول الشاعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم اخره ياتيك بالندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى الحكم الماثورة الظلم ان دام دمر والعدل ان دام عمر
وقال الشاعر

الا قولوا الرجل قد تقوى على ظلمى ولم يخش الرقيبا
نصبت له سهاما فى الليالى وارجوا ان تكون له مصيبا

وفى الحديث عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة
اه فضحك السلطان منهم وقال اتراكم ان هذه الطيور
تعيش من غير طعام وشراب قالوا لا قال لهم لا ياخذون
منهم الا اقواتهم قالوا اقواتهم عليك وانت معطيهم
الاقطاعات من اجل ذلك فقال لهم كل انسان اعرف
بوسم قدحه اما الرعايا فهم رعاياى والعساكر عساكرى
وانتم لا دخل لكم فى ذلك انتم لا دخل لكم الا فى رجل يريد
ان يتعلم شرائع الدين او يسال عن مسئلة واما هذا
فلا يعنيكم ولولا ان الناس يقولون ان السلطان

بطش

بطش بالعلما لما تركت منكم احدا ثم دعا بامرائه
فقال لاحدهم انت الصقر وقال للاخر انت البازى
وقال للاخر انت الحداة وللاخر انت الرخمة وللاخر
انت النسر وسماهم باسماء طيور والعلما جالسون
ينظرون ذلك ويسمعون فخرجوا من عنده على غير
صورة ذاهلين لافعاله وما زاده ذلك الا عتوا
فاجتمع العلما مرة ثانية ودخلوا عليه وذلك حين
ضج الناس من شدة الظلم وصار يقع بينهم وبين جند
السلطان مقاتلات عظيمة وتسفك دماء الناس
وخرب لذلك عدة قرى وضياع فقالوا ندخل عليه
ولو كان فى هذه المرة هلاكنا فلما مثلوا بين يديه
عرفهم وانزلهم منازلهم فلما استقر بهم الجلوس سالهم
عن سبب مجيئهم فاخبروه انهم جاؤا يوفون بعهد الله
الذى اخذه عليهم فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الاية
فقال قولوا ما تريدون فقال احدهم قال الله تعالى
والظالمين اعد لهم عذابا اليما وقال الاخر قال الله تعالى
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا
حاسبين وقال الاخر حديثا قدسيا وهو قول الله تعالى
يا عبادى انى خلقت الظلم وحرمته على نفسى وجعلته بينكم

محرما فلا تظالموا او كما قال وقال آخر قال النبي صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة انا الملك الجبار لا اتجاوز
عن ظلم ظالم ولو مثقال ذرة فان تجاوزت عن ظلم
ظالم فانا ظالم وقال آخر قال عليه الصلاة والسلام
الظلم ظلمات يوم القيامة وقال آخر من الحكم المأثورة
الظلم ان دام دمر والعدل ان دام عمر وكل واحد منهم
قال كلاما في شان ذلك فلما اتموا قال لهم السلطان
افي هذا الصدد جئتم قالوا نعم قال قد سمعنا وعصينا
انصرفوا عني وان خاطبتموني في شيء من هذا الامر بعد
هذا جازيتكم بما تستحقون فقام العلماء من مجلسه
منغضبين وتمادى هو على تلك الافعال وبلغ خبره
الى السلطان ناصابون فقال حسبه الله ثم لم
يكفه ذلك حتى انه اباح ما حرم الله ورسوله
وهو انه كانت له اخت متزوجة باحد الوزراء
فغضبت من زوجها لامر حدث بينهما وجاءت
شاكية لاخيها تروم ان يخاطب زوجها في شانها
ويصالحها معه فلما راها حسنت في عينه لانها
كانت من الجمال بمحل وكان هو سكرانا ايضا فتعلقت
آماله بها وصبر الى الصباح ولما اصبح دعا زوجها
ثم امره بطلاقها فطلقها واراد ان يصطفيها لنفسه
فخاف ان يقوم عليه النكير فجمع العلماء وسالهم عن مسوغ

يبيح

يبيح له نكاحها فقالوا لا مسوغ لك وهذه حرمتها
بنص القرآن فجعل لمن يلتمس له مسوغا مالا عظيما
فقالوا لا مسوغ فغضب عليهم واخرجهم وكان بعض
العلماء الذين يميلون الى الشهوات غائبا عن ذلك
المجلس فلما بلغه الخبر جاء الى دار السلطان واستاذن
ودخل عليه فلما استقر به المجلس قال بلغني خبر
كذا وكذا يعني قصة السلطان مع العلماء في شان
اخته فقال له السلطان قد كان ذلك وكلهم
قالوا لا مسوغ لك فماذا تقول قال ان لك مسوغا
لذلك قال له السلطان ما هو قال اما تعلم ان
اباك كان متزوجا باكثر من اربع قال نعم قال
وما زاد عن الاربع فهو حرام واولادهن اولاد زناء
وماء الزنا لا حرمة له في مذهب الشافعي فيسوغ لك
حينئذ ان تتزوجها ففرح السلطان فرحا عظيما
واجازه على ذلك بجائزة سنية وبلغ العلماء خبره
فارسلوا للسلطان يقولون ان ما افتاك به
فلان باطل لا يجري في مذهبنا فقال لهم السلطان
قد قلدت مذهب الشافعي فاجابوه من اين لنا
ان ام هذه من الزائدات على الاربع والتحري في مثل
هذه اولى فلم يلتفت الى قولهم ولا عبا به بل عقد على
اخته ودخل بها جهارا وبعد ذلك بمدة كانت له ابنة

منزوجة نجات من دار زوجها للسلام على ابيها فدخلت
عليه وهو سكران فتعلقت امالة بها وارسل خلف بعلها
فاحضره وامره بطلاقها فطلقها لكنه خاف ان يسال
في شانها احدا من العلما فصار يخلو بها ويراودها
عن نفسها فتقول له انت ابي كيف يسوغ لك ان تسالني
في مثل هذا فيقول لها اني احبك واريد ان خيري
لايكون لغيري فتنفر منه دواما على ذلك واختلف
الناس في هذا الامر فمنهم من يقول انه تمكن منها
ومنهم من يقول انها لم ترض ان تمكنه من نفسها
وبلغ خبره الى السلطان فقال رحمه الله ثم
اذا اراد الله بامر هيأ اسبابه واذا اراد بقوم سوا
فلا مرد له وهذه الافعال الصادرة من هذا
السلطان هي مصداق قوله تعالى واذا اردنا
ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق
عليها القول فدمرناها تدميرا ولما اراد الله
هلاك هذا السلطان على يد السلطان صابون
قيض له وزرا سوء فدخلوا عليه وقالوا له يا مولانا
انا افقرنا البلاد وافنينا العباد من الظلم والجور
وكان الاليق ان لا نتعرض لرعايانا بل نتعرض لغيرهم
من رعايا غيرنا من الملوك فقال لهم وهل
تعلمون احدا من الملوك رعاياه اغنى من رعايانا

صابون

وقريب

وقريب منا فقالوا نعم رعايا الوداي بقربنا وهي
اصحاب ابل وغنم وبقر ورقيق وفضة فقال
اغزوها وهاتوا كلما قدرتم عليه من الاموال
فقام احد الوزرا المسمى بالفشا وهو عندهم
كناية عن الاب في دارفور وقال ياذن لي مولاي
ان اتوجه الى رعية واداي ثم بعدي يتوجه من
يتوجه فاذن له السلطان في ذلك فركب في خيله
ورجله واقتحم بلاد واداي على حين غفلة فقتل
وسبى وغنم اموالا عظيمة ورجع مسرورا بما حصل له
فلما راى السلطان احمد ما جاء به الفشا من الاموال
اعجبه ذلك وقال لا يتوجه غيرك وامره ان يتوجه
على الواداي ثانيا وان يتوغل فيها فمكث نحو خمسة
عشر يوما وكر راجعا فغنم اكثر مما غنمه في المرة
الاولى وحصل بينه وبين اصحاب الاموال مقاتلة
وقتلوا منهم اناسا ورجع ملآن اليدين فذهب الناس
الى السلطان صابون فشكوا له ما حصل لهم من الفشا
وما اخذ منهم من الاموال فتعجب من ذلك وقال كيف
يغزوننا ولسنا له باعداء ونحن مسلمون وهم مسلمون
ان هذا الشيء عجاب ثم انه كتب الى سلطان البا قرمه
يقول له بعد السلام اما بعد فان الفشا قد اقتحم
بلادي واخذ اموال رعاياي وهتك حرمتي وسبى

وغنم وهذا شيء لم نفعله ولا يحل في شرع من الشرائع فاذا
اتاك كتابي هذا فامره برد الاموال الى اربابها واياك ان
ترسله ثانيا وارسل اليه صحبته هدية فلما وصله الرسول
لم يكن منه الا ان حبس الرسول ولم يرد له جوابا وبعد ذلك
بايام جا الناس الى السلطان صابون يشكون له ما حل بهم
من الغنا وقد نهب اموالهم وسبى عيالهم وقتل رجالهم
فاغتاظ السلطان صابون لذلك وترقب الرسول ان
يعود اليه فما عاد فارسل له رسولا اخر بكتاب من عنده
يقول فيه اما بعد فقد كنا ارسلنا اليكم كتابا قبل هذا
صحبة رسولنا نذكر لكم فيه ما حصل من الغنا من الظلم
ونهب الاموال ونلتمس منكم رد ما اخذ الغنا لانه مال
مسلمين لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان ياكل منه
شيا وبينما نحن في انتظار الرسول ورد الجواب اذ
جاءتنا الرعايا بحالة تسيء الصديق وتسر العدو وشكوا
الينا ان الغنا اغار عليهم ثانية ولم يترك في مراحهم
صارخة ولا صاهلة وقد عسر علينا هذا الامر
فاذا اتاك كتابي هذا فرد علينا ما اخذ عاملك والا
رددناه كرها والسلام فلما قرا سلطان باقرمه
كتاب السلطان ضحك وقال كيف يطمع صابون ان
اخذ مالا واورده على اصحابه هذا لا يكون ابدا ثم انه
ارسل الى السلطان صابون احد الرسل بكتاب يقول فيه

اما بعد

اما بعد فقد وصلني كتابك الاول والثاني وفهمنا ما تضمنا
والسلام فلما قرا الكتاب السلطان صابون هاج غضبه
وتزايد لهيبه وحلف انه لا يرجع الا بعد اقتحامه دار باقرمه
واماته او عليه ثم دعا بالقاضي والوالدى واستشارهما
في امر سلطان باقرمه وتحليله لمحارم الله عز وجل
وذكر لهما كيف تزوج باخته وما شاع عنه من امر
ابنته فقالا ان صح هذا عنه فقد حل قتاله ثم ذكر لهما
قصة نهبه لاموال الرعايا بلا سابقة بينه وبينه
وسفكه دماء المسلمين بغير ذنب موجب لذلك فاجازا
قتاله فاستكتمهما الخبر واصبح فدعا بالعماكلة وقال
لهم اني ضيق الصدر مشغول البال مبلبل البلبال قد سئمت
نفسي المقام في هذه الدار واريد ان اتوجه الى دار جدك
السلطان جوده وكان السلطان جوده قد اتخذ دارا
بعيدة عن وارة بنحو ثمان ساعات فاركبوا بنا الى هناك
فقالوا سمعا وطاعة فامر السلطان بخيوله فاسرجت
وبثقله فحمل وامر قائد العرب ان يحضر ابلا كثيرة فاحضر
ما كان عنده وارسل في طلب الباقي وضرب السلطان
الطبل وخرج في جيشه وما زال سائرا حتى وصل
لدار جده فاقام بها ثلاثا ثم اصبح راحلا فظن الوزراء
والعساكر انه يريد الرجوع الى دار ملكه فما كان منه
الا ان وجه جواده الى جهة الجنوب وسار فلم يكن لهم

بد من ان يتبعوه فتبعوه وهم لا يدرون اين يتوجه فتقدم
اليه احدهم وقال ايدك الله مولانا الى اين العزم قال الى وادجة
عروس وكان جده السلطان عروس قد اتخذ دار بلنيد وبين
وارة مسافة يومين ولم يمكث بها الا ايا ما قلائل فقالوا
سمعا وطاعة فلم يزل سائرا حتى نزل بها واقام ثلاثة
ايام ايضا ثم اصبح مرتحلا الى جهة الجنوب فسأله بعض الوزرا
الى اين يتوجه مولانا فقال اريد ان ادور في مملكتي وانظر
احوال رعيتي واياكم ان تسالوني بعدها فامسكوا وسار
يومه ذاك حتى امسى ونزل واصبح راحلا يغذ السير
حتى امسى ونزل فمشى بهم على تلك الحال سبعة ايام وفي
اليوم الثامن اصبح مقيما ودعا باكابر دولته ووزرائه
واجناده وقال لهم اعلموا اني متوجه الى باقرمه واني مقيم
هنا سبعة ايام تستعدون فيها فمن لم يات معه عسكره
فليرسل ومن لم يكن معه ابل ولياقات باتمه ومن كان ناقص
خيل او سلاح فليتمم واني بعد ذلك متوجه الى باقرمه فقالوا
سمعا وطاعة ثم خرجوا من عنده وتفاوضوا في شان هذا
الامر وعظموه وقالوا كيف يخرج بنا غير مستعدين ويأتي
الى هاهنا ثم يقول لنا استعدوا وكيف نستعد من هنا
في سبعة ايام مع انا لو اقمنا هنا شهرا كاملا ما امكننا الاستعداد
مع ان اعدائنا اقويا كثيرون الجند خيلا ورجلا واذا لم
نستعد لهم غاية الاستعداد لا يمكننا التوجه اليهم ولو توجهنا

بلغ

اليهم

اليهم على هذه الحالة افنونا وقتلوا سلطاننا وبقي مثلة
بين القبائل وهذه ليست من احوال الملوك فمن لنا بمن
يراجعه في ذلك ويرده الى وارة حتى نستعد ونتهيا للحرب
فقام الرسول الذي كان ارسل الى دار باقرمه من طرف السلطان
صابون وقال انا ارده الى وارة وان رددته فما الذي قالوا
لك علينا مائة راس من عتاق الخيل ومائة عبد ومائة
من الابل فرضي واخذ عليهم وثيقة بذلك ولما كان المساء
دخل على السلطان وانتظر حتى خلا المجلس ودنا من
السلطان وقال ايدك الله مولانا ما هذه الفعلة التي فعلتها
قال وما هي قال انك خرجت بالناس على غير اهبة تريد
ان تقتحم بهم دارا ملآنة من الفرسان والرجالة اقوام اشدا
اقويا لا يخطر لهم الموت على بال كانك تريد اتلاف
عساكرك وتمزيق جمعهم على انا لو دخلنا دارهم في هذه الحالة
وقابلنا احد وزرائهم كالفقيه ما قدرنا على قتاله فقال له
السلطان احق ما تقول فقال اي والله فقال السلطان
اذن سعينا عبث ان شاء الله نرجع في غد ولا نلقي بانفسنا
الى التهلكة فخرج الرسول من عنده فرحا بمقاله ظانا انه
نشط وبشر الناس بذلك فبات العسكر في سرور عظيم
ولما جاء الصباح ضرب السلطان طبول الرحيل بعد ان كان
ناويا على الاقامة ولما قدم له جواده وركب دعا بالرجل
المذكور فحضر فلما مثل بين يديه قال له اني اريد ان ابعثك

ها هنا ولا اريد ان تكون معي في هذه السفرة لانك رجل جبان
كما اخفتني البارحة وتفسد قلوبهم ثم امر بالقبض عليه فقبض
ونظر الى شجرة هناك فقال قيدوه في اصل هذه الشجرة فقيدوه
وجعلوا الشجرة بين ساقيه وامر ان يمكث معه من يطعمه ويسقيه
حتى يرجع وجعل عليه حرسا وتوجه وحين رات الناس منه
ذلك ارسل كل منهم الى وكيله ان يجهز له ما اراد وسافر السلطان
يومه ذاك ونزل عند المسا وبات ولما اصبح امر بالرحيل
وبعد ان كان متوجها الى جهة الجنوب توجه الى جهة
المغرب وهي جهة دار باقرمه وسافر يومه اجمع وبات
عند المسا واقام هناك سبعة ايام ومن يوم خرج
من دارة والعساكر تتلاحق والجند يكثر والعالم يزداد
حتى صار في جيش يملأ السهل والوعر هذا مع عدم
الاستعداد اما لو اخبر واستعد والسفر لكان الجيش
لا يعرف اوله من اخره لكن عساكر الوداي وملوكهم كانوا
خائفين من باقرمه لما سمعوا من قوتهم وكثرتهم فكان
كل منهم خائفا على نفسه وقطع لذة مما كان فيه من نعيم
فاجتمعوا ثانيا وتفاوضوا في ذلك وقالوا كيف يغلبنا
الرجل وحده السنا برجال كيف لا نقدر على رده فقام
ابن عمة السلطان وكان يسمى بالكامكلاك كدرمي
فقال على ان اتحيل عليه حتى يرجع بكم الى دارة ويمكث فيها
اربعة اشهر ثم اذا اراد ان يرحل لا يمكنني ان اعارضه

فقالوا له ان قدرت على ارجاعه الى دارة يمكث فيها ولو
شهرا فلك علي جميع ما ذكرناه لفلان يعنون الرسول
الذي حبسه السلطان وبعد ذلك تدبر من الامر على قدر
ما نوى فقال لهم على ذلك وظنوا انهم بلغوا ما مولهم
لكون كدرمي المذكور من ذوي قرابته وكان في غاية
الحظوة والقبول عنده بحيث كانت له كلمة لا ترد وبينه
وبين السلطان محبة عظيمة فدخل الكامكلاك كدرمي
على السلطان وقال يا سيدي وسيد ابي انت تعلم حبي
فيك ونصحي لك وانت عندي خير من الدنيا وما فيها
وما يسوءك يسوءني فقال له السلطان اعلم ذلك
فقال يا سيدي اني لك ناصح وعليك مشفق واريد ان
اقول لك كلمة ان قبلتها مني كانت هي عين الفوز والنجاح
فقال له السلطان قل فانك عندي لست بالدون
فقال يا مولاي انا خرجنا على غير اهبة واعداؤنا
في غاية القوة والكثرة ونخشى على انفسنا وعليك ان
نحن توجهنا اليهم على هذه الحالة فقال له السلطان وما
نصنع حينئذ وقد خرجنا وقربنا من بلاد العدو فقال
يا مولاي لا اريد من تفضلاتك الا ان ترجع بنا الى دارة
نمكث بها ولو شهرا ثم نخرج في عدة وعديد ونقابل
عدوك وانت في غاية القوة ونرجو بسعادة مولانا
ان الله ينصرنا عليهم فقال له السلطان قد سمعت قولك

وعرفته نصحها وسارجع في غدان شا الله تعالى وبات الامر
على ذلك ولما اصبح الصباح ضربت طبول الرحيل وركب
السلطان وكان الكامكلاك كدرمي اشاع ان السلطان
في غد راجع فبات العسكر في غاية من الفرح والسرور
وحين ركب السلطان توجه اصحاب الاعلام تجاه وارة
وراى السلطان ذلك ففرفار من اشاعة كدرمي فدعاه
فلما حضر قال للكيار توخذوه فقبضوا عليه واجلسوه
للقتل فلما راه ارباب الدولة ندموا وجاوا بجمعهم
ووقفوا امام السلطان يقبلون الارض مستشفعين فيه
فلم يقبل منهم شفاعة فجاوا الى والدي وسالوه في ذلك
فتوجه الى السلطان وشفع عنده في كدرمي فشفعه السلطان
لكن قال له هذا لا يتوجه معنا فليرجع الى وارة لانه يجب
المكث فيها ولذلك يجب رجوعي اليها فانا ارده اليها
فقال له والدي تمم احسانك وانعم عليه بالذهاب
معك كما كان وقد تاب الى الله ورسوله ان لا يعود
لمثلها ففعل وسار من وقته ذاك ودخل في الخلا الكائن
بين باقرمه وواداي وهو خلا عظيم كلها اجام شائك
الاشجار ضخمها واجامه ماوى للسباع والفيلة والكركدن
المسمى عندهم بابي قرن وفي مصر بالخرتيت وكان
السلطان قد رتب لقطع الاشجار وازالة الاحجار من
الطريق وتمهيدها عقيدين مع كل عقيد اربعة الاف عبد

يمشون امام الجيش بنحو ساعة بايديهم الفوس والبلط يقطعون
الاشجار ويمهدون الطرق فسار السلطان والجيش
وسار العبيد امامه كما هي العادة وبينما العبيد يقطعون
في الاشجار وكانوا في غيضة مشتبكة اذ خرج عليهم
كركدن عظيم وهاج فيهم وقتل منهم اناسا فانهزموا
منهم وجا الذين بعدهم فهاج فيهم وقتل منهم فانهزموا
منه واوقع الله الرعب في قلوبهم فلم يلو احد منهم على
اخر ثم الذين بعدهم هكذا وتوقف الجيش عن التقدم الى
الامام حتى ال الامر لتوقف السلطان وحينئذ راى
السلطان ان الجيش متوقف عن السير سال عن الخبر
فقالوا له قد خرج على الجيش كركدن وهاج فيهم والناس
يريدون قتله وهذا سبب الوقوف فبينما السلطان
واقف اذ فرت الناس من امامه ومن بين يديه ولم
يبق معه منهم الا القليل فنظر السلطان واذا بالكركدن
قد اقبل قاصدا السلطان فقال السلطان لمن حوله
الا رجل يخرج يريحنا من هذا الكلب وكان معه عبد
يقال له احمدين وهذا العبد طويل القامة حسن الخلقة
ليس بالغليظ ولا بالرقيق كان معه حربة ودرقة وحراب
فرمى الحراب وخرج بالدرقة والسكين وهذه السكين
من طولها تكاد ان تكون سيفا وهكذا سكاكين الوداي
التي يلبسونها في ايديهم فاصلت السكين في يده اليمنى

والدرقة في اليسرى وقصد الوحش فلما قرب منه داه الوحش
فقصده ايضا فثبت له اجميان حتى جاءه واراد ان يطعنه
بقرنه فاستلقى اجميان على ظهره والسكين في يده فخاف
الوحش عليه فضربه اجميان بالسكين فبقره فقام اجميان
من خلفه يعدو على رجليه واخذ حرابه ورجع الى الوحش
فطعنه بكبراهن في لبته فاثبته وحين راى الجيش ذلك
اقبل منهم اناس على الكركدن يطعنونه بحرابهم وما علموا
ان الامر غير محتاج اليهم وكان ذلك كله بمراى السلطان
فلما علم السلطان ان الكركدن قد هلك سار وسار
الجيش وامر السلطان ان يجرشلوا الكركدن فجروه وما
زالوا يجرونه حتى خلص السلطان بالجيش من الوعر
فساروا في محل سهل رحب فوقف السلطان واستوقف
الجيش وامر باحضار القواد الذين كانوا امام الجيش
فحضروا كلهم بين يديه ونادى بالكبرتو والتراقنه
فوقفوا خلف الناس فقال السلطان للقواد ومن
حضر يا اهل وادای اين شجاعتكم ومدافعتكم لعدوكم
قد ذهبت والله في هذا اليوم ولم يبق منها شيء
واذا كنتم تفعلون كذا امام وحش لا سلاح معه
ولا عقل ولا تدبير له فكيف اذا صرتم امام عدوكم
وجاكم بخيله ورجله وسيفه وترسه وحاولكم وطلب
عزتكم الكنتم مسلمي له نفسا لولا قال لا بد ان تسلموني له

وتنجون بانفسكم والدليل على ذلك انكم نجوتم بانفسكم امام
الوحش فامام العدو اولى واحرى وحينئذ انتم منافقون
غادرون والامن حيث انكم تعلمون الجبن من انفسكم كنتم
تنذروني لاكون على بصيرة من امري وانا الآن لا آمن
ان اكون معكم ولا ان التقي بكم عدوا ثم قال اين الكبرتو
فقالوا لبيك فقال لهم خذوا فلانا وفلانا يعني
القواد الذين كانوا سائرين امام الجيش وكذلك
قواد العبيدية وكان فيهم قائد العرب المسمين بالجعاتنة
وهو منصب جليل يركب مع قائد الكثير من الخيل فارس
ويصحبهم مثلهم من الرجل وصاحب هذا المنصب يسمى
عقيد الجعاتنة والجعاتنة عرب فاخذهم الكبرتو
اخذة رابية وقتلوهم في تلك الساعة ثم دعا باجميان
الذي قتل الوحش وكان من جملة الحجاب وجعله
عقيد الجعاتنة وهو منصب جليل يركب مع قائد الكثير
من الخيل فارس ويصحبه مثلهم من الرجل وصاحب
هذا المنصب يسمى عقيد الجعاتنة والجعاتنة عرب
من عربان البادية اصحاب بقر وهم في الرفاهية
ودسع الحال كالعرب الرزيقات في دارفور الا ان قائدهم
في دارفور لا يقدر ان ياخذ من كرائم اموالهم الا
برضاهم بخلافه في دار وادای فانه ياخذ منهم ما اراد
وقائد الرزيقات في دارفور كالرسول فقط اعني

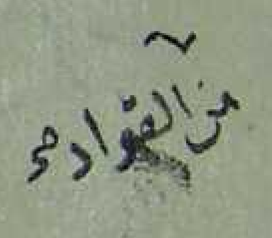
انه يعطي جميع ما يتحصل معه من المال للسلطان ولم ياخذ لنفسه
منه الا مقدارا يسيرا جدا وعقيد الجمالة في دار وداي
فانه ياخذ من المتحصل مقدارا عظيما كما ياخذ السلطان
لان ماكله وملبسه وخيله ومعاش رجاله كله منه وولي
عبد ان عبيده ايضا يقال له اب جاب عقيد الصباح
وهو في عرف اهل مصر حاكم الشرقية وفي عرف دارفور هو
يسمى كالمقدوم الا ان اهل الفور ليس عندهم هذا المنصب
لان الشرقية في دارفور كلها عرب بادية طوائف
متعددة ولكل طائفة حاكم وان نزل عليهم حاكم
عمومي فانه يسمى بالمقدوم ونصب بحكمهم عوضا عن
قواد العبيدية وعن جميع ما قتل وامر به في القتلى
وحذر به الوزرا والاجناد من مثل هذا خصوصا
من ولاهم في تلك الساعة وقال لهم كل من فر منكم
من حرب شيء مهلك ليس له جزاء عندي الا هذا
يعني القتل فاذعنوا له بالسمع والطاعة ورضوا
ان كل من فر منهم يكون جزاؤه القتل وعاهدوه على
ذلك ولم تنفر نفوسهم من هذا الفعل لانهم يعتقدون
ان طاعة السلطان طاعة لله ورسوله وان مخالفته
يكفر وعندهم تعظيم السلطان امر واجب كالعبادات
بل ربما تهاونوا بالعبادة ولم يتهاونوا بامر السلطان
ولذلك لا انتقام دعوى ولا خصومة سواء كانت

في بيت

في بيت القاضي ام في بيت غيره من الحكام الا بعد قراءة
الفاتحة للسلطان والدعاء له بالنصر على اعدائه
وحفظه من جميع الآفات ومن اعجب ما اتفق
ان في ايام السلطان محمد جوده جد السلطان محمد
صابون خرجت احدى نساء قواد السلطان لحاجة
فرات السلطان في موكبه وابهته وقد خطه الشيب
فلما رجعت الى سكنها واجتمعت ببعلها بالليل حدثته
ابهارات موكب السلطان وابهارات السلطان وكان
من جملة ما قالت له ان الموكب جميل والسلطان جميل
لولا ان الشيب لعب بعارضيه فليت له عمرا جديدا
فلما سمع منها ذلك قام عليها وضربها ضربا مؤلما
قائلا لها اتقولين ان الشيب لعب بعارضي سيدنا
ليسمعك بعض الاعداء فيحتقره ويقول انه صار
لا يقدر على الحروب وبعد ان اوجعها ضربا شد وثاقها
وتركها كذلك الى الصباح ثم توجه الى السلطان واعلمه
بالقصة وختم قوله بان قال اني قد تركتها مكتوفة
فمرني فيها بامر فشكره السلطان على ذلك وخلع عليه
وامر باطلاقها لكونها حرمه وانه يتوب بها ان لا تعود
لمثل ذلك فعفا وهذا الامر وان كان على غير مراد
السلطان الا ان السلطان يجب ان يتغالوا في مدحه
كل المغالاة ويشتغل بعضهم ببعض ليسلم هو والالو

تركوا ذلك لانقلبوا على السلطان وقتلوه •

فائده جميع اهل الوادى يعتقدون ان كل من
تولى السلطنة عليهم يكون وليا وان لم يكن وليا قبل ذلك
بل وان كان قبل ذلك فاسقا واصل ذلك ما روى عن
غير واحد ان السلطان محمد عروس كان منع جميع الناس
ان يذكروا اسمه على لسانهم في حضر ولا سفر ورتب لمعرفة
ذلك عجائز واولادا وشبانا يتجسسون على الناس
وكل من سمعوه ذكر السلطان على لسانه احضروه الى السلطان
فيقول له السلطان الم انهك عن ذكر اسمي فيقول نعم
فيقول له انك قد ذكرت اسمي البارحة في الوقت
الفلاني مع فلان وفلان وظننت انى لا اعلم بك
فيصفر وجه الرجل ويقول تبت الى الله فاتفق
ان رجلا صعد على جبل ودخل مغارة فيه خوفا ان
يسمعه احد وقال فيه بصوت خفي السلطان عروس
السلطان عروس السلطان عروس وظن انه لم يسمعه احد
وكان بالامر المقدر ان رجلا من الجواسيس راه ورقبه
وهو صاعد الجبل فرآه من بعد بحيث لا يراه حتى
دخل في المغارة فصغى له حتى سمع ذكر السلطان ثلاثا
واخفى نفسه حتى نزل الذاكر فتوجه الجاسوس واخبر
السلطان بخبره فارسل وراه فلما مثل بين يديه
قال له الم انهكم عن ذكر اسمي قال له نعم قال له السلطان



من الفوائد

ولم

ولم خالفتني وذكرت اسمي قال لا لم اخالف ولم اذكر
اسم مولانا في شيء قال اتحلف انك ما ذكرت اسمي ابدا
قال احلف قال له كيف تحلف يا كاذب وانت البارحة
توجهت الى الجبل الفلاني ودخلت المغار الذي هناك
وذكرتني ثلاثا فبهت الرجل وانقطع وانتقع لونه
وقال قد فعلت ذلك لا اظن ان سيدنا ولي وصاحب
مكاشفة حتى يطلع على امري فقام اهل المجلس
ولعنوه وقالوا كيف تشك في ولاية مولانا اعلم انه
لا يتولى علينا سلطان الا ان يصير وليا وقد عفوت
عنك هذه المرة وان عدت الى مثلها قتلتك فخرج
الرجل وهو يقول سيدنا ولي فسمع بهذه القصة
الغوغا من الناس فاعتقدوا ان السلطان ولي اهـ
ثم ان السلطان سافر من دفنة جهة دار باقرمه
حتى دخلها ولما صار في ايالة باقرمه امتنع عن
التعرض لاهل الضياع والقرى بل كلما حاذى ضيعة
او قرية ارسل الى علمائها ورؤسائها فحضروا بين يديه
فيلين لهم الخطاب ويحسن اليهم واذا اتى معبدا او محل
ولي معتقد تصدق فيه واحسن الى خدمه وكف ايدي
العساكر عن ظلم الرعايا ما امكن فبسط الرعايا ايديهم
بالدعاء له والنصر على عدوه وسار ولم يلق كيدا الى
ان بقي بينه وبين برني باقرمه سوى مسافة اربع ساعات

فبات هناك وبعد العشاء دعا بقواد العبيدية وقال
لهم اني غير محتاج اليكم في غد لان الارض الآن سهلة
لا شجر ولا حجر فاذا سمعتم طبل التحميل قد ضرب تسيرون
انتم وارجو انكم تكفوني شر الاعداء ولا تحتاجون الى
غيركم ثم دعا بقائد الشرقية المسمى بعقيد الصباح وقال
له كم معك من الخيل قال عشرة آلاف قال قد امرت
العبيدية ان يتوجهوا وقت ضرب طبل التحميل
فلتكن انت بعساكرك خلفهم ولا تتخلف عنهم وارجو
اني اذا جئتكم اجد الامر قد تم على ما احب فقال سمعا
وطاعة ثم دعا باجميان عقيد الحبانية وقال له كم
معك من الخيل قال معي نحو الثلاثة الاف قال اني امرت
عقيد الصباح ان يتخلف يتوجه خلف العبيدية بجيشه
وقت ضرب طبل التحميل وكن انت خلفه واعلم اني
اذا اتيت ووجدتكم لم تفرغوا مما انتم فيه قتلتكم ثم
نادى بالكامكلاك يكدرمي فقال له كم معك من الخيل
قال معي نحو اربعة الاف قال اعلم انك اسأتني في الطريق
واساءتك لم تبرح مؤثرة مني ولا يمحوها من قلبي الا فعل
جميل فانا اريد ان تتوجه باصحابك وقت ضرب طبل
التحميل خلف جيش اجميان وان لم تفعل ما انت اهله
لا تنفعك شفاعة شافع قط وان اتيتكم ووجدت
الامر على غير ما احب فلا تلوموا الا انفسكم فقال سمعا وطاعة

وبات

وبات العسكر على تلك الحالة وامر السلطان ان يضرب
طبل التحميل قبل وقته بنحو ساعة فضرب وسافر
في ذلك الوقت كل من اذن له السلطان في السفر فلما
اصبح الصباح ركب السلطان في بقية العساكر وصار
يمشي رويدا رويدا لقد اخبرني جار الله عقيد
الصباح حين كنت عنده انه لما توجه صحبة العساكر خلف
العبيدية ووصلوا الى فاشر باقرمه وجدوا
الفا واكبر اولاد السلطان المسمى بشقوة معسكرين
خارج الفاشر وحين سمعوا بوصولنا ركبوا خيولهم
وكان معهما من العساكر ما ينوف عن عشرين الفا من
الخيل عدا الرجل فصدمتهم العبيدية صدمة منكرة
وجالت عليهم خيلنا وزادوا من جماعتنا ما لم يكن
في حسابهم فلم تكن الا ساعة حتى انكسرت اجنحتهما
وخرج شقوة بنفسه يقاتل ويحرض الجيش على القتال
وكان شجاعا فاتكا وسمع بقية العساكر بضجة
القتال فلحقوا باصحابهم واجتمع منهم جيش عظيم
ظننا انا لا ننتفع معهم بشيء لكثرة ذلك وامدادنا
تتزايد فلما لحقنا اجميان بعساكره صاح صيحة واحدة
وقال وافرحاه سيظهر في هذا النهار الشجاع من الجبان
واكب راسه في قربوس سرجه وفعل جماعته كفعله
ودخل في الحرب وطعن فيهم طعنا احر من الجمر فلم يكن

الا كلمحة بارق حتى تفضح جيشهم ولما وصل الكامكلار
كدومى فنركنفرا جمعين نزاوا ان المدد زاد عليهم وكانوا
اول مرة ظنوا ان الطليعة الاولى هى جيش الواداى فلما
راوا الجيش يتزايد انكسرت قلوبهم وعلموا انهم لا طاقة
لهم بالقتال فولوا الادبار وتبعهم عساكر الواداى يقتلون
وياسرون خصوصا وهم لا سلطان لهم واخبرنى
جاب الله عبيد الصباح ان البا قرمه لما بلغهم الخبر
ان السلطان صابون غازيهم دخلوا على سلطانهم
واخبروه فقال هذا كذب صراح كيف يغزونا صابون
مع قلة عساكره وهو يخشانا دائما فقالوا لا قد سمعنا
ذلك فقال لم تسمعوا شيا وانما هو كذب اختلقتموه
فحلفوا له ايمانا مغلظة فلم يصدقهم وقال انما
اردتم ازعاجى بهذا الكلام تريدون خروجى من
مملكتى حتى انكم تفعلوا ما تريدون فسكتوا عنه
فلما قرب السلطان صابون من اياالتهم دخل عليه
الفقا وقال له ما تعودك وقد جانا سلطان
الواداى طالبا القتا لنا ونهب اموالنا فقال له
السلطان اكلكم كرهتمونى حتى انت ايضا وكنت
واثقا بك والآن لا اثق باحد منكم وجات التمصو وهى
الكبرى بنات السلطان كاباكرى فى دار فور وذا الهبابة
فى دار واداى ومكنت الفقا من اطواقه وقالت

يا عبد السوء ما هكذا جزاء من رباك ونصبك
فى المنصب الجليل اتريد ان تغربه وتخرجه من وطنه
حتى انكم تقتلونه وتقولون عليه بالواداى يا اكذب
العالمين هل سبق ان سلطان الواداى غزانا من
مدة مئتين من السنين وكيف يغزونا وهو يخشى شرنا
وخيلنا تجوس خلال داره فى كل سنة مرة ومرتين
وتنهب امواله وهو يخشى سطوة الملك دائما فقال
لها الفقا اما اذا وصل الامر لهذا فانى والله لا اقول
لكم بعدها كلمة ولو جا الواداى الى البرنى لكن انا عبد
ولكم على حقوق ويلزمنى ان اؤدى حق العبودية
فها انا خارج بجيشى ومعسكر بظاهر الفاشر ومتى
جا العدو قاتلت طاقتى حتى اكون كافيا صنيعكم
معى واذا ابليت بما لا طاقة لى به ذهبت على وجهى والسلام
فقالت له التمصو يا عدو نفسه تسحرنا بهذه الالفاظ
وانت فيك كفاءة لمقابلة العدو وحدك ولا تحتاج
لاعلام السلطان انك غزوت الواداى فى بلادهم
مرارا والرجل الذى يقدر ان يغزو سلطانا
فى مملكته كيف لا يقدر ان يدفعه عن بلده وانما رايتم
ان تولوا شقيقه عليكم سلطانا وتريدون اخراج
السلطان من داره حتى اذا ابتعد بينكم فعلتم به
ما اردتم وتولون شقيقه وترجعون به سلطانا

فخرج مغضبا وسمع شتمه بهذا الامر فدخل على ابيه وقال
له يا ابت ان العدو قد جا فاخرج بنا الى لقائه فقال
يا بني ما اقدر احد على اخراجي من داري اتريد تخرجني
بهذه الحيلة مع اني ابوك وما نفعتك حقا وقد
صرفتك في كثير من الامور وانا حي فكيف ترضى لنفسك
بهذه الفعلة الشنيعة فابرم شتمه وحلف له ان الامر
صحيح وان الواداي قد اقبلوا في جيش عظيم لا قبل
لاحد به فلم يصدق وجات القمصو ومسكته من
لحيته وقالت له عار عليك تخدع اباك وتريد
قتله وما هذا جزاؤه منك يا عاق فغضب منها
وخرج مغضبا وقال انا لله ذهبت مملكة الباقرمه
ولما راى الناس ان الكلام لا ينفع مع السلطان احد
منهم من فر ومنهم من بقي وعسكر الفشا وشتمه
بظاهر الفاشر حتى جا الجيش واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال
ولهذا لما اراد الله اهلاك سلطانهم طمس على
بصيرته وجعل الران على قلبه على حد قولهم اذا
اراد الله بالناس سوءا سلب اهل العقول عقولهم
حتى ينفذ قضاه فيهم فقاتل الفشا وشتمه ومن
حضر من العساكر وابلوا بلا حسنا ومات من
جماعتهم خلق كثير ومع اولاد السلطان فاتوا

واصطلوا

واصطلوا الحرب وقاتل كل منهم على قدر طاقته
وكان عسكر الباقرمه يظنوا ان عساكر الواداي قليلة
وانهم هم الذين قدموا اول مرة فراوا بعد ذلك
ان الجيش كثير والمدد يتزايد وراوا قوما الموت
احب اليهم من الحياة ففروا وولوا الادبار
ولما انكشفوا تبعهم الواداي واخذوهم قتلا
وسبيا فغنم الواداي غنيمة عظيمة ولم ينج من نجا
من عساكرهم الا براس طمرة ودخل الواداي الى مدينة
باقرمه حتى وصلوا الى برني السلطان وكان الامر
قد تحقق عند السلطان احمد ان الواداي قد جاؤا
واراد ان يخرج الى القتال فمنعته القمصو والنسا وقلن
له كيف تخرج لهولاء لاقوام عبيدك اشد منهم
باسا وانما يخرج الملك لمن يكون نظيره او اعلى
منه فسمع كلامهن ومكث في البرني وبينما هو
كذلك اذ سمع جلبة العساكر وبلغه ان عساكره انهزمت
فصرخ في عبيده فاتوه فامرهم بغلق الابواب
وان يقعدوا فوق سور البرني بالنبل وان يمنعوا
العساكر من الدخول الى داخل البرني فاجتمع له نحو من
اربعة الاف وقعدوا على السور بعد ان اغلقوا
الابواب ولما كسر العساكر الفشا وشتمه وغيرهما
اقبلوا نحو البرني يهرعون فلما دنوا منه لم يرعهم *

الا وقع السهام كالمطر فمات منهم خلق واجفلوا ثم رجعوا
فوقعت عليهم السهام كما مر فوقفوا على ذلك مدة ومات
منهم خلق كثير وبينما هم على تلك الحالة اذا اقبل السلطان
بالجيش العظيم فانقلبت الدنيا من الجلبة وصهيل
الخيل وصوت البندق والطبول حتى لا يسمع السامع
من ينادمه وكان السماء انقلبت على الارض من وقع
حوافر الخيل وارتفاع الاصوات ولا زال سائرا حتى
وقف على باب البرج فقال اهكذا اوصيتكم الم اقل
لكم انى اذا اتيت ووجدتكم ما تممتم امرا لا تلوموا
الا انفسكم فارتجفت قلوبهم وصرخ كل عقيد
في جماعته فاقبلوا من كل حدب ينسلون كانهم الى
نصب يوفضون ووقع عليهم النبل كالمطر ولم يبالوا
به حتى دخلوا تحت الجدار وصار يركب بعضهم بعضا
حتى انهم وصلوا الى شرافات السور ولكنهم
لم يبالوا بما فيه من العبيد ولا اكترثوا بهم فلم تكن غير
ساعة حتى امتلا البرج من عساكر الواداى ودار القتال
بينهم وبين عساكر البرج ساعة ثم كشفوهم وقتل منهم من
قتل وفتح الباب واقتحم العسكر الدار وكانت ساعة يشيب
لهولها الطفل الصغير وصاحت النساء والصبيان وحينئذ
ضربت الطبول وضربت الطبول وزعقت البوقات
كل ذلك والسلطان صابون واقف على باب الدار وقد

كان

عبيد حمر

كان امر العساكر ان كل من ظفر بالسلطان احمد ياتى به
حيا ولا يقتله وكان فى وقوفه ذلك منتظرا ان ياتوه
به فلم ياته به احد بل راى العساكر راجعين بالغنائم فسالهم
اين السلطان فقالوا ما رايناه ولا نعلم اين هو فارتاب
السلطان لذلك وظن انه فر وتقلق لذلك لانه لو فر
وخرج خارج البرج تجتمع عليه من جماعته عساكر عظيمة
ويتجدد الحرب وتشب نار الفتنة ولا يحصل للسلطان
صابون راحة فاركب عدة من القواد وامرهم ان
يذهبوا كل مذهب ويلتمسونه فى كل جهة ومتى
سمعوا به انه فى جهة لا يرجعون الا بعد القبض عليه
فكان كذلك ثم خرج السلطان صابون من المدينة
وعسكر بظاهرها وهو كاسف البال سيئ الحال
لا يقر له قرار فدخلت عليه العلماء واشراف الناس
يهنئونه بما يسر الله له من الظفر والفتح والنصر
فوجدوه على تلك الحالة فانكروا حاله وتجاسر عليه
بعضهم وقال له يا مولانا هذا يوم السرور وهذا
يوم التهنئة فما لنا نرى مولانا عليه اثر القلق كانه
فاته شئ يعز عليه فقال وكيف لا يكون ذلك وقد
فاتنى مطلوبى فقيل له ما الذى فاتك قال ملك هذه
البلاد لا اعلم اين ذهب اقتل فيمن قتل او فر فيمن فر
فان كانت الاولى فقد راح واستراح وان تكن

الثانية فقد تعب والتعب فقال والدكان الاستقصاة
في هذا الامر لا يعسر على مولانا فليرسل مولانا الآن جماعة
من امنائه يأتون باهل الرجل المشكوك في موته ثم
فيجلسن في خيمة ثم يامروا بحمل جميع الاموات الذين
في البدن ويعرضهم عليهن واحدا بعد واحد فمتى ما رأينه
عرفنه فان لم يعرفنه في الاموات يحق لمولانا حينئذ
ان يرتاب فارتاح السلطان لذلك ودعا بالقائد
اجمعين وامره بذلك فذهب القائد اجمعين
في الحال واتى بنساء السلطان احمد وكانت العساكر
قد فعلت بهن ما فعلت من هتك الستر وانتهاك الحرمة
وتجريدهن من الملابس الثمينة وذلك كان بغير
اذن السلطان وما حصل الا من شغل بال السلطان
بامر السلطان احمد وعدم وجدانه وحين رأت
العساكر ان السلطان صابون غير ملتفت لضبط
الاموال وحفظ حرم المملكة فعلوا ما فعلوا وجابهن
اجمعين على غير صورة وتركهن على بعد وجاء الى
السلطان واعلمه بما حصل لهن وانهن عاريات
فامر لهن السلطان بما يسترهن من الثياب الفاخرة
فكان كذلك ولبسن وجيء بهن ووضعن في قبة
ضربت لهن قريبا من سرادق السلطان وجيء بالاموات
فعرضوهم عليهن واحدا بعد واحد يتاملن فيهم

بلغ

ولا

ولا يقتلن شيا حتى عرضوا عليهن رجلا مسنا رقيقا
نحيفا فلما رأينه صحن كلهن بصوت عال وترامين
عليه يقبلن اقدامه ويديه فعرف انه هو السلطان
فسئلن فقلن هو هو فجيء به الى السلطان وراه
وامر بدفنه وحينئذ حصل للسلطان سرور
وراحة سر وذهب ما كان يجده من القلق
ودعا السلطان بالقمصو فحضرت بين يديه وسالها
عن ابنة السلطان احمد واخته فعرفته ايا هما نراهما
من الجمال بمكان ثم سالها عن اموال السلطان احمد
اين هي فاخبرت انها كانت في البدن وقد نهبتها
العساكر في ذلك الوقت جا الخبر الى السلطان صابون
ان العساكر راوا في دار السلطان احمد بيتا مربعا
عليه باب من حديد فكسروا الباب بعد جهد
فوجدوه ملآنا من الريالات الفرانساوية وان
العساكر الآن ينتهبونه ويقتتلون عليه فارسل
السلطان قائدا بعسكره لمنع النهب من بيت
السلطان احمد وان تضبط تلك الاموال للدولة
فكان الامر كذلك وفي الحال جاءت اهل المدينة من
العلماء والاشراف ووجوه الناس وهم حاثون
التراب على رؤسهم شاكين ما حصل لهم من نهب
الاموال وهتك الحرائر فغضب السلطان لانتهاك

رحمه الله تعالى وامر مناديه ان ينادى فى المدينة ان كل من
وجد داخلا فى الدار لينهب منها او يفعل فيها قبيحا فلا يلومن
الا نفسه وامر بالعساكر الدارفية ان ياخذوا عساكرهم ويدخلون
المدينة وكل من راوه من العساكر يفعل فعلا غير مرضى يقبضون
عليه وياتون به الى السلطان فكان كذلك فانكفت الايدى
عن النهب اخبرنى والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان
ان السلطان صابون اخذ بيده صبيحة يوم الفتح ودخل
معه الى دار سلطان الباقرمه حتى وقف على البيت الذى
قيل انه ملآن من الريالات وكان مع السلطان بعض
خواصه قال فرايناه بيتا مربعا مساحته نحو عشرين ذراعا
فى مثلها ملآن من جلود البقر المملوءة من الريالات
من جداره الى سقفه وكان عليه باب مصفح بالحديد قال
ورايناه ناقصا نحو عشرة جلود فامر السلطان ببقر
جلد منها فبقر فاذا هى من الريالات المسماة بابى مدفع
فاكنا فاحصيت فاذا هى اربعة الاف فعلم السلطان
ان الذى ضاع نحو اربعين الفا وامر بنقل ما بقى الى خزينته
وعثر على اماكن كانت مملوءة من الثياب ونهبت واماكن
اخرى اعمى الله عنها اعينهم فبقيت وتالم السلطان على فقد
ذلك وحكى لى الشريف سميح وكان حاضرا تلك الواقعة
وهو رجل من الاشراف وذوى المعارف وهو من اهل
البلدة المسماة بنمرو وهى بلد بقرب وارة فيها مسكن

التجار

سكن التجار المستوطنين بدار وداى فقال ان عساكر
الوداى حين عثروا على تلك الاموال كان الرجل منهم
يملا حجره من الريالات وياتى الى بعض التجار فيقول له
اعندك ثابا فيقول له نعم فيصب ما فى حجره من الريالات
ويقول خذ هذه واعطنى ثابا فياخذها التاجر ويعطيه
نحو رطل من الناب او قطعة نطرون نحو اوقية فيفرح
بها العسكرى ويظن انه غلب التاجر مع ان الريالات
التى كانت فى حجره اكثر من اربعمائة ريال وفى ذلك النهار
كل التجار كانوا مشغولين بجمع المال واحرازه ولا يدرى
احد منهم عن الاخر وعساكر الوداى كانوا يفعلون
ذلك لجهلهم بالريالات وعدم معرفة قيمتها بل اخبرنى
انهم حين راوها قالوا وما هذه ولاى شىء تنفع
فقال احدهم اصبروا حتى اخذ منها شيا واذهب به
الى التجار فان قبلوه اخذنا منها والا تركناها فقالوا
نعم ما اشرت به فملا حجره منها وذهب الى اول تاجر ورمى بها
اليه وقال له اعطنى ثابا فلما اعطاه التاجر ذهب اليهم
وقال لهم ان التجار يقبلونها فطفقوا ياخذون منها وليس
هذا بعجيب فى اهل السودان لعدم معرفتهم بالمعاملة اذ
وقد وجد فى العساكر المصرية ما هو من هذا القبيل فقد
شاهدت فى غزوة المورة لما فتحت مسلونجه مثل ذلك
وهو ان احد العساكر المصرية تتبع القتلى من الاروام

لبرى السلب الجيد فياخذه. فجا الى قتيل فوجده متحزما بمشمع
فحله من وسطه وراه ملانا من الريالات ففرح وترك
السلب ولم ياخذ الا الحزام المشمع وذهب الى محل بعيد
عن الناس وعد الريالات فوجدها مائتين وخمسين
ريالا ففرح غاية الفرح وكان الريال اذ ذاك باثنى
عشر قرشا فقال في نفسه هذه والله نعمة الغنيمة هذه
ثلاثة الاف قرش رزقني بها الله تعالى منها وارسل
الى اهلي منها وكان الوقت ليلا فلما اصبح تامل في احد
الريالات فوجده اصفر فظنه نحاسا فرماه وتامل
في اخر فاذا هو اصفر ايضا فتامل فيها كلها فاذا هي
كلها صفر وهي دبالين ولعدم معرفته بها ظن انها
نحاس فصار يبكي وينتحب ويقول واسوء بختاه فمر
به رجل من اصحابنا لا ينبغي الافصاح عن اسمه وقال
له يا هذا مالك تبكي فحكى له القصة وقال لسوء بختي
رايت الريالات كلها نحاسا فقال له ارني اياها فاراه
اياه فعرفها انها دبالين فقال له مسكين لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم واين تذهب بهذه ومن
ياخذها منك فقال له الرجل بالله عليك ان كنت
تعرف طريقا لبيعها فخذ منها ما شئت وبعه لي
فقال له صاحبنا ابتبيعني الريال منها بعشرين فضة
فقال قد فعلت فكان مع صاحبنا خمسة وعشرون قرشا

فاعطاها

فاعطاها له واخذ منه خمسين دبلونا ولو كان معه غيرها
لاخذها كلها ثم قال للرجل اصبر حتى اذهب الى المعسكر
وآتيك بمائة قرش وآخذ بقيتها فقال له وهو كذلك
فسار يهرول حتى بلغ المعسكر واخذ مائة قرش ورجع
على عقبه يهرول فراى الرجل اجتمعت عليه
الناس وعرفوه انها دبالين وكل دبلون منها بستة
عشر ريالا فرانسه فصار يتلهف غيظا على صاحبنا
الذي اخذ منه الخمسين ولقد بلغني انه لما بعد
ما ذهب صاحبنا ياتيه بالمائة قرش رجع الرجل الى
بكائه ونواحه على نفسه فمر به رجل اخر وساله عن
سبب بكائه فاخبره بالقصة فقال له الرجل ارني
هذه الريالات فاراه اياها فعرفها الرجل انها دبالين
فقال له اتعطيني منها خمسة وانا ادلك على منفعتها
فقال له اعطيكها فاخذ منه خمسة ثم قال له استيقظ
وافهم واعلم ان كل ريال من هذه بستة عشر ريالا
من الفرانسه فتلهف الرجل حينئذ على الخمسين التي
اخذها صاحبنا وحين سمعه صاحبنا يتلهف
ويتحسر عليها اختفى ورجع من حيث اتى وعلم انه ان اظهر
اخذت منه الخمسون دبلونا ونرجع الى سياقة
الخبر فصاروا ياخذون من الريالات ومن الثياب
ويذهبون الى التجار والتجار ياخذون ذلك منهم

ويذهبون الى التجار والتجار ياخذون ذلك منهم بابخس
قيمة ولما منع السلطان النهب من بيت السلطان ومن
بيوت اهل المدينة صار العساكر يتسلقون على بيعة الامرا
والقواد واجناد الباقرمه والسلطان صابون لا يشعر
بذلك واهل المدينة لا يتكلمون ظنا منهم انه بامر السلطان
فاخذوا من الاموال ما لا يحصر ووقع بينهم الغشر والمحا
والمخاصمات في شان الاموال ووصلت الدعاوى
للسلطان واعلم بذلك ولما علم ضبط جميع ما بقي من
اموال القواد ومنع النهب عنها واخبران التجار اخذوا
من الاموال ما لا يحصر بابخس ثمن فكتم ذلك ولم يتفوه
بشيء ولما ضبط الاموال واستقامت الاحوال ارسل
الى كافة التجار فاحضرهم بين يديه وقال لهم انه قد
بلغني ان جميع اموال دولة باقرمه من سلطان وقواد
قد حزتموه واخذتموه باموره تافهة وانا لا احسدكم
في ذلك لانكم تجار خرجتم مع المعسكر للمكسب وانما انتم
تعلمون ان المال كله ليس على أحد اما ما اشتريتموه
من رقيق وبقر وغنم وثياب وحلي كمرجان واساور
فهو لكم لا ينازعكم فيه احد واما ما كان من فضة
كالريالات وآلات حرب كالسيوف والرماح والبندق
والدروع واللبوس او زينة الدولة كالسروج وعدد
الخيل فهي لي ولا آخذها الا بثمنها الذي أخذتموها به

ثم انه وكل بكل تاجر امناء وامرهم ان يذهبوا بصحبة
التجار وان يستقصوا جميع ما عندهم من قبيل ما ذكر
ويأتون به بين يديه وحذرهم من الخيانة والميل مع
التجار فذهبوا معهم وبعد ساعات جاؤوا ومعهم
اموال شتى تجل عن الوصف ولقد بلغني انهم فتشوا
جميع امتعة التجار وبيوتهم وخيامهم وانهم استأصلوا
جميع ما وجدوه مما ذكر ولم يمكن التجار ان يخفوا شيا
منها فلما جيء بها ضبطت للسلطان ووضعت في خزينته
وكانت كثيرة جدا وارضى السلطان التجار وطيب
خاطرهم ورخص الرقيق في ذلك الوقت حتى ان الجارية
الحسناء تباع بثلاثة ريالات وما وجد لها مشتر
والعبد السداسي بريال واحد وامتلأت ايدي
العساكر والتجار بالرقيق من السبي فاذن السلطان
للتجار في السفر بالرقيق وبالارسال وكذلك الامرا
والقواد وندب قوادا من العساكر لذلك وان لا يمنع
احد من جهة يريد التوجه اليها فمن اراد التوجه الى
دار وادي يتوجه ومن اراد التوجه للكنكو يتوجه
فاصبحت الناس وهم مسافرون كل منهم للجهة التي ارادها
وفي كل جهة عساكر من طرف السلطان صابون يؤمنون
السبل خوفا من عساكر الباقرمه الشاردين وحصل
في العسكر اذ ذاك مرض من كثرة العالم وازدحام الناس

والاجناد صح

ومن اراد التوجه الى دار برنو يتوجه ومن اراد التوجه الى مندره يتوجه صح

فانتقل السلطان منه الى محل حسن الهوا وصار يبعث السرايا
في كل جهة من البلاد لاجل الاتيان بعساكر الباقرمة مهما
وجدوهم وارسل قوادا لضبط اموال القواد بالصنيع
الخارجة عن المدينة وامر مناديا ان ينادي في المدينة
كل من كانت عنده اموال للقواد او للسلطان احمد من
اهل البلد ولم يات بها للسلطان صابون ثم ظهرت
عليه بعد ذلك لايلوم الا نفسه فاجتمع من ذلك مال
كثير فبسط السلطان يده بالعطا وانعم على العلماء
والاشراف وذوي الفاقات وسمع السلطان ان الغفا
قطع الطريق على الناس فارسل خلفه جيشا وكان قد مكث
في الخلاء الكائن بين مندره وباقرمه على شاطئ البحر
فذهب ذلك الجيش وكانت الجواسيس جاءت الى الغفا
واخبرته فار تحت ليله والتجا الى برني لقون وكان
به سلطان من الكتلو يسمى السلطان صالح وكان ملكا
جليلا فاجاره وصبح الجيش مكان الجيش الغفا فلم
يجده واخبر انه توجه الى برني لقون فرجع وكان
اني اذ ذاك استاذن السلطان في التوجه الى برنو
فاذن له واعطاه اموالا جمة من فضة ورقيق ومرجان
واصحبه جيشا يخفره حتى يصل الى محل الامن فسار والجيش
معه حتى خرج من ايالة باقرمه ثم رجع الجيش وسار
والدي برفيقه واهله فما راعه الا ونواصي الخيل

مقبلة

مقبلة عليه وانتهبوا جميع ما معه من الاموال ولم
يتركوا له الا اهله براسها ولم يمدوا اليه يدا بسوء والسبب
في ذلك انهم سمعوا انه صهر السلطان صابون فقالوا ان
قتلناه لا يترك السلطان ثاره واما الاموال
فان السلطان لا يتاثر منها اذا بلغه الخبر وكان
معه عبدان ربّاهما فاراد الاعدا اخذهما فقال
لهم والدي هذان حران وليسا برقيق فتركوهما
وكانت هذه الخيول من جماعة الغفا فارسل احدهم
بكتاب الى السلطان صابون يعلمه ان جماعة الغفا
قد اغاروا علي واخذوا جميع اموالي ولم يتركوا لي
لا املك شيا فارسل السلطان من جيشه وقته
جيشا كثيفا وقال لهم لا بد لقائد الجيش لا بد وان
ترجعوا جميع ما اخذوه من الشريف عمر والا فاني اغزو
برني لقون فذهب الجيش الى برني لقون وارسلوا
للسلطان صالح واعلموه بما قال السلطان صابون
فقال السلطان صالح للغفا ان اردت ان تكون
في حمايتي فرد جميع الاموال التي اخذتها من هذا
الشريف والا فارحل عني بسلام فاني اخاف ان ياتي
السلطان صابون الى هنا ويخفر ذمتي ولا طاقة
لي به فرد جميع ما اخذه عسكره وارسلوا الذي
في مدينة برنو ثم ان السلطان اراد الرجوع الى

قوله يحصن نصير الكتاب من احصن بالالف
اذا ازال حصاره ... وبعضهم يرد
واما نحصن ... الكتاب ... العلاري
يعني حفظه ... وسهل
يوجد من الكاس ...

واداى وصل الاقامة فى داربا قرمه فاخذ احد اولاد السلطان
احمد نصبت اسمه وولاه سلطانا مكان ابيه وشرط عليه
ان يدفع له فى كل شهر سنة الف راس من الرقيق والف
جواد والف جمل والف ثوب من النوع المسمى بالتقدانى او
التيكو وعاهده على ذلك واصبح راحلا بعد ان جمع
له من عساكر الباقرمه جيشا عظيما ونصب المناصب
وجعل له منها ارباب دولة وامناء وعساكر ولما رحل
السلطان صابون الى دار واداى رجع شغمه وكان
فارا فى جهة كانم وحين بلغه الخبر بقفول السلطان
الى داره كر راجعا على البلاد ودخل البرنى وجاءه
الغنا واجتمع عليه وقبض على اخيه الصغير وسجنه
حتى مات صبرا وبلغ السلطان صابون ذلك فغاظه
وارسل من وقته العقيد اجمعين بجيشه وضم اليه
جيشا اخر وامره ان لا يرجع الا بعد التبعق على الغنا
وعلى شغمه وكان قد اخذ بقية اولاد السلطان احمد معه
الى دار واداى فارسل اكبرهم مع العقيد اجمعين واوصا
انه هو السلطان فتوجه العقيد اجمعين من ساعته
تلك وجد فى السير حتى وصل الى دار باقرمه وحين
بلغ شغمه والغنا ان العقيد اجمعين جا بجيش كثيف
فرا وترك البرنى خاليا فدخل اجمعين الى البرنى وارسل
الجيش خلفهما فلحقهما الجيش فقاتلاه قتالا شديدا

ثم

ثم انهزما وافترق شغمه من الغنا وصار كل واحد منهما الى
جهة ورجع الجيش الى العقيد اجمعين غانما بالسلب والخيل
والاسرى فاقام اجمعين ابن السلطان سلطانا مكان
ابيه حكم امر السلطان صابون واقام معه نحوا من سبعة
اشهر فى كل وقت منها يرسل للسلطان صابون اموالا جمة
من رقيق وخيل وثياب وجبى الاموال التى عاقد
عليها السلطان وارسلها وارسل للسلطان يستاذنه
فى العود والاقامة فاذن له السلطان فى العود بعد
ان يبقى مع السلطان من يذب عنه اذا اقدم عليه
عدو سوآ كان شغمه او الغنا او غيرهما فكان كذلك
فانتخب نحو الاربعة آلاف فارس من المعدودين
وابقاهم مع السلطان وامرهم ان يكونوا تحت امره
ونهيه وكانت قد اجتمعت عليه من عساكر الباقرمه
امم عظيمة واستقامت احواله وارتحل اجمعين ببقية
العساكر الى دار واداى سالما غانما وبعد رحيله اراد ×
شغمه ان يدخل البرنى فقال له ارباب دولته ان
العقيد اجمعين ابقى فى البرنى نحو اربعة آلاف فارس
من المعدودين ولا يمكننا الدخول اليها الا بعد قتلهم
وهم فى غاية من الشجاعة فلا يقتلون الا بعد ان
يقتل منا مثلهم او اكثر فقال لهم وكيف الراى فقالوا
الراى اننا نرسل الى اخواننا المقيمين فى البرنى انهم

يرضون سفهائهم يتخاصمون مع عساكر الوادای ویعادونهم
ويبغي دعاويهم امام السلطان مرارا مع ان السلاطين
الوادای لا يرضون ان عساكر الباقرمه تعلو عليهم
فيقولون للسلطان نحن ما مكثنا معك هنا لنضام
وما مكثنا الا لنعز وان عساكر الباقرمه صاروا يتعدون
علينا فاما ان تمنعهم واما يقع بيننا وبينهم حرب فعند
ذلك تقول وزراء الباقرمه للسلطان نحن الآن في قوة
وجمع عظيم وانما كنا محتاجين لمكث عساكر الوادای لقلتنا
والآن لا حاجة بهم ولا يعود علينا من اقامتهم الا
الضرر ووجع الراس وهؤلاء في قلوبهم قساوة فربما
ثاروا على عساكرنا وقاتلوهم وعساكرنا لا ترضى بالذل
فيقع بينهم قتال عظيم ويموت منا خلق فيكون موتهم
سببا لخراب ما بقي من بلادنا لان سلطان الوادای
اذا سمع بقتل عساكره يرسل الينا جيشا فيخضد شوكتنا
ويستاصل شأفتنا واذا صار الامر كذلك فارتحلوا
دخلنا البلد وفعلنا فيه كما يجب فقال شمه نعم الرای
هذا وكتبوا من حينهم الى وزراء سلطان الباقرمه بذلك
فاجابوهم لما سالوا اجابة شمه وبعضا في المتولى عليهم
وحرضوا السفها على مخاصمة عساكر الوادای فصاروا
يتعرضون لهم بالسفاهة والوادای لا يرضون ذلك
فتقع بينهم ثورات ووقع ووصل الامر بينهم الى الضرب

بالسلاح

بالسلاح مرارا وتحير السلطان في امره لان كلا من
العسكرين يدعي انه مظلوم اما عساكر الباقرمه فتدعي ان
عساكر الوادای يرونهم كالارقاء لكون سلطانهم غالبا
علينا وانهم يأذوننا بلا سبب وعساكر الوادای يقولون
ان هؤلاء يتعرضون لنا ويسبوننا ويسبون ملكنا
بغير سبب وما ذاك الا اننا قليلون في اعينهم
واغراب لا ناصر لنا مع اننا لو لم نخف من سلطاننا
ان يقول لم فعلتم ذلك ما تركنا منهم احدا وحين
راى وزراء سلطان الباقرمه حيرة السلطان قالوا له
يا مولانا ماذا تريد باقامة هؤلاء عندنا ان كان
خوفا من شمه او الفتنا فنحن الآن في جند عظيم لا يقدر
احد منهما يصل اليك بسوء وليس في مكثهم الا الضرر
وقالوا له كما ارسلهم فحينئذ امر السلطان بعود عساكر
الوادای الى بلادهم واعطا كتابا للسلطان يقول فيه
بعد ما يليق بالمقام العالي ان اجناد الباقرمه قد
كسروا ودانوا واذعنوا بالطاعة حتى انهم الآن
في جمع عظيم ونعلم ان سيدنا انما امر بابقاء عساكره
هنا خوفا علينا من غائلة المارقين والآن قد امنا
غائلتهم بسعادة سيدنا وكثرت عساكرنا فراينا من
الرای ان نردهم الى سعادتك سالمين لانه قد حصل
بينهم وبين عساكرنا ما لا يليق ولا نعلم الظالم منهم اهـ

وارسل صحبة قائد الجيش هدية للسلطان صابون وجهز
الجيش احسن جهاز وامرهم بالرحيل فارتحلوا حتى وصلوا
الى دار واداى فلما قدموا الى السلطان ارتاع لقدومهم
بغير اذن وارسل للقائد فلما مثل بين يديه ساله عن
سبب مجيئه فاعلمه بالقصة واعطاه كتاب السلطان
فلما قرأه فهم انها حيلة عملها وزراء سلطان الباقرمه
على ملكهم فدعا في الحال الا باربعة قواد من اكابر
دولته احدهم العقيد اجمين والثاني العقيد مَعَتَّس
والثالث العقيد موسى عقيد الزَبَدَة والرابع الترقنان
محمد وامرهم ان يتاهبوا للسفر وان يكونوا في راى
العقيد اجمين وان يبحثوا عن شتمه في اى محل هو
ومتى ما قدروا عليه ياتوا به اسيرا وكذلك الفنا
واعجلهم في السفر فذهبوا في نحو خمسة عشر يوما وخرجوا
بعساكرهم بجدون السير حتى وصلوا الى دار باقرمه
فوجدوا الفنا وشتمه دخلا البرنو وقبضا على السلطان
وحاباهما العساكر المقيمون معه ولم ينفعه منهم احد
بشيء وحين بلغهم هذا الخبر ارتحلوا وجدوا في السير
حتى دخلوا البرنو فوجدوا الجو قد خلا وشتمه والفنا
اجفلا فخرج اجمين بنفسه وتوجه خلف شتمه وارسل
العقيد موسى خلف الفنا واكد عليه ان لا يرجع الا به
ونزل الترقنان محمد ضابطا للبرنو وما والاه وخرج

العقيد

العقيد معتس بجماعته خارجا من البرنو ربما يأتي في
عدد من الخارج فيتلقاه حتى يسعد الترقنان ويخرج
الى لقائه وجد في السير اجمين فوجد شتمه بعساكره
مقيما بطرف كانم فسرى ليله واصبح وهو بازاء عساكر
شتمه فاحاط به وثار الحرب بينهما فركب شتمه ودخل
الحرب وقصده العقيد اجمين حتى وافاه فتضاربا
مليا وعثر بشتمه فرسه فسقط على الارض فاخذ اسيرا
وانهزمت عساكره وتبعهم عساكر اجمين قتلا واسرا
وسلبا ولم ينج من نجا منهم الا براس طمرة ورجع
اجمين كارا على البرنو فمكث اياما قلائل واذا بالعقيد
موسى قد اقبل بغنائم عظيمة ومعه اكثر جماعة
الفنا واولاده اسرى واخبر ان الفنا لم ينج الا
براسه ولقد اخبرني العقيد موسى المذكور وهو
اخو الامام بدر الذي امام السلطان صابون
وقد كنا اخبرنا عنه سابقا انه هو الذي فتح الباب
الحديد ليلة دخول السلطان صابون في دار المملكة
وفعل ما فعل فقال لي لما توجهت الى جهة الكتكو
في اثر الفنا لما اخبرت ان الفنا توجه الى برني
لقون ليحتمي بحماه فطرده السلطان صالح سلطان
لقون وقال له ارحل عني والا قبضت عليك
واسلمتك لعدوك فارتحل وقصد عجزا من ملوك

الكنكو فابوا ان يجيروه وقالوا جئتنا من اول وهلة كنا
اجرناك فاذهب الى من اجارك اولا يجيرك ثانيًا
فخرج من عندهم متوجها لمندره فتلاقينا معه وهو مع
اولاده وثقله وقد احاط به الجيش وقلت وا فرحاه
هذا مطلوبي وصففت عساكري للقتال وفعل هو ايضا
كذلك واصطدم الجيشان ودخلت القلب ابحث عن
الفقا فما وجدته فقلت لعله في ميمنة العسكر فذهبت
اليه فلم اجده فقلت لعله في الميسرة فذهبت فلم اجده
وبينما انا ابحث عليه اذا انهزم عسكره وتبعه عسكرنا
يقتلون ويأسرون ولم اعثر له على خبر فحزت ثقله
ونساءه واولاده ولم ينج الا بنفسه مع بعض خدمه
هذا ما كان من امره ثم ان العقيد اجمعين لخوفه
على شتمه ان يفلت اخذ في كفالته وارتحل به الى
دار واداي هو وجميع العساكر ولم يترك في برقي باقرمه
الا الترقناك محمد وجد في السير حتى دخل على السلطان
صابون فخرج السلطان للقائه وعمل مهرجانا عظيما
تزينت فيه الملوك والامرا باحسن زينة ولما تم
الجيش امر السلطان باحضار شتمه فاحضر والاغلال
في عنقه والقيد في رجليه وحين راه السلطان على
تلك الحالة امر بنزع قيوده واغلاله وادخله عليه
مكرما معظما فدخل العساكر على طبقاتهم وقوف

باحسن

باحسن زينة والكل زي نضار تتامل فيهم الى ان وقفوا
بين يدي السلطان فقال له السلطان لم فعلت هذه
الافعال كلها فقال ادام عز مولانا اني اكبر اولاد
ابي وكنت مترقبا لهذه المملكة من منذ زمن لاني
اعلم ان ابي رجل كبير وكان في حياته قد اوصى لي بالملك
بعده وانا ولي عهده فكيف ترضى نفسي ان يتولاها
غيري من الاولاد الصغار الذين لا يقدرون على
سياسة انفسهم فضلا عن سياسة المملكة فيلزمني
بطريق المروءة ان افعل جهدي وطاقتي حتى اصل
الى مقصودي ومولاي لا يلومني في ذلك فقال له
السلطان صابون لم لا نهيت اباك عن افعاله الكريهة
التي كان ارتكبها فقال اعز الله مولانا ان والدي
لما كبر سنه نقص عقله وكان من عادته انه اذا اراد
امرا لا يقدر على رده احد وانا ابنه فلو نهيته عن
شيء استحسنه ربما كان [نهيي له صح] سببا للبغضاء والعداوة
لانه لا يراني الا صغيرا ويقول في نفسه كيف اخذ
بقول ولد كان بالامس طفلا صغيرا وانا الذي
ربيته حتى كبر وبلغ مبلغ الرجال فيحمله على انه
لو كان يسمع نصيحة احد كان سمع نصيحة العلماء
وطالما وعظوه وبالغوا في وعظه وهو لا يصغى
ولا يلتفت اليهم فقال له السلطان اين اخوك

الذي قبضت عليه فقال له صد شعمة قد قتل فقال السلطان
ومن قتله فقال قتله العسكر حال دلوجهم عليه فقال له
السلطان فما تظن اني فاعل بك الآن قال اظن خيرا
لانك رجل كريم شجاع وعالم تخشى الله وتتقيه وانا الآن
عبدك واسيرك وفي قبضتك ومن عادة الملوك اذا قد
قدر واعفوا فقال له السلطان صابون اما اذا كان
هذا ظنك فقد اصبت وعفوت عنك وجعلتك سلطانا
مكان ابيك على شرط ان تدفع لي ما قررته على اخيك قبلك
في كل سنة فقال يا مولاي ان الصدق لمنجاة والكذب
لمهلكة وانا الآن من بعض خدمك ولا اريد ان
اقول قولا ولا اوفي به اما ما جعله مولانا على اخي وقبله
فانه لم يقبله الا خوفا ولو كان في طواعية نفسه لما قبله
ومولانا يعلم ان دار ابا قرمه قد تلفت تلفا لا ينجبر الا
بعد سنين عديدة وهذه ثلاث سنين والحروب فيها
واهلها منزعجون واموالهم منهوبة فمن سلم من يد عساكر
سعادتك ما سلم من يدي ومن سلم مني لم يسلم من غيري
وهذه الضريبة لو كانت باقرمه على حالها الاول
لكانت خفيفة والآن بيت مالها خراب ورعاياها
ضعفاء فاسال مولانا بمكارم اخلاقه ان يخفف عنا
فنحن عبيده وخدمه وليس لنا ملجأ سواه فاعجب
السلطان فصاحته وصواب قوله وخفف عنه

نصف

نصف الضريبة وقرر عليه النصف اعني انه جعل عليه
من كل الف خمسمائة وعاهده على ذلك ثم امر ان
يتوجه لدار الانزال فتوجه به وانزله اكرم نزل واعلى
مقامه واذن لجميع القواد والامرا ان يزوروه
ويؤانسوه وارسل خيلا مسومة والات البيت
من فرش واهدى اليه جواري من محاظيه واحسن
اليه غاية الاحسان واجتمع معه اجتماعا خاصا مرتين
او ثلاثا واستشفع شعمة عنده في الفقا واولاده
فشفعه فيهم فارسل شعمة الى الفقا فحضر وادخله على
السلطان فاكرمه رعاية لشعمة وانزله في دار
الانزال واجرى عليه ارزاقا عظيمة حتى ارضاه
وولاه منصبه الذي كان عليه وبعد ان استراح
الفقا دخل شعمة على السلطان واستاذنه في الرحيل
والسفر الى بلاده فاذن له في ذلك وعين له يوما
معلوما واخرج معه عسكرا عظيما وجهزه بجميع
ما يحتاج اليه من ابل وخيل وخيام واخرج له
سرادقا من سرادقات نفسه وخيلا مسرجة
بسروج الذهب واعطاه مظلة عظيمة ورينشا
وشارات الملك وامر الوزرا وارباب الدولة
ان يركبوا معه ويشيعوه مسافة ساعتين او ثلاثة
وامر قائد الجيش الذي امر بالتوجه معه ان يكون

بجملة فيها كسيد احمر وسقف مذهب في غاية الحسن وكسا الفشا كسوة صم

تحتاس ونهيه بحيث لا يخالف له امرا وخرج السلطان
صابون له بوانز وامر بادخال شتمة والفنا عليه فادخلا
فكسا شتمة كسوة الوزارة وقلده سيفا واعطاه جوادا
مسرجا بسرج مذهب وخرجا من عنده في غاية السرور
والاغتباط شاكرين لنعمه وخرج معهما الوزرا وارباب
الدولة وكان يوم خروجهما يوما عظيما ضربت فيه
البوقات والطبول وخرجت في ذلك اليوم ربات
الحجال والخدور واشرف السلطان من قصره ينظر
بنظره ذلك المحفل العظيم وكان يوما مشهودا كيوم
دخوله برا اعظم فمشى معه الوزرا وارباب الدولة كما
امر السلطان فلم يرجعوا الا عشية النهار وبعد ان
رجع عنه ارباب الدولة وودعوه بات في محله واصبح
مرتحلا الى بلده وجد في السير حتى وصل الى بلده
فخرج للقائه الترقناك محمد فقال له اني استلمت هذا
البرني من وكيل السلطان ولا اسلمه الا بامر وكان
السلطان صابون قد كتب له منشورا بالولاية فيه
من حضرة السلطان المعظم والملك المفخم المكرم خادم
الحرمين الشريفين المتوكل على السميع العليم السلطان
محمد عبد الكريم صابون العباسي الى كل من يقف على
امرنا هذا من الامرا والاجناد والعساكر والقواد
وارباب الدولة اجمعين اما بعد فاننا استخرنا

بلغ

الله تعالى الذي لا يخيب من استخاره ووليناه ولدنا محمد
شتمة ابن المرحوم السلطان احمد سلطان مملكة باقرمه
سلطانا عوضا عن ابيه وجعلنا يده مطلوقة في الاحكام
واوصيناه بالعدل والانصاف واتباع شريعة سيد
ولد عدنان وقررنا عليه في كل سنة ضريبة
يدفعها الى خزينتنا المعمورة واخذنا عليه خطه
واشهاده بذلك وايدناه بعبد الله الفشا وزيرا كما
كان لابيه وعلى ذلك صدر امرنا هذا الشريف فلا
يعارضه احد من اهل المملكتين والحذر ثم الحذر من
الخلاف واسال الله التوفيق لي وله ولكافة ولاة
الاسلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فحين طلب منه الترقناك محمد امرا باستلام البرني
اخرج له هذا المنشور وقراه عليه بحضور كافة الجند
فقام حينئذ الترقناك محمد وعانقه وهناه ودخلوا
للبرني جميعا وفرح بذلك جميع الباقرمه فرحا شديدا
وكان يوما مشهودا وخرج الترقناك محمد بجماعته
وعسكر بظاهر البرني مع العساكر القادمة مع
السلطان محمد شتمة وبعد ان استراح الجيش جهز
السلطان محمد شتمة بجهاز عظيم وارسل للسلطان
صابون من الاموال ما لا يحصى هدية وضريبة
واهدى للترقناك محمد هدية جليلة ولجميع القواد

والامرا على قدرها لهم مراتبهم واذن لهم في التوجه الى بلادهم
فرجعوا **تنبيه** قد رايت كلا من الفا وشمه جاءا
الى السلطان صابون اما شمه فكان رجلا طوالا جسيما
في غاية من السواد قد وخطه الشيب كث اللحية كان
عينيه سراجان يتوقدان واما الفا فكان بعكس شمه
في جميع الصفات فكان ربعة نحيف الجسم سواده الى الحمرة
خفيف اللحية يظهر عليه شهامة الرجال وحسن التدبير
وبالجملة فالملوك العظام من السودان كلهم اصحاب
تدبير ومهابون ترتعد فرائص من يقف بين يدي احدهم
لما يرى من الجبروت وناموسه وناموس الملك وذلك
غير مخصوص بملك دون اخر فاولهم ملك الفور فهو
في ابهة وحشمة ووقار لا يقدر الانسان ان يفصح بين
يديه بثلاث كلمات الا المعتاد عليه كالوزرا وارباب
الدولة ووجوه الناس الذين لهم منزلة واما غيرهم
وان كان ذلق اللسان ثابت الجنان متى وقع بين
يديه يندهش وتذهب حواسه فصاحته فقد
حكى لي ان السلطان محمد تيراب اعطى قبيلة من
عرب البادية فيلا تربيه له فلما حل الفيل بين ظهرانيهم
عسف بهم فصار ياكل اقواتهم ويختطف ما بايديهم ولا
يمكنهم قتله لخوفهم من السلطان وضاقوا به ذرعا فجاؤا الى
شيخهم وقالوا له بئسما فعلت معنا اعطاك السلطان

هذا

هذا الفيل فلم تعتذر اليه بشيء بل اخذته واتيتنا به
فساءنا في اقواتنا واضر بنا غاية الضرر فخذه ورده اليه
والا قتلناه فقال لهم الشيخ انا لا يمكنني ان اخاطب
السلطان في رده فقام رجل منهم وقال خذني معك
ان كنت تخاف وانا اخاطب السلطان فيه وانما عليك
ان تفتتح الكلام بان تقول له الفيل فاذا سأل
وقال ما للفيل اردانا الجواب واقول له فعل بنا كذا
وكذا فقال له الشيخ اتذهب معي الى الفاشر قال نعم
فذاهبا للسفر وتوجها للفاشر فصادف دخولهم يوم
جمعة فلما وقفا على باب دار السلطان اذا باحد الوزرا
راكبا في موكبه والطبول تضرب والصفافير تغني وهو
في اكمل زينة فقال البدوي للشيخ اهذا السلطان قال لا
هذا احد وزرائه فارتخى على الرجل وندم على قدومه
وقال اذا كان هذا احد الوزرا فكيف بالسلطان نفسه
ثم بينما هما كذلك اذ بوزير كبير كاباديا قادم وبين
يديه من العساكر والامرا جمع عظيم وهو في اكمل زينة
والطبول والصفافير تضرب على راسه والغلمان
تتراكض امامه والجنايب تقاد بين يديه فارتاع
البدوي وقال اهذا السلطان قال له الشيخ لا هذا
احد الوزرا العظام فرجف فؤاد البدوي ونسي ملكه ما
تحضر له من الكلام وبينما هو يفكر فيما دهمه اذ اقبل

الشيخ عبد الله اوردكا الاب في كبة عظيمة من الخيل والرجال
والجنايب والطبول والصفافير حتى اخذ بمسامع العالم
فقال البدوى اهذا السلطان قال له لا هذا اكبر وزرائه
فانقطع نفس البدوى وبقى باهتا لا يدرى ما يصنع
وبينما هو كذلك اذ خرج السلطان وانقلبت الارض
باصوات الطبول وارتجت بركض الخيل واحس بان
الخضرا انقلبت على الغبرا ووقف السلطان واصطفت
العساكر فتقدم الشيخ ونادى بصوت عال ايد الله سيدنا
ونصره على عدوه الفيل فقال السلطان ما للفيل فغمز
الشيخ البدوى وقال له قد فتح لك الباب فتكلم
فانقطع وما قدر ان يجيد جوابا فقال السلطان
ما للفيل فخشى السلطان الشيخ ان يبطش به السلطان
لعدم رد الجواب فقال انه مستوحش لوحدته فنريد
ان سيدنا يعطينا فيلا اخر يؤانسه فقال السلطان
اعطوه فيلا اخر يؤانسه ففي الحال جا الفيل واعطاهما
فيلا اخر ورجعا الى باديتهما فلما راى العرب انهما
جاءاهم باخر قالوا لهما ما هذا نحن ارسلناكما لتريحانا
من واحد اتيتمانا باخر فقال لهم الرجل الذى
ذهب مع الشيخ اعلموا ان شيخكم هذا رجل لا يوجد
على وجه الارض اثبت منه جنانا فاحمدوا الله على
توليته عليكم شيخا فرضوا بالفيلين وسكتوا اهـ

ثم ان هذا الناس في هذا الزمن ليسوا كما في الزمن السابق
فقد كانوا في العصر الاول من السذاجة بمكان سواد
كانوا ملوكا او رعايا فمما حكى في ذلك ان جماعة
من الفقرا بدارودادى كانوا يسمعون ان العسل حلو
ولم يتيسر لهم انهم ياكلون منه بل لم يروه فاتفقوا
مع بعضهم ان يتوجهوا الى السلطان ويسالونه في ذلك
فذهبوا الى داره وتحروا خروج السلطان فلما
خرج تعرضوا له فقال لهم من انتم وماذا تريدون
فقالوا نحن من فقرا رعيتك وسمعنا ان العسل حلو
وما رايناه قط فاتينا نسال مولانا ان يشبعنا
منه فاغتاظ منهم غيظا عظيما وقال هولاء احتقروني
حتى انهم ما سالوني الا العسل ائتوني بقربة ملآنة
من العسل فجاؤا بها فحكم عليهم ان يشربوها كلها
وان لم يشربوها قتلهم فشربوا منها مقدارا يسيرا ثم
سئموا منه وتحيروا في امرهم فسجنهم السلطان في محل
وامر بوضع القربة بينهم وان لا يخرجوا من السجن
الا بعد فراغه فكان كذلك ومما يحكى ان ثلاثة
انفار زرعوا بصلا وفلفلا وثوما فاخذ كل واحد
منهم حمل بعير من نوع منها ووفدوا بها على سلطان
وادى وادخلوها هدية عليه فلما راى الفلفل
والبصل والثوم وكان لا يعرفها فقال وما هذه

قالوا الدهن مما تصلح به الاطعمة فراى الفلفل احمر اجميلا
فاخذ منه قليلا ووضعه فى فيه فاحرقه فقال هولآء
قوم اصحاب غش وقد جاؤا بهذه الانواع ليقتلونا بها اذ
ادخلوهم الى السجن واجلوا طعامهم حتى يستوفوها قبل
فمكثوا فى محبسهم ثلاث سنين وخرج واحد منهم ابرص
والثانى اجذم والثالث سليما ومما حكى من سذاجة
الناس وبلاهتهم ان فى دارفور قبيلة تسمى البرنى وهم
قبيلة عظيمة من اعاجم السودان لكنهم موصوفون
بالجبن والخوف فى الحروب دون قبائل السودان وكان
لهم ملك يعسفهم وياخذ من اموالهم ما اراد ولا يرفعون
امرهم الى السلطان خوفا منه وكانوا يظنون انه هو
السلطان وان لا يد فوق يده فاتفق انه ظلم رجلا
منهم واستصفى جميع امواله ولم يبق له شيا فخرج
الرجل على وجهه هائما فاجتمع برجل من اهل
الفاشر كان فى حاجة وراجعا الى الفاشر فساله
البرناوى وقال له من اين اقبلت واين تريد فاخبره
الرجل بخبره ثم سال البرناوى فقال من انت ومن اين
والى اين فقال له البرناوى انا من البرنى ولا ادرى اين
اذهب فقال له الرجل كيف ذلك فحكى له ما وقع عليه
من الظلم من الملك وانه خرج فارا بنفسه من العسف
والجور فقال له الرجل ولم لا تشتكيه الى السلطان يخلص

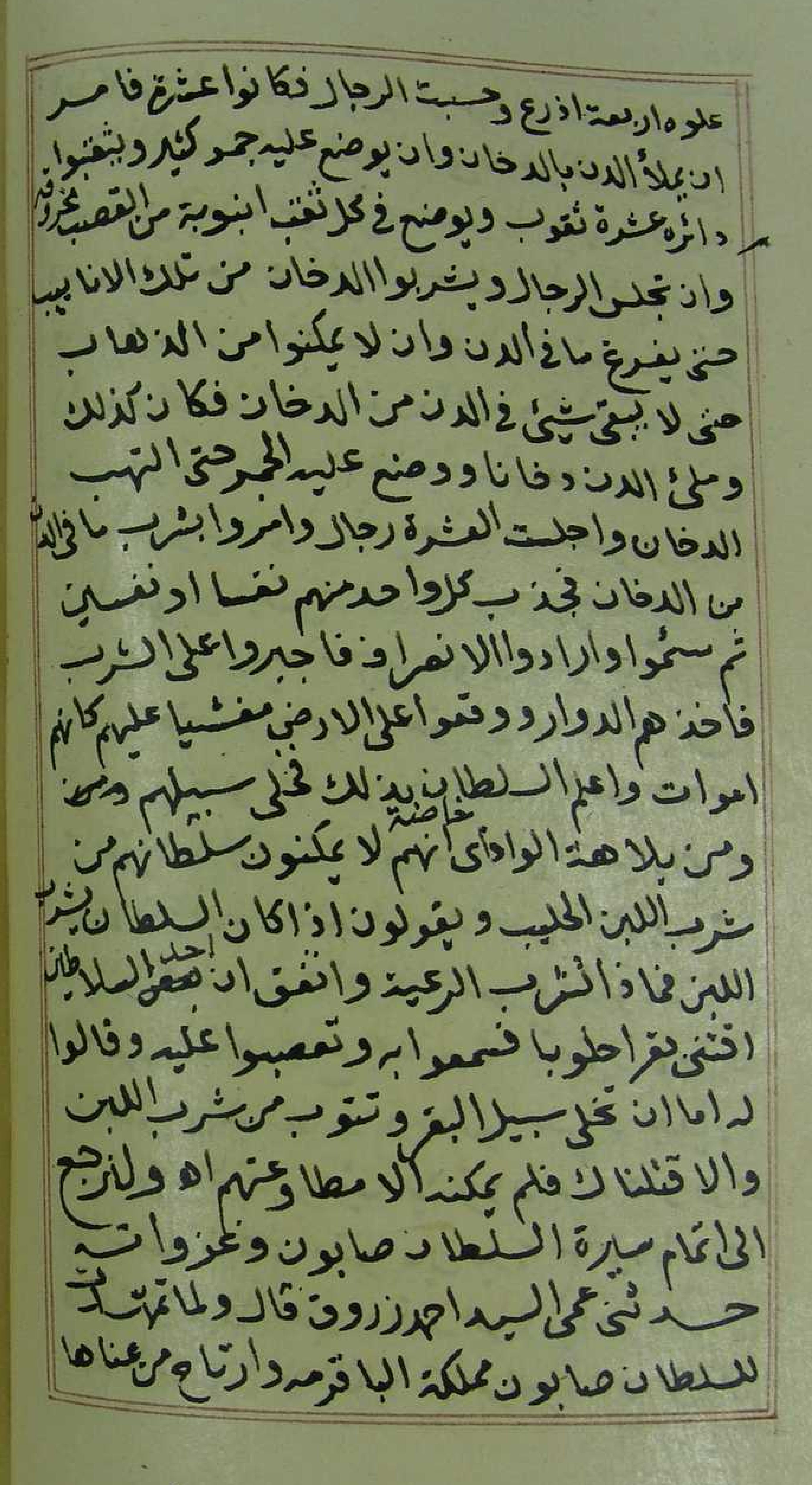
لك

لك حقك منه فقال له البرناوى اهناك سلطان غير ملكنا
فقال له الرجل نعم فقال له البرناوى ومن يدلنى عليه
قال له الرجل انا فقال له احق ما تقول قال له الرجل
اى والله فسار معه حتى وصل الى الفاشر واوقفه
الرجل بين يدى السلطان تيراب وقال له قل ما تريد
فسلم على السلطان سلام الاكفآء بان قال له صباح الخير
يا ابا سحاق انه قد بلغنى عنك انك تحوز ملكنا وقد
ظلمنى واخذ منى كذا وكذا من المال فان كنت تقدر على
خلاص حقى منه كما زعموا فخلصنى فضحك السلطان
من كلامه وعرف انه غر وفى تلك الساعة امر باحضار
ملك البرنى فاحضر ولما دخل على السلطان التفت
فراى البرناوى الذى ظلمه واقفا فنظر اليه نظر غضب
فلما راه البرناوى نظر اليه خاف منه فرفع يديه ووضع
ظهر كفيه مما يلى وجهه وراحتاه مما يلى الملك ودفع
يديه الى جهة الملك كانه يتقى بهما نظره وقال له
غطيت عينيك بربا عيتين انا مالى قد صحكوا اعلى
وجاؤا بى لك هنا ومعنى قوله غطيت عينيك
بربا عيتين اى جعلت لك بقرتين رباعيتين نظير
غض بصرك عنى والرباعية هى البقرة التى لها اربع
سنوات فضحك السلطان من كلامه اكثر من
الاول ثم اقبل السلطان على ملك البرنى وقال له

الا تتقوا الله في المسلمين عسفت بهم وعدلت عن طريق الحق
وهم قوم عقلا لا يعرفون غيرك حتى انهم اما مني يخافون منك
ثم سال السلطان البرناوي عما اخذ منه الملك فقال له
اخذ مني كذا وكذا فامر السلطان برد جميع اموال
البرناوي له في تلك الساعة فرد الملك ما كان حاضرا منها
ببيت الملك الذي في الفاشر لان كل ملك له بيت
في الفاشر يجلس فيه مدة اقامته بطرف السلطان واذا
غاب تبقى فيه جماعته حتى ياتي واعطى السلطان
البرناوي جواد ملك البرقي بسرجه وعدته وهنا
يبقى في بحر حتى ان الملك ياتيه بباقي المال وكان
جوادا من عتاق الخيل وامر السلطان البرناوي
ان يركبه فخاف البرناوي من ركوبه فامر السلطان
خدمه ان يركبوه عليه فلما ركبه ومشى به خطوات
صاح قائلا يا ابا اسحاق قتلتني ها هنا عدا منك
لاني امرؤ ما ركبت خيلا قط فضحك السلطان من
كلامه وامر بتنزيله عن الفرس واعطاه عوض ما ذهب
منه واحسن اليه فلما رجع البرناوي الى قومه قال
لهم يا قوم اني وجدت ابا اسحاق بحر ملكنا وفعل
معي كيت وكيت وصار صاحبي فمن كان منكم
مظلوما فليذهب اليه ومن لا يقدر على الوصول
اليه فانا اوصله لان الرجل الآن صاحبي ثم

انه

انه كانت له ابنة جميلة فزفها الى السلطان وقال
له يا ابا اسحاق ان هذه ابنتي واعز الناس علي
وخطبني فيها ناس كثير وابيت ان اعطيها وقد
صنعت معي معروفا كثيرا فاحببت ان اريك اياها
فان كان لك بها حاجة فقد زوجتها منك فنظرها
السلطان فاعجبته فعقد عليها وهي اول امراة
من البرقي تزوجها سلطان ثم بعد ذلك تزوج
منهم الملوك حتى ان السلطان محمد فضل بركي له
من الامهات فيتسرى منهن ما اراد بغير عقد ومما
ينخرط في سلك سذاجة الملوك والرعايا ووحشيتهم
وعدم معرفة الآداب والقوانين ان اناسا من
الواداي كانوا يشربون الدخان بالشبق وكانوا
قد الفوه ولا يقدرون على عدمه اعني انه صار لهم به
عادة لا يمكنهم التخلف عنها واعسروا فلم يجدوا
ما يشترون به الدخان فاجتمعوا وشكوا حالهم
لبعضهم وتشاوروا مع بعضهم فاقتضى رايهم ان
يذهبوا الى السلطان ويطلبوا منه ان يعطيهم
شيا من الدخان او شيا يشترون به الدخان فذهبوا
الى السلطان فلما مثلوا بين يديه سالوه في ذلك
فاغتاظ غيظا عظيما وقال هؤلاء احتقروني حتى
انهم ما سالوني الا التافه ثم امر ببناء دن من طين


علوه اربعة اذرع وحسبت الرجال فكانوا عشرة فامر
ان يملأ الدن بالدخان وان يوضع عليه جمر كثير ويثقبوا
دائره عشرة ثقوب ويوضع في كل ثقب انبوبة من القصب مخروقة
وان تجلس الرجال ويشربوا الدخان من تلك الانابيب
حتى يفرغ ما في الدن وان لا يمكنوا من الذهاب
حتى لا يبقى شيء في الدن من الدخان فكان كذلك
وملئ الدن دخانا ووضع عليه الجمر حتى التهب
الدخان واجلست العشرة رجال وامروا بشرب ما في الدن
من الدخان فجذب كل واحد منهم نفسا او نفسين
ثم سئموا وارادوا الانصراف فاجبروا على الشرب
فاخذهم الدوار ووقعوا على الارض مغشيا عليهم كانهم
اموات واعلم السلطان بذلك فخلى سبيلهم ومن
ومن بلاهة الواداي خاصة انهم لا يمكنون سلطانهم من
شرب اللبن الحليب ويقولون اذا كان السلطان يشرب
اللبن فماذا تشرب الرعية واتفق ان احد السلاطين
اقتني نوقا حلوبا فسمعوا به وتعصبوا عليه وقالوا
له اما ان تخلي سبيل البقر وتتوب من شرب اللبن
والا قتلناك فلم يمكنه الا مطاوعتهم اه ولنرجع
الى اتمام سيرة السلطان صابون وغزواته
حدثني عمي السيد احمد زروق قال ولما تمهد
للسلطان صابون مملكة الباقرمه دارتاج من عناها

ملك

ملك في داره سارا قارا امنا فما راعه الا ان دخل عليه جماعة
من رعاياه مجروحين ممزقين الثياب واعلنوا باعلى
صوتهم مظلومون يا مولانا السلطان فقال لهم
ومن ظلمكم قالوا ملك الثاما اغار علينا على حين
غفلة واستاق مواشينا واولادنا فخرجنا لخلاصها
من يد عساكره فقتلوا منا جماعة واسروا آخرين
وفعلوا بنا ما ترى فاغتاظ السلطان لذلك
وارسل من حينه للسلطان محمد فضل سلطان الفور
هدية واصحبها كتابا يقول فيه ما معناه بعد
التحية ان سعادتكم يعلم ان لنا مدة مديدة لم يقع
بيننا حرب ونحن كالاخوين ورعاياك ورعايانا
واحدة وكلمتنا واحدة وامرنا واحد وملك الثاما
من جملة اتباعك وقد اغار على ايالتي واستاق اموال
رعيتي وقتل منهم جماعة واسر اخرين وجرح منهم
مثلهم ولولا ما بيننا من المصالحة والهدنة لكنا
فعلنا به ما هو اهله لكن اكراما لك تركناه وها نحن
اعلمناك فالمقصود من عالي همتكم ان تامروا ملك
الثاما برد ما اخذ من اموال رعيتي عاجلا وان تبالغوا
في نهيه ان لا يعود لمثل هذا ولولا اني خفت من ملامك
علي وراعيت خاطرك الشريف لوجهت اليه من ينكل
عليه ويمثل به والسلام فلما وصل الكتاب الى يد السلطان



محمد فضل وقرأه وفهم ما فيه قام وقعد وحوقل واسترجع
واظهر انه استشاط غيظا وكتب الى السلطان صابون كتابا
يقول فيه بعد ما يليق بالمقام العالي من التحيات
الوافره والاشواق المتكاثرة انه قد وصل الينا كتابكم
وسررنا منه بصحتكم وساءنا ما فعله ذلك المارق
ملك التاما وها نحن قد ارسلنا اليه ان يرد جميع ما اخذه
عساكره من ايالتكم وشددنا عليه في ذلك غاية
التشديد ونرجو ان لا يتغير خاطركم من جهتنا لان
هذا الكلب قد فعل ما فعل بغير اطلاعنا والسلام
فلما وصل الكتاب الى السلطان صابون وقرأه فهم انها
حيلة من السلطان محمد فضل وقال كذب عدو الله لو
كان قوله صحيحا وان ما فعله بغير اطلاعه كان عزله
من شدة الغضب لكنه خدعنا بهذا الجواب ونصبر
حتى ننظر ما يؤول اليه الامر فبعد مضي ايام قلائل
بينما السلطان صابون جالس على سرير ملكه اذ سمع
ضجة وقعقعة واصواتا ارتفعت فنظر الى البطحاء التي
هي امام داره فوجدها مملوءة من العالم ما بين جريح
وسليب وهم ينادون بالويل والحرب فقال السلطان
من هؤلاء وما دهمهم فاخبر انهم مساليط وانهم جاؤوا
يشكون ما حل بهم من ملك التاما فاحضرهم بين يديه
وسالهم فاخبروا ان عساكر ملك التاما قد هجمت عليهم

واستاقوا

واستاقوا مواشيهم واولادهم وخرجوا الخلاص منها من ايديهم
فقتلوا منهم ما قتلوا وجرحوا اناسا كثيرين وها نحن
جئنا نشكو احوالنا الى حضرة سعادتك فغضب السلطان
وكاد يتميز غيظا وكتب من حينه كتابا الى المعظم سلطان
الفور يقول فيه بعد السلام اني قد اخبرت سعادتك
سابقا بان ملك التاما قد اغار على ايالتي واستاق
مواشي رعيتي وقتل من قتل واسر من اسر ولولا انه
من اتباعك لفعلت به ما يستحقه وجاءني من عندك كتاب
تذكر فيه انك زجرته غاية الزجر وامرته برد جميع ما اخذه من
ايالتي فكان الامر بالعكس فانه ما رد مما اخذ شيئا بل عاد
واغار وفعل اكثر مما فعل في المرة الاولى واقسم بمن جعل
سيفي قاطعا ورمحي خارقا لئن لم تنهه عن غيه وتزجره
عن سوء فعله وتامره برد جميع ما اخذ من السبي
لانكلن به ولاجعلنه مثلة بين قومه وحزبه
وهذان مرتان قد ارسلت اليك فيهما فان عاد الثالثة
علمنا انه مخالف لسلطانه فغزوناه وطالب لهتك
استارنا فهتكناه والسلام وارسل الكتاب صحبة نجاب
واخرج من العساكر جندا كثيفا وامرهم ان يقيموا
بالاطراف على اهبة وتقدم ومتى سمعوا بقدوم
التاما يكونوا على ظهور الخيل راكبين ولصدور الاعداء
طاعنين ولخلاص السبي فاعلين وارسل الى العقيد

جاب الله عتيد الصباح وامره ان يجمع خيله ورجله ويكون
على اهبة من امره ومتى سمع باغارة القوم ينجدهم ويمعن
في قتلهم فكان كذلك ومن ذلك الوقت تاهب السلطان
للسفر واستعد وجند الجنود واعلن بالسفر ولما وصل
الكتاب الى سلطان الغور وعلم بما فيه تحير امره واظهر
الغضب على ملك التاما وارسل للسلطان صابون
كتابا يقول فيه بعد ما يليق بالجناب الكريم انه قد
وصلنا كتابك وساءنا والله ما ساءك وقد كنت كتبت
الى ذاك الخائن الناكث المارق عن الطاعة برد جميع
ما اخذه وحذرته غاية الحذر عن العود الى مثلها ولكن
عاد عليه لؤمه وقاده الى الغدر ظلمه وارجو من اخي
وصديقي ان لا يؤاخذني بفعله وان عاد الى مثلها
ليعلمن عاقبة بغيه فان هذا الظالم ظن ان حصنه
يقيه وجبله يحميه فلانكلن به اتم النكال ولاسقينه
كؤوس الحمام بدون ان يتعب اخي ويذهب اليه وسأرد
جميع ما اخذه الظالم اليه وها نحن قد ارسلنا اليه
من اتباعنا الملك احمد جراب بكتاب منا فان خالفنا
فيما امرناه به ادبناه عاقبة وبال امره واذقناه وبال
امره والسلام ودعا السلطان محمد فضل بالملك احمد
جراب وامره بالتوجه في الحال الى جبل تاما وكتب
له كتابا لا يدرى ما فيها وسلم بجاب السلطان صابون

كتاب

كتاب سيده وامره بالتوجه اليه فلما وصل الكتاب الى
السلطان صابون وفهم مضمونه تردد في امره واراد
ان يفرق ما جمع من العساكر فاشار عليه بعض ارباب
الحل والعقد بابقاء الامر على ما هو عليه وكان والدى
قد قفل من دار برنو الى واداى واستقر في ظل السلطان
صابون ورجع الى وزارته فكان من جملة من اشار
على السلطان بابقاء الامر على ما هو عليه وذهبت
الجواسيس الى السلطان محمد فضل واخبروه انه متهيئ
الى السفر الى جبل تاما وانه منتظر عودة اموال
رعاياه وان لم تعد على الغور سافر اليه وبينما
السلطان منتظر للاخبار اذ ورد عليه الخبر بان
ملك التاما قد اغار على طرف الايالة بجند كثيف
وفيهم عساكر من عساكر الغور واخذوا من الماشية
مبلغا جسيما وحين وقع الصياح ركب عساكر
الواداى وتعرضوا لهم فوقع بينهم قتال عظيم وكثروا
على عساكر الواداى حتى انهم كشفوهم بعد ما قتلوا
منهم قتلى كثيرة وبلغ الخبر الى جاب الله عتيد الصباح
فركب في خيله ورجله وتعرض للتاما وحال بينهم
وبين بلادهم وخلص السبي من ايديهم وقتل منهم
خلقا كثيرة واسر منهم من رجالاتهم عدة اناس منهم
من هو من جماعة الملك احمد جراب فلما سمع السلطان

صابون هذا الخبر امر بالرحيل فرحل بجيش يملأ السهل
والوعر وتوجه الى جبل ناما وما زال يغذ السير حتى وصل
الى ايالة الناما فوجد ايالة عظيمة لكنها لكن اكثرها
جبال وشجر مشتبك واهل الناما لا يعسر عليهم
السلوك فيها لالفتهم بها وعساكر الواداي لا يمكنهم
سلوكها لالفتهم السهل فصارت الناما تكمن بين
الاشجار وكلما عثروا بقوم من الواداي قتلوهم
فقتلوا من عساكر الواداي جملة عظيمة وتفطن
السلطان صابون لهذا الامر فامر بقطع جميع
الاشجار فمكث نحو ثلاثة اشهر لا يقاتلهم حتى قطع
جميع الاشجار وجعلها اكداسا واحرقها بالنار
ولم يبق في الايالة وعر الا الجبل فزحف على الجبل
واحاط به من كل جهة وخرجت عساكر الناما ووقفت
في اعالي الجبل يرمون عساكر الواداي بالحجارة لا غير
فمات من الحجارة خلق كثير ونساء عساكر الناما
يحرضونهم على قتال عساكر الواداي وكلما اراد عساكر
الواداي الصعود الى الجبل من جهة دحرجوا عليهم
الحجارة فيموتون وكان والدي اذ ذاك جمع طائفة
من المغاربة من اهل فزان وطرابلس الغرب
وابن غازي فلما اعياهم الامر قال للجماعة كل منكم
ياخذ بندقيته وتوجهوا مع العساكر وقفوا انتم

بعيدا

بعيدا من مرمى الاحجار وكلما رايتم من عساكر الناما
رجلا يدحرج على العساكر حجرا فقوسوا عليه حتى تطلع
العساكر فكان الامر كذلك وكانوا اثنين وعشرين
نفرا فخرج جواسيس العساكر حتى وقفوا اسفل الجبل
تحت شجرة كبيرة وعملوا حائطا صغيرا اشبه بمتراس
وكمنوا خلفه وكلما راوا واحدا من الناما على الجبل
يدحرج الحجارة او يحرض على ذلك قوسوا عليه فقتلوا
منهم جماعة وانتبه لهم الناما وقصدوهم بالاحجار
فنفذوا منهم رؤس جماعة وكان عمي السيد احمد رئيسا
عليهم فلم يبق سليما غيره وستة انفار استتروا بجذع
الشجرة وصاروا يقوسون بالبندق على النقاب
وكانت الناما تتعجب من الرصاص كيف يصل اليهم الى
اعلى الجبل ويقتلهم فمات منهم خلق كثير وصاروا كلما
راوا دخان البارود هربوا وربما ناموا على الارض
فرصدوهم المغاربة وصاروا كلما رفع انسان من الناما
راسه قوسوا عليه واصابوه ودام الامر على ذلك الى
قرب العصر فانكشفوا وصعد الواداي الى اعلى الجبل
وكان في صدر النهار جاء انسان الى السلطان صابون
واعلمه انه يعرف للجبل طريقا سهلا يمكن منه صعود
العساكر بدون مشقة فعين معه جندا عظيما وامرهم
بالتيقظ والاحتراز فتوجهوا معه فكان وقت

صعود العساكر من جهة المغاربة هو وقت صعود العساكر
الذين ذهبوا مع الجاسوس فقتلوا من التاما خلقا لا يعلم
عددهم الا الله تعالى ودخلوا بيت ملكهم فوجدوه بلقعا
لم يجدوا فيه شيا وفر الملك فلم يقع له على خبر وحين سمع
السلطان بفراره تاسف غاية التاسف وحزن واغتم
اذ لم يقع في يده وانزلوا من الجبل من النسا والاولاد والبقر
والغنم ما لا يحصى كثرة وامر السلطان صابون بهدم
بيت الملك واحراقه هو وجميع ما على الجبل من الابنية
وكسر الاواني وقطع الاشجار وان لا يتركوا للتاما شيأ
ينتفع به فمكثت العساكر في الجبل نحو سبعة ايام يحرقون
الدور ويكسرون الاواني وياخذون الغلال ويحرزون
في البيوت حتى تركوا الجبل بلقعا كان لم يكن به انيس
ثم نزلوا من الجبل فارسل السلطان السرايا في الايالة من
كل جانب فغابت قليلا ورجعت ومعها من الغنائم
شيء كثير ومعها رؤس القتلى على اطراف الرماح ثم راحت
وعادت قليلا ودام كذلك هذا الحال مدة ثلاثة اشهر ايضا
وعساكر السلطان يخوضون في دار تاما ويقتلون ويأسرون
ويحرقون البنيان او يهدمونه ويكسرون الاواني وياخذون
كلما وجدوه نافعا حتى تركوها بلاقع وارتحل السلطان
بعد ذلك الى بلده منصورا مؤيدا

تنبيه جبل التاما هذا جبل ليس عاليا جدا وانما يعسر

سلوكه

سلوكه لضيق طريقه ووعرها الا ما كان من الطريق
التي ذهب منها الجيش مع الجاسوس وهو جبل واسع فيه
انهار دافقة وعيون باسقة واشجار ملتفة وسعته
فرسخان في مثلها وفيه عدة بلاد غير بلد الملك

تنبيه اخر قد قاسى اهل الواداي من التاما ما لم يقاسوه
من غيرهم لان في التاما من المكر والحيل ما لا يوجد في غيرهم
فكان لا يقتل الرجل منهم حتى يقتل من الواداي اثنين
او ثلاثة وكان يخرج التاماوي فيجعل نفسه انه مات
فاذا قرب منه الواداوي يريد اخذ سلبه يصبر التاماوي
حتى يبقى الواداوي عنده فيضربه بالسكين فيقتله ولو
كان التاماوي في اخر رمق من الحياة ولولا كثرة الواداي
وقلة التاما لما كانوا قدروا عليهم

تنبيه اخر لما خرج السلطان صابون الى جبل التاما وبلغ
ذلك السلطان محمد فضل ظن ان التاما يغلبون
الواداي لما بلغه من حصانة جبلهم ووعارضهم فجمع عساكره
هو الاخر واستحضر ادوات السفر وبقي مستوفزا وفي
كل يوم يرسل اناسا وتاتيه اخرون فكان كلما بلغه ان
التاما قتلوا من الواداي او غلبوهم يسر بذلك وكان
قصده ان التاما اذا غلبت الواداي يرحل بجيشه ويدخل
دار الواداي وهم على ضعف فياخذ المملكة منهم ويجعلها
تابعة لمملكة الفور ويحتج على السلطان صابون باني كنت

بانى كنت اريد ان آخذ لك حقك من ملك التاما فما صبرت
بل خفرت ذمتى فى رعيتى وغزوتهم ولظلمك وتعذيبك
لم تنتصر عليهم وكان اذا سمع بان الواداى غلبوا يغتم لذلك
فما راعه الا والمنهزمون داخلون عليه افواجا افواجا
يقولون اغثنا يا مولانا السلطان من السلطان صابون
فانه قتل رجالنا وسبى ذرارينا ونسآءنا ونهب اموالنا
وهدم دورنا وقطع اشجارنا وترك بلادنا يبابا كان
لم تغن بالامس على حد قول الشاعر

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا	انيس ولم يسمر بمكة سامر

فقام وقعد وعسر عليه وكبر لديه وقال حقرنى وخفر ذمتى
فى رعيتى ونادى فى عساكره بالاهبة فاجتمع عليه ارباب
دولته ومنعوه من الذهاب وقالوا الحق مع الرجل فانه
اشتكى مرارا فلم تشكه فدعه يفعل ما اراد بخصمه ولا نتعرض
له بسوء الا ان دخل فى ايالتنا فحينئذ يجب علينا ان ندفع عن
حريمنا وبلدنا فثبطوه وانا اذ ذاك كنت فى دار فور وكان
ابى ارسل لى بالقدوم عليه وبعدما تهيأت للسفر حبسنى
ومنعنى من السفر ولم ياذن لى الا بعد رجوع السلطان صابون
من تاما الى بلده وقد ذكرت ذلك سابقا فلا فائدة فى الاعادة
وحين بلغ الخبر الى السلطان صابون بان السلطان محمد فضل
اهتم لما حصل للتاما من الخذلان والقهر علم ان كل ما كان
يرسله من الكتب كان خديعة ومكرا منه واراد المبالغة فى اذاه

فصبر

بلغ

فصبر حتى رجع اهل الجبل الى جبلهم ورجع الملك الى مقره وبنوا
وسكنوا وزرعوا حتى قارب الزرع وقت الحصاد فارسل
اربعة قواد من امرائه وامرهم مع كل قائد اكثر من عشرة الاف
من الخيل والرجل وامرهم بفساد الزرع زرع التاما وقطع
ما خلف من الاشجار واحراق البيوت وكسر الاوانى واسر
ما قدروا على اسره وقتل من امكنهم قتله وان لا يغفلوا عن
التيقظ والاحتراز وان لا يمشوا الا ليلا ولا يخبروا احدا
بمقصدهم وان يتفرقوا فى الجهات الاربع وان كل قائد
يقصد جهة وان الرسل تتردد بينهم ليكونوا على بصيرة من
امورهم فسار الجيش حتى نزل بدار تاما فعبث بالزرع
واتلفه واحرق الاماكن واغار وسبى ونزلت لهم التاما
فقاتلوهم قتالا عظيما وباع الواداى انفسهم فابلوا بلاء
حسنا ونصروا على التاما فهزموهم وقتلوهم قتلا ذريعا
وسبوا نساءهم واولادهم واتلفوا زراعاتهم غاية التلف
وكروا راجعين ومعهم من الغنائم ما لا يحصر فضاق
ذرع ملك التاما لذلك وساء حاله وصار يأخذ الميرة من
دار فور وجلا عنه جل اهل البلاد حتى صارت البلدة التى
كان فيها مائة رجل ليس فيها عشرة من الرجال فلما راى
ملك التاما ذلك شكى حاله الى سلطان الفور فارسل
له حبا كثيرا وبقرا وغنما وامره ان يفرقه فى جماعته
وان يامرهم بعمارة البلاد وارسل الى السلطان صابون

كنا بالقول فيه بعدما هداه ما يليق بالملك السعيد ان
ملك التاما قد جوزي ببغيه وظلمه وعوقب على تعديه
وجرمه والآن قد فاء الى امر الله وندم على ما فرط في جنب
الله وجاء تائبا فارجوك ان تتجاوز عن ذنبه وتكف
عن اذايته وعتبه فلما وصل الكتاب الى السلطان صابون
ارسل يقول له قد وصلني كتاب اخي بالاعتذار عن الخائن
الغدار وقبل ذلك فرط مني يمين ولست فيه احين ان
اكرر عليه العقوبة حتى يعلم ان في البيداء رجالا من تعرض
لها يلق اهوالا والخير بالخير والبادي اكرم والشر بالشر
والبادي اظلم ورحم الله الشاعر حيث يقول

فبالعقل فز والسوام بمثله	وبالشر شر الغائظ المتصر

وليت شعري اذا كنت تعلم انه من اتباعك وبرعوك
لاحكامك لم لا قدرت على منعه حين راسلتك فيه مرارا
وشكوت اليك سرا وجهارا اما كنت لي تقول انه خالف
امرك السامي وتعدى طوره وركب متن التعامي فكيف
ترجع الآن بالشفقة والحنو عليه وهل هو الا لئيم
قال فيه الشاعر العظيم

اذا انت اكرمت الكريم ملكته	وان انت اكرمت اللئيم تمردا

واني احلف باباءي الكرام واجدادي الفخام لابد ما اعرفنه
قدره حتى انه لا يتعدى طوره فالمعذرة اليك والسلام
فلما بلغ الكتاب الى السلطان محمد فضل اغتاظ اشد الغيظ

وشاور

وشاور ارباب دولته فيما يفعل مع السلطان صابون
فاختلفت اراؤهم فمنهم من يقول نغزوه ونعرفه قدره ومنهم
من يقول نصالحه ونتركه بينه وبين صاحبه فارسل
الى ملك التاما يخبره بما حصل بينه وبين السلطان
صابون ولم تمض الايام قلائل حتى ارسل السلطان صابون
جيشا كثيفا يربو عن خمسين الف فارس وراجل ودخلوا
دار التاما من عدة جهات واستاقوا جميع ما عرض لهم
من المواشي واسروا من النساء والاولاد وقتلوا من الرجال
ما الله به عليم وكان من جملة المواشي مواشي ملك التاما
وعبيده فثار الصياح وبلغ الخبر الى ملك التاما فخرج بجميع
جيشه وقصد المعركة وكان احد قواد البوادي معه نحو
سبعة الاف من الخيل جاء بخيله من ظهر الجبل من الطريق
السهلة الارتقاء فعادة نزول ملك التاما في اثر الوادي
فصعد الجبل بجماعته واستاصل جميع ما وجد فيه من النساء
والاولاد والماشية ونزل سريعا واوقد النار في البيوت
واعظم النكاية واما ملك التاما فانه لحق الجيش وناوشهم
القتال فدفعوا الاموال امامهم مع بعض الجند ووقفوا
لقتاله فصدمهم بخيله ورجله فكانت بينهم ساعة يا لها
من ساعة وبينما هو في المعركة اذ بلغه الخبر ان جميع ما في
الجبل اخذ واحرقت البيوت فتحير امره وقسم جماعته
فاخذ بعضها وتوجه الى جهة العسكر فلم يصادفهم لانهم

سلكوا طريقا غير التي سلكها واما الجماعة الذين ابقاهم
امام الجيش فانهم انهزموا بعد مضي ملكهم وقتل منهم
رجال كثيرة وتبعهم الواداي يقتلون ويأسرون ويأخذون
الاسلاب واقتحم ملك التاما المنقعة وذهب يقص اثر
القوم فما عثر عليهم حتى اجتمعوا مع بعضهم في اول ايالة
الواداي فلما رآهم خرجوا من ايالته خاف ان لحقتهم ومع
عقيد الصباح يدركهم ويحيطون به فاما ان يقتلونه
او يقبضون عليه فانكفأ راجعا وما استفاد من حركته
تلك الا تعبا ولما رجع الى الجبل وجد القوم قد اتموا اخرابه
واخذوا البابه على حد قولي

كان لم يكن ربعا ولم يك آهلا	وما خطرت يوما على تربه هند

فعظم عليه وكبر لديه وجمع ارباب شوراه وقال لهم
اروني كيف اصنع وقد فتحنا على انفسنا بابا من الشر بمعاداة
هذا الرجل وسلطان الغور خلى بيننا وبينه وما صنع
شيا فاتفق رايهم ان يصالحوه ويجعلوا له عليهم مالا معلوما
يؤدونه له في كل سنة ويرفع عنهم الغزو فكتب الى السلطان
كتابا يقول فيه بعد تقبيل الأقدام ان العبد قد اعترف
بذنبه وآب الى ربه والعفو من شيم الكرام وقد رأيت
ان اكون خادما للسدة الشريفة واريد ان تعتمد على مالا
ادفعه في كل سنة وتامنني على اهلي ومالي كما تفعل مع بقية

ملوك الطوائف الذين خدموا اعتابك وقاموا على بابك
واطلب من مراحم مولاي ان لا يشتط علينا في الطلب
ليوردنا بحار العطب لان الحال قد حال والمال قد مال
والكف صفر والديار قفر والأمل من افضال مولانا ونواله
ومكارمه واجلاله ان لا يأتي رسولنا من عنده الا بكتاب
عهد لنأمن من الغارة الشعواء والمصيبة الدهماء والسلام
فلما وصل الكتاب الى السلطان صابون وقرأه وفهم مضمونه
اجاب سؤاله وكتب له اما بعد فقد وصلني كتابك وفهمت
ما انطوى عليه ومن جاءنا تائبا قبلناه ومعتذرا عذرناه
وقد فرضت عليك في كل سنة مائة فرس والعد راس من
الرقيق بشرط ان تأمن السبل وتعطي الطاعة حقها وقد
اجبناك الى سؤالك اقتداء بقول الشاعر

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا	ان كان قد بر فيما قال او فجرا

والسلام فلما وصل الكتاب الى ملك التاما وفهم مضمونه
كتب الى السلطان صابون قد دخلت تحت طاعتك وصرت
واحدا من جماعتك وآمل من مولانا من مراحمه ان
يخفف عنا من عدد الرقيق فانا لا نقدر عليه لانا في ارض
ليس بجوارها فرتيت وان كان عندنا شيء من الرقيق
فكله من الشرا لا من الكسب ولا نطيق اكثر من مائة راس
في كل عام والسلام فلما وصل الكتاب الى السلطان صابون

في الرقيق

علم صحة قوله نفعا عنه فصفح عنه وقال يكفيني انه صار من اتباعي
وكتب له كتابا بالقبول فيه من حضرة عبد الرحمن عبد الله امير المؤمنين
السلطان محمد عبد الكريم صابون العباسي الى كل من يقف
على كتابنا هذا من الوزراء والاجناد والامراء والقواد دام
اجلالهم اما بعد فان الملك احمد ملك الناما قد التمس
من مراحمنا ان نكف عنه الغارة ونامنه في اهله واولاده
ورعاياه وبلاده وان يكون كواحد من رعايانا وشرط على
نفسه ان يدفع لنا في كل سنة مائة فرس ومائة راس
من الرقيق واعتذر عما مضى من افعاله فقبلنا عذره ورضينا
شرطه وشرطنا عليه امن السبل وان يكون مواليا لمن والانا
ومعاديا لمن عادانا فاذا فعل ذلك فعليه منا امان الله وامان
رسوله فلا تلج خيلنا دياره ولا نقطع اثاره وقد ارسلنا
اليه على وجه الهدية سيفا وخلعة علامة من مكارمنا على
تثبيته في ملكه وايذانا من مراحمنا ببقائه وبقاء من انتظم
في سلكه ما دام متبعا للسنة والكتاب واقفا على قدم
العبودية على الاعتاب مؤديا لما فرضناه عليه ممتثلا لاوامرنا
العلية التي تصدر اليه والسلام واخرج السلطان سيفا
وكسوة وارسلها صحبة الكتاب فلما وصل الكتاب الى ملك
الناما فرح غاية الفرح وجهز المائة فرس والمائة راس من
الرقيق في الحال وارسلها مع احد ذوي قرابته فلما وصل الى
وارة واخبر بها السلطان امر بحضوره بين يديه واذا معه

كتاب

كتاب فيه من عبد الله احمد ملك الناما خادم امير المؤمنين
الى حضرة امير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين سيدي
وابن سيدي السلطان محمد عبد الكريم صابون بعد تقبيل
مواطئ اقدامه والدعاء بنصر اعلامه ان الواصل لحضرة
سعادتك ابن عمي واعز الناس عندي وصحبته ما هو مقرر على
عبدك من الخيل والرقيق وارجو من مكارم سيدي وتفضلاته
ان ينعم بقبولها مع غض الطرف عن قبحها وحسنها واسأل
مولاي ان يديم سعادته ويؤيد سيادته والسلام فلما
قرأ السلطان كتابه اعجبه منه تواضعه وقبل المال وكان كله
مختارا من الخيل المسومة والرقيق المنتخب فاكرم الرسول وانزله
احسن نزل ثم كتب له كتابا بوصول الاموال وكساه وارسله
الى ملكه اهـ ولما بلغ الخبر الى السلطان محمد فضل ان ملك الناما
قرر له على نفسه في كل سنة مائة راس من الخيل ومائة راس
رقيق استشاط غضبا وقال كيف يكون تابعي ويجعل على نفسه
لغيري مالا هذا شيء لا ارضى به اما ان يكون تابعي خاصة
او يكون تابعا لغيري خاصة وفي الحال كتب الى ملك الناما
يقول له انه قد بلغني انك قررت على نفسك مائة راس من
الخيل ومائة راس من الرقيق للسلطان صابون ودفعت له
مال سنة وجاءك منه كتاب بالعهد والتثبيت في مملكتك
والحال انك لي تابع ولاعمالي منسوب فهل تقدر على دفع
ديوانين ام تريد ان تنزع طاعتي وتكون للسلطان صابون

ام كيف الحال فلما وصل الكتاب الى السلطان ملك التاما
ارسل للسلطان محمد فضل كتابا معناه ان سعادتك ارسلت
تستفهم منى فاعلم سعادتك ان ما بلغك صحيح وانى على ما تعلم
من دفع المبلغ لا عتابك كما كنت واعماد نعت هذا المال
وقاية لعرضى ومالى وفداء عن نفسى لانى الآن ضعيف
وقد نهكتنى الحرب وهذا الرجل لا اقدر على محاربته فاما
اعمل ذلك مهادنة حتى اتقوى واقطع يد الطاعة بعد ذلك
ولا ابالى والسلام فلما وصل الكتاب الى السلطان محمد فضل
اطمأن وصفا خاطره بعد التكدر واما السلطان صابون
فانه بعد ان علم ان ملك التاما صار من اتباعه امر التجار ان يذهبوا
الى بلاده ويبيعوا بضائعهم على التاما اما نقدا واما نسيئة
وكل ذلك قصده ان يعرف هل هذا الصلح صحيح ام هو امر ظاهري
فقط فسلكت الطريق ووقع الامن وزال الخوف ودخلت
التاما بلاد الواداى يقادون من وجدوه من اولادهم
ونسائهم وذوى قرابتهم ومن قدروا على سرقته سرقوه
ومن قدروا على اغرائه على الفرار اغروه حتى خلصوا من
اولادهم ونسائهم جم غفير وعلم السلطان بذلك فحجر
عليهم لما بينهم من عقد الصلح بل قال لهم كل من وجدتموه
سارقا لاحد من الرقيق اذنتكم بقتله لان هذا خيانة
والخيانة ضد العهد اما من اظهر نفسه وطلب الفداء فلا لوم
عليه واشتغل السلطان صابون باحواله وفى تلك الايام

وصل الى السلطان صابون اعرابى من عرب بادية دربا وابن غازى
جاء به اناس من القبيلة المسماة بالبديات وهى قبيلة من الاعاجم
يسكنون اطراف الواداى وهم باعراب البادية اشبه فاخبروا انهم
وجدوه ضالا لا يدرك اين يتوجه وقد اثر فيه العطش تاثيرا
شديدا وانهم ما رأوه الا فى اخر رمق من الحياة فسقوه الماء
واخرجوه واراحوه فى باديتهم نحو شهر ثم قدموا به على السلطان
فساله السلطان ممن انت فقال انا من القبيلة المسماة باولاد على
خرجنا نحو خمسين فارسا طالبين المكسب والغارة على السودان
فضللنا الطريق ونفذ منا الماء فارسلوا منا ثلاثة فوارس يبحثون
عن الماء فكنت احدهم فضللت وهمت وصرت لا ادرى اين
اتوجه فركضت فرسى حتى كل وتعب وما بقى به حراك فنزلت
عنه وتركته وصرت اسعى راجلا بعد ذلك ثلاثة ايام
وفى اليوم الرابع اشتد بى الحر وعطشت وكدت اموت
ظمأ ولولا قيض الله لى هؤلاء السودان لمت فقال له السلطان
كم مكثت بدون شرب ماء فقال له ستة ايام ما ذقت فيها
ماء فصار الناس ما بين مصدق ومكذب وكنت اذ ذاك
خلصت من سجن سلطان الغور وقدمت الى دار واداى
فاجتمعت على ذلك البدوى وكان اسمه على فسالته عن قصته
فاخبرنى كما سمعت فانعم عليه السلطان ببعض الرقيق
واركبه جوادا واعطاه عشرة من العبيد يعلمهم التقويس
بالبندق واصابة الغرض فكثيرا ما كان يقول لو اعطيت

اذنا بالذهاب من الطريق التى جئنا منها لكثر الخير على السلطان
اذا سلكت لانها اقرب الطرق الى بر العرب فلما سمع منه السلطان
هذا الكلام اخرج قافلة ونادى فى حجيارو نمروا الا كل من يريد
التجارة الى بدرنا و بن غازى فليجهز نفسه و يخرج مع هذه
القافلة وارسل وراء مشايخ البدويات فاحضرهم وامرهم
ان يتوجهوا بالقافلة وان تكون فى ضمانهم الى حيث ما وجد
البدوى والتزم البدوى باستدلال القافلة على ما بعدها
من الطريق فخرجت قافلة عظيمة وصحبها السيد الشريف
احمد الفاسى الذى كان استوزره السلطان عوضا عن والدى
وهو رجل كان من فضلاء اهل العلم واجلهم جيد الحفظ
والرواية متوغلا فى الفقه وكتب الحديث يحفظ موطأ الامام
مالك على ظهر قلبه وله المام بفن التشريح ولقد رايته يقرأه
فى الدرس وحضرته فى تشريح العين وتكلم عليها كلاما جيدا
واما علم المعقول فله فيه ما يقوم لسانه ويصحح فكره لكنه
مع ما اعطاه الله له من الفضل كان احمق وغر الصدر فاستوحشت
منه اهل البلد وثقل عليهم امره حتى ال الامر بهم فتلوه كما ياتى
بيانه ان شا الله تعالى **تنبيه** انما فرح السلطان
صابون باحداث سلوك هذه الطريق مع ان اهل الوادى
من قديم الزمان لا يعرفون الا طريق فزان ومنها تجلب
لهم جميع المصالح لما حصل من السلطان المنتصر الشريف فى حق
والدى حين سافر باموال السلطان صابون واراد الذهاب

بها الى طرابلس المغرب واراد المنتصر قتله فلما بلغ السلطان
صابون ذلك تكدر خاطره منه ولولا مشقة البعد وما بينهما
من المفازات المعطشة لغزاه وحين سمع بهذه الطريق
فرح واجتهد فى سلوكها وسبب تغير السلطان المنتصر على والدى
هو ان والدى لما اراد التوجه الى تونس تذاكر مع السلطان
فى شان ذلك والتمس منه الاذن فى الطريق فى السفر فساله
السلطان اى البلاد بعد فزان فقال له والدى طرابلس فقال
له السلطان لابد ان اثمان الرقيق بطرابلس اغلى من اثمانها
بفزان واثمان البضايع بطرابلس ارخص من اثمانها بفزان
فقال له والدى نعم فقال له السلطان هل لك فى ان ارسل
معك رجلا من امنائى ومعه رقيق لى تبيعه لى فى طرابلس
وتشترى لى بثمنه كذا وكذا من البضاعة فقال له والدى
حبا وكرامة فعين السلطان صابون رجلا من امنائه
وارسل معه ما ينوف عن ثلاثمائة من الرقيق وامره ان يكون
تحت طاعة والدى يأتمر بامره وينتهى بنهيه فلما وصلا
الى فزان وكان اذ ذاك متوليها السلطان محمد المنتصر فرح بقدوم
القافلة لان اكثر منافعه منها فباع التجار رقيقهم فى بلده وابى
ان يبيع فيها هو وامين السلطان كذلك فلما بلغ
الخبر الى السلطان دعا بوالدى وقال له انت الذى دللت
سلطان الوادى على ارسال رقيقه لطرابلس وعدم بيعه هنا
فانكر ذلك والدى وقال له ان السلطان صابون بلغه الخبر

ان الرقيق بطرابلس اعلاما منه فى فزان فارسل رقيقه مع خادمه
وامره ان يتوجه به الى هنالك فقال له لم تجر عادة بذلك وما وقع
هذا الا باستدلال لك واظهر له عين الغضب ولولا ان الله امسك
لسانه لقال خذوه وخرج والدى من عنده فى غاية الغم والخوف
على نفسه وماله ولما كان عند المساء جاءه الحاج عثمان وزير المنتصر
وقال يا مولاى تدارك امرك بهدية وقدمها الى السلطان
عسى ان تنفعك فانه مضمر لك سوءا فلما سمع والدى منه ذلك
اخرج من احسن الجوارى ستا وادخلهن عليه هدية فابى ان
يقبلهن فتشفع فى قبولهن الحاج عثمان المذكور وحصل منه
الصفح وان كان بقى فى نفسه ما بقى وتلافى والدى امره وخرج
مسافرا الى طرابلس فدعاه السلطان وامره ان ياخذ تابع
السلطان صابون ورقيقه معه فابى وقال معاذ الله ان اخذ
معى ومالى وله هو رجل من طرف السلطان وانا رجل غريب
لا علاقة لى به فاكد عليه السلطان المنتصر ان يسافر معه فابى
والدى وحلف ان لا يصاحبه فى طريق وخرج والدى قبله
الى طرابلس وترك امين السلطان صابون فى فزان فلحقه الى
طرابلس بعد مضى ايام وحين بلغ الخبر الى يوسف باشا حاكم طرابلس
ان المنتصر فعل كذا وكذا وقدم هذا الرقيق الى طرابلس اضمر له
سوءا لان فزان من اعمال طرابلس والباشا هو الذى له ولى
المنتصر عليها ثم عظمت الامور بينهما الى ان آل الامر الى قتل المنتصر
واستيلاء محمد المكنى حاكما عليها من قبل يوسف باشا وبيان ذلك

ان

ان يوسف باشا بعد ان وصل اليه والدى واعلمه بما حصل
من المنتصر حقد عليه وتفكر فى حيلة يكيد بها ليظهر عصيانه
فاستشار بعض ارباب دولته فى ذلك فاشاروا عليه بان يرسل
بضاعة الى برنو على طريق فزان مع امين له بكتاب معه من عنده
الى عامل فزان وكتاب الى سلطان برنو فندب محمد المكنى الى ذلك
وكان محمد المكنى قبل ذلك احد حجابه فارسل معه اربعة احمال
من البضائع خلاف الهدايا وجهزه وامره ان يسافر الى برنو
على طريق فزان وكتب الى المنتصر كتابا يقول فيه الى حضرة ولدنا
العزيز محمد المنتصر والدينا نائبنا بايالة فزان اما بعد
فانه قد تعلقت ارادتنا بتوجيه تابعنا المكرم الاجل محمد المكنى
الى دار برنو ببضائع للسلطان البرناوى وكتب وكتاب
وهدية وامرناه ان يتوجه بها على طريق ايالتكم فهو وارد
اليكم وواصل ان شاء الله بين يديكم فاذا وصل اليكم المذكور
يقتضى ان تلتفتوا انظاركم عليه وترافقوه بقافلة متوجهة
الى دار برنو وان احتاج الى ظهر او زاد او دراهم فاعطوه
على طرفنا ونرجو ان لا يكون منكم فى ذلك تقصير والسلام
فلما وصل محمد المكنى الى فزان اوصلها انزله السلطان محمد
المنتصر فى دار الانزال واكرمه ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع
توجه اليه المكنى واعطاه كتاب الباشا فلما علم ما فيه غاظه ذلك
وسكت على مضض وصادف حلول المكنى فى فزان خروج
قافلة متوجهة الى برنو فصحبها المكنى وتوجه معها وغاب

نحو ستة اشهر وجاء ومعه الرقيق شيء كثير فدخل فزان وملأ
اربعة دور بالرقيق فارسل السلطان محمد المنتصر الناس
للمكني يلتمسون منه شراء الرقيق لياخذ المكس من المشتري
فابى المكني ان يبيع منه شيا وقال هذا مال الباشا ولم يأذن
لي في بيعه هنا ثم طلب من المنتصر ازوادا يقوت بها الرقيق
وشدد في الطلب فاغتاظ المنتصر منه وكتب له اوامر
لعامل سبهة ان يعطيه ما طلبه وقال له ارحل عني والا
قتلتك فخرج المكني على غير صورة وتوجه بالرقيق الى سبهة
وطلب من العامل ان يعطيه الازواد فابى وقال ليس للسلطان
شيء عندي فالح عليه المكني في الطلب وقال له اعلم انك اذا
لم تعطني ما طلبته ومات منه شيء يغرمك الباشا منفعة
فخاف العامل وجمع له من الزاد ما اراد وطلب منه ظهرا
فاكترى له ما يقله وسافر حتى اتى الباشا وقد مات له من
الرقيق جملة من التعب وعدم الراحة فساله الباشا عن
سبب موت الرقيق وعما فعل معه المنتصر فاعلمه بجميع
ما حصل فاغتاظ الباشا واستأذن في التكلم فاذن له
فقال انه قد بلغني من سعادتك انك تريد ان ترسل عسكرا
لفزان قال نعم قال كم ترسل من العساكر قال الباشا
نحو اربعة الاف قال يحسب مولاي كلفة الأربعة الآف
من ارزاق واقوات وظهر وحافر وسلاح وبارود فحسب
ذلك فكان اكثر من خراج فزان لان خراج فزان اذ ذاك

لذلك واضمر له سوءا وبعد ان
راق باله اراد الباشا ان يجرد
عسكرا لفزان يقاتل المنتصر
ويملكها له فسمع محمد المكني بذلك
فحضر امام الباشا صح صح

كان

كان خمسة الاف فرانسه في كل سنة وكلها ليست عينا بل العين
منها الثلث والثلث الثاني رقيق والثالث جنازير وقيود
وجلود ونحو ذلك وذلك لكون الجنازير والقيود تاتي أهل
القوافل بكثير منها لانهم يجلبون العبيد الكبار في الجنازير بالنهار
حتى وهم سائرون ويقيدونهم بالقيود بالليل فلما ياتون الى
فزان ويبيعون الرقيق تبقى عندهم القيود والجنازير بلا منفعة
ولا فائدة في عودهم بها الى السودان فيبيعونها بارخص ثمن
وكذلك الجلود لانهم ياتون باجربة من جلود البقر فيها ازواد
الرقيق ومتى باعوا الرقيق باعوها ايضا فقال كيف يصرف
مولانا من المال ما يزيد على خراج ست سنين فقال الباشا
وكيف اصنع قال المكني ان نحت على حكم فزان ثلاث سنين
دبرت لك امرا لا يكون فيه خسارة عليك فقال الباشا قله
وان كان صوابا حكمتك في فزان ست سنين فقال المكني الرأي
عندي ان تكتب اوامر لجميع من له شوكة في فزان اننا
ولينا احمد ابن عم المنتصر سلطانا عليكم فاياكم ان يستفزكم المنتصر
وتقاتلوا معه والحذر من الخلاف وتكتب لاحمد منشورا بالتولية
وعزل المنتصر ثم تكتب لي فرمانا بولايتي وتعطيني مائتي
فارس وتعطيني الفي ريال فرانسه وتعطيني عشرين كسوة
وخلعة للسلطان احمد وخلعة لي وانا ادبر امري في ذلك
ففرح يوسف باشا واخرج معه مائتي فارس ووازره بكاتبه
الخاص المسمى بالزروق واعطاه ثلاثة الاف فرانسه وثلاثين كسوة

وخلعتين ملوكيتين واعطاه من الجمال ما يحمله ويحمل عساكره
وخرج من طرابلس وتوجه الى فزان وما زال يجد السير
حتى وصل الى البلد المسماة بسوكنه وهي اول بلاد فزان فنزل
بها وارسل لرئيسها فاحضره وبمجرد حضوره القى عليه كسوة
جميلة وقرأ عليه المنشور الخاص به وفيه الانذار والتحريض
على عدم مساعدة السلطان محمد المنتصر وان الولاية لابن عمه
احمد فقال رئيس البلدة ووجوه اهل البلد سمعا وطاعة
واصبح مرتحلا من هناك بعد ان كسا من وجوه اهل البلد
ما يستحق الكسوة الى ان اتى للمحل المسمى بسبهة فاحضر
رئيسها وعالمها الشيخ عبد الرحمن واخلع عليهما وقرأ عليهما
فرمان الباشا فاذعنا بالسمع والطاعة واصبح راحلا
الى ان حل قرب المدينة وهي قاعدة المملكة وتسمى مرزق
فارسل الى المنتصر يقول له اني جئت بامر من الباشا واريد
ان نحضر عندك لتسمعه او تاذن لي بالدخول على الى عندك
وكان المنتصر قد بلغه الخبر قبل وصول العساكر فاغلق
ابواب المدينة ووضع الحراس بالبندق وامرهم ان يضربوا
كل من دنا من السور من العساكر وان يبذلوا الجهد في الاحتراس
ففعلوا وجاء المكني بعساكره فلم يدعوه يقترب من السور
وكان المكني قد جلب معه مدفعين صغيرين يحملهما على
الجمال فوضع المدافع وركبهما على العجل ورمى بهما على السور
فاثرتا فيه واصابت احدى الكرات بدرج فذهبت بها ولما

كان من الليل دعا المكني برجل واعطاه كتابا وامره ان يتسور
السور ويذهب به الى احمد وكان الرجل عيارا رسلانا فاخذه
وتسلق من السور ولم تنظره الحرس فتوجه به الى احمد واعطاه
اياه فلما فضه وجد فيه الى حضرة السلطان احمد اما بعد
فانا جئنا بامر من حضرة الباشا وانك انت السلطان
وان المنتصر معزول فاذا اتاك كتابي هذا فقم واجتهد في اطفاء
الفتنة وافتح الابواب وخالف المنتصر في كل ما يفعله
والسلام فلما علم مضمونه قام قائما ودخل على ابن عمه المنتصر
وقال له الست ابن عمي وانا وانت كرجل واحد قال له نعم فقال
له احمد فاذا كان كذلك لم تغلق الابواب ووضعت الحرس وامرت
بالقتال فقال يا ابن عمي اني اخاف ان تكون حيلة ودبرت
علينا وعاقبتها تكون سوءا فقال احمد دع عنك هذا القول
وافتح الابواب والا قاتلتك ونادى في العسكر فاقبلوا اليه
وقال لهم كل منكم في رتبته التي هو عليها يزيد ولا ينقص وقد
آل الملك الي فافتحوا الابواب واتركوا الحرس فقالوا سمعا
وطاعة وقاموا ففتحوا الابواب وانزلوا الحرس وخرج السلطان
احمد بنفسه وادخل المكني بعساكره وانزله بدار الضيافة
واضافه تلك الليلة ومن الغد ارسلوا الارباب الدولة
المناصب كلهم فحضروا بالديوان وجاء المكني والزروق وقام
الزروق على قدميه وقام كل من في الديوان وقرأ عليهم كتاب
تولية احمد وعزل المنتصر وكان مضمونه صدر هذا الامر

الشريف من حضرة الوزير يوسف باشا قرامانلي الى حضرة علماء
فزان وامرائها وعساكرها واجنادها اما بعد فان محمد
المنتصر قد اعطي نعمة فلم يرعها وولي ولاية فلم يرد ابقاءها
واطلق نفسه في هواها فرعت في اوخم المراعي ونسي قوله
عليه الصلاة والسلام كلكم راع ولم ينفعه ذلك حتى عصى امري
مرارا ونصحته سرا وجهارا وحيث لج طغيانه وعمي عن اصلاح
شانه عاقبته بعزله من منصب فزان ووليت عوضا عنه
احمد الناصر العظيم الشان فاسمعوا له واطيعوا وقد امرناه
بتقوى الله فيما ولي عليه وان يعاملكم بالشرع الشريف في جميع
ما يرفع لديه وبذلك ينجو من القصاص يوم يؤخذ بالنواصي
والحذر ثم الحذر من الخلاف والسلام ولما ان تم الكتاب
قام جاويش الديوان ودعا للباشا وللسلطان وضربت
النوبة السلطانية واطلقت المدافع ووفدت الناس للتهنئة
وقام الزروق والمكني وخرجا الى محل سكناهما واقاما فيه ثلاثا
ثم اجتمعا باحمد الناصر وقالا له اعلم اننا نريد الرجوع الى طرابلس
ونخشى عليك غائلة المنتصر بعد ذهابنا ونحن لك من الناصحين
وعليك من الخائفين فاذا كنت تعتبر نصحنا فاقبض على
المنتصر واستصف امواله ثم اقتله والا فما دام حيا فانه
ينغص عليك ولا يستقيم لك امر والسلام فلما سمع احمد كلامه
قام من وقته وساعته وقعد في ديوانه ودعا بالمنتصر فلما
حضر امر بالقبض عليه فقبض عليه فقال له المنتصر لم تقبضني

فقال

فقال له اعلم اني وليت هذا الامر وليس في خزينتي من المال
شيء ومال المملكة كله عندك فان اردت ان اطلقك ادفع
جميع المال الذي عندك ثم امر به الى السجن فسجن حتى دفع جميع
ما عنده من المال والمتاع ولم يبق في بيته سوى شيء ثم امر
بخنقه بالليل فاصبح ميتا ولما شاع الخبر بموته دخل المكني
مع الزروق على السلطان احمد وهو جالس في ديوانه فطلب
منه المال الذي اخذ من المنتصر وقال هذا للباشا فدفعه
السلطان احمد اليه بتمامه ثم ان المكني قال للسلطان احمد باشا
انا نريد السفر لان فزان ليست بدار اقامة فهيئ لنا ما صرفه
الباشا على العساكر فقال له السلطان احمد اليس قد اخذت
جميع اموال السلطان المنتصر فقال نعم اخذتها فقال له اما
فيها كفاية لك وللباشا فقال المكني لا لان العادة ان مال
المعزول والمقتول ياخذه الباشا بدون ان يحسب عليه واما
ما صرفه على العساكر فيؤخذ من المتولي فاما ان تدفع لي جميع
ما صرفه الباشا على هذا الجيش او تترك المملكة لصاحبها
يدبرها برايه فاستشار السلطان احمد وقال له كم قدر هذا
المال فقال انه قد صرف على هذه العساكر من ارزاق ومأكل
وملبس ومركب ومحمل وخدمة ما ينوف على اثني عشر الف
ريال من الفرانسا فاما ان تدفعها او تدفع ستة الاف مثقال
من الذهب فقال السلطان احمد اني دخلت في هذا الامر
على خزينة فارغة واريد ان افرض على البلاد ما فرضته على

فامهلني حتى اجمعه لك فقال له العجلة العجلة فقال له السلطان
احمد لا اقل من خمسة عشر يوما فقال له المكني لك ذلك لكن
بعدها لا امهلك يوما واحدا ثم دعا السلطان احمد بدفتر اسماء
البلاد فوجد به مائة بلد غير المدينة ففرقوا الاثني عشر الف ريال
على البلاد من سوكنة التي هي اول البلاد من ناحية الشمال
الى القطرون التي هي اول البلاد من ناحية الجنوب وهي ناحية
الواداي ومن زويلة التي هي في المشرق الى الشواطي التي هي
في المغرب كل بلد بحسب ما يليق لها وكتب السلطان احمد اوامر
الى جميع البلاد كل امر مضمونه الى فلان رئيس البلد الفلانية
اما بعد فاننا التمسنا الاعانة منكم على المبلغ الذي صرفه
حضرة الباشا على العساكر الذين قد قدموا صحبة المكني والزروق
وخصكم منه كذا وكذا ريالا فحال حلول امرنا اليكم تجمعوا المبلغ
المذكور وترسلوه صحبة امين من طرفكم سريعا بدون ابطاء
والحذر من المخالفة والتعطيل والسلام وختم الاوامر
وامر النجابين بتوصيل كل كتاب الى من هو له فركبت النجابون
في الحال وذهبوا بالكتب كل مذهب وكان المكني قد نسخ من
دفتر اسماء البلاد نسخة فذهب الى دار نزله وكتب مائة
كتاب مضمون كل كتاب منها الى رئيس البلد الفلانية اما بعد
فان السلطان احمد ارسل يلتمس منكم دفع ما هو كذا وكذا ريالا
فاياكم ان ترسلوا له شيا من ذلك لان المبلغ المذكور مطلوب
مطلوب منه وهو ملي ومن بخله اراد ان يغرمكم اياه والسلام

بلغ

وكان

وكان اهل البلاد حين جاءهم النجابون الاول بالكتب اهتموا
وجمعوا انفسهم ووزعوا المبلغ على الرجال كل بحسب طاقته
فما راعهم الا ورسل المكني قد اتتهم بالكتب فلما قرأوها تربصوا
وتراخوا ولم يظهروا عصيانا حتى ينظروا الى ما يؤول اليه الامر
فمضت الخمسة عشر يوما ولم يأت احد بشيء وفي اليوم السادس
عشر امر المكني جماعته ان يلبسوا اسلاحهم ويأخذوا اهبتهم
كانهم يريدون الحرب واخذهم واخذ الزروق ودخلوا على
السلطان احمد وهو جالس في ديوانه فرحب بهم واكرمهم فقال
له المكني يا احمد هات الدراهم التي جمعتها لانه طال بنا المقام
ونريد السفر ووعدنا قد تم البارحة فقال السلطان احمد
لم ياتني شيء الى الآن فاظهر المكني الغضب وقال يا بارد اتريد
ان نمكث معك طول الدهر ونترك خدمة سيدنا الباشا
لاجل خاطرك ثم نادى يا زروق ما عندك من الامر فقام
الزروق واقفا على قدميه وقال يا ارباب الديوان اعلموا ان
السلطان احمد رجل لا يصلح للسلطنة وهو معزول كما امر بذلك
سيدنا يوسف باشا ومد اليه يده فجذبه من كرسيه فاكبه
على الارض وقال لاعوانه الواقفين خذوه فاخذه الاعوان
في الحال ومزقوا ما عليه من الثياب وقالوا امر فيه بامرك فقال
المكني اذهبوا به الى السجن وثقلوا اغلاله وقيدوه واجمعوا
يده الى عنقه فسحبوه وبات ذليلا وفعلوا به ما امرهم المكني
وكان المكني قعد في الحال على كرسي المملكة وارسل الحجاب والاعوان

ودعا بجميع ارباب الديوان كالقاضي والمفتيين وكبار التجار
والوزرا وارباب المناصب فحضروا وجلس كل في المحل المعد لجلوسه
واخرج الزروق فرمانا ووقف على قدميه ووقف كل من كان
حاضرا وقرا الزروق المنشور بتولية المكني حاكما على فزان
وعزل المتوليين عليها وكان قد اجتمع في دار المملكة اناس كثيرون
وبعد ان قرا المنشور ضربت النوبة السلطانية واطلقت
المدافع ووقع في تلك الساعة ازدحام فاختطف احد العسكر
الفقرا عمامة رجل ورآه المكني فامر بمجيئه بين يديه فلما مثل
بين يديه ساله لم خطفت العمامة فلم يكن له عذر فقال له
المكني انما خطفت العمامة احتقارا لي ويقال الى غير عادل
ثم امر به فضرب خمسمائة كرباج وخرج الناس يرجفون خوفا
وكان هناك من اولاد ملوك فزان جماعة حين راوا عسف
المكني وما فعل فروا فبعضهم فر الى بلاد السودان وبعضهم
فر الى ابن غازي ثم ان احد الناصر جات الى المكني وسالته
في اطلاق ولدها من السجن وتوسلت اليه بجماعة من امراء
الدولة فقال لا اطلقه حتى أخذ منه كلفة العساكر وكان
قد بلغه ان عند امه مالا عظيما اكتنزته من مال ابيه فشدد
في طلبه وعلق اطلاقه على حضور المال فصارت العجوز تحضر
له المال شيا فشيا حتى لم يبق عندها شيء ينتفع به فامر
بخنقه ليلا فخنق وجاءت امه تطلب فكاكه فامر باعطائه لها
فاخرجوه لها ميتا فطار عقلها وقالت له باي جرم قتلته

فار

أم مح

فار قتلته قصاصا بابا المنتصر قتله بغير حق ثم قبض على وزيري
المنتصر الحاج عثمان واخيه الحاج يوسف واستصفى اموالهما
واطال سجنهما فغر الحاج يوسف بحيلة تمت له وبقي الحاج عثمان
في السجن الى ان مرض واشرف على الموت واعلم المكني بشدة مرضه
فامر باخراجه الى داره فاخرج ومات بعد ايام قلائل واستوزر
المكني بعدهما الوزير الكامل المرحوم ابا بكر بن خلوم وكان فتى
عاقلا رئيسا جوادا سخي الكف من عرب اوجلة ثم ان المكني عسف
باهل فزان عسفا قبيحا وجعل على كل بئر من ابارهم ريالا فرانسا
وجعل على كل من سواني مائتي نخلة ريالا كذلك لكن حسب من
اصل المائتين كل جبارة لها جرائد وهذا خلاف ما ياخذ
من الجبايات وكان لمرزق فاعدة مملكة فزان سبعة ابواب
فسدها ولم يبق الا بابا واحدا واحدث على الابواب مكاسين
ياخذون على كل حمل من الاحمال الداخلة ريالين فرانسا سواء
كان مملوا خيشا او حريرا وزاد في مكس الرقيق سدس مثقال ذهبا
وغزا اولاد سليمان وهم قبيلة عظيمة من اعراب البادية فقتل
منهم كثيرا وهزمهم وسبب اغارته عليهم انهم كانوا امنين ليوسف
باشا صاحب طرابلس وكان الباشا وكلا اليهم طريق فزان
يؤمنونها من كل قاطع طريق ولهم عليه عوائد وخلع في كل سنة
وكان كبيرهم يسمى سيف النصر وكان منهم بطن يسمون اولاد بشر
فتحيل يوسف باشا والقى العداوة بين جماعة سيف النصر واولاد
بشر واراد قتل احد بني سيف النصر ففطن لما اراد وخرج من

طرابلس ليلا بحيلة تمت له وعصى امر يوسف الباشا وصار
ينهب القوافل ويقطع الطريق على المارين فدعا الباشا باولاد
بشر وكساهم واوعدهم خيرا واسنى جائزتهم واخرج معهم عسكر
العقار اولاد بو سيف النصر فذهبوا صحبة العساكر وقاتلوا اولاد
سيف النصر وثقلت الوطاة على اولاد سيف النصر فانكشفوا وجلوا
الى فزان وظنوا انهم يملكونها من يد المكني فحصل بهم ما ذكرناه وانهزموا
في البرارى والقفار ثم ان يوسف باشا غدر باولاد بشر وقتل
منهم اناسا من كبارهم وافلت منه من افلت وبقى الحيان عدوين له
وذلك من طمعه وسوء تدبيره وغدره واول غدر وقع منه باخيه
احمد باشا وذلك ان السلطان سليم خان عليه سحائب الرحمة
اعطى مملكة طرابلس الغرب لعلي باشا برغل ووجه معه العمارة السلطانية
صحبة قبودان باشا وكان اذ ذاك حسين باشا ولما قدم
الاسطول الى طرابلس وكان واليها احمد باشا القرامانلي اخو يوسف
باشا الحكمدار ارسل علي باشا كتابا الى علماء اهل البلد وارباب الحل
والعقد فيها مضمونه ان مولانا السلطان سليم خان عز نصره تعطف
علي واعطاني طرابلس مملكة لي وها انا قد جئتكم بامره فانظروا
ماذا ترون وردوا لي جوابي سريعا وان ابطأتم بعد ست
ساعات هدمت عليكم سور البلد بالمدافع واخذتها عنوة وافعل
بكل منكم ما يستحقه وحين وصل الكتاب الى يد اهل العلم افتوا
انه لا يجوز قتال عساكر السلطان وان قتالهم كفر فدار احمد باشا
واخوه يوسف بك طائفا على الناس يسالونهم النجدة فابوا عليهم وقالوا

لايمكننا

لا يمكننا قتال عسكر السلطان ونحن مامورون بطاعته
من الله ورسوله وحين رايا ذلك خافا ان اقاما بالمدينة
يدخل عليهما علي باشا ويقبضهما ويرسلهما الى القسطنطينية
او يقتلهما او يؤبد سجنهما فخرجا ليلا وفرا الى تونس بنسائهما واولادهما
وخدمهما واتباعهما وارسلا الى المرحوم حموده باشا يعلمانه بقدومهما
فارسل لمقابلتهما الوزير مصطفى كاهيه وادخلهما في موكب
عظيم وانزلهما دارا واسعة جميلة واجرى لهما من الارزاق
ما يزيد عن كفايتهما فمكثا في تونس في ارغد عيش واهناه مدة
سنة وستة اشهر ثم ان علي باشا طمعت نفسه في اخذ جزيرة
جربا وسمع انها كانت من اعمال طرابلس وان صاحب تونس اخذها
ظلما فارسل اسطوله اليها فملكها وبلغ الخبر الى المرحوم حموده باشا
فعظم عليه وكبر لديه وقال هذا الرجل اخذ طرابلس بغير حق وان
مولانا السلطان سليم جاء وملكها وما نازعناه فطمع فيما في
ايدينا ثم دعا باحمد باشا صاحب طرابلس واخيه يوسف وقال
لهما اني اريد ان اخرج معكما عسكرا ياخذ لكما البلد من يد علي
باشا برغل ويمكنكما من البلد لكن لا افعل ذلك الا ان
ضمنتما لي مصروف العساكر التي تذهب معكما فضمنا له ذلك وكتب
بذلك احمد باشا كتابا واشهد فيه على نفسه جميع من حضر من
ارباب الدولة وختمه بخاتمه وكتب بعده يوسف اخوه وكان
يسمى اذ ذاك يوسف بيك وقال اني اشهد على نفسي اني التزمت
بجميع المصاريف التي لزمت للعساكر من خزينة والدنا المعظم

كما اعطاه طرابلس هنا بل اعطاه طرابلس الشام وعلى سبيل الغلط منه

حمودة باشا وان ادفعها اليه ان قدر الله على اخي احمد باشا
بالذي لابد منه فاكون انا المسئول بدفع المبلغ بعين والسلام
وختمه بخاتمه وانعقد الامر على ذلك واخرج المرحوم حمودة باشا
طائفتين عظيمتين من الترك ومن طائفة البربر المسماة بزواوة
وجعل نظر الجميع للمرحوم مصطفى كاهيه وامر احمد باشا صاحب
طرابلس ان يكاتب اكابر اهل بلده ووجوه الدولة سرا ويعلمهم
انه قادم عليهم بالعساكر التونسية فكان كذلك ولما وصلت الكتب
الى طرابلس وقرأها اربابها فرحوا غاية الفرح لان احمد باشا
كان رجلا حليما وعلي باشا برغل كان رجلا جبارا وثقلت
وطأته على البلد وجار وقبض على كثير من وجوه الناس واستصفى
اموالهم وحين جاءت العساكر الى طرابلس اراد علي باشا ان يقاتل
فخذلوه وامتنعوا عن القتال ولما رأى الامر آيل الى ذلك
ركب في سفينة وهرب الى ثغر اسكندرية ودخل احمد باشا
الى دار ملكه واحسن الى مصطفى كاهيه والى امراء العسكر وارسل
صحبتهما هدية سنية الى المرحوم حمودة باشا ورحل المرحوم مصطفى
كاهيه بعساكره الى تونس وبقي احمد باشا واخوه يوسف بيك
فابقى يوسف اخاه نحو اربعة اشهر واحسن الى الطوبجية وربط
معهم وجعل امره سرا وفي يوم من الايام خرج احمد باشا الى
النزهة في المنشية وهي بلد عظيمة امام طرابلس كلها بساتين
وكل بستان فيه بيت او قصر على حسب احوال الناس وكل رجل
من اهل طرابلس له محل في المنشية يتنزه فيه واكثر اهل طرابلس

يكون في المدينة للبيع والشراء والاخذ والعطاء طول نهارهم
وعند المغرب يتوجهون الى ديارهم ودورهم بالمنشية وهي انزه مكان
يوجد بطرابلس ولما خرج احمد باشا الى المنشية تخلف عنه اخوه
يوسف وكان من عادته ان يذهب معه مهما ذهب فتعلل بوجع
في راسه وتخلف وترك اخاه لما ابعد عن المدينة واغلق باب المدينة
وامر الطوبجية ان يوجهوا المدافع الى جهة المنشية وبلغ الخبر الى
احمد باشا ان المدينة قد اغلق بابها فكر راجعا خوفا من ان يكون قد
طرقها عدو فلما قرب من السور ما راعه الا والمدافع اطلقت عليه
وعلى اصحابه ومات منهم جم غفير فانقلب احمد باشا بمن معه من
اولاده وبعض العساكر وجعل يغذ السير حتى نزل بمصراتة وهي
بلد عظيمة كلها عساكر لان اهلها كلهم اولاد اتراك واكثر
عسكر طرابلس منها فاستنجدهم احمد باشا ان يرجعوا معه
الى طرابلس لحرب يوسف اخيه فلم يجد عندهم ما يسره
وارتحل عنهم وجد في السير الى ان وصل الى مصر ودخل على
واليها صاحب السعادة الحاج محمد علي باشا وكان اذ
ذاك مقيما بالثغر السكندري فاعظم ملقاه واجرى له ارزاقا
وبعد ايام من ذلك وصل الخبر الى يوسف باشا بان اخاه في مصر فاحضر
سفينة وانزل فيها حريم اخيه وبقية عياله وزودهم
وامر قبودان السفينة ان يوصلهم الى اخيه احمد باشا بثغر اسكندرية
ثم انه قطع يده من المرحوم حمودة باشا ولم يوف بالمبلغ الذي كان
اشهد به على نفسه وجحد احسانه وظلمه ولسان الحال ترجمته يقول

والظلم من شيم النفوس فان تجد | ذا عفة فلعلة لا يظلم

لكن المرحوم حموده باشا لم يعامله بافعاله بل حين راى منه
ذلك تركه ولم يعاتبه ولا طلب منه يوما مالا ولا نوالا واغرب
ما وقع من يوسف باشا أنه لما مات الى رحمة الله تعالى المرحوم حموده
باشا جاء ليوسف باشا رجل من الحمارنة وهم من اعراب بادية تونس
وبشره بموته فخلع عليه واكرمه وفرح غاية الفرح كانه بشر بموت
اعظم اعدائه ونرجع الى سياق قصة السلطان صابون وهو انه
لما فتح له طريق اوجلة اعتمد عليها وارسل قوافله منها مرارا ولما
كانت مصر من اوجلة اقرب من طرابلس جاءت اليها القافلة وذهب
بعضها الى بنغازى لقربها ايضا وبلغ الخبر الى السلطان صابون
ان قافلته تاتى مصر وان بها حاكما عادلا جليلا فارسل اليه
هديه وكتابا يطلب منه المودة واتصال القلوب فارسل
حضرة ولى النعم عسكر باشا هدية للسلطان صابون واصحبها
بقاووشية نفرين من اتباعه وكتاب يدل على ما التمسه
السلطان صابون من والى وكان اذ ذاك فطنت القبيلة
المسماة بزغاوه بمرور القافلة عليهم وعلموا انها ليست بذات
شوكة فاعتدوا النهب القافلة ووصل القاووش بالكتاب
الى السلطان واكرمه ومن معه وارسل قافلة واصحبها
القاووش واعطاه هديه جليلة ولما حازوا ابلاد الزغاوه
خرجوا عليهم وكبسوهم وقتلوا القاووش والمقاتلين
اهل القافلة واخذوا ما فيها من الاموال وبلغ الخبر

فصل استيلاء محمد على باشا على كردفان من السودان

الى السلطان صابون فارسل جيشا كثيفا فقتل من الزغاوه مقتلة
عظيمة وحين بلغ الخبر الى حضرة الوزير الحاج ابراهيم باشا
ووالده المعظم اغتاظ لذلك وجهز جيشا كثيفا على كردفال
لنظر المرحوم محمد بيك الدفتردار وقصد بذلك نكاية السلطان
محمد فضل وارجع بدارفوران عساكر مصر قامعة وخافوا
اشد الخوف فقصد الدفتردار كردفال وعارضه عبد السلطان
المقيم بكردفال وهو المدعو مسلم فقتله العسكر فى الحرب وملك
كردفال وما والاها وبقيت فى يد حضرة ولى النعم الى الآن
وهى سنة ١٢٥٣ ثم ان السلطان صابون جهز قافلة عظيمة
خرج فيها المرحوم السيد احمد الفاسى ومعه من الاموال ما لا يحصى
كثرة وامرهم بالتوجه الى على طريق اوجلة واخرج معهم جندا
كثيفا لحمايتهم حتى دخلوا دار الزغاوة ودخلوا بلاد البديات
ومنها ضربوا البر فضلوا عن الطريق ونفد ما عندهم من الماء
حتى ان الشربة من الماء القراح ابيعت بسبعين فرانسا وذبحوا
ابلا كثيرة وصاروا يعصرون الفرث وياخذون الماء الذى فيه
ويعرضونه للهواء حتى يبرد وابيعت الشربة بسبعة من الفرانسا
هكذا حدثنى المرابط عمر المصراتى ومن كان معه والعهدة عليهم
ولما اشتد العطش بالناس مات رفقتهم وكثير من احرارهم وايقنوا
بالهلاك وكان الشريف احمد الفاسى معهم كما ذكرنا وكان عنده ماء
كثير فطلبوا منه ماء الحياة انفسهم من الهلكة فابى وقال انا صاحب
عيال وفى هذا الماء حياة لنفسى وعيالى وهؤلاء العيال صغار

وانا مسئول عنهم يوم القيامة ولا اكون سببا في موتهم فقالوا له
بع لنا الماء بما تريد من الثمن واكتب علينا وثائق فابى ايضا
ولما راى اهل القافلة ان العطش قاتلهم لا محالة قالوا للشريف
اما ان تعطينا الماء كرها طوعا او ناخذه كرها عنك ثم افعل
ما تريد لانه لا يحل لك من الله ان يكون عندك الماء ونموت
عطشا فابى ايضا وحين راوه صمم على الاباء اقتحموا عليه
الخباء واخذوا منه الماء كرها عنه واقتسموه بينهم وتركوا له
منه كاحدهم فمات جميع رقيقه من العطش ثم سهل الله عليهم
ووصلوا الى جالو بالسلامة واكتروا جمالا ورجعوا الى البحر الذي
مات فيه ابلهم وذهبوا في الدرنج او بحمول الصمغ وسن الفيل
وريش النعام وذهبوا بها الى بنغازي وباعوها هناك وانتقل
الشريف احمد الى طرابلس واستفتى العلماء فيمن غصب منه الماء حتى
مات رقيقه كله ايغرم ام لا فافتوه بانه يلزم اهل القافلة
غرم ثمن جميع الرقيق الذي مات فاخذ الفتوة منهم وسكت
على ما عنده ورجع الى دار واداي ولما دخل على السلطان اكرمه
ورده الى وزارته فاخرج الفتوة وضبط من اتى صحبته من
اهل القافلة واخذ منهم جميع ما عندهم من المال وصار
يترقب كل من جا منهم ويضبطه ويستصفي امواله بمقتضى ما معه
من الفتوى حتى اخذ عوض ماله بل اكثر منه باضعاف مضاعفة
وذلك كان سببا لموته بعد موت السلطان صابون وذلك
انه كان شديد الباس صعب المراس على ملوك واداي

يؤذيهم

يؤذيهم ويسبهم ويلعنهم ولا يقضي لاحد منهم حاجة الا ان
ياخذ منه رشوة فلما مات السلطان صابون اتفق اهل
الواداي على قتله لتلك الامور ولكون امراء الاجناد كانوا يتوسلون
اليه ويستشفعون لديه في التجار الذين كان يسجنهم ويستصفي
اموالهم فكان لا يقبل لهم شفاعة فاضطغنوا عليه ولما
اجمع امرهم على قتله تسوروا عليه الدار وقتلوه ليلا وانتهبوا
جميع ما معه وادخلوه دار السلطان وكان في عصري اهل
مصر رجل من اهل طرابلس الغرب يعمل اغشية السروج بالفضة
المسماة في عرف اهل مصر بالقصب فكان يعمل غواشي جيدة
وكان ذلك في ابتداء دولة ولي النعم الحاج محمد علي باشا
فقدم من صناعته لسعادة الوزير فاعجبه صنعه وامره
ان يصنع الغواشي له ولمماليكه ورات ارباب دولته ذلك
فاكبوا عليه فاستفاد منهم فائدة عظيمة وذلك قبل
ان يغشوا السروج بصفائح الفضة وكثر مال هذا
السروجي وكان يسمى السيد محمد الطرابلسي وحين جاءت
القافلة الواداوية الى مصر من طريق جالو كان فيها رجال
من المجابرة والطرابلسية فاجتمعوا على السيد محمد السروجي
واخبروه بكرم السلطان صابون ومكارم اخلاقه فشرهت
نفسه للذهاب الى دار واداي فصنع غاشيتين مثمنتين
واشترى جارية بيضاء جركسية بعشرين كيسا واخرى حبشية
بكرا واخذ الجميع معه هدية للسلطان وتوجه صحبة القافلة

وتوجه بها ايضا عمي المرحوم السيد الطاهر ابن سليمان شغنبق
والدي وصحبه الطيب بن جلون تاجرا بالغورية واصله من
المغرب وصحبهما السيد محمد البنزرتي وكانوا الثلاثة شركا
في مال واحد وكان بينهم وبين السيد محمد السروجي حزازة
حين كانوا في مصر فكان اذا مر بهم جالسين او راهم وهم
سائرون قال لمن حوله انظروا اليهود الغورية وما زال
يسبهم وهم لا يجيزون له جوابا حتى وصلوا الى دار وداي ولما
دخلوا دار وداي ادخل السيد محمد العروسي السروجي على السلطان
الجاريتين والفاشيتين فوقعت هديته من السلطان اعظم
موقع واحبه حبا شديدا واستوزره واعطاه ما ينوف عن
سبعمائة راس من الرقيق واعطاه ابلا وبقرا لا تحصى وصار
مقبول الكلمة وما مكث في دار وداي اكثر من خمسة عشر
يوما حتى توفي والدي الى رحمة الله تعالى وغفرانه وكان
السروجي لما دخل دار وداي وسمع بصيت والدي عند السلطا[ن]
هاب عمي وصاحبيه فقصر لسانه عنهما ولما مات زال عنه
الخوف وبسط لسانه حتى انه كان في بعض المجالس وذكرت
سيرة والدي فقال انه دخل جهنم بسبعة شاعر وجاء
الحاضرون واخبروا عمي السيد احمد زروق بذلك فاغتاظ
لذلك واضمر له سوءا وخاف ان ضربه او اهانه بغير سابقة
بينهما يتحرف عليه السلطان فاتفق انه كان جالسا في مجلس
وذكر فيه السروجي فقال بعض اهل المجلس هذا السروجي لا يعلم

أهو

أهو مسلم ام نصراني فقيل له ولم ذلك فقال انه لا يركع لله ركعة
ومعناه انه لا يصلي فسري الغم عن عمي بسماع هذه الكلمة وقال
احق ما تقول قال اي والله فقال له عمي اتشهد بذلك
امام السلطان القاضي ان طلبت للشهادة فقال نعم فقال
له عمي وهل تعرف من يشهد معك على ذلك قال كثير فلان
وفلان وفلان وسمى جملة اناس من المخالطين له في كل
الأوقات فلما اصبح عمي توجه الى المحكمة وطلب
السروجي فاحضر فلما حضر قال ايد الله القاضي اني ادعي
حسبة لله عز وجل ان هذا الرجل تارك الصلاة فلا يركع لله ركعة
فسال القاضي السروجي وقال له احق ما يقول هذا الرجل
وانك لا تصلي فادعى السروجي انه يصلي وان هذه الدعوة
لا اصل لها فطلب من عمي البينة على طبق دعواه فاحضر
جماعة ممن ذكر فشهدوا بانه لا يركع لله ركعة وانهم
عاشروه سفرا وحضرا ما راوه صلى فرضا من فرائض
الله فخاف القاضي انه ان اجرى عليه القصاص ولم يعلم
السلطان ربما اغتاظ السلطان لذلك فكتب الدعوى
بتمامها وارسلها للسلطان فكتب السلطان باجرا حكم
الله ولو على ولدي فخرج القاضي بذلك وامر بضربه
الضرب المؤلم وعزره واهانه وبسبب ذلك كرهه السلطا[ن]
وحجبه عنه ولما راى ذلك طلب السفر الى بلاده فاذن له
السلطان في ذلك وكانت القافلة متوجهة من الطريق الجديد

فسافرفيها وعنموا السلامة فوصلوا سالمين لم يصبهم من
المشقة شيء وتوجه السردجي بماله الى بن غازى فعثربه
محمد بيك بن يوسف باشا فقبض عليه واخذ جميع ما معه
وتركه لا يملك شيأ فتحيز حتى وصل الى مصر وجاء وهو فقير
الحال من المستضعفين الفقرا ثم ان محمد بيك المذكور وقع
بينه وبين والده وحشة ففر الى مصر واستجار بصاحب
السعادة فاجاره وعين له الانزالات والرواتب وكتب
السردجي الى صاحب السعادة يشكو فى محمد بيك وانه ظلمه
واخذ امواله فى بن غازى فلم يقبل ولى النعم فى محمد بيك المذكور
وقال رجل فى محل ولايته فعل فى احد رعاياه لا علقة لى به
فآل امر السردجي الى ان مات وهو يتكفف الناس نسال الله السلامة
والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لأن من اعطى نعمة ولم
يشكر خرج منها ولم يشعر ولله در القائل

اذا كنت فى نعمة فارعها ... فان المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الاله ... فان الاله سريع النقم

ولنمسك عنان القلم عن السباق فى ميدان هذه الاوراق اذ
التطويل مورث للكسل جالب للملل والله ورسوله اعلم بما كان وما يكون

الفصل فى عوائد ملوك الوادى واسما امرائهم ومناصبهم وفعل
السلطان معهم وسلوك الامرا والقواد معه

اعلم ان المنفرد فى سلطانه بالتاثير الغنى عن الوزير والمشير
ألهم كل امة بما يصلح احوالها وينفى عنها وبالها ولما علم جل جلاله

ان

ان رعاع الناس لا يتبعون المحجة المستقيمة الا بقهر من
سلطان قوى الشكيمة وانهم لو تركوا سد الظلم قويهم
ضعيفهم ولم يتبعوا سنن الهدى افاض عليهم المعارف
والبسهم حلل العوارف حتى اتفقت كلمة كل اهل اقليم على ان
يجعلوا لهم زعيم يحكم فيهم بالانصاف ويتجنب طريق الاعتساف
فيواسيهم بعدله ولا يرغب عنهم بفضله وياخذ حقهم من
ظالمهم لمظلومهم ويقتص من كالمهم لمكلومهم وان اقوى
ملوك السودان شكيمة واعلاهم حرمة واكرمهم شيمة
ملك الوادى لانه ان جاد ساد وان اعطى اغنى وان وهب
افاد وبلغ الموهوب له من الغنى المراد لكن من شروط
اهل الوادى ان لا يتولى عليهم الا من كانت امه من
ذوات الأحساب عريقة النسب شريفة الحسب وابن
الامة لا يكون عليهم سلطانا البتة بخلاف ملك الفور فانه
يتولاه من كان ابوه سلطانا سواء كانت امه شريفة او
امة وضيعة وحين كنت فى دار واداى كان السلطان عليها
المرحوم السلطان محمد عبد الكريم الملقب بصابون
ابن المرحوم السلطان محمد صالح ابن السلطان محمد جوده
الملقب بخريف التيمان ابن السلطان محمد عروس الاصغر
ابن السلطان محمد عروس الاكبر ابن السلطان صليح هكذا
سمعت الامام بدر الدين امام السلطان صابون المذكور
يتلو نسب السلطان صابون على المنبر وقت الدعاء له
يوم الجمعة

الباب الثالث

واما ترتيب مناصبهم ومراتبهم فعلى خلاف ترتيب الفور
لان الفور راعوا اعضاء السلطان فسموا بها كما تقدم
واما اهل الواداى فراعوا عمارة ايالتهم وحب وطنهم
فرتبوا مناصبهم بحسب البلاد فاول المناصب عندهم
واعلاها مناصب الكماكلة وهم ثمانية اربعة اكبر
من اربعة وهؤلاء الكماكلة هم الذين يقضون الدعاوى
وعليهم مدار الشورى فلا يبلغون السلطان الا اهم
الامور لكن الامور التى يقضون فيها يكتبون فيها
جرنالا ويعرض على السلطان ليعلم ما فعلوه ومن
عادتهم ان السلطان لا ينقض حكمهم وان ظهر خطؤه وغاية
ما يفعل معهم انه ينبههم اذا راى منهم خطأ ان لا يعودوا لمثله
وان تكرر منهم ذلك عزلهم وامضى ما حكموا به اكراما للمنصب الا اذا
كان الحكم خطأ محضا فانه يرسله الى القاضى ولا ينقضه
بنفسه ويليهم فى العظم منصب المومو وهى ام السلطان ان كانت
فى قيد الحياة فان لم تكن فجدته ام امه كذلك فان لم تكن
فالهبابة وهى اكبر نساء السلطان واجلهن ويليه فى العظم مناصب
العقداء كعقيد الصباح وهو حاكم الولاية الشرقية وعقيد
الغرب وهو حاكم الولاية الغربية وكل منهما تحت يده ملوك
وهما فى دار واداى عوضا عن ابا ديما والتكنياوى فى دار الفور
ويليهما فى العظم مناصب الوزراء والكامنة عندهم
لا مثل الكامنة فى دار فور بل هو مثل ارو ندلون اى اذا ركب

السلطان

السلطان يكون امام الجيش وعلى هذه المناصب كلها مناصب
الترازقة وهم رسل الغضب وهم المحافظون على جسم السلطان
وداره وهيئة ملبوسهم تخالف هيئة ملبوس عساكر الواداى لان جميع
عساكر الواداى يلبسون ثيابا واسعة الاكمام كثياب نساء مصر
المسماة بالبداوية وهؤلاء الترازقة عالم كثير ثم بعد ذلك ملوك
الجبال وعقدة الاعراب كعقيد الجعاتنة وعقيد الزيادية
وعقيد بنى حلبة وعقيد المحاميد ثم بعد العقدة الملوك
كملك الدرقد وملك الراجو وملك كوكه ونظائره ومن عادة
ملوك سلطان الواداى ان يجلس لعموم الناس فى كل يوم اثنين
وجمعه اما يوم الاثنين فانه يجلس فى قصره فى داره مطلا على الرحبة
التى هى امام دار السلطان المسماة بالفاشر وفى هذا الفاشر
اشجار كبار ذات شوك ابيض يسمى السيال وهو سطران
سطر بقرب دار السلطان وسطر فى اخر الفاشر اما الذى فى اخر
الفاشر فانه محل جلوس الكماكلة يوم خروج السلطان
ومحلهم يعرف بانهم يغرسون حرابهم امامهم فيصير امامهم
سطر من الحراب هكذا وهم يجلسون مقابلين للسلطان
واما السطر الذى بقرب دار السلطان
فان السلطان يقف فى ظله يوم الجمعة
ويكون راكبا ويجلس امامه القاضى والمفتون والعلماء والاشراف
واعيان الناس على حسب طبقاتهم وتصطف التراجمة واحدا
بعد واحد سبعة كما هو اصطلاح الفور لكن عادة الفور ان يسلوا

على السلطان كما تقدم وعادة الواداى بخلاف ذلك فان الترجمان
يقول الحصر السلطان يسلم عليك يا قاضى السلطان يسلم عليكم
يا علماء الاسلام السلطان يسلم عليكم يا اشراف السلطان يسلم
عليكم يا كماكلة السلطان يسلم عليكم يا ترافنه السلطان يسلم
عليكم يا امنا السلطان يسلم عليك يا كامنه السلطان عليكم
عليكم يا ملوك الجبال وهكذا الى ان يقول السلطان يسلم عليكم
يا حوالى واره كلكم لعلكم طيبين بارك الله لكم بالعافية
وكل من سلم عليه السلطان يصفق بيديه ويقع على الارض على
شقه الايمن ثم الايسر حتى يصل صدغه الى التراب وفى حال
ذلك مع السلطان طبل صغير اشبه بالكوبة المسماة فى عرف
مصر بالدربكة لها صوت حاد يسمع من بعد ويسمى بالبردية
متى ضرب هذا الطبل رايت جميع من فى المجلس يصفقون
بايديهم واما العساكر الواقفون من ورائهم فان معهم
قطعا من الحديد المسماة بالكرابيج مع كل انسان كرباجان
فيهزونها فتضرب بعضها فيحصل منها صوت وكلهم
فى حال هز الكرابيج والتصفيق يقولون ثناء على السلطان
جاموس الله ينصرك يا سيدى فيسمع لذلك ضجة عظيمة
وهناك طائفة يسمونها الكبرتو وهى التى تضرب النفير وهذه
الطائفة كناية عن الجلادين الذين يقتلون من امر السلطان
بقتله فيجتمعون فى ذلك اليوم وهم جم غفير ويجلسون فى محل
عال وبيد اغلبهم البوقات وهى بوقات طويلة طول البوق

منها

منها على اشبار كبوقات الموزيكة العزانساوير ولها اصوات
لا نهاهى وبيد باقيهم طبول كالطنبور الغزناوى المعبر عنه
فى مصر بالدربنيطة فيضربون تلك الطبول وينفخون فى البوقات
وهى نحو خمسين بوقا فيسمع لها صوت عظيم ولتلك البوقات
صوت عظيم غليظ مرتفع وبعد ضرب البوقات سواء ينفرد
رئيسهم وينفخ وحده فى بوقه ويقول كلاما فاذا سكت رد عليه
جميع البوقات فيسمع لهم صوت عظيم فاذا سكت الكبرتو خرجت
طوائف الترافنه وهم لابسون ثياب الحرب وبايديهم مقامع
من حديد وهذه المقامع هى المعبر عنها بالدبابيس وعلى رؤسهم
طاسات من الفولاد وهى المعبر عنها بالخوذة وعليهم دروع غير
سابغة لا تصل الا الى اوساطهم لانهم راجلون ومن لم يكن له
درع فلدشاية وهى كناية عن زبون المسمى فى عرف مصر الآن
بالعنترى وهو من جوخ احمر محشو بالقطن مضرب كاللحاف
وهذه الدشاية يلبسونها فى الحرب فتقيهم من السهام ومن وقع
السيوف ومع كل طائفة منهم طبلان كطبول الكبرتو يضربون
عليها ضربا مزعجا فاذا ضربت طبول تلك الطوائف يخرجون
من اماكنهم ويخترقون الصفوف ويطوفون على الحلقة مشيرين
على الجالسين كانهم يرومون ضربهم قائلين توبوا الى الله ورسوله
والى الرسول وامام الفاشر جبل صغير يسمى الثريا عليه بناء من
داخله النقاقير النحاس السلطانية كما للفور لكن اهل الواداى
لا يعظمونها كما تعظم الفور نقاقيرهم ولا يجلدونها فى كل عام

كما تفعله الغور وان جلدوها لا يعلم بتجليدها احد فمتى خرج
السلطان الى الفاشر تضرب نقاقير النحاس وهي في اعلى الثريا
فاذا اجتمع صوت النقاقير والبردية وطبول الكبرتو والزنافنه
والبوقات وهزت الكرابيج وصفقت العالم بالايدي يصير
لذلك ضجة عظيمة ثم ان كان في يوم الجمعة بعد ان يسلم السلطان
على اهل الفاشر ان كان هناك مظلوم تقدم واشتكى ظلامته
وكيفية تقدمه هو ان ينزع ثيابه من على صدره ويربطها
في وسطه ويدخل في الحلقة من الجهة اليمنى للسلطان منحنيًا
ويصفق بيديه ولا يزال ماشيا يهرول حتى يصل الى اخر الحلقة
فيكون قد مر على السلطان فان لم يره رجع يهرول الى الموضع
الذي ابتدا منه وحينئذ لابد ان يراه السلطان فيسال عن
ظلامته ويحيله على الكماكلة ان كانت دعوته يسيرة فان كانت
ظلامته جسيمة تولاها بنفسه حتى يظهر له الحق فيها

تنبيه اعلم ان اهل الوادي فيهم من طباع اهل الاوربا امور منها
ان القادم عليهم من بلد اخر لا يدخلونه في بلدهم الا بعد اقامته
في البلد المسمى بعبالي ثلاثة ايام وهذا نوع من الكرانتينه
كما تقدم ذلك ومنها ان اجتماع الكماكلة في الفاشر في كل يوم
ونظرهم في مصالح الناس وكتابتهم الدعاوي في جرنال وعرضها
على الملك اشبه بالمشورة **تنبيه اخر** اعلم ان اهل الوادي
يعظمون السلطان حتى يكادوا ان يعبدوه من دون الله تعالى
فلشدة تعظيمهم له لا يفتتحون دعوة الا بعد ان يقرأوا الفاتحة

بلغ

للسلطان

للسلطان ويدعون له بالنصر وطول العمر وشددوا على انفسهم
تشديدات بحيث انهم اتفقوا على ان جميع طيبات الملابس والحلي
الجميل لا يكون الا للسلطان ونسائه ولذلك لا يمكن ان وزيرا
من الوزراء او اميرا من امرائه ولو عظمت منزلته وعلت على
جميع الامراء كلمته ان يلبس حريرا او يضع على سرج فرسه غاشية
حرير او جوخ واولى ان كانت مطرزة بشيء من الفضة كالقصب
الذي تطرز به القواشي في مصر واولى من ذلك سروج الذهب
والفضة والركابات المطلية ولم يرخص لهم الا في غاشية
من السختيان الاحمر فاعظم امير منهم في ذلك كاقلهم ولا يقدر
احد منهم ان يجلس على بساط او سجادة ولو في بيته ولا يصبغ لاهل
بيته حليا من الذهب ولا يروح بمروحة من ريش النعام ولا
من الورق المنقوش التي تطوى وتنشر كما يفعله اهل الاوربا
بل لا يلبسون الا الثياب السود والبيض من القطن او البفت
او الشاش نساء ورجالا وكلهم في ذلك سواء وحلي نساء امرائهم
وان عظموا من الفضة واما اوساط الناس فمن النحاس
واما فقراء الناس فمن النحاس ان امكن والا فمن الحديد ومتى تعدى
احد منهم واقتنى شيئا مما هو محرم عليهم قتل اشر قتلة وان كان
اعظم عظيم فيهم وانما فعل بهم ذلك لتنكسر حدة قلوبهم لانهم
لو اطلق لهم القيد في ذلك كانوا يرون انه لا فرق بينهم وبين
السلطان ويكون ذلك سببا لطغيانهم فربما قتلوا السلطان
واقتتلوا على الملك وفسدت احوالهم ومن شدة الضبط عليهم

على نفسه صح

وتعظيمهم للسلطان ان الانسان لا يقدر ان يثني على رجل امام
الجمع لانهم يقولون لا ينبغي ان احدا يثني على احد الا على السلطان
فلا يوصف احد عندهم بالكرم ومكارم الاخلاق الا السلطان
ومن شدة الضيق عليهم انه لا يتسمى احد باسم السلطان فاذا تولى
السلطان وكان اسمه صالح مثلا فجميع من كان اسمه صالحا يغير
اسمه في الحال واتفق في ايام السلطان صالح ان دخل عليه اقوام
من البلاد فاراد الترجمان ان يسميهم ليبلغهم سلام السلطان
فصار يأخذ اسماءهم واحدا بعد واحد وكان فيهم رجل يسمى صالحا
فحين وصل اليه قال السلطان يسلم عليك يا فقيه صالح وسمع
السلطان بذلك فاغتاظ وزعق على الترجمان زعقة ادهشته
بصوت اشبه بصوت الطاوس وهذه الزعقة غير مختصة
بالسلطان بل يزعق بها كل من ثار غضبه منهم فقال الترجمان بسرعة
السلطان يسلم عليك يا فقيه فالح وكان بازاء دارة بئر يقال له
بئر صابون فلما تولى السلطان صابون غير اسمه وسمي بئر عشر
ومن عاداتهم ان السلطان لا يشرب من بئر معينة بل تتوجه
السقاة الى بئر من ابار حوالي دارة على حين غفلة من اهلها
فيضربون من كان بالبئر بسياط في ايديهم فتهرب الناس
وتختاط السقاة ببئر من الابار فيملؤون اوانيهم ومتى ملئوا
الاواني لا يتركون احدا يقرب بهم بل كل من دنا منهم يضربونه
بالسياط فتنحى الناس عنهم حتى يصلوا الى محلهم وذلك خوفا
على السلطان من السحر او السم اذا عرفوا ان للسلطان بئرا معلوما

فقيه

لايشرب

لا يشرب الا منه فربما القت الاعداء فيه شيئا من السم او السحر فيفعلون
ذلك للاحتراز ولذلك لا يردون الا بعد ايام لانهم يملأون
جرارا كثيرة نحو العشرين او اكثر وكلما ملأوا جرة سدوها سدا
محكما وغطوها بقماش نظيف وهذه الجرار من حيث انها للسلطان
تسمى بالبلك ومعنى البلك عندهم ماء السلطان ومن تعظيمهم
للسلطان لا يدخلون عليه بثيابهم ولا بنعالهم ولا بعمائمهم
بل مهما جاء الانسان منهم الى دار السلطان عند اول باب يخلع
نعليه ويدخل حافيا وعند ثاني باب يخلع عمامته ان كان متعمما
وعند ثالث باب يخلع ثيابه من الجهة اليمنى الى الجهة اليسرى
وعند رابع باب يخلع طربوشه ان كان لابسا طربوشا وعند
خامس باب يتحزم وعند سادس باب يخلع الثياب من
شقه الايسر وعند سابع باب يتحزم بثيابه وحينئذ
يدخل على السلطان واعظم وزير كاحقر انسان في ذلك
يدخل على السلطان وجسمه عريان الا ما بين السرة الى الركبة
ومن عاداتهم ان السلطان اذا خاطب احدهم بالعبودية لا يأنف
من ذلك بل يفرح وينشرح صدره ويجيبه بقوله نعم
يا سيدي وسيد ابي وسيد جدي ومهما امره السلطان
بأمر صفق على يديه واما لشقه الايمن على الارض حتى يمس التراب
صدغه الايمن ثم ينقلب على شقه الايمن الايسر وكذلك
وهو يقول سمعا وطاعة يا سيدي وسيد ابوي وسيد جدي
جاموس الله ينصرك يا سيدي ومن عادة ملوكهم انهم لا يجتمعون

على الناس مباشرة بل اذا كان جالسا للجماعة يجعل بينه وبينهم
حائلا كستارة ويخاطبهم من داخلها وهم من الخارج ولا ينظره
الا انسان الا اذا كان في خلوة واختلى مع من يريد الخلوة به
فائدة من شدة تعظيمهم للسلطان ان الانسان منهم
اذا كان له دين على اخر وماطله في دفعه له وواجهه في محل سواء
كان خاليا عن الناس او مع الناس يخط له خطا كدائرة ويقول
اقسمت عليك بالله ورسوله وبالسلطان وام السلطان ونكاها
ونكا سياد الدار انك لا تخرج من هذا الخط حتى تعطيني حقي
فحينئذ لا يقدر الشخص المديون ان يخرج من ذلك الخط حتى
يدفع له الحق او يتوسل الى رب الدين بمن يحترمه ليصبر عليه
واذا تمرد وخرج من تلك الدائرة قوة واقتدارا يشكوه الى
رب الدين للكماكلة ويعلمهم بما فعل من خروجه من الخط
فيطلبونه في كل جهة حتى يؤتى به ويعاقب بعقوبة شديدة
ومن عادتهم ان الرجل لا ينطق باسم السلطان الا قال سيدنا
الزين الله ينصره سواء كان السلطان غائبا ام حاضرا
كان في ملاء من الناس او وحده ومن عادتهم ان كل صبية
جميلة نشأت في بلد من البلاد يقولون هذه هبابة فتمتنع عنها
الخطاب فلا زالت كذلك حتى يقدموها الى السلطان فان
اعجبته ابقاها في داره وان لم تعجبه ردها الى ابيها وحينئذ
يزوجها لمن اراد وكثير من الناس من يرغب في ذلك ويود ان ابنته
تكون هبابة لما يرى في ذلك من الجاه وعدم الظلم لان في تزويج

بناتهم للسلطان لا يحصل لهم غاية الشرف والحظوة عند الناس
اجمعين ومن عادتهم ان المناصب لا يتولاها منهم احد اكثر
من سنتين في الغالب ثم يعزل المتولي فان كان عزل رضى
ينقل الى منصب اخر اعلى منه من المنصب الذي كان فيه ويولى
غيره في المنصب الذي عزل منه وان كان عزل غضب يمكث معزولا
مدة في السجن حتى يرضى عليه السلطان وقبل العزل يحاسب
على الاموال الميرية التي دخلت بيده واين صرفها ويستلم
منه ما استلمه من الخيول والدروع والسيوف واللبوس
والشابات والحراب والدرق وجميع الآلات الحربية وينظر
هل زادها ام نقصها ويسئل عند رجال المنصب فان رضوا
عنه ومدحوه وكانت الاموال موفورة وعلم انه شجاع كريم
غير لاه عن مصالح الدولة اما ان يبقى على حاله او يعطى منصبا
اعلى منه وكيفية ذلك ان للمنصب رجالا قائمين بشؤونه
وهم الذين يكون عزل المتولي من قبلهم لانهم كلما راوا على صاحب
المنصب خللا كتبوه في جرنال حتى تجتمع عليه جملة دعاوى ثم
يتوجهون الى الفاشر ويشكون صاحب المنصب عند الكماكلة
فحينئذ تعلم الكماكلة السلطان فيامر باحضاره ومتى حضر
يعرض ما معه من الخيول والالات الحربية على السلطان في يوم
الجمعة ثم تكتب كلها في قائمة وينظر في الدفتر مقدار ما استلمه
يوم التولية وينظر الفرق بينهما فان وجد انه اكثر من الذي
كان قبله يسئل عن دعوى رجال المنصب وان وجد اقل مما كان

كان استعمله يسئل اين ضاعت هذه الاموال واين ما استغله
من الاموال وفي اي شيء صرفها فاما ان ياتي بجواب سديد
يدرا عنه العذاب والا كان عذابه شديدا ورجال المنصب
هؤلاء لا خير لهم في المتولي ابدا بل يخدمونه ويمتثلون لامره في الظاهر
ويلقونه في المهالك في الباطن وذلك باشلاء من السلطان
وهم يقولون نحن خدام السلطان لا خدام العبيد والملك بل
لو فعل معهم من الاحسان ما فعل ورأوا عليه خللا او تقصيرا
يبادرونه بالشكاية ولا يعتبرون احسانه اليهم ثم اذا كان
المعزول عزل عن غضب يبقى مدة ومتى رضي عنه السلطان ارسل
لصاحب المنصب فاحضره وقال له خذ هذا عندك واكرمه
لانه شريكك في المنصب وهو الذي يطلعنا على اسرارك فيتوجه
معه فيراعيه ومتى راى منه تقصيرا شكاه وعزله عن المنصب
وتولاه ثانيا والسر في ذلك ان اهل الواداي اناس لا يطمئن اليهم
اذا اهمل السلطان امرهم يبطرون النعمة ويعصبون على
السلطان فرأى السلطان ان في اشتغالهم ببعضهم راحة له
فدبر الامر واوقعهم في بعضهم وصار ذلك سنة عندهم لا ينكرونها
ثم ان الغضب يتفاوت بعظم الذنب وحقارته فاعظمهم ذنبا
من يفر في الحرب فمتى ثبت عند السلطان انه فر من القتال
يقتل اشر قتلة ويليه الذي يخون في الاموال الميرية ويضعف
الشوكة السلطانية لان السلطان بالرجال فمتى كان رب
المنصب منتبها لقوة الدولة فهو العزيز عند السلطان

والمرضي عنه ومن عاداتهم انهم لا يركبون حمارا ولو فارها ومن
ركب منهم حمارا عابوه واحتقروه وان الحمير في بلادهم لا تصلح
الا لحمل الاثقال ومن عاداتهم ان السلطان مطلوق الحرية
يفعل ما اراد لكن لا يغير شيئا مما جرت به عاداتهم فان غير
شيئا جرت به العادة عندهم ربما قتلوه لذلك ولقد بلغني
من اكابر اهل الواداي ان السلطان المرحوم محمد صابون
اراد ان يغير عاداتهم في المكيال الذي يكتالون به وقال اريد
ان يكون المد الذي يكال به كمد النبي صلى الله عليه وسلم فابوا عليه
وقالوا لا يمكن ذلك ولولا الذي تلطف بالسلطان وتوسل
اليه في ابقاء ما كان على ما كان لكانت وقعت فتنة عظيمة
وكذلك بلغني ان السلطان اراد ان يحدث سكة تتعامل بها
الناس كسكة مصر بان يجعل له محلا لضرب الدراهم لكثرة الفضة
عنده فابوا عليه وقالوا ان جدك خريف التيمان خاطبه
بعض المغاربة في ذلك فابى وقال ان اهل بلادي قوم غفل
ومتى ضربت الدراهم وذاقوا حلاوتها ذهبت غفلتهم وانتبهوا
لجمع الدراهم فتشح انفسهم ويتحاسدون ويفشى البخل فيهم
وذلك يكون سبب الخراب ولا ارضى ان مملكتي يحصل فيها ذلك
والعجب منك كيف جدك يقول هذا وانت تقول بخلافه فاستصوب
السلطان رأيهم وترك الامر كما كان ومن عاداتهم انهم يكبرون
العمائم في المواكب والمحافل مع ان اجل امير في بيته لا يلبس على
راسه الا عرقية سوداء او طربوشا ولبسهم في الطرابيش

مخالف للبس الفور لان الفور يحبون ان يكون الطربوش مستطيلا
فيبقى على راس احدهم كالطرطور المدبب واما الواداى فانهم
يثنون قرص الطربوش حتى يصير القرص الذى فيه الشرابة منخفضا
وله دائر مرتفع نحو قيراطين ويلبسون الثياب الواسعة التى
تلبسها حريم مصر وهو المسمى عندهم بالبداوى والسبلة كما قدمنا
ذلك لكن السبلة فى مصر لا يكون الا خزا ويكون ملونا اما احمر
او اصفر او اسود او غير ذلك من الالوان وسمى السبلة لأنه
يسبل فوق جميع الملبوسات واما البداوى فيكون من الكتان
وهو الغالب وقد يكون من البز كالبفت والشاش والغالب فيه
ان يكون اسود حالكا فكذلك اهل الواداى يلبسون الثياب
الواسعة والغالب على ثياب الاكابر ان تكون سودا ويعتنون
فى خياطته اعتناء عظيما لان الشقة منه عرضها لا يتجاوز
قيراطين وهى على اجناس منها التكاكى ومنها التيكوه ومنها
القدانى وهو المسمى عندهم برقبة الكاجو وهو اسود لكنه
يرى فى خلال سواده احمرار واهل مصر يسمونه رقاب الحمام
كما ذكرنا ذلك سابقا وان سيوفهم كسيوف اكثر الفور معتدلة
ويصيغون مقبضها من الفضة ويطلونه بالذهب ويجعلون
المقبض ينتهى بكرة مجوفة يجعلون فيها دقاق الحصى فاذا
نفض احدهم على السيف وهزه يسمع للحصا فى الكرة صوت
وهذا لا يكون الا لاكابر الدولة من الفور او الواداى ومن
عاداتهم ان الرجل منهم يلبس فى [illegible] سكينا ذات حديد

طولها

طولها نحو ثلاثة اشبار تسمى فى عرفهم الكرداوى ويلبس
فى ذراعه سكينا صغيرا وولاية المنصب عندهم بلبس العمامة
اعنى ان السلطان اذا اراد ان يعطى لواحد منهم منصبا يعطيه
عمامة ويسمى له اسم المنصب واما الفور فولاية المنصب عندهم
بالغفارة وهذا الغفارة هو لحفة ذات اهداب طوال من الحرير
يحزم بها المتولى امام السلطان ويجعل هدبها من الأمام وليس
عند الواداى من آلات الطرب كما عند الفور لاننا قدمنا ان الفور
عندهم الصفافير والتكجر والغدو والدنقار والنقاقير
النحاس واما الواداى فما عندهم سوى البردية والنحاس وهما
خاصان بالسلطان والتكجر وطبول الكرتو ونفير لهم
وهى عند جميع الأمراء ومن عوائد الواداى كالفور ان يجعلوا
على وجوه الخيل شيئا يسمى بلغة الواداى الوجه وبلغة الفور
كارجرد ونسيت ان اذكره هناك فى عوائد الفور ونذكره هنا
وهو صفيح من تنك اصفر وهو الأحسن عندهم واغلى ثمنا
او من صفيح تنك ابيض وهو الغالب فى دار واداى مبطن
بجوخ احمر يجعل منه صفيحة على وجه الجواد وصفيحتين على صدغيه
لكن يتقنونه فى دار فور اكثر من الواداى والاصفر منه غالى الثمن
حتى انه ربما ابيع براسين من الرقيق وهو من احسن ما يتزين
به عندهم كما ان حراب الفور اتقن من الواداى وحراب الواداى
واجمل رؤية وبالجملة فاهل الواداى اقل عددا من اهل
دار فور لكنهم اشد منهم باسا واقوى مراسا حيث ان الرجل

من اهل الواداى لا يعبأ بعشرة رجال من الفور ولقد قدمنا
ذكر شجاعة الواداى فيما وقع بينهم وبين الفور من المحاربة
واما زى نسائهم فقريب من زى نساء الفور الا انهن لا يضعن
الخزام فى آنافهن بل المراة تثقب انفها ثقبا واسعا وتضع فى الثقب
مرجانة من القصب وان كانت فقيرة وضعت فيه مرجانة من
الطبخ المسمى عندهم بالغاو وان لم تقدر على ذلك وضعت عودا
ومن عادة النسا انهن لا يطرحن السواك من ايديهن
ويستكن بكل شىء وجدنه ومتى ما اكلت الصبية منهن طعاما
نزعت الى السواك فتستاك قائمة وقاعدة وسائرة
ولا يمنعها عن السواك الا النوم او شغل مهم ولذلك
ترى اسنانهن نظيفة وروائح افواههن جميلة جدا ومن عادتهن
ان المراة منهن تلبس فى رقبتها ثوبا من غير خياطة وهى ان
تعمد الى شقة عرضها ذراعان مثلا وطولها نحو خمسة اذرع
او اقل فتشقها من الوسط وتلبسها فى عنقها فتصير مستورة
من الامام والخلف وجانباها باديان لكنها تتحزم بفوطة
ولولا ذلك لبانت فخذاها واكثر حليهن كحلى نساء الفور
الا ان حلى نساء الفور انفس واجمل لتمدن اهل الفور اكثر
من تمدن الواداى ويلبسن فى اوساطهن الخدور وهو خرز
مستطيل احمر وابيض وازرق ليس بالغليظ كالمنجور الذى
تلبسه نساء الفور ومن عادة النساء فى دارفور كنساء الواداى
ان يتحزمن بخيط ويأتين بخرقة عرضها نحو من شبر وطولها

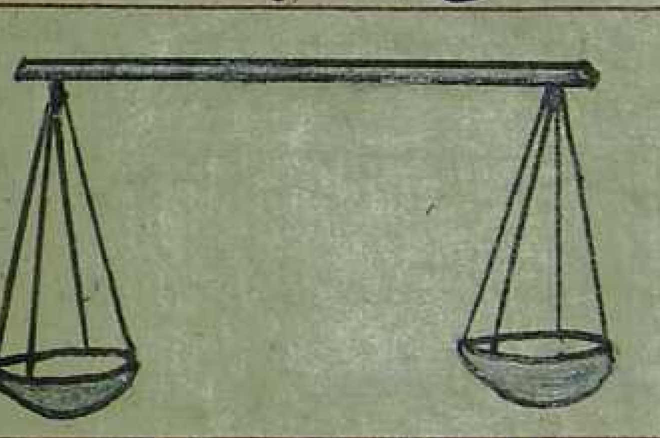
اكثر

اكثر من ذراع فتدخل المراة الخرقة بين فخذيها وتدخل طرفيها
فى الحبل المتحزمة به من الامام والخلف بحيث لو وقعت الفوطة
المتحزمة بها تكون مستورة العورة وهذه الخرقة عندهم
تسمى الكنفوس وبلغة العبيد تسمى الچوكو ومن عادتهن
ان يكثرن لبس الدمالج والخلاخل وهى نحاس اصفر وطيب
نسا الفور الذى تتطيبن به احسن من طيب نسا الواداى
ثم ان اهل الواداى اعظم اجساما واطول قامة من اهل دارفور
بل ومن غيرهم وليسوا حالكين كاهل الفور وانما فرمد بل الغالب
على الوانهم الصفرة فلا يوجد فيهم من هو حالك السواد الا القليل
واكثر قبائلهم كذلك كما لا يوجد فيهم من هو صغير الجسم الا القليل
ايضا كما بخلاف الفور فاغلبهم سود وليس فيهم من هو ضخم الجسم
الا القليل واعراب باديتهم اصفى لونا من اعراب بادية الفور
خصوصا القبيلة المسماة بالمحاميد فانها تكاد ان تكون
فى الوان اهل مصر ولا يعيبون احمرار اللون كما لا يعيبونه
فى دارفور بل عندهم الالوان كلها متساوية وهى فطرة الله
فالاسود والاحمر والاصفر عندهم على حد سوا بل كلما قل سواد
المرء كلما حسن عندهم وتمدحوا به وقالوا ان هذا من حسن الاصل
لان عندهم احلولاك السواد من التوغل فى الرق وكلما خلص
من السواد كان اقرب للحرية ومن عادة الابكار انهن
لا يبالغن فى اكل الطعام بل منهن من لا تاكل الا الحريرة وهى
المسماة فى عرف الاوروبيين بالكريما وذلك خوفا من

سوءتيها من الامام والخلف ونفذه منهما فليس صح

فى السواد صح

من كبر بطونهن ولهذا تجدهن ضامرات ويشددن اوساطهن
شدا قويا قصد اللضمور ولايبالغن فى اكل اللحوم ايضا
وعليهن اكثر الاعمال كنساء الفور بل اكثر لان النساء فى دار
الواداى من اللائى يذهبن الى السوق ويشترين ما يحتاجه
المنزل والرجال لايعلمون ذلك ومن عجيب صنعهن انهن
يحملن البضايع من بلد الى بلد ولكل امراة منهن ريكتان
والريكة اشبه بالمشنة فى عرف مصر ولكل ريكة كفة من الجبال
لها اربعة احبال فتاتى بعصاة غليظة وتضع طرفها فى رؤس
الحبال من اعلى والطرف الثانى كذلك فتبقى الريكتان والحبال
والعصا على هيئة ميزان هكذا اى ذى كفتين وذراع



فتحمله المراة من الوسط
حتى تتعادل الكفتان
وهذا هو المسمى كرانقل
فيجعلون فى الريكتين

ما شاؤا من لحم ولبن ودقيق وماكول ومشروب وبضاعة
يتجرن فيها وتحمله المراة وتسافر به السفر البعيد كما ذكرنا
وهن يحرثن ويحصدن وينقين الزرع وعليهن اشق الامور
واسهلها كالماء والحطب وجمع الارز والتمر هندى والخرنوب
والنبق واما الرجال فعليهم مقاتلة الاعداء والحياكة والغزل
وبيع الامور المهمة كالبقر والرقيق وعليهم الغزو لبلاد الفرتيت
وخدمة السلطان وبناء البيوت واقتحام الاهوال العظيمة

وبالجملة

وبالجملة ففى دار الفور والواداى لهم بالنساء اختلاط عجيب
بالليل والنهار لان بناتهم يختلطن مع الشبان بالليل ولا يمكن
حجب المحبوبة عن محبها ويتحيلن فى ذلك بكل حيلة يقدرن عليها
ولقد كان احد التراقنة بدار واداى يهوى جارية من محاظى
السلطان صابون وكانت هى تهواه ايضا وكان لها عند
السلطان منزلة عظيمة ومن حب السلطان فيها انه اخذها
معه فى الغزو وحين توجه لقتال التاما الذى اسلفنا ذكره
فارسلت للخدام والجوارى وصارت تخرج اليه من اخبية
السلطان فتبيت عنده كما قدمنا ذلك ولقد رايتهن فى دارفور
يتحيلن بالعجائز فتاتى العجوز للغلام الذى تريد ان تدخله
دار السلطان فتضفر شعره كالنساء وتلبسه العقود والخلاخل
والدمالج وتهيئه بهيئة الجوارى وتضمخه بالطيب بحيث
لايشك رائيه انه جارية وتدخله دار السلطان مع ما فيها
من الحجر والتضييق على النساء الداخلة خصوصا من الطواشية
الذى يقتلون الانسان ولا يسئلون لم قتلتموه واقول
ان الامر الذى دعا النساء لهذه الافعال كونهن مظلومات
مع سلاطين السودان وملوكها لان السلطان فى داره اكثر
من الف امراة جميلة تصلح لان تكون ضجيعة له خلاف الخدم
والعجائز بل يوجد فى بيوت الملوك من عنده خمسمائة امراة
شابة من ذوات الجمال وبالضرورة من حيث انه ادمى
لا قدرة له على الالمام بجميعهن وهن شابات قويات الغلمة

وعندهن المآكل والمشارب خصوصا ويشربن من المسكر فتهيج
عليهن الشهوة فيتحيلن بكل حيلة كما ذكرنا ولولا انهن يُظلمن
لما فعلن ذلك الامر المنكر حتى انه ربما كان سببا لعنت الرجال
وقتلهن وقتل من ادخلهم فلقوة الشهوة يرمين انفسهن
في الهلاك وسوء الارتباك وبالجملة فهن سبب لاكثر
مصائب الرجال لكن العاقل من الرجال يحزم رايه ولا يعطيهن
زمامه وقياده وقد اتفق ان رجلين عاقلين قتلا امراة
وما ذاك الا ان العرف الجاري عندهم ان المراة لا تجبر على احد
بل كل من احبته تركوها واياه ومن اصطلاحهم ان المراة
اذا احبت احدا واختارته صارت له فان كانوا عشرة رجال
اصحاب وبينهم امراة واحدة خيرت فمتى ما اختارت احدهم
صارت التسعة كاخوان لها كل منهم يناديها يا اختي
وهي ايضا كذلك فان مالت بعد ~~اختيارها الاول~~
لرجل اخر منهم ربما اوقعت بينهم عداوة لشدة الغيرة
وخصوصا اذا كانت من ذوات الجمال وقد اتفق ان صاحبين
عثرا بشابة جميلة وتعرضا لها لتختار واحدا منهما كما هي
عادتهم فاختارت احدهما فقال لها الاخر انت قد صرت
اختي وبقيا كذلك مدة فملت صاحبها الاول وارادت ان
تصاحب الثاني ومالت له لتكلمه وكانت جميلة كما ذكرنا
فمال اليها هو الاخر وكانه خاف من اللوم والعتاب وان
تقع العداوة بينه وبين صاحبه فتكون سببا لهلاكهما

او هلاك احدهما فاختلا بصاحبه وقال له يا اخي
اني عارض لك رايا لا نتفق انا واياك فيه على ما فيه الخير
وما ذاك الا انك تعلم ان النسا فتنة للرجال وان فلانة قد ظهرت
خيانتها والقت نفسها علي واخشى ان يكون سببًا للعداوة بيننا
وان كنت في شك مما اقول فاختف بالليل في موضع كذا وانا اتي
كاني استتر عنك وانظر ما يحدث بيننا ولكن اشرط عليك
ان رايت ما يسوؤك منها فان كان لك غنى عنها فسبها
وانهرها وقل لها يا خائنة اياك وان تعودي لي ولصاحبي
واعلمي اننا لا نعادي بعضنا لاجل امراة خائنة مثلك وان
لم يك غنى عنها وقد تمكنت محبتها منك فلا تظهر لها وانا (اتخلص صح)
منها بجميل وابعد عنكما مدة حتى تسلوها فقال له صاحبه
نعم ما به اشرت ثم انه صبر حتى كان الوقت الذي وعد
صاحبه ان ياتي فيه واتى ودخل الدار وكان عشيقها
قد جا اولا واختفى في بعض الاماكن ينظر ما يقع بينهما
وهل كلام صاحبه حق اولا وحين دخل الرجل الدار وشعرت
به قامت اليه وتلقته وبشت في وجهه وعرضت عليه
الجلوس معها فقال لها اين اخي فقالت له لا اعلم وبالله عليك
لا تذكر اخي فانه والله لا يحبك ولا يالفك وانت تضيع
الود وتضع الصنيعة في غير محلها فقال لها انا لا اعلم من
صاحبي الا ودا ووفا فقالت له ان كنت لا تصغي للكلام فيه
شانك واياه ثم دنت منه وارمت نفسها عليه فامتنع عنها

وقال لها اعلمي انك صرت الأن على اسم فلان وان تركته واتبعتيني
كانت منك خيانة وان قبلك كنت خائنا ايضا وما منعك ان
تخاريني أولاً فقالت انى اخطات وظننت انه يبادلك فى المروة
فظهر لى ضد ذلك وقد ندمت الآن والقيت اليك زمام امرى
وها انا باين يديك فقال لها اما من جهة فلان صاحبي فلا
اخونه واما انت ان كنت محتاجة لأمر ولم يوفه لك فعلى وفاؤه
فقالت قد زهدته ولا حاجة لى به فان كنت تقبلنى والا همت
على وجهى ولا اعاشره ولما سمع عشيقها ما دار بينهما من الكلام
اخذه الغضب وظهر عليها ولم يخاطبها بل مسكها وضربها بسكين
فى احشائها فخرت ميتة فقال له صاحبه ويلك ولم فعلت
ذلك فقال ارحت قلبى لأنى احبها ومن حيث انها تبغضنى
فلا آمن ان اقع فى بعض المهالك بسببها ولما ماتت تحير
فى امرها فاتفقا ان يقطعاها وحفرا لها حفرة والقياها
فيها وكتما امرهما حتى مات القاتل ثم حكى الرجل الاخر ولولا
اخباره ما ظهر الأمر وخائنات النساء كثير فلا بارك الله فى كل
خائنة ورحم الله من قال

فمنهن من تسوى ثمانين بكرة
ومنهن من تغلو بجلد حواره
ومنهن من لم يستر الله عرضها
اذا غاب عنها الزوج راحت لجاره
فلا رحم الرحمن خائنة النساء

واحرق

واحرق كل الخائنات بناره

وقد اذكرني هذا السياق ما جرى لأحمد بن طولون مع بعض
محاظي ابيه وذلك ان احمد ارسله ابوه داخل الدار لحاجة فراى
محظية والده مع عبد من العبيد فخاف ان ينم عليهما لابيه فيقتلهما
فسكت على مضض حتى دخل طولون الدار فقامت اليه الجارية
وهي باكية العين فلما راها على تلك الحالة تألم قلبه من ذلك
وكان يحبها فقال لها ما دهاك فقالت بمكرها ودهاها
ايسرك ان احمد ولدك يراودنى عن نفسي ولولا انى تحيلت
عليه ووعدته وقتا اخر لكان فعل ما اراد او قتلني فاغتاظ
طولون لذلك وعزم على قتل ولده لكن لم تطاوعه نفسه
بذلك فكتب الى بعض عماله كتابا يقول فيه اذا اتاك كتابي
هذا فاقطع راس حامله من غير مشورة والسلام وطوى
الكتاب ودعا بولده أحمد وقال له اذهب بكتابي هذا الى
عاملنا فلان يعمل بما فيه وائتني عاجلا فامتثل امر والده
واخذ الكتاب وامر باسراج دابته فرآه العبد الذى كان
وجد مع الجارية فاراد ان يتخذ له يدا عنده ويبغض فيه
اباه لما يرى من تهاونه فى قضاء حاجته فقال الى اين
يا سيدى فقال ان والدى ارسلنى الى العامل فلان بكتاب
يعمل بما فيه فقال له هل يتفضل على مولاى بهذه الخدمة
ويكون هو فى راحة وانا اقضى عنه هذا المهم فاجابه احمد
لذلك واعطاه الكتاب واغتنم الراحة فلما كان ثاني يوم

دخل على الملك رسول وكتاب من طرف العامل ومعه مخلاة
وكتاب يقول فيه بعد تعبير الأيادي ها انا قد امتثلت
امر سعادتك وها هي راس من امرتني بقتله صحبة حامل الاحرف
فلما راى الملك طولون الراس وجدها راس عبد من العبيد
فارسل خلف احمد ولده فلما حضر قال له ويلك ما صنعت
بالكتاب الذي امرتك ان تذهب به الى فلان العامل قال قد
اخذه مني فلان العبد واقسم علي بحقك انه هو يذهب به
فقال له هل كان بينه وبينك شيء قبل هذا فسكت
فقال له اخبرني على الصحيح فاخبره انه قد راه مع فلانة
المحظية وانه ستر عليهما خوفا من الهلاك فعند ذلك
تحقق والده صدقه وقتل الجارية التي كانت وشت فيه
ورحم الله ابن عروس حيث قال

ياخوي قلت لي هاك ونطوسك جبتها لك
اللي يعمل الخير يلقاه واللي يعمل الشر هالك

وسبب انشاد الشيخ ابن عروس هذين البيتين انه كان
صغيرا ومات ابوه وتزوجت امه برجل كان يبغض الشيخ
ابن عروس لكونه ربيبه فاتى في يوم من الايام بفاكهة وكان
يريد ان ياكلها وحده فاتى ابن عروس ودخل عليه في ذلك
الوقت فتنغص عيشه واراد ان يتحيل عليه ويبعده عن وجهه
بحيلة حتى ياكل تلك الفاكهة فدعاه وقال يا احمد خذ هذا
الدانق واذهب به الى العطار واتني منه بهذا الدانق الشي

الذي

الذي يقال له هاك فصدقه الشيخ واخذ الدانق وذهب
يسال العطارين واحدا بعد واحد وكل من قال له اعندك
هاك يجيبه بلا فعبر على اطفال صغار معهم عقرب عظيم مربوط
بخيط عظيم وهم يلعبون به ويقولون هاك هاك فقال
لهم الشيخ هذا الحيوان هو المسمى هاك فقالوا له نعم فقال
خذوا هذا الدانق واعطوني اياه لاني بحثت عليه عند العطارين
فلم اجده فرضيوا واخذوا منه الدانق واخذ العقرب ولم
يعلم انها قتالة وسلمه الله حتى وصل لزوج امه فقال له
اتيت بهاك قال نعم قال اين هو قال ها هو قال هاته ومد
يده فاعطاه العقرب فلما صارت في يده لسعته بزبانها
لسعة عظيمة فسقط ميتا فانشد الشيخ البيتين المذكورين
ومن هنا وله يعلم مصداق قوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا
باهله وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وقوله صلى الله عليه
وسلم المرء مجزي بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا
قالوا من حفر حفرة لاخيه اوقعه الله فيها ومن هذا القبيل
ما حكي ان ملكا من الملوك كان له نديمان وكان
احدهما يحسد الاخر لمكانه من الملك وكان المحسود حديث
عهد بصحبة الملك لكن لفصاحته ونباهته أجل الملك قدره
واحبه محبة عظيمة ومن شدة حسد النديم القديم انه
صنع طعاما جميلا واكثر فيه من الثوم ودعا بالنديم
الجديد الى بيته واحضر له ذلك الطعام وكان جميلا

فاكل منه بقدر الكفاية ثم بعد فراغه من الاكل قال له ان مولانا
يكره رائحة الثوم غاية فاياك ان تدنو منه قبل زوالها واذا قدر
ودعاك فاحترز ان يشمها منك فيكون ذلك سببا لبغضه
فيك فاخذ الرجل قوله بقبول وذهب الى داره ثم توجه الحاسد
الى الملك وقال له ايها الملك انى لك من الناصحين فقال له
الملك وما نصيحتك قال له انك ظننت الخير في غير اهله وقربت
من لا يستحق التقريب فقال له الملك ومن تعنى بذلك قال
ان فلان الذى اتخذته نديما يقول انك ابخر الفم وانه يتادمك
على كراهة لقبح رائحة فمك وان كنت في شك مما قلته لك
فادعه الآن وامره بالدنو منك كانك تساره وترى كيف
يصرف وجهه عنك فاغتاظ الملك لذلك وامر باحضار
النديم المذكور وهو لا يعلم شيئا مما كان من صاحبه فلما جاءه
رسول الملك لم يمكنه الا الاجابة فلما مثل بين يدى الملك
بش الملك في وجهه وترحب به واستدناه فخاف النديم
ان الملك يشم منه رائحة الثوم فصار يصرف وجهه من الملك
فلما راى الملك منه ذلك تحقق صدق مقالة صاحبه فقال
للنديم المذكور بت عندى في هذه الليلة لانى اريد لك امر مهم
واذا دعوتك فاتنى من باب السر الفلانى وكان قد كان
السور حاضرا فلما سمع من الملك ذلك القول زاد حسده
وقال انا وشيت فيه ليبعده وما زادته الوشاية الا تقربا
فتركه حتى خرج من عند الملك وقال له اريد ان اكون معك

في هذه الليلة

بلغ

في هذه الليلة فقال النديم المحسود حبا وكرامة وتوجها معا الى المحل
الذى امر السلطان النديم ان يبيت فيه وكان بين المحل وبين محل
السلطان مجاز طويل فامر السلطان بحفر سرداب في المجاز وتغطيته
بشىء واه وامر بعض العبيد ان يراصدوا هذا المحل ومتى سمعوا بوقعة
انسان فيه يطموا عليه التراب فمكث النديمان مع بعضهما يتحادثان
زمنا من الليل ثم ان الحاسد اظهر التناوم وتثاءب مرارا فقعد
المحسود فاخذه النوم فنام بالمغرفانتبه الحاسد وقال في نفسه
هذه فرصة لا اضيعها بل ابقى ساهرا حتى ان الملك يدعو فلانا
فاذهب انا اليه واقول له يا مولانا ان فلانا منتها ولا ياءمرك
فانك امرته ان يستيقظ حتى تدعوه فما امتثل امرك بل نام
وحين سمعت نداءك اجبتك ليغضب عليه غضبا كليا فمكث
ساهرا حتى مضت عامة الليل فلما كان ثلث الليل الاخير سمع
نداء الملك يا فلان فقام الحاسد واجاب النداء والمحسود
مستغرق في النوم لا يشعر بشىء من ذلك ودفع باب السر
وصار يهرول في الظلام فوقع في الحفير وسمعت العبيد الوقعة
فطموا عليه التراب فهلك ولما اصبح الله الصباح استيقظ النديم
فلم ير صاحبه وعلم ان السلطان ناداه ولم يشعر بندائه لمكان
النوم فاصلح حاله وتطيب ودخل على الملك فلما راه تعجب ثم دعا
بالعبيد وقال لهم ما فعلتم فيما امرتكم به البارحة قالوا انا فعلنا
وطمينا التراب على الذى سقط في الحفير فسال السلطان النديم
عن صاحبه فقال ايد الله مولانا انه كان معى البارحة وحادثنى

حديثا جميلا حتى غلبه النعاس فنعس ونعست انا بعده وما ادرى
ما فعل غير انى اصبحت فلم اجده فتشكك السلطان وامر بنبش من
فى الحفير فنبش فاذا هو النديم المذكور فحينئذ قال السلطان للنديم
المحسود ما شانك انت وهذا الرجل قال لا اعلم بينى وبينه الا خيرا
الا البارحة دعانى الى داره واحضر لى طعاما جيدا فيه ثوم كثير
فاكلت منه ثم حذرنى من الدنو منك واخبرنى انك تكره رائحة
الثوم فلما دعوتنى لم اجد بدا من الحضور اليك لكن لما ادنيتنى
خفت ان تشم رائحة الثوم فصرت اصرف وجهى عنك هذا ما اعلمه
فعلم الملك ان الرجل صادق وان الذى هلك كان حاسدا له وان
حسده قد اهلكه فاخبر المحسود بما قاله الحاسد فيه وقال له
انما حفرت هذا الحفير لك لكن لحسن نيتك نجوت ولخبث نيته
وقع هو فيه اهـ فبما تقرر يعلم ان الحسد من اقبح الامور ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
وقال الشاعر

الا قل لمن بات لى حاسدا ... اتدرى على من اسات الادب
اسات على الله فى فعله ... كانك لم ترض لى ما وهب

ولنرجع الى عوائد اهل الوادى فنقول قد تقرر ان اهل
الوادى اقل تمدنا من اهل الغور واكثر شجاعة ووحشية وعدم
استئناس حتى مع بعضهم البعض وشبانهم اقوى فى ذلك خصوصا
اذا شربوا مسكرا لانهم بعد ان يكونوا يتحادثون بلين يغلظون القول
على بعضهم فيقتتلون وتسفك الدماء بينهم ومن عاداتهم ان الرجل
منهم

منهم اذا اعتدى على اقرانه ووصف بالشجاعة يسمونه عفريتا وقبل
تولية المرحوم السلطان محمد عبد الكريم صابون كان للعفاريت
شوكة قوية حتى كان القتل والنهب يقع بعد غروب الشمس فى البئر
المسمى بير صابون وهى قريبة جدا من الفاشر بحيث لو كان
احد فى البئر وصوت يسمع صوته من كان فى اول وارة كالبيت
الذى كنا فيه وما حاذاه واذا كان فى اقرب المواضع الى وارة يقع
ذلك فيقع فى المحال البعيدة من باب اولى ولقد بلغنى ان
التجار كانوا لا يقدرون على السفر بالتجارة من بلد لاخر الا اذا
كانوا جمعا عظيما وكان العفريت اذا تعشق امراة حماها من
غيره وقتل كل من صاحبها وتزوج بها قهرا على انف جميع من عارضه
ولقد بلغنى ان بعض العفاريت حجر على صبية وكانت تكرهه
وهو يحبها محبة عظيمة فكان ياتى الى دارها كل ليلة ومتى وجد
عندها احدا قتله حتى هابته الناس وتركوا تلك الصبية وخطبها
فرضى ابوها وابت هى ان تكون له اهلا فبقيت على ذلك مدة ولا
يتجاسر احد على خطبتها بل ولا على مصاحبتها وعافتها الناس
حتى مضى ابان تزويجها وعاندت هى الاخرى فابت ان تتزوج
به وبقيت كذلك ما شاء الله وفى بعض الايام ذهبت الى
السوق لتقضى بعض شؤونها وكانت من الجمال بمكان
فراها رجل غريب فاحبها وكان شجاعا فتاكا لا يرهب الموت
ولا يخشى من الفوت فاحبها وهام بها ورصدها حتى قضت
شؤونها وخرجت من السوق فتبعها وسالها الصحبة والوداد

وشكا اليها ما يجد من الم الجوى وتباريح الهوى فقالت له والله
انك لظريف واني والله احبك مثل حبك او اكثر ولكن قد حيل
بين العير والنزوان فقال لها ولم ذلك اانت ذات بعل فقالت
لا فقال وما يمنعك قالت يمنعني رجل جبار حجر علي وسطا على
كل من دنا الي فقال ولم لا يتزوج بك فقالت اني لا احبه ولا
اريده فقال لها او ذو قرابة منك قالت لا والله قال اذن
لا تخافي فانا اخلصك منه ان شا الله تعالى فقالت له هيهات
هيهات الخلاص من ضيق الاقفاص اعلم رحمك الله اني لست
خائفة منه على نفسي بل خائفة عليك لانك رجل تظهر عليك اثار
المروءة والمكارم وذاك رجل غاشم ظالم اذا تمكن منك ربما
قتلك فقال لها لا تخافي علي من ذلك بل اريني موضعك ولا
يحصل ان شا الله الا ما يسرك فعند ذلك ارته دارها فلما كان
بعد العشا جا ودخل الدار وجلس يحادثها مع العفاف فلما كان
بعد ساعة اقبل ذلك الرجل الذي حجر عليها وقد بلغه ان عنده
محبوبته رجلا فلما دخل عليها كان الرجل جالسا معها واضعا
فخذه على فخذها فارادت ان تسل فخذها من تحت فخذه وتنجو
بنفسها وتتركهما يفعلان ما ارادا فابى عليها صاحبها واتكا
عليها بفخذه فلم تقدر ان تخلص نفسها منه وتمادى معها في الكلام
الذي كانا فيه ولم يكترث بالرجل الداخل عليهما حتى ان الرجل وقف
عليهما وقال للجالس ما الذي جا بك هنا فلم يرد عليه جوابا فقال له
ثانيا فلم يرد له جوابا والثالثة كذلك فاغتاظ وسل السكين



المسماة بالكرداوي وضرب بها الجالس في فخذه حتى وصلت ذبابة
السكين الى فخذ الصبية فارادت ان تسل فخذها منه فما امكنها
ثم ان الرجل سل سكينه وبهت في عدم اكتراث الجالس وقوة قلبه
فاخذ سكينه واراد ان يذهب فقام اليه الرجل الجالس ومسكه
من ثوبه فجذب نفسه منه فتمزق الثوب وبقي قطعة في يد
الرجل والباقي على جسد الاخر ثم ان الرجل اراد ان يمضي وينجو
بنفسه فصكه الرجل الذي كان جالسا برجله في ظهره فوقع على
وجهه فانسلخت جبهته وانفه وبقي طريحا في الارض مدهوشا لا يعقل
على نفسه فصبر عليه حتى افاق وسل سكينا واراد ذبحه فقال له
الرجل اقلني اقالك الله فقال له ان تبت وحلفت انك لا تتعرض
لها مادمت حيا ابقيت عليك والا قتلتك الآن فتاب وحلف
انه ما بقي يتعرض لها فجذبه من اذنه كالشاة حتى اتى به الى الصبية
وكانت جالسة تنظر ما يحصل بينهما ومن يظفر بصاحبه منهما فاوقفه
بين يديها واخبرها انه حلف لا عاد يتعرض لها فسالته احق ما يقول
فقال نعم فقالت له خلي سبيله وان عاد وتعرض لي مرة اخرى
افعل به ما تريد فاطلقه فذهب ينفض غبرات الموت ثم ان
الرجل الذي خلصها من يد ذلك الغاشم خطبها من اهلها
وتزوج بها فاقامت معه حتى قضى نحبها وامثال هذا كثير
نكتة مما اتفق ان رجلا وامراته مسافران
فجاا في طريق منقطع عن العالم وكان في هذه الطريق رجل عفريت
قاطع فخرج عليهما ولما سار معهما دفع ثيابه وسلاحه اكبر ما يكون

فقعد الذباب على الغائط فجذب زوج المراة وقال لها اجلسي امام هذه السلحة واياك ان يقع الذباب عليها اقتلك فخاف الرجل وجلس يذب عنها الذباب ثم ان العفريت عمد الى المراة امام زوجها وجامعها ولما قضى وطره منها اطلق سبيلها فسار الخاصها بعد عن العفريت قالت المراة لزوجها اما فيك مروة تترك الرجل يفعل بي هذا الفعل القبيح امامك وانت تنظر وما كفاك ذلك حتى انك اطعته وصرت تذب الذباب عن سلحته فقال لها زوجها ويلك انظني اني اطعته وذببت عنها قالت نعم قال لا والله بل تركت الذباب الكبير حتى اكل منها ما شاء ولو لا اني خفت منه كما تزعمين ما فعلت ذلك فضحكت عليه وعلمت انه جبان قليل الحيلة لكن من العجب ان الواحد منهم يغار على معشوقته ان يلم بها غيره ولا يغار على اخته او ابنته ان يلم بها غيره لان منهم من يجلب لاخته ويصفها بالاوصاف الجميلة ليشوق اليها قلوب الناس بل منهم من اذا عشقت اخته ونوت من محبها وبلغه ذلك زجرها وردها الى طاعته ومنهم من يتغالى في فعل المعروف حتى انه يدخل الرجل الاجنبي على اهله ويتركها واياه على حد قول القائل

اقود بحمد الله لكن كرامة ... وغيري قواد على رغم انفه

وكذلك النساء لكثرة الغلمة والشبق لا يردن قاصدا فتجد اكثرهن لهن اصحاب غير رجالهن ولا يقنعن بازواجهن ويعرفن من بعضهن ذلك وينكرنه ولا تقدر المراة منهن ان تعاير

جارتها بذلك لانها هي الاخرى كذلك كما قال القائل

قالت لجارتها يوما تعايرها ... قرنت زوجك والتقريس يفضحه
قالت اتركه جما بلا قرن ... يا ستي زوجك ذو القرنين ينطحه

على ان منهن من لها زوج ولها جملة اخلا على حد قول القائل

ايا من ليس يرضيها خليل ... ولا الفي خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

وبالجملة فطوائف السودان مشتغلون بحب النساء كاشتغال العصارة بالاشجار وكل منهم يصرح باسم محبوبته على حد قول القائل

نصرح بمن تهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

الا ان خاف الانسان منهم من التصريح ان يعرض نفسه للتلف كما اذا صرح باسم بنت ملك او زوج ملك فانه يخشى على نفسه من القتل فلذلك العاقل منهم يكتم عند ذلك هواه • ويصبر على بلواه • الا اذا عدم رشاده • واصبح صلاحه فساده • فقد يبيح بسره • ويرجو بذلك كشف ضره • ولا يخشى ملامة العذال • وان اوقعه التصريح في النكال • على حد قولي في بعض الاحوال •

ومن فرط حبي فيك يا نور مقلتي ... خلعت عذاري فيك وانخرق الستر
وهمت فلم اخش الملام لعاذل ... لان مماتي في هواكم هو الفخر

واما الذي يتستر في الحب يعوق لكي يبلغ المأمول •

حبائك في عيني مخافة عاذل ... وقد شرفت باللذات تلك المواضع
ومن فرط حبي في جمالك انني ... خشيت رقيبا في هواك يصادع

وبالجملة فهذا باب واسع وبحر زاخر لو لججنا فيه لطول الحال ويحصل
الملال. ولنرجع لما نحن بصدده ونعرق الاعنة الى ما التزمنا
بايراده وقصده وبالله التوفيق. وهو نعم الرفيق.

فصل في عوائد في طول دار واداي وعرضها

وما اشتملت عليه من الطوائف وكيفية ارضها واسماء اجناس
ما فيها من الامم على اختلاف احوالهم وتباين اشكالهم

اعلم ان المنفرد في ملكه بالبقاء والدوام. الفعال في خلقه
ما يشاء من الاحكام. اختار من اصطفاه من عباده. على حسب
مراده. وتجلى عليهم بالاسم الباسط من الانوار. فجعل كلا منهم
حاكما على قطر من الاقطار. وان مما افتخرت بها ملوك السودان.
وشاع ذكرها في جميع الاقطار والبلدان. مملكة اولاد صليح
المسماة دار واداي فهي كالورد بين الازهار. وكجنة تجري من
تحتها الانهار. لما جعل الله فيها من انواع الخيرات. وما بسط
لاهلها فيها من البركات. فكم فيها من نهر راق سلساله فصار
كاللجين. وحديقة تفتحت ازهارها فكادت تنظر كانسان
العين. وكم فيها من اراك ارخى على شاطئ النهر ثيابا. وبلبل غرد
على ذلك الاراك فازال عن القلوب ازعاجا. هذا وان طول
مملكة الواداي كطول مملكة الفور وعرضها اقل من عرضها
لكن وان كانت مملكة الواداي اقل عرضا. فهي اخصب ارضا.
فشتان ما بين اليوم وامس. واين القمر من الشمس. واين الروض
من القفار. واين الجنة من النار. نعم وان كان في دار فور

بعض

بعض اماكن تقرب صفاتها من صفات ارض الواداي الا ان
اكثرها قفار بعيدة عن الماء شديدة الظماء ترى اهلها اخذهم النحول
والاصفرار. واضر بهم العطش اتم اضرار. يقترون على انفسهم في شرب
الماء. كانهم في سفينة ضلت عن مقصودها ولم تعرف الهوى أفي ارض
هي ام في سماء. واما اكثر ارض الواداي فمعظمها انهار دافقة.
واشجار باسقة. عليها طيور بالالحان ناطقة. فلا تجد من دار
الصباح التي هي اول بلاد الواداي من جهة المغرب مع ما من ناحية
المشرق الى البحر الذي هو اقصى مملكة الواداي من جهة المغرب
مفازة يحتاج فيها الى حمل الماء بل كلها ابار وانهار. ومزارع
واشجار. وذلك مسافة نحو اثني عشر يوما للمسافر ولا من يحمل
لها ايضا وكلها عامرة آهلة ما عدا البعض اماكن قليلة لا تعد
لقلتها ولذلك اذا اعطي الانسان في دار واداي اقطاعا ولو
بلدا واحدا احسن من ان يعطى في دار الفور عشر بلاد لعمار هذه
وخراب تلك فاذا تقرر ذلك علمت ما بينهما من التفاوت
ولو رايتها لقلت اين الثريا من يد المتناول. او قلت. اين الثريا
من الثرى. واين الحسام من المنجل. ومن اعابها فقد غدا
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لدميم
على ان اهل الواداي وان كانت اقل تمدنا فهي اكرم نفسا
واشفق على الغرباء. ولهذا سلطانها اكرم السلاطين على
الاطلاق واحسنهم سياسة بالاتفاق. من راى دار مملكته
يهيم. ويقول ان هذا المقام كريم. لان داره قد وضعت بين

ثلاثة جبال وليس لها الا طريقان فى اى حال من الاحوال
احدهما الووقة اذ فيه عشرة رجال منعوا من يريد الدخول
الى وارة وان كانوا بعدد الرمل والحصا وثانيهما الووقة فيه
شخصان لمنعا من يدخل اليه وارض وارة ارض طيبة جلدة
ليس بين الصلابة والرمليه بخلاف تندلتى التى هى قاعدة
مملكة الفور فان ارضها رمل كرمل عالج تغوص فيه الاقدام
ويثور منه النقع على الدوام وفى وارة ابنية جميلة بالنسبة
الى ابنية تندلتى لان جميع البيوت التى فى تندلتى من قصب
الدخن حيوطا وبيوتا ونهاية الامر ان لكل بيت زريبة
من الشوك ومحل السلطان هو وغيره فى ذلك سوا ماعدا
فى بيت السلطان اربع بيوت مبنية بالطوب جعلها مخزنا
الامتعة خوفا عليها من النار واما بيوت وارة فاكثرها بناء
وحيوط كالاسوار خصوصا بيت السلطان فان فيه
القصور والمشربات والاسوار العظيمة وليس عليه زريبة
من الشوك بل عليه سور من البنا محيط به احاطة الهالة
بالقمر والاكمام بالثمر كما ان ارض الواداى احسن من ارض
الفور وليس فى دارفور ارض تشبه ارض الواداى الا الجانب
الغربى الذى يقرب من جهة الواداى واما ارض الواداى
فكلها من الحسن بمكان وبلاد الواداى عامرة اهلة بخلاف
بلاد الفور فان اكثر البلاد فيها اما خرب او كاد للكثرة الظلم
والعسف الذى على الرعية من قبل الحكام ولا تجد فى دار الفور

بلدا

بلدا عامرة كما ينبغى الا بلدا فيها جهة ذو شوكة وجاه وما عدا
ذلك فخراب يقاسون الذل والهوان خصوصا فى الزمن الذى
كنت فيه هناك فان السلطان كان صغيرا قد اكتنفته
رعونة الشباب فكان لا يتأمل فى احوال الرعايا ولا يرفع
عن المظلوم الرزايا بل كان منهمكا على لذاته يقطع بالكاس
واللهو اكثر اوقاته فصار ذو امره امراة يتخذها او كاس
ينهلها او دابة حسنة يركبها وكانت ملوكه اثقلت الوطاة
على الرعايا وجلبت لها المصائب والبلايا فلا يقدر احد من
الرعايا يقتنى مالا ولا من اشراف الناس ان يكتسب اجلالا
لانه فى تلك المدة سادت رعاع الناس اكابرها واستوزر
العبيد واهمل الكرام الاماجيد فصار كل منهم يقول

ارى الناس مخسوفا بهم غير انهم
على الارض لم يقلب عليهم صعيدها
وما الخسف ان تلقى اسافل بلدة
اعاليها بل ان تسود عبيدها

ومما يناسب ذلك هذا التخميس

ليال تقضى بالوصال عريقها
نبت وابت ان لا يدوم وميضها
فلا تعجبوا ان نرتجى يوما مريضها
تغيرت الايام واسود بيضها
وعادت اسودا عند ذاك قرودها

وقد صار للجهال فينا رياسة
وهم ككلاب في الانام نجاسة
فيا صاح ان داموا ودامت خساسة
ففي الموت فوز للاسير وراحة
اذا حكمت احرار قوم عبيدها

ومما يناسب ذلك قول الشاعر

ارى الناس مخسوفا بهم غير انهم
على الارض لم يقلب عليها صعيدها
وما الخسف ان تلقى اسافل بلدة
اعاليها بل ان تسود عبيدها

خلافا للسلطان المرحوم محمد عبد الكريم صابون فانه
اوسع الناس عدلا وعمرهم احسانا وفضلا فلا تجد في زمنه
مظلوما يشتكي دهره ولا فقيرا يشتكي فقره وقد اعطى
القوس باريها وانزل الدار بانيها فاقام حدود الله
في عباده وانتشر عدله في جميع بلاده فكل الناس عنه
راضون الا من كان في قلبه مرض واستولى عليه داء
الحسد والعجب من الدهر كيف ينغص المسرات ويقلبها
بالاحزان والاساءات لانه اقتنصه في عنفوان شبابه
وجرع احبابه كاس مصابه وطالما خدعه بالظفر في الحروب
واذاق اعاديه من يد اجناده الحتوف والكروب حتى
اخرب اقليم الباقرمة الفجار وثنى باقليم النامة الفجرة

الكفار حتى ارتعدت من هيبته فرائص الغور وسلطانها
وخشيت ان يسطو عليها ويخرجها من اوطانها لكن
لا عتب على الدنيا في هذه الاعمال لانها تكمن في كاس مسراتها
الداء الدوي والعضال ورحم الله الحريري حيث قال

يا خاطب الدنيا الدنية انها — شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها — ابكت غدا تبا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع — منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها لا تنقضي واسيرها — لا يفتدى بجلائل الاخطار

ومن افعال الدنيا بالانسان وابدالها المسرة بعد الاحزان
ما وقع للخلفاء الراشدين وكيف تدانت اجالهم وقرب
الى الله ارتحالهم وقد قالوا في قصر مدة سيدنا عمر بن
عبد العزيز الامام العادل في بني امية حين قال بعض
الناس كيف ان اعمار ملوك بني امية تطول سنين مع
ما هم عليه من الجور والعسف المبين لما كان في ايامه
من العدل الزائد ان الدنيا دار محن واكدار وهموم
واغيار ولو طالت مدة عمر بن عبد العزيز لرجعت الدنيا
الى حال الشباب مع انها صارت عجوزة شمطا كما ورد عن
النبي الاواب لم لا وقد كان رضي الله عنه من الزهد بارفع
مكان وهو الذي ابطل سب علي رضي الله عنه على المنابر
واستبدله بقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
ولعدله في ايامه رعت الوثاب مع الاغنام ولم تعد عليها

وتقصر عمر عمر بن عبد العزيز
الذي هو بينهم كالذهب الابريز

باذن الملك العلام **نادرة** مما اتفق من عدله رضى الله
عنه انه جاء رسول من طرف ملوك الاكراد فبالغ فى اكرامه
وزاده ولما وضعت المائدة كان فيها حجلتان مقلوتان
فلما راهما الرسول وعلم انهما من الحجل بكى وافرط فى البكا
فساله سيدنا عمر رضى الله عنه عن سبب بكائه فاجاب
بعد تمنع وقال يا سيدى انى كنت فى اول امرى قاطع
للطريق فبينما انا ذات يوم واقف فى الطريق اذ وجدت
احد التجار راكبا على بغلة وتحته خرج مملوء من المال
فتعرضت له واخذت البغلة منه واردت قتله فقال يا هذا
اليس مرادك المال فقلت نعم قال لى خذ البغلة وما عليها
واعتقنى لوجه الله الواحد القهار فقلت له لا سبيل
لذلك واخذت بيدى اريد قتله فلما راى انى صممت على قتله
قال لى أأنت فاعل حقيقة فقلت اى والله فقال هل
لك فى ان تتركنى حتى اصلى ركعتين فقلت له لك ذلك
فتوضا وصلى ثم قال لى انشدك الله الذى لا اله الا
هو الا ما تركتنى فقلت لا افعل ولا بد لى من قتلك
فالتفت حينئذ يمينا وشمالا فراى حجلتين على شجرة
فنادى بصوته ايتها الحجلتان اشهدا على انى قد قتلت
ظلما فضحكت منه وقتلته بعد ذلك واخذت البغلة
وما عليها فلما رايت هاتين الحجلتين تذكرت تلك
الواقعة فقال له سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

والله

والله لقد شهدا عليك عند من اقادك ثم امر به فقتلوه
ولذلك كانت مدة السلطان محمد عبد الكريم صابون
قصيرة جدا لانه لو طالت مدته لملك الغور وغيرها وكان يقال
ان شباب الدنيا رجع لها فكانت ايامه مواسم وثغر المسرة به
باسم فكان غضبه لله ورضاه لله وكانت رعاياه لا يبغون
عنه بديلا ولا يريدون عن حكمه تحويلا فكانت بلاده
آهلة بالقاطن عامرة بالساكن مع انهم جموع مجمعة فكان
فيها المساليق والميمه والواجو والكشمره والقرعان والخمس
قبائل الواداى والكوكه والحناجره والبرقد وكل من هذه
القبائل له جهة يسكنها فاما المساليق فمسكنهم دار الصباح
اى الجهة الشرقية من دار الواداى وهو غربى الغور وبينهم
وبين مساليق الغور معاملات ونشب وقرابة ونسب
وسعة بلادهم نحو يومين عرضا ونحو ثمانية ايام طولا
وهم اناس ليسوا بالطوال ولا بالقصار وسوادهم يميل
الى الاصفرار وهذه القبيلة عالم عظيم فى دار الواداى
واكثر بلادهم سهل وان كان فيها جبال قليلة واما الواداى
الذين هم اصل للمملكة منهم ساكنون وسط البلاد ومنهم
اكثر الامرا والاجناد ومسكنهم وسط البلاد وبلادهم
جبال منها الجبل المسمى بأبو السنون وهو اعظمهم جبلا
واهله يزعمون انهم اصل للواداى ومنهم ظهرت السلاطين
وتفرعت ومنها ملنقة وهو جبل اخر بحرى ابو السنون

بنحو فراسخ والكثر السناوين يغلب على لونهم السواد الداكن
وهم اناس طوال ضخام الاجسام كانهم من رجال العمالقة
واما ملنقة فهم اقل منهم سوادا يضرب لونهم الى الصفرة
واما الكشمرة فهم بالقرب من وارة مسافة يومين من
الجهة القبلية اى جنوبية ومسكنهم فى البطيحة وهى واد
جميل كثير المياه يزرع عليه انواع الخضراوات والتوابل
كالفلفل والكزبرة والثوم والبصل وطائفة الكشمرة
على شفير هذا الوادى بمعنى انهم بالقرب منهم وهو عالم
عظيم ومسافة بلادهم نحو اربعة ايام طولا واربع
ساعات عرضا فترى قراهم مصطفة بقرب شفير الوادى
المذكور كتصفيف الدر على نحور الحور هذا وبلادهم
عامرة بالقاطن آهلة بالساكن يخرج من اقل حلة منها
اذا وقع النفير نحو الخمسمائة مقاتل ما عدا الصغار ولقد
كان المرحوم السلطان محمد عبد الكريم صابون اقطع
والدى منها خمس بلاد فكانت احسن من خمسين بلدا من
بلاد الغور لكثرة منافعها وفى ظنى ان قبيلة الكشمرة
لو استنفرت كلها وانفردت من غيرها كانت وحدها
جيشا عظيما وهم اكثر الرعايا انقيادا واغناهم مالا واولادا
واحوالهم وسط وليس فيها شطط وهم بين الطوال
والقصار وبين السواد والاحمرار ولغتهم غير لغة
الوادى ولهم ملك يحكم على القبيلة ويفعل ما يختار

واما

واما الكوكة فمأواهم جهة المغرب والجنوب وهم ثلاث
فصائل كل منها لدى اهل الوادى محبوب منها فصيلة لا يوجد
احسن من نسائها فى الجمال ويفضلون على بنات الحبش
ربات الدلال فترى الجارية منهن تسر الناظرين بجمالها
وتفتك العشاق بدلالها قد اقامت حرب الغرام على ساق
ونور جمالها فى ميدان الصبابة يهيم النساك وابلاهم
بالاشواق وهم طائفة عظيمة عامرة قراها كثيرة
مياهها ومراعيها غير ان اهلها ليسوا ضخام الأجسام
لكن مع الطول والاعتدال وعدم النحافة والهزال ومن
هذه القبيلة جوارى الملوك والسلطان لان اهل الوادى
يزعمون ان ما عدا الخمس قبائل عبيد يباعون ويشترون
بغير تقييد واما القرعان فمأواهم من دار الوادى جهة
الشمال وهم قبيلة عظيمة الاموال كثيرة الخيل والجمال
قد اشتملت على فصائل عديدة لكل فصيلة قد صارت
احوالها شديدة وهم اناس صغار الأجسام غلب على الوانهم
الاحمرار دون بقية الالوان فترى الوانهم تقرب من الوان
المصريين كانهم ليسوا من السودان ولم اشاهد بلدهم
ولا نحوت قصدهم غير انى شاهدت كثيرا منهم فى الوادى
فرأيت نساءهم من ابدع النساء جمالا وافتكها لحظا وارماها
نبالا والعجب ان الوادى لا يألفونهن لبياض الوانهن
فالجارية منهن لا يتغالى فى ثمنها لبياض لونها نعم وان

كنا قدمنا ان كلما خلص الانسان من شدة السواد كان
عندهم دليلا على خلوصه من الرق لكن ان خرج الى البياض
ابغضوه فلايا لعون الاما كان بلون الحبشة وهو اعظم
مرغوبهم وقدمنا ان السيد محمد السروجي الطرابلسي كان
اهدى الى السلطان جاريتين بيضا وحبشية وذكرنا
انه احب الحبشية ونالت منه حظوة واما البيضا فلم يدن
منها وبقيت كل كل حتى ماتت واما الداجو فهم في جهة
الجنوب وبينهم وبين الكوكة مسافة قريبة لانهم
متاخمون في الاراضي وهم اناس غلب السواد على اجسامهم
واستولت الوحشية على قلوبهم فهم عند الوادای بمنزلة
البرنى عند الفور لان البرنى يسكنون شمال الفور وهولا
في الجنوب وبالجملة فلعدم طول المكث هناك لم اضبط
احوالهم وهناك قبائل اخر مختلطة بما ذكرنا نسيت
اسماهم واماكنهم واما الحباجره فاصلهم عبيد
السلطان وهم مقام العبيدية في دار الفور وهم
طائفة عظيمة وامم جسيمة قد سكنوا جنوب الوادای
لكن من جهة المشرق واتصلوا بالمساليت لكن مع ذلك
لا تختلط انسابهم بهم ولا يمتزج حسبهم بحسبهم واما
الميمة فهو شعب عظيم ذو قبائل وفصائل وهم اناس
حالكوا السواد كان الوانهم المداد قد سكنوا الجنوب
بين المغرب والمشرق ولم يكن بينهم وبين الداجو

والكوكة

والكوكة فرق وما بين ذلك من وارة الى الجنوب جموع مجمعة
وبلاد واسعة اهاليها مختلطة الانساب فترى في البلد
الجنسين والثلاثة والاربعة والاكثر خصوصا البرقد
فان بلادهم غير منضمة لبعضها بل يجد الانسان
هنا بلدة وهنا بلدتين او ثلاث وهنا عدة بلاد
وكلهم اناس غلبت عليهم الطباع القبيحة فيالعون
الخيانة والفضيحة واكثر بضاعتهم السرقة والخيانة
بل لا يعرفون المودة والامانة وهم اناس سود الالوان
نحافة الابدان قصيرهم اكثر من طويلهم وعزيزهم
في الطبع كحقيرهم فهم آفة بلاد الوادای ومنهم
الحدادون والصيادون وهم اقل الناس اعتبارا واحقرهم
عند الوادای مقدارا لاخلاقهم الخبيثة وطباعهم
الخسيسة وقد احاط بدار الوادای عرب فمن جهة
المغرب عرب الزبدة والمريقات وعرب البحر وهذه
الثلاثة قبائل من الغنى والقوة بالرجال في اعلى
مكان ولقد اخبرني الفقيه موسى عقيد الزبدة اخو
الامام بدر الدين امام السلطان ان عرب الزبدة
هولاء من عرب اليمن ونسبتهم الى زبيد وانهم من حمير
وكذا اخبرني الفقيه محمد المريقي ترجمان السلطان ان المريقات
من عرب العراق وانهم من بني لخم وجزام واما عرب البحر
فجموع مجمعة ولكل بطن منها بر بينة واسعة وكلهم تحت قائد

بطن

واحد وكلهم اصحاب بقر واثاث ومتاع ورياش وكنت اعرف
عقيدهم وكان يسمى مسعود وهو رجل كثير الاعوان والجنود
ومن جهة الشمال المحاميد وهى قبيلة عظيمة ذات
فصائل وبطون وهى اصحاب ابل ونعم وخيول وغنم ورقيق
ولجين ومرجان يجلو لنظر العين • واصحاب عدة كاملة
ورماح عاملة • ومن جهة الجنوب عرب المسيرية والفلان
وهما قبيلتان عظيمتان اصحاب بقر جمها غفير وعددها
كثير وليس بين الفور والواداى عرب لضيق المكان لان بينهما
مسافة يوم بل اقل لان الفور الذى يمشى على مهل ويتبع دار الواداى
تامه كما قدمنا والبا قرمه وركا وفزا وفلان كلا من هؤلاء
الملوك ما عدا باقرمه يعطى خراجين خراجا لسلطان الفور
وخراجا لسلطان الواداى ولا تجد قبيلة من القبائل
التى بدارفور الا ومثلها فى دار الواداى ما عدا التنجر والتمركه
فليس منهما فى دار الواداى احد ومن جهة الشمال مما يلى المشرق
قبيلة البديات وهم قوم من اعجام السودان الا انهم كالبدو
فى ركوب الخيل ومرعاها والاقتيات بلبانها ولكل مما ذكرنا
من القبائل ملك حاكم عليها يسمى فى اصطلاح الفور سلطانا
وفى اصطلاح الواداى ملكا لانهم يقولون انه لا سلطان
هناك الا سلطانهم وما عدا ذلك فجميع سلاطين الدنيا
عندهم ملوك ولا يقدر احد من الناس ان يقول نحن فى بلادنا
لنا سلطان واذا وقع وقال ذلك ان كان غريبا عرفوه ونهوه

وقالوا له

وقالوا له لا تقل بعد اليوم انه يوجد فى الدنيا سلطانا ابدا
الا سلطاننا وما عدا ذلك فهم ملوك وان كان من
اهل البلد عنفوه ووبخوه ومن العجب انهم بلغتهم يسمون
السلطان ملكا ولا ينكرون ذلك لانهم ان ارادوا
يدعوا للسلطان بلغتهم يقولوا املك ملك كللك
نكا تينى ومعنى ذلك ملكنا الله يعطيه الحياة
والمراد الله يطيل حياة ملكنا لان لغتهم صعبة
جدا وفيها كافات كثيرة ومن العجب انهم يسمون
الله كللك والولد الصغير كللك والعجوز منجو كلك
واكثر اسمائهم تنتهى بالكاف كما تبتدأ بها كما يسمون احد
الكماكلة كامكلك وللرجل الصالح كركك والقرعة كبركك
وكل كلامهم على هذا المنوال وكنت فى بعض الايام سمعت احد
الكبر تو يغنى بنغيرة فسالت الفقيه احمد ودمختار عما يقول
فقال لى انه يقول كننك تدار رنه كارانيامى فسالته عن
معنى ذلك بالعربية فقال معناه ايها الطائر الجائع هلم
فكل يعنى انه يقتل الاعدا حتى يشبع الطير من لحومهم
ولقلة مكثى فى بلادهم وكثرة اللغة العربية لم احتج الى
اتعلم لغتهم ومع ذلك كنت عرفت منها جملا تغنى الانسان
فى احواله الضرورية كاسما الما والخبز واللحم واسما الاوانى
والثياب ونسيتها بعد لطول العهد وعدم المكالمة ولا
تظن ان جميع ما فى الواداى من القبائل لغتهم واحدة بل كل

قبيلة لها لغة مستقلة لا تشبه الاخرى كما ان سحنتهم متغايرة لان
سحنة الواداى مغايرة لسحنة الكشمره فالواداى كبار الرؤس
مستديرو الوجوه ضخام الكراديس طوال القدود والغالب
ان ذكورهم اجمل من اناثهم والكشمرة طوال الوجوه متوسطون
فى طول القدود وضخامة الكراديس والبرقة صغار الرؤس
نحاف الابدان قصار القامة يغلب عليهم السواد والكوكه
صفر الالوان صغار الأجسام نساؤهم اجمل من ذكورهم
والحاصل ان لكل منهم سحنة يتميز بها عن غيره بحيث
لو رايت منهم شخصين معا كل شخص من قبيلة لادركت
من سحنتهما ان كل شخص منهما من قبيلة وهكذا
تنبيه اعلم ان اهل الواداى كانوا متوحشين
لم يدخلهم التمدن الا منذ زمن قريب لانهم كانوا قبل
ذلك تغرب طبيعتهم من طبيعة اهل الصين ضنا منهم
على ملكهم وبلادهم فكانوا اذا اتاهم غريب ودخل الى
بلادهم منعوه من الذهاب الى بلده حتى يموت لكنه فى اكرام
من المأكل والمشرب والملبس ولا يمكنوه من العود الى
داره ابدا حتى ملكهم السلطان صالح وكان رجلا
عاقلا جليل القدر يخشى الله ويتقيه فاتفق ان جاءت
فى ايامه بعض التجار فباعوا وربحوا وتركهم رجعوا الى
اوطانهم فانجرت اليهم القوافل قليلا قليلا حتى ملكهم
ولده المرحوم السلطان محمد عبد الكريم صابون فكثرت

لديه

لديه الخيرات وفاضت على يديه البركات واعطى التجار عطايا
جسيمة حتى رغبهم فى العود الى بلاده فتسامعت به الاقطار
وانهلت عليه ارباب البضايع انهلال الأمطار ووفدت
عليه العلما والشعرا من الأمصار فكانت مدته ربيعا وعيشا
مريعا ومع ذلك على حد قول الشاعر

يا ايها الملك الذى ... بصلاحه صلح الجميع
انت الزمان فان عدلـ ... ـت فكله ابدا ربيع

فكان رضوان الله عليه ما به عيب يشينه سوى كرمه على حد
قوله

وليس لهم عيب سوى ان ضيفهم ... بصحبتهم ينسى الاحبة والاهلا

او على حد قوله

لا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ومع صغر سنه كان متمسكا بالشريعة حسب الامكان لا تأخذه
فى الله لومة لائم فكان يقيم الحدود ولو على ولده ولم أر حد
الزنا اقيم على احد الا فى بلده لانى رايت حد زنا المحصن قد
اقيم على امراة فحفر لها حفرة واوقفت فيها الى صدرها
ورجمت حتى ماتت واما حد شارب الخمر فقد رايته
فى مواضع وحبه رحمه الله فى العلم واهله اكتنفه العلما
فكان لا يقطع امرا الا برأيهم وكان اكثر ارباب
دولته من اهل العلم فكان اكبرهم منزلة فى الزمن الذى

كنت فيه واقواهم حرمة شيخنا واستاذنا المرحوم السيد احمد
الفاسي ويليه الامام الفقيه نور قاضي القضاة يومئذ باقليم
الواداي وهو عربي الاصل وليس من الواداي غير اني نسيت
من اي قبيلة هو من العرب ويليهما في الفضل والحرمة
الامام الاجل سيدي احمد وَدْ مهيدي ويليهم الوزير
الاجل المحترم الفقيه محمد جميل الزعق ويليهم الفقيه
البارع علي ود مهيدي ويليهم في الفضل الاديب
الكامل الفقيه الوالي الباقرملوي وكان شاعرا
بليغا امتدح حضرة المرحوم السلطان بعدة قصائد
ولعدم اعتنائي بالشعر حينئذ لم اعلق منها شيا
ولا حفظته وكان رحمه الله تعالى لاعتنائه باهل العلم
يقدمهم في الزكاة على غيرهم ويغمرهم بافضاله ويتفقد
احوالهم وينتقم ممن نال منهم ويغض الطرف عن مساويهم
ويهتم بقضاء حوائجهم اذا رفعت اليه وكان امامه الاعظم
الامام الفقيه محمد بدر الدين فقيها متضلعا من فقه
مذهب الامام مالك لم تر عيني في اقاليم السودان
اهيب منه ولا افصح منه في الخطبة فكان نادرة عصره
ووحيد دهره وكذا رئيس تراجمته الفقيه محمد العريفي
كان من الفصاحة باعلى مكان جميل الهيئة ومما
يلحق بهم الوزير الاجل الفقيه موسى عقيد الزبده
وهو اخو الامام بدر الدين والفقيه محمد جميل الزعق

وقدمنا

وقدمنا انه هو الذي فتح الباب الحديد للسلطان ليلة
دخوله دار المملكة للتولية حين مات والده السلطان
صالح واكثر وزرائه وامرائه فيهم علمية وشجاعة واقدام
على الاخطار بخلاف غيرهم من الممالك لاننا قدمنا انهم
اشجع من الفور ومن الباقرمه ولا يضاهيهم في الشجاعة
في اقليم الفور الا الميدوب والزغاوه والتامه واشجع من
البرنو وان كانت مملكة البرنو اوسع دارا واكثر رجالا
واقوى عدة ولقد بلغني عنهم حين خرج عليهم الفلان
انهم كسروهم مرارا وحين توجه والذي من باقرمه
الى برنو كانت الفلان متغلبة عليهم حتى ان السلطان
احمد البرناوي فر بنفسه من مدينته ونزل في اخر عمالة
باقليم كانم واحتضنه هناك الفقيه الصالح والوزير
الناجح الفقيه محمد امين الكانمي وبذل معه المجهود في جمع
العساكر ولم يزل معه الى ان رده الى مقر سلطنته وكرسي
مملكته ومن غريب ما اتفق لعساكر البرنو ان السلطان
ارسل احد وزرائه مع جيش عظيم لقتال الفلان فتوجه
الجيش وكان معهم بعض المغاربة واعراب البادية فبينما هم
سائرون في صحرا مستوية المهاد اذ راوا امامهم سوادا
عظيما قد ملا تلك الصحرا فلما راوا ذلك السواد ايقنوا
انه جيش الفلان فكثر خوفهم ونزل الرعب في قلوبهم
وفشلوا ورجعوا على اعقابهم وقالوا لا طاقة لنا بقتال

هذا الجيش فجاء احد المغاربة الى الوزير وقال له كيف تنصرف
العساكر من سواد لا تعلم حقيقته فقال الوزير ومن يكشف
لنا عن ذلك فقال المغربى انا فقال له الوزير اذهب
فذهب المغربى وحقق السواد فرآه نعاما كثيرا قد اجتمع
ورفرف باجنحته وصار من بعد كانه جيش مصفوف
فرجع ينادى ايها الناس ارجعوا هذا نعام فلم يلو عليه
احد وتمادوا فى هزيمتهم الى ان ذهبوا ودخلوا برنى البرنو
وهم فى غاية من الارتجاف ولما ظهر هذا الامر
وفشا خاف الفقيه محمد امين الكانمى ان يشيع هذا الخبر
وتسمعه الفلان فيزيد طمعهم فى الدولة البرناوية
ثم طلب رؤساء الجيش الذى حصل فيه هذا الفشل
وقتلهم ونادى منادى السلطان فى العساكر ان بعد هذا
اليوم كل من فر من عدو لا جزاء له الا السيف وجمع العساكر
ورتبها وخرج لقتال الفلان فهزمهم واخرجهم من
البرنو وقتل منهم مقتلة عظيمة واقول ان الذى
دعا البرنو للفرار من قبل التأمل ووقوع الحرب انما
هى الحضارة التى استولت عليهم حتى صارت لهم عادة
لانه قد شوهد ان الدولة كلما تمكنت من الحضارة
كلما هابت القتال واسبابه وكلما كانت فى اصالة
الخشونة وعدم الترفه كانت اقدم على الاهوال واقتحام
المشاق والصبر على نكاية العدو وكانى بقائل يقول لى

ما الحضارة التى تسبب الفشل والخوف فى الدول
فاقول الحضارة هى كثرة التمتع بالمآكل والمشارب
والملابس والمراكب والمناكح النفيسة حتى يصير ذلك
ديدنا للنفس فاذا جاء بعد ذلك ما يعارض ذلك الديدن
تشاءمت منه النفس وابته وتذكرت مألوفاتها
وحنت اليها فتقول لصاحبها ما لك والقتال وارتكاب
الاهوال الذى يكون سببا للهلاك وسوء الارتباك
وترك المآكل العظيمة والمناكح الجميلة وما انت
عليه من حسن الحال فيخاف الانسان ويظن انه بمجرد
دخوله الحرب يموت وان الموت متحقق عنده
وتسول له نفسه انه ان انهزم وما باشر القتال
سلم من الموت الوبال ورجع الى مألوفاته فيحمله ذلك
على الفرار وترك القتال وما علم ان الحضارة هى نهاية
آجال العمران وان خوفه عليها يكون سببا لزوالها
بالكلية فقد ذكر العلامة ابن خلدون فى تاريخه
الكبير فى الجزء الاول منه فصلا فى هذا المعنى فقال
ان العمران كله فى بداوة وحضارة وملكه
وسوقه له عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من اشخاص
المكونات عمرا محسوسا وتبين فى المعقول والمنقول
ان الاربعين للانسان غاية فى تزايد قواه ونموها
وانه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة

عن النمو برهة ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط والحضارة
في العمران كذلك لانه غاية لا مزيد وراءها وذلك
ان الترف والنعمة اذا حصلا لاهل العمران دعاهم
بطبعه الى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها
والحضارة هي التفنن في الترف واستجادة احواله
والكلف بالصنائع التي تونق من اصنافه وسائر
فنونه كالصنائع المهيآت للمطابخ والملابس والمباني
والفرش والانية وسائر احوال المنزل وللتانق
في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند
البداوة واذا بلغ التانق في هذه الاحوال المنزلية
الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس
من تلك العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها
في دينها ولا دنياها اما دينها فلاستحكام صبغة
العوائد التي يعسر نزعها واما دنياها فلكثرة الحاجات
والمئونات التي تطالب بها العوائد ويعجز
الكسب عن الوفاء بها وبيانه ان المصر بالتفنن
في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت
بتفاوت العمران فمتى كانت العمارة اكثر كانت
الحضارة اكمل لان المصر الكثير العمران يختص
بالغلاء في اسواقه واسعار حاجاته ثم تزيدها
المكوس غلاء لان كمال الحضارة انما يكون عند

نهاية

نهاية الدولة في استفحالها وهو زمن وضع المكوس
في الدولة لكثرة خرجها حينئذ والمكوس تعود على
المباعات بالغلاء لان السوقة والتجار يحتسبون على
سلعهم جميع ما ينفقونه حتى مؤونة انفسهم فيكون
المكس لذلك داخلا في قيم المبيعات فتعظم نفقات
اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون
وليجة عن ذلك لما ملكهم من اثر العوائد وطاعتها
وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتتابعون
في الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر
ويقل المستامون للبائع فتكسد الاسواق ويفسد
حال المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما
فساد اهلها في ذواتهم على الخصوص واحدا واحدا فمن
الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالالوان
الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد
تحصيلها بحصول لون اخر من الوانها فلذلك يكثر منهم
الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل
المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى
الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة
فتجدهم اجرياء على الكذب والمقامرة والغش
والخلابة والسرقة والفجور في الايمان والربا
في البياعات ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ

الناشئة عن الترف أبصر بطرق الفسق ومذاهبه
والمجاهرة به وبدواعيه واطرح الحشمة بالخوض
فيه حتى بين الاقارب وذوي المحارم الذين البداوة
تقتضي الحياء منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم ايضا ابصر بالمكر
والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر
وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح حتى يصير
ذلك عادة وخلقا لاكثرهم الا من عصمه الله تعالى
ويموج بحر المدينة بالسفلة من اهل الخلق الذميم
ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم
ممن اهمل عن التاديب واهملته الدولة من اعدادها
وغلب عليه خلق الجوار وان كانوا اهل انساب وذلك
ان الناس بشر متماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق
واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فمن
استحكمت فيه صبغة الرذائل باي وجه كان وفسد
خلق الخير فيه لم ينفعه زكاء نسبه ولا طيب
منبته ولهذا تجد كثيرا من اعقاب البيوت وذوي
الاحساب والاصالة واهل الدول منطرحين
في الغمار منتحلين للحرف الدنية في معاشهم لما فسد
من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفسفة
واذا كثر ذلك في المدينة والامة تاذن الله بخرابها وهو
معنى قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا

مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا
ووجهه ان مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة
العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا
فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة
وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة
اذا كثر فيها غرس النارنج تاذنت بالخراب حتى ان كثيرا
من العامة يتحامى غرس النارنج بالدور وليس المراد ذلك
ولا انه خاصية في النارنج وانما معناه ان البساتين
واجراء المياه من توابع الحضارة ثم ان النارنج
والليمون والسرو وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا
منفعة له هو من غاية الحضارة اذ لا يقصد بها
في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد
التفنن في مذاهب الترف وهذا هو الطور الذي
يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد
قيل مثل ذلك في الدفلى اذ لا يقصد بها الا تلون
البساتين بنورها ما بين احمر وابيض وهو من
مذاهب الترف ومن مفاسد الحضارة الانهماك
في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع
التفنن في الشهوات البطنية من الماكل والمشارب
وملاذها ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج
بانواع المناكح من الزنا واللواط فيفضي ذلك

الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما
فى الزنا فيجهل كل احد ابن اذهم لغير رشده لان المياه
مختلطة فى الارحام فتنعقد الشفقة الطبيعية على البنات
والقيام عليهم فيهلكون ويودى ذلك الى انقطاع الانسال
ومن ذلك يحصل المعوق من التولد للوالد وغير ذلك
من المفاسد اه باختصار وبالجملة فاشجع
قبائل السودان الواداى فانهم لا يخافون الموت
ولا يهابون الفوت واجبنهم البرنو واوسطهم
الفور واما فى اتساع المملكة فاوسعهم البرنو
ويليهم الفور ويليهم الواداى والباقرمة على ان
بلاد الواداى وان صغرت اقليما فقد عظمت خيرا
عميما ورقيقها اجمل من رقيق الفور واحسن خدمة
ولا يوجد فى بلاد السودان المتوسطة احسن من
رقيق الباقرمة لما فيهم من الرقة وحسن الخلق والقيام
بخدمة اسيادهم خصوصا الاناث منهم وحين
ملك السلطان صابون بلاد الباقرمة افتتن
الواداى بنسائها وكرهوا نساءهم وقالوا انا لم نتزوج
الا الآن بهؤلاء هم النساء وما سواهم عدم بل قد
يوجد فى رقيق الجناخرة الذى تجلبه الواداى
من هو فى غاية الجمال وحسن المعاشرة فى طبقة لا توجد
فى مثله من الرقيق المجلوب من جهة الفور مع ان

جناخرة الواداى والفور متاخمون وقد قدمنا
ان العساكر لما تلاقت مع بعضها فى الغزو فى بلاد الفرتيت
لكن من العجب ان الرقيق الذى يجلب لدار الفور ردى
جدا والذى يجلب لدار الواداى عظيم وتبعا لواديها
ولذلك نجد انفع الرقيق فى دار الفور هو الرقيق المجلوب
من الواداى والجناخرة امة عظيمة لا يعلم عددها الا
الله تعالى متفرعة الى فروع كثيرة وقبائل شتى
مسكنها الجنوب من بلاد السودان الاسلاميين
اولها من جنوب سنار على خط مستقيم الى ان تنتهى الى
جنوب كشنة من بلاد المغرب من قبائل هؤلاء المجوس
لانك اذا سرت من سنار على خط مستقيم الى ناحية
المغرب تصل الى كردفال بعده او ستة عشر يوما او
سبعة عشر يوما ثم بعد عشرة ايام من الابيض او اثنى
عشر تصل الى دار فور ثم منها ان كان من الفاشر
الى الفاشر خمسة عشر يوما للثانى وعشرة للمجد فتصل
الى دار واداى ثم منها اذا اردت التوجه الى الباقرمة
تتوجه الى الغرب مع انحراف قليل الى الشمال لانك ان
لم تنحرف وقعت فى كانم وهو اول اعمال مملكة باقرمة
بعد عشرة او اثنى عشرة يوما وان اردت التوجه
الى برنو فهناك طريقان اقربهما ان تتوجه
على خط مستقيم من المشرق الى المغرب فتصل الى برنو

بعد عشرين يوما وان توجهت من طريق باقرمه يحتاج
ان تتعدى بحرا عظيما من الباقرمه د برنو وهذه الطريق
طويلة لانه يمر فيها على بر بني منداره وهو محل مستقل الحاكم
مستقل ويمر على احد ممالك الكنكو وتطول الطريق
نحو خمسة وثلاثين يوما ثم اذا خرج من برنو واراد
التوجه الى اركر تتوجه على خط مستقيم نحو خمسة عشر
يوما وهكذا لكن كل قبيلة جاورت مملكة من ممالك
السودان الاسلاميين تسمى باسم خاص فالتي جاورت
سنار تسمى بالنوبة والتي جاورت والواسي تسمى كردفال
تسمى بالترج والتي جاورت دارفور تسمى بالفرتيت
والتي جاورت واداي تسمى بالجاخرة والتي جاورت
البحر الباقرمة والبرنو تسمى بالكرداولباي وهكذا
وان كان كل ما جاور مملكة من الممالك شعوبا
وقبائل وبطونا وفصائل لانك اذا قست السودان
الاسلاميين بمن جاورهم من هؤلاء المجوس تجد
الاسلاميين بالنسبة لهم كحلقة ملقاة في فلاة من
الارض فان قلت كيف يتأتى غلبة الاسلاميين
على هؤلاء مع انهم اضعافهم قلت انما غلبهم
الاسلاميون لارتباط كلمتهم واجتماعهم على راى
واحد وهؤلاء المجوس كلمتهم منحلة ولا يعاونون
بعضهم وزيادة على ذلك ان بين اهل كل بلد ثار

منهم

منهم عداوة فيأتي العدو لهذه البلدة فيحارب اهلها
ويسبي نساءها واولادهم واهل البلدة الاخرى ينظرونهم
شذرا ولا تمسهم رحمة حين يخلصون من هذه يأتون
الاخرى فيفعلون بها كما فعلوا بالاولى واهل بلد اخر
ينظرون اليهم ولا يساعدونهم وهكذا والا لو كانوا
يجتمعون كما تجتمع القبائل الاسلامية لما قدر عليهم
احد كيف وطول مسافة بلادهم اكثر من شهرين
للمجد وثلاثة اشهر للمتأني وقد ذكرنا سابقا ان
السرايا التي تذهب من الفور والواداي تغيب ستة
اشهر ثلاثة ذهابا وثلاثة ايابا مع انهم لا يقطعون
البلاد ولا يصلون الى نهايتها وانما متى تم لهم ثلاثة
اشهر ردهم راجعون ذاهبون يرجعون وقد
اخبرني شيخنا الفقيه مدني الفوتاوي ان سرية من
سرايا الفور توغلت في بلاد الفرتيت في طلب المكسب
واجمعوا امرهم انهم لا يرجعون الا اذا اتوا على اخر
البلاد وعرفوا نهايتها فدام بهم الامر حتى مضى
عليهم من الزمن نحو خمسة اشهر وهم ذاهبون ورجع
جميع السرايا ولم يرجعوا حتى ظن اهلهم انهم اصيبوا
بجايحة اهلكتهم وبعد هذه المدة انتهوا الى بحر عظيم
متسع لا يرى من كان واقفا على احد ساحليه الواقف
على الساحل الاخر الا بشق الانفس فرأوا على الساحل الثاني



اناسا عليهم ثياب حمر فتعجبوا منهم وتحيروا في الوصول
اليهم لعدم المركب الذي يوصلهم اليهم واخبروا ان تلك
الاناس حين راوا العساكر وكثرتهم خافوا على انفسهم
وفروا هاربين قال الفقيه مدني المذكور ثم
اني سالت عن كثير ممن يتوجه في تلك السرايا فلم اجد من
يخبرني في ذلك خبرا شافيا فبقيت متحيرا مدة حتى عثرت
على رجل مسن كان قد سافر كثيرا الى بلاد الفرتيت
فسالته عن هذا البحر وهؤلاء الناس فاخبرني انه كان
سافر الى تلك الجهة ايام تولية السلطان عمر وانهم
وصلوا الى ذلك البحر وراوا تلك الناس وكان معهم
رجل من اهل الشرق خبير بالاحوال فلما راى هؤلاء
الناس قال انهم اشبه شيء بالهنود والله اعلم
بحقيقة الحال وهؤلاء السودان مع كثرتهم لكل قبيلة
منهم سيما تميزهم عما عداهم لان بعضهم يبردون
اسنانهم بالمبرد ما عدا الاضراس وهؤلاء يسمون
بندة وبعضهم يثقبون شفاهم العلوية والسفلية
وهؤلاء يسمون كارا وبعضهم يثقبون الاذن
من حافة الصيوان ثقبا متتابعة هكذا ...
وهؤلاء يسمون شالا وبعضهم يثقب الشفة
العليا فقط ثقبا واحدا وهؤلاء يسمون ذونه
ومنهم من يشرط وجهه بالموسى ثلاث شرطات

في كل

في كل وجنة وهؤلاء جناخرة باقرمة ومنهم من يقلع
ثناياه العليا فقط وهؤلاء يسمون الشلك واما
بلادهم فهي اخصب البلاد واحسنها هواء وقد قيل
ان المطر عندهم كثير جدا حتى ان بعضهم لا ينقطع
عنهم المطر الا شهرين في السنة وعندهم ضروب من
الكمأة منها ضرب عظيم جدا يسمونه الأبو يشوونه
في الجمر فيكون على هيئة مخ البيض لونا وطعما ولكثرة الامطار
كثرت الاشجار في بلادهم وشاكد واكثرها مما يثمر
والعجب منهم مع وحشيتهم وعدم استئناسهم ومخالطتهم
للمدن يعرفون بعض الصنائع العجيبة التي لا يمكن
اتقانها الا في المدن العظيمة من بلاد الاوروبا
منها كراسي الابنوس التي يصنعونها لجلوس ملوكهم
فذي الكرسي منها يبهر النظر ويحير الفكر من حيثية
صنعته وصقالته وملاسته ولا تفي عبارة المعبر
بما فيه من الاتقان ومنها صناعة الحراب والسكاكين
التي لا يمكن اتقانها في غير بلادهم الا ان كان في بلاد
الانكليز ومن اعجب ما رايته عندهم الشبكات التي
يشربون فيها التابا فانها غريبة الاتقان جدا كانها
عملت في احدى مدائن الاوروبا لانهم يعملونها من
الحديد الخالص النقي فيعملون السلك طول قدر شبر
ويعملون له حجرا من الطينة ويلبسونه بالحديد وقضيب

الشبك ليس بمعقد لا اثر فيه اصلا كما يوجد فى شبكات
اهل الاوروبين باتقان الصناعة لانك اذا رايت
الشبك منهم لا تظن انه من الحديد بل ربما جزمت انه
صيغ من فضة لصقالة لونه وحسن صناعته وكذا
ما يصنعونه من الدمالج والاساور فانه غريب جدا
مع انهم لا يصنعون الثياب ولا يلبسونها بل عراة عرايا
الاجساد والرجال يسترون عوراتهم بشقة صغيرة
قليلة العرض وطولها نحو ذراعين واكثر وعرضها اقل
من شبر وتسمى بلغة الفرتيت جوكو واما النساء فهم
فيستترون باوراق الشجر من القبل لا غير واما الدبر
فيتركنه عاريا بلا ستر **عجيبة** من قبائل
الفرتيت الكائنين بين دارفور وكردفال قبيلة تسمى
جنيقبة وهم اهل بقر وبقرهم صغيرة الاجسام كبيرة
القرون ولكل واحد منهم من البقر عدد كثير وهؤلاء
عراة لا يسترون عوراتهم اناثا وذكورا وهذه
القبيلة من اقوى الفرتيت باسا واشدها مراسا
لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب لشدة عددها
وقوة اعصابها ومن عادتهم انهم يبيتون فى الرماد
اناثا وذكورا وذلك ان اناثهم بعد حلب البقر
واخذ البانها وقضاء مصالحهن ياخذن انيتهن
ويذهبن الى الخلا فيجمعن روث البقر اينما وجدنه

ويجعلنه اكداسا اكداسا وكل امراة تجعل اكداسا امام بيتها
وتشعل جوف الكدس تلهب فيه النار وتتركه يحترق من نفسه
فاذا كان بعد العشا واراد الرجل النوم جاءته امراته
بقطعة من الزبد فادهن بها جسمه ويدخل فى الرماد المذكور
فيبيت فيه فاذا اصبح ذهب الى غدير فاغتسل فيه
ومن العجب انه ينام فى الرماد المذكور وان الرماد لا يدخل
فى خياشيمه بالتنفس وكيف يطيق ذلك ولعل ذلك
عادة اعتادوها وانهم يدخلون اجسامهم فى الرماد ما عدا
رؤسهم ولهم فى ذلك بصارة ومن العجب ايضا انهم
لا يسمون بقرهم بل كل انسان منهم يميز بقره بقرونها
بان تكون قرون بقره كلها على هيئة خاصة فمنهم
من يجعلها معتدلة ومنهم من يجعلها معوجة الى الامام
ومنهم من يجعلها معوجة الى الخلف ومنهم من يجعلها
معوجة ذات اليمين ومنهم من يجعلها معوجة ذات
الشمال ومنهم من يجعلها متصالبة ومنهم من يجعلها
ملتوية وهكذا ولقد سمعت خبر هؤلاء القوم من
عدة اناس ممن وصل بالغارة الى بلادهم وحكوا هذا
الخبر والعهدة عليهم ولقد رايت بقرات من بقرهم
وبقرهم صغير الاجسام كبير القرون وقرون ما رايته
مثلا فيه كالهلالين والله اعلم بحقيقة ذلك الامر
والحاصل ان الفرتيت امة عظيمة واجناس

مختلفة وهم مجوس لا يتدينون بدين فكل من غلبهم
تدينوا بدينه وانا اعرف من اسماء اجناسهم عدة
وهي النوبة والتروج والشلك والمحخة والحنيقة
والشالا والبيقه والرنو والكاره والبنده والعله
والفراوقه والفنفرو والبابا والجناخرة والعاره
والدنقو والكوكه وما عرفت منهم الا قليلا من جر ساحة
من قبل ان اخرج من دار الفور بسنة كان قد ذهب
الغزو على عادته وكان بعض الملوك استاذن السلطان
في الغزو فلما خلص من اعراب البادية دار الفور واراد
ان يدخل الفرتيت جاه قوم من اعراب البادية
واخبروه انهم شروا على امة عظيمة من الفرتيت
لم يرها غاز قط ومدحوا له في حسن رقيقهم فتوجه
اليها ومكث يغزوها اياما ورجع مغلولا ولم يكسب
منهم الا القليل فاجتمعت على بعض عسكره فاخبرني
انهم قوم جبارون ياكلون الادمي حيا فقلت له
وكيف ذلك قال لما توغلنا في بلادهم خرج علينا
من قريبة من قراهم عالم عظيم بايديهم كرابيج
طوال معوجه هكذا وهذه الكرابيج حادة الشفرة
كالموسى وخرجت نساؤهم خلفهم على رؤوسهن
القداح ملأنة بالعصيدة مغطاة وحين تلاقينا
صار الرجل منهم يهجم على الرجل منا ويضربه بالكرباج

على كتفه فحين يسيل الدم يمد يده الى زوجته فتدني
منه القدح الذي فيه العصيدة فيقطع منها لقمة
ويغمسها في الدم ويأكلها وهكذا ومتى قتلوا منا
واحدا اكلوه ففررنا منهم فقلت وما يقال
لهؤلاء القبيلة قبحها الله فقال هم المحخة والله
اعلم بحقيقة الحال لانه كما ذكرنا انهم عالم عظيم
قد سكنوا الجنوب من اول بلاد السودان من
جهة المشرق الى اخره من المغرب الى دار ملا التي
هي قاعدة ملك الفلان وهي بلاد واسعة وهولا
الفلان عالم عظيم والعجب منهم انهم كانوا احقر
اهل السودان واهل السودان كانوا يحقرونهم ويقولون
انهم اولاد الحربا اي انهم لا اب لهم معروف بل ان امهم
الاصلية نامت فجامعها ذكر الحربا فحملت منه بابيهم
الذي تناسلوا منه وهم يزعمون انهم من اولاد سيدنا
عمار بن ياسر احد الصحابة الاعلام الاجلا الفضلا
والله اعلم بحقيقة الحال واقول ان
اهل السودان انما اخترعوا لهم هذه المقالة اعني
قولهم انهم اولاد الحربا ليذلوهم بذلك لكن الحق يقال ان
هؤلاء القوم فيهم علمية ومعرفة بالنسبة الى غيرهم
من اهل السودان وهم يرون ان جميع اهل ممالك
السودان عصاة بل يكفرون بعضهم ويقولون

ويقولون انهم استحقوا الجهاد لانهم غيروا وبدلوا
في شريعة الاسلام فاسقطوا الحدود واخذوا
اتمانها اي جعلوها مالية وهذا محرم منهي عنه
شرعا وابتدعوا مظالم كثيرة واعتقدوا انها
مباحة وجاهروا بالمعاصي كالزنا وشرب الخمر
والملاهي كالغنا والرقص واضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات ومنعوا الزكاة فلا يؤدونها
واغلب هذه الامور يجب القتال على كل فرد منها
ولما قوي عزمهم على ذلك قام منهم رجل يسمى بالفقيه
الزاكي وجمع الجموع وكان رجلا معتقدا عندهم
وارسل الى ملك ملا رسولا معه كتاب يقول فيه
من عبد الله الزاكي الى ملك فلان اما بعد فان الله
حدد حدودا فتعديتموها وفرض فرائض فاهملتموها
ونهى عن محرمات فارتكبتموها وانا انهاك عن
جميع ما حرم الله ورسوله وآمرك باتباع الشريعة
الغرا بان تبطل المكوس وتقيم الحدود وتتمسك
انت واهل مملكتك بشرايع الاسلام وتتوب
الى الله مما انت لانه ليس لكم من الاسلام الا الاسم
وان ابيت فاني مقاتلك بحول الله كما قاتل
الصديق مانع الزكاة فلما وصل الخبر الى ملك
البلدة وقرا الجواب قام وقعد وقال يهددني

بالقتال هذا الفلاني ويعد دعلي هذه القبايح ويزعم
انا لسنا مسلمين ويتجرا علي بذلك لا اتركه ابدا فجهز
السلطان جيشا كثيفا وارسله اليه وامر رئيس الجيش
بالقتال حتى لا تقوم للفلاني بعدها قائمة واوصاه
ان ظفر بالزاكي فلا يقتله بل يقبض عليه حتى ياتي
به اليه ليوقفه على اقواله ويساله على افعاله ثم بعد
ذلك يرى فيه رايه فخرج الجيش وتوجه للفلاني
وبلغ الخبر للفقيه الزاكي فقال هذا ما كنا نبغي
فجمع اصحابه ومكث مكانه حتى جاء الجيش فاركب
اصحابه وركب هو على بعير تواضعا منه ولبس على
البعير وطاء الا فروة من فرو الضان وتوشح
بسيفه وصف اصحابه ووعظهم وقال لهم اعلموا
ان الجنة تحت ظلال السيوف وهولاء القوم ارادوا
قتالنا ظلما منهم لانا نصحناهم فكان جزاؤنا
عندهم القتال وقد قال الله تعالى تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين فاصبروا على قتال اعدائكم وابشروا
بالنصر والفرج لقوله عليه الصلاة والسلام لو
بغى جبل على جبل لدك الباغي فثبت بكلامه قلوبهم
ووطن على الموت نفوسهم ولاقوا جيش ملك
ملا فما كان باسرع من ان هزموهم واستولوا

على اسلابهم وخيولهم ورجع الوزير الى الملك بالخيبة
والوبال وزحف الفقيه الزاكي في اصحابه حتى حاصر
الملك فخرج في جنده واعوانه صفوة القلان على
الملك وانهزم جيش الملك هزيمة شنعا ودخل الفقيه
الزاكي ~~على الملك~~ دار المملكة فقتل من العلما واعوان
الملك ماشاء الله ان يقتل وارسل وراء الملك سرية
فجاءت به فامر بقتله فقتل وبعد ان مهد الامور بدار
ملا جمع العساكر واقام في ملا نائبا عنه وامره ان
يقيم الشرايع ولا ياخذ الا الزكاة وخراج الارض
على القانون الشرعي وان يجعل ذلك في بيت مال
المسلمين وخرج قاصدا مملكته كشنا وكان بينه
وبينها نحو من اربعين مرحلة فافتتحها بالجيش
ولم تصبه افة وسمعت به العلماء عون فجاؤا اليه
يهرعون لانه كلما حصل له من الاموال يفرقه على
الجيوش ولا ياخذ لنفسه شيا وكان في سفره
يصوم النهار ولا يقعد ساعة بغير وضوء ولما
وصل الى كشنا خرج اليه ملكها وكان قد بلغه
ما وقع بدار ملا فجمع الجموع حتى وصل اليه فراسله
الفقيه الزاكي كما راسل ملك ملا فمزق كتاب
الزاكي وسبه وخرج اليه في جيش عظيم كثيف
فنصر الزاكي عليه وقتله واستولى على ملكه وبث

السرايا

السرايا في البلاد فاستاصل جميع الاموال السلطانية
وبسط العدل على الرعايا فاحبوه وضيق عليهم
في الامور الشرعية ونادى مناديه ألا كل من سمع
المؤذن يؤذن للصلاة ولم يبادر الى المسجد فدمه
هدر وابطل الخمور والمكوس ومكث هناك ماشاء الله
ان يمكث حتى تمهدت له البلاد واقام فيها عاملا من
طرفه وجمع العساكر وقال اني آليت على نفسي اني لا اترك
ملكا من ملوك السودان الظلمة الا وفعلت به كما
فعلت بهذين الملكين ولأملأن الارض عدلا كما
ملئت جورا ثم خرج بهم الى مملكة نفه ومن
عجيب الاتفاق ان خروجه وافق خروج سعود
ابن عبد العزيز الوهابي من الدرعية الى مكة والمدينة
مدعيا ان الناس تركوا الشريعة والتزموا البدع
ولذلك هدم قباب الاوليا والصحابة التي
بالمدينة ومكة وكان له شرطي يضرب الناس
اذا اذن المؤذن للصلاة ولم يدخلوا المسجد
وحرم شرب التنباك والدخان ونهى الناس
عن قراءة الدلائل والتوسل بالاوليا والانبياء
بل لا يقول الانسان الا يا الله وكان اذا سمع
انسانا يحلف بالنبي يضربه ويقول له يا مشرك
وبالجملة فكانت عقيدة الزاكي هذا تشبه

عقيدة الوهابيين في امور كثيرة وكان غزوهما
في زمن واحد ولما وصل العقبة الزاكي الى مدينة
نفه خرج اليه اهلها صحبة ملكهم فقاتلهم وهزمهم
واستولى على المدينة وهي اعظم مدينة توجد في بلاد
السودان لما فيها من الخيرات وحسن اخلاق
اهلها وحبهم في الاغراب واهل العلم ورخص
الاقوات واسعار الحاجات وغناء اهلها لان
اكثر اهلها اهل تجارة يتوجهون الى تونبكتو والى
كشنه وغيرها ويأتون بالمتاجر العظيمة وهذه
المملكة مجاورة لمملكة مراكش من بلاد المغرب
ومما اتفق من كثرة غناء اهلها ان تاجرا حل بها
يمتحن اهلها باموال وكان معه نحو من الف
راس رقيق وخمسمائة بعير ولما دخلها جاءه
التجار مسلمين عليه ومهنئين له بالقدوم ولم
يحتفل بهم لعدم معرفته اياهم فاغتاظ منه
رئيس التجار واخفى غيظه في نفسه ولم يبده غير انه
قصد ان يغيظه ايضا فسألوه ما معه مما يباع
فقال لهم معي هذا الرقيق لكن لا ابيعه الا لشخص
واحد هو والابل والجمال والاجربة والامتعة كلها
فمن يقدر على ذلك يتقدم الي ومن لا فلا فسمعوا
منه ذلك وقالوا له استرح الآن وسيأتيك من يأخذ

منه

منك ذلك فمكث نحو ثلاثة ايام وكان بلغه ان في هذا
البلد اناسا لا يعرفون امواله لكثرتها وكان هو رئيس
التجار الذي جاءه ولم يحتفل به مع من اتاه للتهنئة
فلما كان اليوم الرابع ارسل اليه الرئيس المذكور احد
عبيده واحضرهم لديه واعطاهم مالا وكان يسمى سعيدا
وقال اذهب واشتر جميع ما عند هذا الرجل ولا تبق
معه شيئا واهل هذا البلد يتعاملون بالودع فلبس
العبد الخز ثيابا به وتوجه الى التاجر فلما رآه احتفل به
وظن انه رئيس التجار ولما استقر به الجلوس قال له
العبد اني اريد ان تعرض علي ما معك من الرقيق ان كنت
تريد بيعه فاني محتاج لان ارسل شيئا من الرقيق الى
بعض الجهات وبلغني انك تريد بيعه كله صفقة
واحدة وهذا احسن لي من ان اشتري من كل جهة
بعضا فانعم عليه له بذلك وعرض عليه احسن ما عنده
فقال له العبد اترك احسن ما عندك واقبح ما عندك
وهات شيئا من الوسط نقومه بقيمة تسري على باقيه
وكان كذلك فجاءه التاجر بعبد وجارية فاشترى
منه كل راس بستين الف ودعة واخذ يده على ذلك
وكذا الجمال والاجربة والامتعة وجميع ما عنده ولم
يبق له الا ام ولده ووعده بعد ثلاثة ايام يأتي
ويقبض المال فلما كان في اليوم الثالث لبس الرجل

افخر ثيابه وتوجه الى رئيس التجار ظنا منه انه هو الذى
اشترى منه الرقيق فدخل دارا تشهد لبانيها بالثروة
ورأى هناك ازدحام واناس كثيرين وصاحب المنزل
جالس كانه ملك من الملوك والناس داخلون عليه
وخارجون من عنده فسلم الرجل على صاحب الدار
فرد عليه السلام وتشاغل عنه ولم يحتفل به حتى قضى
جل اشغاله ثم بعد ذلك توجه الى الضيف وقال له
الك حاجة قال نعم جئت لآخذ ثمن الرقيق فقال
له وما الرقيق الذى جئت تاخذ ثمنه قال الرقيق
الذى اشتريته منى اول البارحة قال له يا هذا انك
غلطان وانا لى كذا وكذا سنة ما اشتريت رقيقا
وانما اردت انك تشترى منى فانا ابيع لك ما تريد
ولو عشرة الاف رقيق فتحير الرجل وقال للتاجر
الست رئيس التجار فلان قال نعم قال وهل يقدر
غيرك ان يشترى منى الف راس من الرقيق بادواتها
صفقة واحدة قال نعم ان لى خواص ثلاثين
عبدا تاجرا واقلهم يقدر ان يشترى اعظم مما
ذكرت فاصبر الان حتى نرسل وراء العبيد
وننظر من الذى اشترى منك ذلك فجلس الرجل
متعجبا من تلك الحال واذا بعبد من عبيد التاجر
قد اقبل على سيده وقبل يده وحكى له ان فى هذا

اليوم

اليوم اشترى من الرقيق كذا ومن الذهب كذا
ومن الودع كذا وانه يريد ان يرسل الرقيق الى ناحية
كذا والرجل الغريب باهت يسمع ولا يبدى شيئا
فلما اتم مقالته لسيده قال له سيده هل اشتريت
من هذا الرجل اول البارحة رقيقا فقال له
العبد لا والله وماذا اصنع بالرقيق وهو عندى
كثير فقال له سيده ارسل وراء اخوانك
حتى يأتوا ونسألهم ان كان منهم احد اشترى منه
الرقيق يدفع له ثمنه لانه رجل غريب ويجب علينا ان
نسعى فى قضاء مصالحه فكان كذلك وبعد ساعة
جاء كثير من العبيد وكل منهم يعرض على سيده ما اشتراه
وما باعه وسال سيدهم عمن اشترى الرقيق فكل منهم
يحلف ويقول انا ما اشتريت رقيقا حتى طال الحال
على الرجل وظن ان رقيقه ضاع فقال سيدهم
انظروا من اشترى هذا الرقيق منكم فقال
ان صدق حدسى يكون سعيد هو الذى اشتراه
لانه قد بلغنى انه اشترى رقيقا كثيرا صفقة
واحدة فقال سيدهم احضروه لعنه الله هو الذى
يفعل هذه الافاعيل فما كان الا قليل حتى حضر
فقال له سيده هل انت الذى اشتريت الرقيق قال
نعم ومن اعلمكم بذلك قالوا له هذا صاحب الرقيق

جاء يطلب ثمنه فالتفت اليه وقال له يا هذا بئس ما صنعت
جئت وشكوتني الى سيدي من غير ذنب مني هلا اتيت الى
داري وطلبت مني ثمن رقيقك واخذته بغير ان تشكوني
قم معي واقبض مالك وصار يوبخه على اتيانه الى دار
سيده فقام معه فلما وصل العبد الى داره راى الرجل
ما ابهره من كثرة الرقيق والمال ففتح العبد مخزناته
وابتدأوا يعدون الثمن ولم يبرح حتى قبض جميع المال
من ثمن الرقيق والجمال والاجربة والابر وبعد
ذلك قال له العبد اني تبت الى الله ورسوله من هذا
اليوم ان اشتري من مثلك شيئا افلستني وفضحتني
وشكيتني الى سيدك مع اني اشتري اضعاف ما اشتريت
منك وسيدك لا يعلم فعند ذلك صغرت عند
الرجل نفسه وحلف ان لا يقيم في هذا البلد وعرف
ان ماله بالنسبة الى مال اقل رجل بها ليس بشيء وحقر
حاله وخرج منها مسرعا وحكى لي رجل من اهل
فزان انه توجه الى نفه ومكث فيها اربعين يوما
فلم ير بلدا احسن منها ولا من اهلها ولا ارخص من
اسعارها ولا اكثر من خيراتها حتى انه تعشقها قال
ولما ابت مكثت في الطريق اكثر من اربعين يوما
وانا ارى نفسي فيها لتعلق قلبي بها ونرجع لحديث
الفلاني ولما استولى الفقيه الزاكي عليها استجادها

وحسنت في عينه فامر ان يبنى له فيها دارا ويجعلها
دار ملكه وقاعدة سلطنته فيتوجه الى اي محل
اراد ثم يعود اليها فمكث فيها نحو عام لا يخرج منها
حتى اراح جيشه ومهد الامور ورتب قواعد الدولة
واخذ الخراج واعطى العطايات وتوجه منها الى
غضنوا وهي المدينة المشهورة بحسن الرقيق لانه
لا يوجد احسن من الرقيق الذي يجلب منها وهذه
المدينة قاعدة اقليم وهو عمل واسع فحاربها
الزاكي واستولى عليها كما استولى على غيرها وتوجه
منها الى ادكر ومنها الى برنو كما ذكرنا ولما استولى
على مملكة اقام بها وخرج ملكها فارا بنفسه الى كانم
فتلقاه الفقيه محمد امين الكانمي وانزله هو وعساكره
خير نزل وصار يجمع له العساكر من الافاق ويرغبهم
بالاعطايات ويرغبهم بان عزمه دفع العدو عن
البلاد ويعظهم ويحرضهم على قتال عدوهم
ويريهم ان هذا الفلاني باغ عليهم لانهم مسلمون
ولم يرتكبوا محرما يوجب القتال واما ما يقوله من انهم
خالفوا الشرع واتبعوا اهواءهم انما هي علة اخترعها
ليقال انما قاتلهم على الدين وهو في نفس الامر طالب
ملك ومكث على ذلك سنة كاملة حتى جمع جيشا عظيما
ثم انه اخذ السلطان وتوجه بالعساكر الى بر برنو

بعد التوبة والاستغفار والتضرع الى الله الواحد
القهار وطلب النصر على اعدائهم الفجار ولما وصل الى
البرنو خرج لهم الفلان ووقع القتال وكان يوما
مشهودا فهزمهم جماعة السلطان واستلبوا منهم
ما يحصى كثرة وقتل الزاكي بمن بقي معه ودخل السلطان
البرنو مؤيدا منصورا ببركة الفقيه محمد امين الكانمي
المذكور وصار له الامر والنهي في جميع القواد والامرا
وجدد السلطان ما انهدم من الشرف والمجد وقد
كان سائر ملوك السودان خائفا من السلطان الفلان
ونزل الرعب في قلوبهم فلما هزمهم البرنو ثبتت قلوبهم
وذهب ما كانوا يجدونه من الخوف اهـ واقول
ان جميع ما جرى لبلاد السودان من كشنه الى برنو
انما كان بسببه الحضارة وما فيها من الترف الذي
ذكره العلامة ابن خلدون في تاريخه فانهم لما
الفوا الاماكن الجميلة والمآكل الشهية والمناكح
الحسنة وتمكنوا منها كرهت نفوسهم القتال وشحت
على الحياة خوفا من فوات ما ألفوه ورضيوا
بعار الهزيمة وفاتهم التمدح بفخر الغنيمة فان
قلت كيف تكون الحضارة بهذه المثابة مع ان
طوائف الافرنج لما عظمت حضارتها اتسعت ممالكها
واخافوا اعداءهم واشتدت شوكتهم ونفذت

على اعدائهم وطاءتهم ولو كانت الحضارة مؤدية
لما ذكر لكانوا مستغرقين ايادي سبا واموالهم واولادهم
في يد اعدائهم نهبا لانهم بلغوا الغاية القصوى من
الترف واخذوا من كل حدب وطرف قلت
نعم اما ما ذكرتم من حضارة الافرنج امر لا ينكر لكن
فرق بين الحضارتين لان حضارة اهل السودان
انما هي مقصورة على حسن المآكل والمشارب والمناكح
والمباني والفرش والاواني والمراكب والاغاني
مع الجهل بالعلوم العقلية والرياضية التي لا يتميز
الانسان عن الحيوان بدونها كالهندسة وقانون
الحرب والطبيعة والطب والكيميا وحياة الحيوان
وعلم النباتات وخواص الاشيا بل من تفقه منهم
اقتصر على كتب مذهبه فروعا قليلا وما فيها وحصل
قليلا من علم التوحيد والنحو وهذا هو الذي عندهم
يسمى عالما واذا راوا من يمارس كتب الفنون التي ذكرنا
بعضها نسبوه الى الجنون والفلسفة او الاعتزال
مع ان هذا ظلم منهم حتى ان علم المنطق الذي يصون
الفكر عن الخطا حرمه بعضهم مع ان به تقام الادلة
وتركب الاقيسة وتؤلف القياسات وتستنتج
النتايج وهذا جاء من امرين الاول عدم اعتيادهم من
اول الزمن لانهم لو كانوا راوا اسلافهم يتدارسون

هذه الفنون لم يعتنوا بها والثاني انهم اعتادوا الراحة
والمعالجة في هذه الفنون تتعب القريحة قرائحهم وتذهب
براحتهم خصوصا وولاة الامور لم يعتنوا بهذه الامور
العلوم ولا يجيزون بها والناس على دين ملوكهم ففرق
بين حضارة مع علوم حكمية باعثة على حب الوطن
والقتال عليه مبنية على شرف النفس جاذبة اليه
وحضارة ليس فيها الا لذة المآكل والمشارب والجهل
البسيط بالعلوم المذكورة فما كان هؤلاء الا بهيمة
ترعى مهما جاعت ومهما شبعت رقدت ومهما شبقت
جامعت وقصارى الامر منهم ان الانسان منهم لا يعرف
من الحرف الا الدنية او الفلاحة والتجارة مع
عدم الاتقان واما الافرنج فلتعلمهم العلوم
المذكورة عرفوا طبائع الاشيا فاخترعوا الالات
العظيمة والتحف الانيقة فترى كل ما عملوه متقنا
سواء كان من الات الحرب كالسلاح او من الملابس
كالثياب او من الاواني او من التراكيب النافعة
للامراض وعرفوا انواع السموم القاتلة واضدادها
وعلم جر الاثقال حتى ان العشرة من العشرة ربما اقلوا
ما لم تقله المائة منافاة فان قلت قد تقرر
ان الافرنج المذكورين عندنا معاشر المسلمين كفار
وحب الكفار كبيرة بل ربما جرت الى الكفر قلت نعم

ان كان حبهم من جهة الدين والاعتقاد لا من جهة
كونهم فعلوا كذا وكذا اجمل من فعلنا بل الاسلم ان هذا
حب لهم بل هو من قبيل حكاية الواقع وانا اعوذ بالله
ان اكون مائل القلب اليهم في اعتقاد او دين فان قلت
يمكننا ان نتعلم تلك الحرف والصنائع منهم اما
بالذهاب اليهم الى بلادهم او بجلب معلمين منهم
بالاجرة الوافرة لكن انما يمنعنا من ذلك ان علينا
خمسة اوقات مفروضة واذا اولعنا في تلك الحرف
والفنون ربما شغلتنا عنها مع اننا مسئولون
عنها ومعاقبون على تركها قلت لا نسلم
ان الاشتغال بتلك الحرف والفنون يلهي عن
الصلاة والعبادة بل المتدين متى جاء وقت عبادته
ترك حرفته وبادر اليها وغير المتدين سواء كان فارغا
او مشغولا لا يعبأ بالوقت ويسرف حتى تفوته العبادة
ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول وبالجملة
فالخالق جل جلاله جعل احوال العالم على حكم علمها
وجعل منهم الشجاع والجبان والمتدين والمفرط
والزكي والبليد والجواد والبخيل في كل نوع من
الانواع الا ان بعضهم يغلب على كذا دون كذا
وبعضهم له كذا ولا كذا وشابه بعض الناس
في الطباع فلهذا تجد طباع النور كطباع الترك

وبينهما مشابهة في الكلام والشجاعة والجبن والكبر
والتواضع وحب الراحة والميل الى الزينة والافتخار
والانتقام ممن قدروا عليه من الاعداء واهمال
بعض الامور المهمة والاشتغال بسفاسف الامور الا ان
الغوز فيهم بخل لا يكاد يوصف خصوصا حكامهم
واما سلوكهم فكرائم لانهم ليسوا من الغوز على الصحيح
و في الغوز طيش وعدم تؤدة وان كان هؤلاء
سود في اقليم اشنت اعنز وهؤلاء بيض في اقليم
عظيم الجزائر ونجد طبائع الوادائ تشابه طباع
الزنادية حتى في الكرا نتيه الا في البخل فان
في اكثر الوادائ كرما لا يوجد الا في العرب و في مجلس
الملك وان الامر للحكماء كلمة ارباب الشورى وهم
اهل البلد فان خالفهم السلطان سطوا عليه كما
تفعل اهل فرانسا وطبائع الباقرمه والكتكو
كطبائع الايطاليا حتى في اختلال كلامهم واحوالهم
وطباع البرقه والفلاتا والزغاوه والميدوب
كطبائع الاروام في الخيانة وعدم الأمن وفي الذل
اذا وقع في الاسر وطبائع الفلان كطبائع
الموسكوف في حب الغلبة على سائر الاقاليم
وكثرة العساكر والجنود لكن في الديانة كطبائع
السبانيول لانهم ربما قتلوا المرء على ترك فضيلة

واحدة

واحدة وطباع الكوزه وطباع البرنو كطبائع الانجليز
في التعاوة والزينة وكثرة الاموال وطباع الداجو
والبيقو كطبائع فلاحي اقليم المصري فانهم
يحبون الكسل والقذارة والاوساخ ويتحملون
التكاليف الشاقة من الحكام من السخرة واخذ الابناء
والبنات وهم لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا
بل لا خصوصية لهذين القبيلتين بل البرني والمساليق
اكثر تحملا منهم مع انهم اكثر مالا ورجالا لكن يخافون
من قعقعة السلاح كما يخاف الذئب من الغنم فتجد
الرجل من الغوز يسوق المائتين من البرني امامه بعصاه
فسبحان من هذه حكمته لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون ولنرجع الى بر العرب فنقول
سبب ارتحالي من دارفور هو ان والدي عليه
سحائب الرحمة والرضوان كان تركني في ابي الجدول
مقيما في كرته قيما على نسائه وذريته وتوجه هو
الى دار وداي قاصدا ان يتوجه الى تونس لكي
امه ويبرها ويرى اخاه ويبرد شوقه منهما
ويرجع الى بدارفور فتوجه ولما كان هذا القصد
اخذ جميع ثقله ورقيقه وتوجه صحبة اخيه
السيد احمد زروق فلما وصل الى دار وداي وجد
السلطان المرحوم محمد عبد الكريم صابون بضعه

وقف على سبب ارتحال المؤلف من دارفور

وبنوه بغدره وتلده وزارته واعلى على رؤس اهل
الدولة كلمته دعزامعه الى دار بافرمه وبلاد تاما كما
اسلفنا ذكر ذلك كله سابقا فطاب له العيش بعده
وضرب بجرانه وكان لما نوى السلطان المذكور على
الغزو والاخير المذكور ارسل الى الفقيه مالك جوابا
يلتمس منه ذهابي اليه ومثولي بين يديه وان يستاذن
السلطان في ذلك فجاء الاذن فما راعني الى جالس اذ
ورد على رجل من تجار الوادي معه جاريتان فسلم
ودخل واراني كتابا من والدي يقول فيه ان الواصل
اليك صحبته حامله جاريتان خذهما منه واحملهما
امرأتي وامرأة اخي وبناتي واقدم الي عاجلا لاني
اريد التوجه من بلاد السودان الى الوطن والاخوان
والخلان فلما سمعت ذلك شمرت عن ساعد الجد
وتجهزت في ايام قلائل وتوجهت الى الفاشر فنزلت
في دار الشريف ابراهيم ولد كتاب العشري وهو رجل
من اهل سنار اقام في دار فور مدة ولنا معه صحبة
فانزلت عيالي عنده واصبحت متوجها الى دار الفقيه
مالك وبعد ان سلمت عليه اخبرته الخبر فاعلمني انه
قد جاءه بذلك كتاب ايضا ولكن قد حيل بين الغيرد الزاد
نفذت ولم قال لان السلطان مشوش الخاطر
ولا يمكنني ان استاذنه في هذه الايام فاصبر حتى ارى

فرصة

فرصة لذلك فصبرت نحو يومين او ثلاث فما راعني
الا ومنادي السلطان ينادي في المدينة جهارا بالتجهز
للحرب والتهيئ للطعن والضرب وجاءت العساكر
افواجا افواجا وارتج الفاشر ومن حيث انا
تكلمنا على عوائد السودان وذكرنا بعضا من القصاص
اجمالا عن لنا ان نذكرها تفصيلا فنقول

فصل في قصاص الجنايات

لما كان الحق جلت قدرته وتعالت كلمته غيورا على
عباده محبا لاهل وداده فمن حبه ادر عليهم الانعامات
وجعل من احسن اليهم في ارفع الدرجات ومن غيرته
عليهم حرم الظلم بسائر انواعه وانزل علينا قرانا وامرنا
باتباعه وحد لنا حدودا وامرنا ان لا نتعداها ورتب
القصاص على من تجاوزها الى ما سواها لكن لما
كان النوع الانساني لا يمتثل الا لمن هو اقوى منه
ولا يذعن الا لمن كان اعلى درجة منه جعلت
الولاة لانصاف المظلوم من الظالم ونوع القصاصات
ليرتدع المجرم عن المآثم ولولا ذلك لسفكت الدماء
جهارا ونهبت الاموال وكان ذلك جالبا للخراب
وفساد الاحوال وهذا مصداق قوله تعالى ولكم
في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون
اذا علمت ذلك فنقول ان القصاص نوعان

شرعي وسياسي فاما الشرعي فهو ما ذكر في كتاب الله تعالى
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الاية
والقصاص الشرعي قسمان ما ذكر في هذه الاية
في القتل وكذا قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان
النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والاذن بالاذن والجروح قصاص والقسم الثاني
الحدود وهو ما ذكر في قوله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز
حكيم ومنها ما ذكر في قوله تعالى الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
وهذا في الزاني البكر واما من احصن وزنى فانه يرجم
حتى يموت وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
بمن زنى وذكر العلماء ان الرجم كان في القران ونسخت
تلاوته وبقي حكمه لان النسخ على ثلاثة اقسام الاول
نسخ الحكم والتلاوة معا والثاني نسخ التلاوة وابقاء
الحكم والثالث نسخ الحكم وابقاء التلاوة وما نحن
فيه من القسم الثاني لانه روي انه كان يقرا في القران
الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من

الله وهذان القسمان في القصاص من الخالص ومن
الحدود وما لم ينزل فيه قران ولا حكم فيه المصطفى
صلى الله عليه وسلم بشيء كحد القذف وحد شرب
الخمر وحد شهادة فاجتهد الائمة المجتهدون
فجعلوا حد القذف ثمانون جلدة وحد شرب الخمر ثمانون
ايضا على قاعدة مذهب مالك واما الحنفية فقالوا
اربعون فقط واما قطاع الطريق فحدهم القتل
كالمرتد وكذا من خرج على الامام العادل وعاث
في الارض فسادا لقوله تعالى انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من
خلاف او ينفوا من الارض ثم ما كان ادنى من ذلك
فهو تعزير باجتهاد الحاكم وبما يليق بحال المستوجب له
واما السياسي فاختلفوا فيه باختلاف الممالك
واختلاف الامم فاما الاقطار المصرية وان امنة
بل جميع بلاد العرب والترك فانهم رتبوا قصاصات
بعضها موافق للشرع وبعضها مخالف ونظروا
في ذلك لما اقتضته المصلحة فنوعوا القتل الى القتل
بالسيف كما كان في مصر ويسمونه التضبيع والى
الاستحام وهو قتل بالسيف لكن في الحبس كذلك ويسمونه
في مصر بالتقطيع وفي تونس بالتسطير والى الصلب

ويسمونه في مصر وتونس بالشنق والى الخوزقة وهو
ان يجلس المجرم على وتد من خشب او حديد يدخلونه
في دبره ولا يزال جالسا عليه حتى تنقطع امعاؤه ويموت
وهو موت شنيع ربما عاش صاحبه اياما والى
الشاميات وهو ان يؤتى باناء كبير من فخار فيملأ
بخرق قد غمست في الزفت او القطران وزيت
النفط ويفرش تحتها طبقة من تراب ثم يؤتى بمن
يراد قتله فتمد ذراعاه ويؤتى بخشبة طويلة فتمدد
على صدره وذراعيه الى ان تبلغ اطراف اصابع يديه
وتشد الخشبة شدا وثيقا ويجعل في عنقه اطواق
من حديد فيها سلاسل طويلة اربعة او خمسة ويلبس
ثيابا ممزقة ويوضع على رأسه طاسة من نحاس
ثم يؤتى بجمل فيوضع الاناء الفخار في اناء من نحاس
ويوضعان على الجمل ويشدان بالربط شدا محكما
ثم يجلس الانسان الذي يراد قتله على الاناء الفخار
وتربط اطراف السلاسل في حوية البعير ربطا جيدا
بحيث ان الانسان لا يستطيع الحركة ولا التحول ثم
يرص على الخشبة المجعولة على صدره ويديه شمع عسلي
من اولها الى اخرها ثم يسير البعير وتشعل النار في الخرق
والشمع لكن في الشمع اولا ويكون قد طلي وجهه
بالزفت والقطران ويطاف به في الاسواق عبرة لغيره

وهذه

وهذه القتلة كانت في مصر في ايام الغز وهي انكر القتلات
واشدها تحريما وافظعها منظرا واخر من قتل
بهذه القتلة في مصر فيما سمعناه امراة يقال لها حزنية
كانت تقتل النساء وهي انها رتبت لها جماعة من الفقهاء
في كل يوم خميس وليلة الجمعة يقرؤن القران ورتبت من
الشبان القاسين القلوب الذين لا يخافون الله واعدت
اناسا واعدت في بيتها جملة محال ثم صارت
تخرج في صبح يوم الخميس وتتأمل في النساء المارة
في الشوارع فمتى وجدت امراة عليها حلي كثير
تعلقت بها وقبلت يدها وسألتها بالله ان تذهب
بها الى بيتها وتجبر بخاطرها مقدار ربع ساعة
فتقول لها المراة ولم ذلك فتقول لها انه كان لي
ابنة مثلك وقد ماتت واحرقت قلبي وانها كانت
في هيئتك وشكلك وان مثلها ما تركت منها شيئا
فاسألك بالله تجبريني بالذهاب معي ليذهب بعض
ما اجده واراه من الحزن وهذا يوم الخميس وعندي
فقهاء فتجلسي وتسمعي القران وادعي لك ثم ترجعي
الى بيتك ولم تزل بها حتى تذهب معها فاذا وصلت
بها الى بيتها تجد المراة الفقهاء يقرؤن فتصدق
كلامها فتجلس هنيئة معها ثم تخرج كأنها تقضي
بعض المصالح فيخرج زوجها يدخل عليها من اعدتهم للقتل

يدخلون عليها ويبدا احدهم فمها ويذبحونها ويقطعون
لحمها ثم يرمونه في جب في البيت وتخرج تاتي باخرى وهكذا
فتاتي في اليوم الواحد بثلاثة نساء او اربع ولا تاتي
الا بالشابات وكان اخر من قتلته شابة يقال لها
عبيده خرجت من بيتها لقضاء حاجة فعثرت بها
جذبية المذكورة وتحيلت عليها حتى ذهبت بها الى
بيتها وقتلتها كما فعلت بغيرها وكان لعبيدة المذكورة
ام ولم يكن لها ولد سواها فانتظرتها مدة فلم تات
اليها فلما جاء الليل ولم تأت اليها بنتها طار عقلها
وذهبت الى الشارع وهي تصيح وتولول حتى اعياها
الامر فلما كان بالليل وهي نائمة رات بنتها فيما
يرى النائم فسألتها اين كنت ولم لا اتيت فاخبرتها
ان امراة يقال لها جذبية سكنها بالمحل الفلاني
وصفة بيتها كذا وكذا خدعتني واحتالت علي
واخذتني لبيتها وقتلتني ورمت لحمي في الجب واخذت
حليي وملابسي فقامت ام البنت من النوم وتوجهت
الى الحاكم وشكت له فاعطاها اعوانا وهجموا على محل
المراة فوجدوا الامر كما ذكر فاخرجوا من عندها
امتعة كثيرة وقتلها الحاكم بالشابات وقتل اعوانها
بالخوازيق وغير ذلك بصحة ذلك وعدمها
والى القتل بالحرق وهو ان يؤتى بشاق كتان

كثير ايضا ثم يقاد النار من عند راسه ورجليه وجنبيه
في آن واحد فيحترق الرجل باحتراق الكتان وقد
كان من جبابرة العرب من دفن الرجل حيا وذلك انه
امر بحفر حفرة عميقة فحفرت والقى الرجل فيها مكتوفا
وطم عليه التراب وجلس هو على الحفرة وامر بالطعام
فحضر واكل حتى اكتفى هو واصحابه فانظر الى قساوة قلب
هذا الجائر كيف تهنا بالطعام وقد وضع في الحفرة
ادميا من نوعه والى التهريس كما يصنع في تونس
والى التهريس كما وهو ان يكتف الذي به ذلك ويجعل
في هون كبير له اربع ايدي ثقيلة كالتي يهرس بها البن
في مصر وتاخذ الرجال تلك الايدي وتهرسه حتى يصير
لحمه مهروسا ومن ابدع ما سمعت من التفنن في القتل
ان مولاي اليزيد ملك الغرب غضب على يهودي
وحلف بان يقتله قتلة ما قتل بها احد قبله وشاور
ارباب دولته في ذلك فكل اشار بما سنح له من
الراي فلم يعجبه من ذلك شيا ثم اطرق مليا وامر باحضار
بتية فاحضرت وامر باحضار نجار ومسامير كثيرة
فاحضر كل ذلك وأمر النجار ان يدخل المسامير كلها في جوانب
البتية وان يجعلها صفوفا وان تكون من داخل
كشوك جلد القنفذ ففعل ثم احضر اليهودي مكتوفا
وادخل في البتية وسدت وسمرت ثم امر بتدحرج

قد درجت مرارا ثم نحت نوجد لحم اليهودي قد صار قطعا
صغيرة كاللحم المفروم ومن انواع القتل التبحير وهو القاء
الانسان في البحر بعد ان يجعل في غرارة فيها حجر ثقيل
ومن انواعه الخنق وهو يكون لبعض محترمين ومن
انواعه سقيا السم وهو لمن يخشى غائلته ويكون ذا
شوكة ومن انواع القتل القتل صبرا بان يحبس الانسان
في محل ويترك بدون طعام وشراب حتى يموت ومن
انواعه القتل بالرصاص او المدافع وهذا اسهل لازهاق
الروح ومن انواعه القتل بالضرب بالكرباج او العصى
حتى يموت ايضا واما الحدود الشرعية فقد ضاعت
فلا توجد الان وبعد زمن قريب كان منها قطع يد
السارق وقد بطل الان واستحسن اللومان عوضا عنه
واما اهل السودان فقد اهملوا الحدود بالكلية وباعوها
بالفروض خصوصا اهل دارفور فانهم يأخذون
عوضا عن حد الزنا ومن قصاص الشجاج عروضا
وليس عندهم شيء موافق للشرع الا قصاص القتل
في بعض الاحيان واما القصاصات السياسية
فكثيرة عندهم وان لم تبلغ في الكثرة ما ذكرناه في بر
العرب لكن اكثر قصاصهم بالحبس والضرب
فيحبسون المجرمين في محل غير مسقوف ارضه تراب
وحيطانه شوك ويجعلون القيود في ارجلهم والاغلال

في ارجلهم اعناقهم والموكل بالسجن الطواشية رئيسهم
منهم والخدمة رجال ويشغلون المحبوسين في دبغ
الجلود وكل انسان يعطى جلد بقرة او جلد بعير
وقرضا واناء من فخار واسعا ويضرب له اجلا فان لم
يتم دبغ الجلد الذي اعطي له في تلك المدة اوذي
ابلغ الايذا وهذا السجن لعامة الناس اما الاشراف
الامرا واشراف الناس فيحبسون في محل ولا يكلفونهم
من العمل شيئا ومن اقبح ما عندهم ان لا يطلقون
المسجونين الا بالضرب بالسياط ويبنون عليهم
وكل صاحب نوبة لا بد لهم ان يضربهم فيسمع لهم
ضجيج عظيم ومن امر بتأبيد سجنه جعل في رجليه
فردة قيد كل فردة منه مثقوبة الحداد ويجعل في كل
ثقب مسمارا ويبرد عليهما بالمبرد فلا ينزع الا بالموت
بان يأتي الحداد ويبرده بالحديد بالمبرد حتى ينقطع
واما الامرا الكبار كاولاد الملوك والوزرا العظام
اذا غضب السلطان على احد منهم سجنه في مغاير
الجبال الذي كنا تحدثنا عنها سابقا حين ذهابي الى
الجبل والنور والقصاصات السياسية انواع
منها ما يسمونه برنكابو وهو ان السلطان اذا
غضب على انسان قال لاعوانه برنكابو ومعناها
بالعربية اكسروا البطيخة فيرفعون على يديهم الرجل

الى اعلى و يتخلون عنه فينزل الرجل على ام راسه او على
عجزها ويفعلون به كذلك مرارا حتى يموت ومنها الشبح
وهو ان الملك اذا غضب على انسان استوجب قصاصا
ولو في زعمه قال لاعوانه اشبحوه فيذهبون به
الى شجرتين متقاربتين ويكونوا حفروا حفرتين صغارتين
عميقتين وادخلوا في كل واحدة خشبة وردموهما
وثبتوهما وربطوا الخشبتين في يد الانسان في الشجرتين
حتى لا يستطيع الحركة ثم ياتون بفروع كثيرة من
شجر يقال له اللون منتن الرائحة ومن فروع ذات
شوك صغير معوج كالسنانير الصغيرة فيزيلون
من شوكها مقدار ما تقبض ايديهم ثم يتناولون
المشبوح بالضرب حتى يموت او يقرب من الموت
واما قصاص من قتل قتيلا وثبت ذلك عليه
اما باقراره او بالبينة فان ولي المقتول هو
الذي يتولى قتله بنفسه فيطعنه بحربة في منحره
واما السن والانف واليد والشج مطلقا فقصاصها
في دار فور المال فانه يدفع لمن فعل به ذلك شيء
قد اصطلحوا عليه واما اهل الوادي فالقصاصات
الشرعية جارية عندهم وقصاص السلطان
بالقتل او الضرب او الحبس الطويل واما القتل
اذا اراد السلطان قتل انسان لذنب فعله قال

لطائفة

لطائفة من اعوانه تسمى الكورتو خذوه طقتوه فياخذونه
الى فضاء متسع امام دار السلطان فيتناوبونه بعصى
فصار غليظة الراس كالدبابيس فيضربه احدهم
ضربة على ساحل قفاه فاذا اقام الرجل هكذا ارتفع راسه
من حرارة الضرب ضربه واحد اخر على مقدمه براس
عصاه فلا يتحمل الانسان منهم اكثر من ثلاث ضربات
ومن العجب ان السلطان اذا امر بقتل جماعة دفعة
واحدة ترى كلا منهم يقدم نفسه للقتل قائلا انا اول
انا اول كما يتقدمون على شيء نفيس واما الضرب فعندهم
سياط عراض كالزخم المعروفة الان في العرض والسمك
الا انها جلدة واحدة من جلد الجاموس الوحشي او الحيوان
الكركدن المسمى بالخرتيت او ابي قرن فتراها
قبل الاستعمال لها يابسة خشنة اذا ضرب بها
الانسان سوطا واحدا يتبع الدم من محل الضرب
فاذا ضرب الانسان بها مائة او الفا حتى مات
لا يبالوه وهذه عادتهم لقساوة قلوبهم واما الحبس
فانواع منها من يؤمر به فيجلس امام شجرة ويجعل
ويجعل جذرها بين رجليه ويقيد من خلف الشجرة
بقيد فيمكث كذلك ما شاء الله ان يمكث حتى تاتيه
عناية ومنها من يوضع في رجليه قيد قطعة
واحدة بغير حلق يسمى عقربا وصورته هكذا

ومنها من يوضع في رجليه القيد وفي رقبته الجنزير ويسجن
في محل غير مسقوف ومنها وهو اعجبها سجن الخط وهو ان
يقال لمن اريد له السجن ان السلطان حبسك في هذا
الموضع فيمكث فيه من غير قيد ولا سجان ولا حبس حتى
تاتيه شفاعة وهذا صاحب الذنب الخفيف ومثل
ذلك ما اذا كان لاحد على اخر حق وقابله في محل
وطالبه بحقه فاعترف وماطله فانه يتركه جالسا
وياخذ حربة ويخط بها حوله دائرة ويقول له انشدك
ورسوله والسلطان وام السلطان والنفعا سياد الدار
ما تخرج من هذه الدائرة حتى تعطيني حقي فيلتزم
الانسان ان يجلس في ذلك الخط حتى يتوسل الى
صاحب الحق بمن يشفع عنده ويطلقه وان لم
يطلقه يبقى كذلك ولو مدة حتى يخلصه وان خالف
وخرج واشتكاه صاحب الحق فاخبر الدولة بذلك بحث
عنه اينما كان ويجاء به ويقاصص قصاصا
شديدا وان ادعى رجل على اخر وخطط عليه ولم تثبت
الدعوى يقاصص المدعى فمن ذلك لا يمكن احد ان
يخطط على اخر الا بعد ثبوت الدعوى بحيث لا يخشى
غائلة ذلك واما الجنايات فاحكامها قريبة
من احكام الفور وما ذكرناه من قصاص الجنايات
في الفور فمن احبل امراة او ضرب اخر فشجه تاثر

في دار الفور كلها الا القليل في الفور الجالية كتيموكرو والكراكريت
فانا قد ذكرنا ان الرجل لا يتزوج امراة حتى تلد ولدين
او ثلاثة قبله في الحرام ولا قصاص على الفاعل ولا
المفعول بها بل تتباهى النساء بذلك والاولاد التي
تحصل تنسب الى اخوالها كما تقدم ذلك مفصلا
ولله في خلقه اسرار فهو الذي اقام كل اناس في اقامة
لا يرضون بغيرها وقد عن لي ان امسك
عنان القلم عن الجريان في ميدان الحديث عن بلاد
السودان واحوالها وعوائدها واذكر سبب
انتقالي من السودان الى تونس ومنها الى مصر ومنها
الى الحجاز ومنه الى مصر القاهرة ثانيا ومنه الى المورة
ومنها الى مصر ثانيا واذكر ما انشدته من الاشعار
مدحا وما نمقته من الرسائل نثرا او نظما سواء كان
في تهنئة او تعزية او محاورة او جواب سؤال
كما ياتي مبينا ان شاء الله تعالى واعقد لكل من ذلك
فصلا مستقلا لتكون رحلتنا هذه عظيمة الفائدة
كثيرة العائدة كالجليس المؤانس

فصل

في ذكر التجارة وذكر ما يتجر به • اعلم ان المغني على
الاطلاق المنزه عن الانتفاع والارتزاق
لما كان غنيا مستغنيا عن كل ما سواه ومفتقرا اليه
كل ما عداه نظر بعين الرحمة اليهم وادر انعاماته

عليهم ومن رحمته انه جعل فيهم المالك والمملوك والغني
والصعلوك وخص كل اقليم بما لا يوجد في غيره وربما
وربط الاسباب بالمسببات والهم الناس من طرق
رشادهم وما فيه صلاحهم وفسادهم فانقسمت
العالم الى اقسام جليه حسبما تعلقت بذلك الارادة
العليه فكان التجار من القسم الوسط الذي ليس على
صاحبه شطط ولولا التجارة لم تتمتع الناس ولا
حصل لهم هذا الاستيناس كيف وهي حرفة كان
من جملة اهلها خير الانام عليه افضل الصلاة
والسلام فقد روي بالاسانيد الصحيحة انه
سافر في تجارة خديجة ام المؤمنين الى الشام ولم
ينكر ذلك احد من اهل الاسلام ووردت عدة
احاديث في مدح التجارة الخالية عن التدليس
والغش والخلابة كما روى ذلك عدة من الصحابة
فلهذا تجد في كل اقليم من انتدب لهذا الجزء والامر
الجسيم ومن جملة ذلك اهل السودان فانهم لما
كانت بلادهم خالية عن الامتعة الجميلة والبضايع
الجليله وعندهم ما يحتاج اليه اهل المدن العظيمة
من الخيرات العميمة انتدب من كل اقليم لهذا
الامر المهم اناس ودخلوا في سلك اهل التجارة
ليكون لهم من الخير التماس فجلب تجار دار الفور

منها الرقيق والصمغ وسن الفيل والتمر هندي وحبة العين
المسمى في مصر بالششم والنبق الكرنو والتبلدي والجلود
العظيمة التي تصنع مزادات المعبر عنها في مصر بالروايا
وريش النعام بنوعيه الابيض والاسود وفي كل مما ذكر له
طلب في الامصار فاما الرقيق فهو مما لا تستغني عنه
اهل المدن وهو اعظم ما يتجر فيه هو وسن الفيل وريش
النعام والصمغ والتمر هندي وهذه بضاعة الاغنياء
منهم وما بقي يتجر فيه فقراؤهم واما البضايع التي تروج
عندهم فهي كثيرة جدا واكثرها مما لا يعبأ به اهل المدن
ويرون ان نفعه قليل فمنها المنصوص وهو كهربات
اصغر مختلط في الحجم فمنه كبره واحد ومعنى كبرة واحد
ان السبحة منه تزن رطلا وهو مستدير سعفرطح خرز
يجعلنه النساء في عقودهن هو اعلى ثمنا من غيره ولا يلبسه
منهن الا بنات الاكابر وبنات الملوك وما قاربهن
ومنه كبرة اثنين وهو ان السبحتين منه يزنان رطلا
وهو اقل من الاول ثمنا ويلبسه نساء اواسط الناس
ومنه كبرة ثلاثة وهكذا ومنها الريش وهو خرز مستطيل
كانه المرمر فيه خطوط وهو مستدير وربما وجد منه
ما هو كروي واعلا منه السوميت وهو خرز رفيع
مستطيل اسمر اللون فيه خطوط بيض وهذا يلبسه
نساء الملوك وبناتهم وربما بيعت الخرزة منه براس

من الرقيق وان كثر فبراس وقد كنا ذكرنا ذلك في حلى
السودان وزينتهم ومنها المنجور وقد كنا ذكرناه وهو
خرز كبير مستدير يجلب من الخليل تجعله النساء في اوساطهن
فتجعل المراة منهن في وسطها سبع حبال او خمس وهو
ما بين اخضر واصفر واسود منكت والاسود يسمونه
المناهرة واغلا منه الخرز المسمى رقاد الفاقة وهو خرز
اكبر من المنجور وانعم منه وادق صناعة فلذلك يلبسه
نساء الاكابر ويلبس المنجور نساء اواسط الناس
ومنها الخرش وهو خرز صغار ما بين اخضر وازرق
واصفر يتعاملها اهل كوبيه ويلبسه نساء الفقراء
في اوساطهن اذ لا يقدرن على شراء المنجور ومنها
المرجان وهو عندهم نوعان العقص والمدردم ولا
يعرفون من انواع المرجان سواهما فاما العقص فهو خرز
مستطيل وهو كالمنصوص في النمر ومنها الغا وهو
مرجان صناعي وهو على نوعين ايضا طويل ومدردم
والمدردم هو الكروى والغا والمذكور رخيص ولرخصه
يلبسه نساء الفقرا هو والمرجان الحقيقي ينظم مع
المنصوص والريش او السوميت ويجعل عقودا تلبسها
النساء في اجيادهن ومنها دم الرعاف وهو خرز احمر
كالدم يجلب من بلاد الافرنج وهو من زجاج وحبه على
نوعين مستطيل ومدردم وكل منهما دقيق وهو رخيص

تلبسه

تلبسه نساء الفقراء في عقودهن وفي تمائمهن وفي اذرعتهن
وتسمى الواحدة مدرعة ومنها الطرابيش ولا ياخذون
الذي فيه طول وبعض ضيق ليكون على الراس كالطرطور
ومنها الثياب البفته الرقيقة المسماة في مصر بالمدراسي
فان الجلابة ياخذونها والطاقة ستون ذراعا
فيقطعون كل طاقة ثلاث قطع كل قطعة عشرون
ذراعا ويصبغونها ويذهبون بها الى هنالك
فيبيعون كل قطعة براس رقيق الالاجة الكسارى
وهي اردى الالاجات وتسمى عندهم بالنخوتارى
فيقطعون الالاجة قطعتين كل قطعة يسمونها ترنا
تلبسها نساء الاكابر على صدورهن وتباع القطعة
منه بنصف راس رقيق اعني بثمن نصف راس رقيق
ومنها الشواتر وهي المسماة في مصر بالعبات وهو قماش
غليظ من قطن في اخر كل قطعة منه طرز عريض احمر
تباع القطعة منه بتسعة غزوستر او عشرة تجعلها
اهل مصر بطانة المراتب لجلوسهم ونومهم وبطانة
لألحفتهم فيصبغونها الجلابة ويذهبون بها الى
دارفور فيبيعون كل ستة منها براس رقيق ان كان
الرقيق غاليا ولقد ادركته في الزمن الذي كنت فيه
هناك ان ثلاثة شواتر براس رقيق ومنها الجوخ
الاحمر الخشن القبيح الذي لا يلبسه في مصر الا رعاع

لرخصته فياخذونه ويباع للملوك ليجعلونه لبوستا
لخيلهم ومنها الحمير فان الحمار المصري هناك يساوي شيا
كثيرا فان كان عظيما جدا ربما ابيع بعشرة رؤس
من الرقيق ومنها السنبر والمحلب وخشب الصندل
والصغر والشبه والمرسان والقرنفل وكعب الطيب
والبن والصابون وجميع ما ذكر يدق ويجعل في الدهن
الذي يتطيب به ومنها النحاس الاحمر وهو المسمى
في مصر بالقراضة وهو كل نحاس بطل استعماله
فلا يستعمل الا بعد صوغه ثانيا كقدر ذهب وهذا
النحاس عندهم له ثمن عظيم يصنعون منه الخلاخل
لكن باضافة لبعض الخارصين عليه لينقلب من
الحمرة الى بعض صفرة وتصاغ منه الدمالج وهي التي
تباع في دار ركنا كل اربعة دمالج ونحو رطل من الملح
براس رقيق ومنها الشبابك الاصفر وهو الواح الصفيح
ثم هي غالية الثمن في دار فور يجعلونها في وجوه الخيل
فالامير الذي ليس لفرسه ذلك لا يعبأ به ومنها السلك
الاصفر تاخذه الامرا ويلوونه على اعواد حرابهم
زينة واهل فرادجية يصنعون ذلك في الحراب بكيفية
جميلة فالسلطان وارباب الدولة يجلبون من
فرادجية اهل الخبرة بذلك فيلوون لهم السلوك
المذكورة على اعواد حرابهم ومنها القصدير ومعاملة

اهل الفاشر بخواتيمه كما ذكرنا ذلك في فصل معاملتهم
ومنها الخذ ور وهو الحجر خرز مستطيل احمر وابيض
وازرق لا يلبسه في دار الفور الا الخدم ومن لا يقدر
على غيره وانما ياخذه التجار ليبيعوه في دار ركنا وفراجيب
ودار بيكا وجبل شان فهناك تلبسه نساؤهم
ومنها الكحل الحجر المسمى بالاثمد في ناحية العرب وهو
حجر ازرق براق يسمى بلغة الكيميا وبين كبريتور
الانتيمون ومنها الابر وهي وان كانت بضاعة
مزجاة لكنها في دار فور لها قيمة فقد تباع الالف
ابرة براس رقيق ومنها امواس الحلاقة لان الامواس
التي تصنع في دار فور حديدها ردي قليل النفع
اذا رايت الحالق يحلق بها كانما يسلخ راس المحلوق
ومنها السروج واللبد التي تحتها ولا يركب عليها الا امراء
الناس ومنها الركابات الطويلة التي كانت تركب بها
الترك سابقا ومنها الدروع والسيوف المعتدلة
والمعوجة لكن المعوجة لا يتقلدها الا السلطان واما
المعتدلة فهي التي يتقلد بها الامرا ويجعلون لها
قبضة من فضة وفي راس القبضة انتفاخ على هيئة
كرة فارغ البطن يجعل فيه بعض حصيات فاذا اشتد
عليهم احد بسيفه وهزه في يده شخشخت الحصيات
داخل ذلك الفراغ ويجعل الامير منهم على سرج فرسه

سمعين وربما طلى القبضة بالذهب ويسمون الذى
قبضته كذلك ابو تومه وكذلك الانتفاخ براس
النوم ولا يكون الا لامرائهم العظام واما الامراء
الصغار فربما عملوا القبضة وانتفاخها من نحاس
ومنها الورق للكتابة وهو مطلوب عندهم ومن احسن
ما يتجر فيه فى السودان الربال الغزانسا المسمى ابو مدافع
فو نعلم حتى يباع الراس الرقيق بعشرة ربال او بثمانية
مع قلة المؤونة فى الحمل ومنها كبريت العمود فانه يطلب
مع رخصه هنا فانه غال هناك ومنها كتب الفقه
والحديث فان مكسبها عظيم جدا وكانت الجلابة سابقا
ياخذون الملايات الحجازى لامرائهم ملاحف والان
عندهم وصاروا ياخذون الالاجات فيجعلون
الالاجه شقتان ويحبكون طرفيها ويجعلون لكل
طرف هدبا طويلا وهو المسمى عند الملوك بالفيرا اذا
ولى السلطان احدهم اعطاه فيرا واذا عزله اخذه
منه والان صاروا ياخذون من الشيت المقلم الذى
على هيئة الالاجه فيجعلون كل طاقة اربع قطع
ويجعلون اطرافها ويزوجونها كما كانوا يفعلون
بالالاجه وقد تؤخذ الدوايات النحاس للفقهاء
عندهم والمقاشط والمطاوى ويؤخذ الشاش
لعمائمهم كما تؤخذ بعض المراكيب وبعض البوابيج

لكن هذا كله بالوصية او على سبيل الهدية وجميع ما ذكر
يجلب من مصر الى دارفور ما عدا الريش والسوميت فانه
يجلب من الحجاز ويتوجه به الى دارفور من طريق سنار
وكذا خشب الصندل واللبان والسنبل والمحلب
واهل الواداى كذلك الا ان اهل الواداى لم يتمدنوا
ويتوغلوا فى الاشيا كما توغل اهل دارفور لان السلطان
ما نعهم من ذلك فان الحضور الذى لا يلبسه فى دارفور
الا النساء فقراء الناس يلبسه فى بلاد الواداى اعظم نساء
الاكابر والسروج المصريه واللبد محرمة على بلاد الواداى
ولا يركب على مثلها الا الملك وقد قدمنا ذلك مفصلا
فلا يروج فى دار الواداى الا الخذور والنحاس
والمرجان بنوعيه والريش ودم الرعاف وثياب
البفت والملايات وكذا ما ذكر من انواع الطيب والدروع
والسيوف والتنك لكن الابيض لا الاصفر وكل ذلك
يذهب اليهم من جهة فزان ودار واداى تزيد على
دارفور بانها تجلب الحرير اعنى الذى يخاطبه فانهم
يطرزون مدورات بهم البيض بالحرير الاحمر والاصفر
والازرق وهذا لم يكن عندهم وانما القوه من البافرما
ويجلب للواداى التكو والمقودانى من بلاد البرنو
وهى ثياب سود عرض الشقة منها نحو فتر اطيب
لكن تجلب مخيطة ويجلب اغلب بضائع الواداى من فزان

وفي النادر من دارفور واندر منه من برنو واما الحميـر
في دارواداي فلا يركبها احد خصوصا في وارة التي هي الفاشر
فان تجلب لدار الفور خرز طوال طول الخرزة نحو ثلاثة
قراريط او اكثر ابيض واسود يسمى الشوزر وهو خرز
منظم في خوص كخوص الدوم او فتل كالحلفا تجعل
نظمه النسا بان يجعلن بين كل خرزتين حمرا وسودا
مرجانة من المرجان الكروي الحران كانت غنية ومن
الفاو وهو المرجان الصناعي ان كانت فقيرة او من
دم الرعاف وبعض الاغنياء يجعلن فيه منصوصتا
من الخرزة الثالثة وهذه المدارع ربما لبسها الرجال
اي الشباب وذلك ان الشاب اذا احب صبية او احبته
وصار كل منهما لا يصبر على فراق الاخر اخذ كل منهما
شيئا من ملبوس صاحبه فهي تاخذ منه خاتما او تاخذ
منه كدمولا والكدمول المذكور شقة من قطن عرضها
نحو شبر وفي طرفيها اعلام من الحرير الاحمر عرض العلم
نحو قيراط او اكثر بقليل وبين كل علمين نحو اربع قراريط
وطول الشقة المذكورة نحو ثلاثة اذرع وهي اشبه
بتكة السراويل فاي شاب اتخذ كدمولا واكثر حريره
واعطاه الى حبيبته هو الممدوح تفتخر بذلك الكدمول
واما هو فيأخذ منها المدرعة ويجعلها في ذراعه ويفتخر
بها ايضا نكتـــه حين وصلت الى دار فور

وجدت لوالدي سريتين احداهما محظية وفي يدها
مفاتيح الامور ولها الامر والنهي فمن احبته احببته
والدي ومن كرهته كرهه وذلك لحبه فيها فاتفق
لها انها ذات يوم جلست تنظم عقودها ومدارعها
هي وبعض الجواري وجئت انا ودخلت عليهن وجلست
عندهن هنيئة فاتفق ان جاءت صبية من بنات العرب
من جيراننا باناء فيه لبن هدية فقدمتها السرية من
الجوار فامرت ان يوضع في محل داخل ويغطى حتى يحضر
والدي ويراه فدخلت وانا يومئذ شاب بردعة
الشباب وشربت من اللبن حتى اكتفيت ولم ابق منه
الا القليل فاغتاظت مني لما فعلت وخصوصا التربيب
مكروه فصادف الامر ان غابت مدرعة من
مدارعها وكانت قد تغطت بالتراب فبحثت
عليها فلم تجدها فسكتت حتى جاء والدي واخبرته
وقالت له ولدك اخذها واعطاها للصبية التي
اهدت لنا اللبن فقال لها ولدي لم يأخذها
ويعطيها لها قالت لانه عشقها ثم قالت له هذه المرة
اخذ المدرعة ومرة اخرى يأخذ عقدا والله يشهد
اني بريئة مما نسبته اليه من ذلك كله فاغتاظ
والدي وظن صدقها ولم يخاطبني بشيء فبتنا تلك
الليلة ولما اصبحت لم اشعر الا واذا بمي زروق

ومعه عبدان اسودان من كبار العبيد ومعهم قيد غليظ
وقال لي عمي يا فلان ان اباك امر بتقييدك بهذا
القيد مدة رحلتك فلم يمكنني ان اراجع اباك الا بالامتثال
الا اني قلت وما ذنبي حتى اقيد فقال لي ذنبك انك
اخذت المدرعة واعطيتها للصبية فحلفت اني
ما رايتها فلم يصدقوني ووضعوا القيد في رجلي وتركوني
وانصرفوا وبقيت يومي كله جالس في محل نومي لا اخرج
منه وانا ابكي واتى لي بالطعام فلم اطعم منه شيئا
وبقيت كذلك يومين وفي صبيحة اليوم الثالث
جاءني عمي وقال لي ان اباك يقول لك ان لم تظهر
المدرعة بالمورد فضربك ضربا وجيعا وانكل بك
واجعلك مثلة بين الناس فزاد حزني وتوسلت
الى الله بنبيه ان يخلصني من هذه الورطة وندمت
على مجيئي بلاد السودان وبقيت يومي ذلك في غاية
من الحزن ولم اقطع البكا ولا الدعا والتوسل الى الله
بنبيه ان يظهر براءتي فلما كان عند المساء اقبلت
على جارية من الجواري وبشرتني بان المدرعة وجدت
مغطاة فحمدت الله على ذلك وزال عناءي
ووالدي اذ ذاك لم يكن في الدار فلما كان بعد
المغرب اقبل وحين دخل الدار لم يكن لهم الا انه
ارسل الي عمي بمثل ما ارسله في الصباح وهي تسمع

ثم

فلم تنزل وجدناها بل استمرت ساكتة ظنا منها
اني لا اعلم بلقيتها فجاءني عمي وقال لي ما ارسله به والدي
فقلت او ليس انهم وجدوها فقال لا اعلم فقلت قد
وجدوها وجاءني من بشرني بذلك فرجعوا واخبروا
والدي بلقيتها فقال لها حينئذ احق ما يقول
فقالت بحزن وبرد لقيناها لكن هو الذي ارسلها
مع احدى الجوار وطرحها هناك لاننا بحثنا في ذلك
الموضع مرارا فما وجدناها فلو لم يطرحها طارح من
اين تاتي فدعا والدي بالجوار كلهن وسالهن وشدد
عليهن وقال لهن ان كان اعطاها لواحدة منكن
وطرحتها فلتقر وعليها الامان والا ضربتكن اجمعين
حتى تقلن الحق فحلف الجواري كلهن انهن لا يعلمن
من ذلك شيا وانهن ما طرحناها ولا رايناها الا
في ذلك المحل مغطاة بالتراب فلما يئس منهن اطلقهن
وبت تلك الليلة مقيدا كما كنت فلما اصبحت اذا
بعمي والعبدين السابقين قد عادوا وفكوا القيد من
رجلي وتركوني ومضوا فلبثت مكاني وبكيت على
حالي وكيف قيدت كالعبيد الخائنين وبينما انا كذلك
اذ جاءني عمي ببقجة فيها ثياب فامرني بنزع ما علي
والبسني ما في البقجة وهي ثياب فاخرة فيها
ما عدا القميص والسراويل قفطان قطني وجبة جوخ

خضرا جديدة وشال كشميري اخضر وطربوش وعمامة
وحزام. وبعث سوداني كنفاش اهل مكة وقال لي كلم
والدتك فانه يدعوك فتوجهت معه اليه وقبلت
يده وحين التقبيل سقطت دموعي على يديه بغير
ارادة مني فرآني كبر عليه فقبلني بين عيني وقال
لي احمد الله الذي انا فعلت بك ذلك ولم يفعله بك
حاكم او اجنبي وعرض في رتبة لديه ثم بعد
ايام ادعت انه ضاع لها عقد وانه لم ياخذه غيري
فقال لها يا هذه اتقي الله فقد اتهمناه عن قريب
فظهرت براءته اتجني على عقدك ولعلك تجدينه
كما وجدت المدرعة فحلفت انها بحثت غاية البحث
فلم تجده وصممت على اتهامي فبينما هي تتحدث معه
في ذلك اذ اقبلت احدى الجواري بالعقد وقالت
ها هو وجدناه في المحل الفلاني فاستشاط والدي
غيظا وقال لها تتهمي ولدي بالكذب اولا
وثانيا ومنه جالنا وانت لا عدو لك سواه فقال
لها لم تضع لنا حاجة قبل مجيئه وما ابتدأت
حاجتنا في الضياع الا بعد مجيئه فاغتاظ لذلك
وقال لها تدخلين الكراهة بيني وبين ولدي
وكلما انهاك لا تزيدين الا بغضا ثم غضب
وقال يا زروق هات العبد فلم يكن باسرع

من ان حضر والعبد معه فقال قيدها وديها تذهب
للمطبخ مع الجواري ان هي الا جارية مثلهن فلما رأت
منه الجد بكت وانتحبت وصارت تتضرع اليه وتقبل
قدميه فابى الا ان يقيدها وهي تبكي وتستغيث
وصار عمي يشفع ويقبل يد اخيه فما سمع قوله وتركها
الا بعد جهد وعناء ثم انه حلف ان تعرضت لمحبوب
او كذبت علي لينكلن بها فتابت من ذلك الوقت
وانصلح امرها معي واظهرت لي المودة العظيمة
حتى سافرت معه ولنرجع الى ما كنا بصدده
من التكلم على التجارة فنقول احسن ما يتجر فيه
من بلاد الفور نواد اي النحاس الاحمر لانه هو
ذهبهم من الخلاخل ومنه الدمالج ومنه الاخزمة
ويباع في دارفور بيعا جيدا كل ثلاثة ارطال
بعبد او جارية وفي بلاد الفور ثمانية ارطال
بسداسي وان كثر فقدره ولا يتجاوز ثلاثة عشر
رطلا ابدا ويليه الخرز الصيني ويليهما الريال الفرانساوي
والتنك الاصفر المسمى بالصفيح واما باقي ما ذكرناه
فيباع الا انه غير مرغوب كما ذكرنا هذا ما يتجر فيه
الجلابة واما العرب الرزيقات وامثالهم
فيتجرون في السمن والبقر والجلود والعسل فيجلبون
منه الى دارفور شيئا كثيرا ولولاهم لكان الرطل

من السمن برنته فضة ولا يجدونه واما عرب الزبادية
والربغات والزغاوة فيجلبون الملح من الزغاوى
الى دارفور ~~فقد يباع الكيل الملح~~ ولولاهم لماتت
اهل دارفور من عدم الملح فان الملح في دارفور
عزيز جدا وفي دارسلا وفتنقر وردكا اعز فاما
في دارفور فقد يباع الكيل الملح بمثله عشرين مرة
من الدخن هذا اذا كان الملح قليلا فان كثر فيباع
بمثله خمسة عشر وان كثر اكثر من ذلك يباع بمثله
اثنى عشر مرة ولا اقل من عشرة واما ملح بلاد الميدوب
فذلك للامرا واضرابهم وانتج ملح يوجد على ظهر
الارض هو ملح الزغاوى لانه مختلط بتراب فاذا
وضع منه في الطعام شيء كان فيه تراب ولهذا
اكثر المترفهين يذوبونه في الماء ويصفون الماء
عنه ويرمون التراب لانه يرسب في قعر الانا واما
لو وجد عندهم ملح كملح رشيد او ملح تونس لتقاتلوا
عليه بالسيوف وقد تقدم اننا ذكرنا ان بعض
اهل الجبل بدارفور يصنعون ملحا ويسمونه
بالفلقو ويجعلونه على شكل مستطيل وبه يبيعون
في الاسواق فتلخص من ذلك ان الملح في دارفور
ثلاثة اجناس اعمها واكثرها وارداها ملح
الزغاوى واندرها واحسنها ملح الميدوب

واوسطها

واوسطها كثرة ونفعا الملح الفلفو ومع ذلك
لا يجب الملح الا الاغنيا واما اكثر الفقرا فيملحون
اطعمتهم بالرماد وهو انهم ياخذون الرماد ويجعلونه
في اناء مثقوب ويصبون عليه الماء فيقطر الماء من
الثقب قليلا فياخذون ما قطر منه ويجعلونه في الطعام
وقد ذقته فوجدت فيه مرارة ولا يكاد يستسيغه
انسان ذاق الملح ويسمون الماء المذكور بالكنبو
وهو ملح الفقرا واما الملح الفلقو فقد ذكر لي بعض
من راهم يصنعونه انهم ياخذون ترابا خاصا
من محال معروفة عندهم ويجعلونه في انية واسعة
ويغمرونه بالماء كما يفعل في ملح البارود ثم يصفون
الماء في اناء اخر مصنوعة فيه تقاعير على هيئة
قوالب ثم يترك ونغه حتى تتصاعد منه الرطوبة
ويبقى الراسب في الحفر المذكورة فيجف ويخرج على
هيئة اشكال هرمية واذا تاملها الانسان
يجدها مبلورة بلورات غير منتظمة لكنه ملح
غير شفاف اسمر اللون لكن طعمه جيد وقد ذكرناه
سابقا بابسط من هذا فراجعه ان شئت
واما الصناعات فاهل السودان خصوصا
اهل دارفور وواداي لا يعرفون الا الحياكة والحدادة
والزراعة والغزل والصياغة ويوجد في دارفور

اعراب من الكنكو يتعاطون الصباغة بالنيلة فيصبغون
تقليد التقداني والنيكو يعرفون صناعة دبغ
الجلود ولهم فيها اتقان زائد لتوفر ادواته عندهم
فيصنعون من جلود البقر والابل الاجربة
العظيمة والنطوع الجميلة ومن جلود المعز القرب
التي لا نظير لها والمزاود الصغيرة ومن جلود
الضان السختيان وينوعونه احمر واخضر
فاما الاحمر فانهم بعد احكام دبغه يصبغونه
بالكلود وهو ابر قصب اشبه بلب قصب البوص
لكنه احمر قاني يؤخذ ويطبخ في الماء وبعد غليانه
جيدا يؤخذ ويدهن به الجلد فيصير احمر كالسختيان
الذي يصبغ بالدودة واما الاخضر فيصبغونه
بالزنجار الذي هو اوكسيد النحاس فيصير
اخضر ناصعا وهو عندهم اغلى ثمنا من الاحمر
ومن العجب ان عندهم المنجدين لملبوس الخيل كما ينجد
اهل مصر الحفتهم ويطرزون الملبوس تطريزا
عجيبا وقد ذكرنا الملبوس بتوابع ادوات الحرب
فراجعها ان شئت واما بقية الصنائع المحتاج
اليها في البلد فانها مفقودة عندهم لان كلا منهم
يحلق راس صاحبه وصاحبه يحلق راسه فلا يحتاجون
الى مزين وفي تعمير بيوتهم كل من اراد ان يعمر بيتا

اعانه فيه صاحبه اصحابه بشرط ان يكون الغدا والعشا
من عنده وكذا من مات له ميت فان كلا منهم
يعرف كيفية الغسل والكفن فينتدب احد اصحابه
خصوصا الفقها فيغسل الميت اذا كان رجلا وان
كانت امراة غسلتها بعض العجائز ولا يحتاجون الى
نعش بل ياتون بعودين يشبكون ما بينهما بحبل
او حبال صورته هكذا فيفرشون على الحبال شيئا
لينا ويضعون الميت على الحبال ويحملونه بين
ايديهم لا على اعناقهم لتعسر ذلك عليهم ويتساعدون
في حفر القبر وكل انسان يحفرون له قبرا على حدته فلا
يجمعون اثنين في قبر ولا ياخذ الحافر ولا المغسل
اجرة على عمله وكذلك القراءة والعتاقة والسبح
تجتمع الناس ويفعلونها بدون اجرة وكل من اصيب
اعانه اصحابه واهل بلده طمعا في ثواب الله لا غير
ونساؤهم لا يعرفن مما يعرفه نساء المدن شيئا اما
الشابات الاغنيا فنهارهن مشغولات بزينتهن
ما بين دهن وكحل واصلاح شان وان تزعمت واحدة
منهن من شانها اقبلت على مصلحة بيتها او صنعت
لها برشا من خوص الدوم بعد صبغه الوانا فيصبغنه
ما بين احمر واسود واخضر واصفر ويتقنون
صنعه اتقانا تاما بحيث يتمنى الشخص ان يفرشه

ويجلس وينام عليه لحسنه ثم تقبل على وضع طعام
زوجها وضيوفه واما نساء الفقرا فيشتغلن مع الرجال
في الزرع في وقته وفي الحصاد في وقته وتجرين الغلة
في وقتها وبجمع القطن في وقته ايضا وفي سائر السنة
مشغولة بما يقوتهما ففي الحلابيج تجمع الحلابيج
وتدخره وفي النبق تجمع النبق وتدخره لكنه يبس
النبق المورد وفي ايام الدخرى والارز كذلك وفي
ايام العندراب كذلك وفي ايام العرديب كذلك وفي
وتاخذ الفاس وتذهب الى الارض التي يزرع زوجها
فتقطع ما فيها من الشوك وتجمعه وان كان
له بنات كبار ذهبن معها او صغار سرحن في
كل عشية تاتي معها بحزمة حطب تطبخ منها
وتستصبح منها لانهم لا يستصبحون الا بنار
الحطب والفقرا منهم يستعينون على معاشهم
بشراء معزة او شاة متى ولدت تقوتوا من لبنها
وبالجملة فمعيشة فقرائهم كد وتعب شديد هذا
مع ظلم الحاكم وطلب الرجال للاعمال الشاقة
وللحروب والخدمة لانهم كالعبيد له واذا جر
الكلام الى الحرب فنذكر كيفيتها وكيفية ما تفعله
امراؤهم وكيفية صفوف الحرب فنقول

فصل في ذكر الحروب وكيفيتها

لما

لما كان الغالب على امره ظاهر السلطان وهو الذي
انزل الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس لنوع
الانسان وامر بالاستعداد في محكم القران فقال
تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وفي ذلك
برهان كان غيره محتاجا للذب عن غيره عرضه
وامواله بنفسه وخيله ورجاله سيما الملوك الذين
لهم الاستيلا والسلطان ويرون ان ذلك
لهم اعظم شان لكن لما كان منهم المقسط والقاسط
والمجاهد والمرابط كانوا هم اهلا للاستعداد
للذب عن الدين والعباد والبلاد فانقسمت احوالهم
بحسب نياتهم واظهر الله ما اكنوه في طوياتهم
فترى منهم من اراد الله نجاحه واظهر للعالم
صلاحه يستعد لقتال اعداء الدين اقتداء
بقوله تعالى لنبيه الامين يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين وهذا هو الذي تجارته رابحة وصفقته
ناجحة ومنهم من اغواه ابليس واطاعه طبعه الخسيس
فترك فرض الكفاية وجاس خلال الديار بالظلم
والعتو والنكاية وكان سعيه في صدر الاسلام
قاصدا ان يدخل تحت امره الخاص والعام لا يريد
بذلك الا السمعة والاشتهار ولله في خلقه اسرار

ولما كان اهل السودان لا بندق لهم ولا مدافع ولا
سور لحجز العدو نافع كان قتالهم بالحروب والسيوف
فيخترق الفارس منهم الصفوف يذيق من بارزه كاس
الحتوف والرجل يقاتل في الحرب بالحراب ومنهم من
يستعمل الرمي بالنشاب واعد للوقاية الاتراس
التي يسمونها الدرق يستترون بها البطون والوجوه
والحدق واعد الفرسان للوقاية الدروع والخوذ
والتابات لتقيهم ضروب السيوف وطعن الحراب
والنكابات والبسوا خيولهم اللبوس يقيهم بها
سابغة اللبوس لكن لما كان لكل قوم في محاربتهم
اصطلاح وجدوا اسلافهم عليه وهم عليه شحاح
كان اصطلاح الفور اصطلاحا قديما للعرب وان
يقسم الجيش خمسة اخماس كما كان يفعله اهل الرتب
للخمس الاول المقدمة والثاني للجناح الايمن والثالث
القلب والرابع الجناح الايسر والخامس الساق
وعلى هذا الترتيب نشأوا فلا يعدلون لسواه ولا
يعادلونه بغيره واذ ظهر حسنه لهم فحسناه لكن لهم
في اوائل الجيش طلايع ينقطع عنهم بها الطامع
وهي غير الجواسيس الذين ياتون بالاخبار يعلمون
ان كان العدو اقام او سار ويسمونها الابذانات
وقد رتبوا امناصبهم بحسب ذلك فجعلوا في الطلايع

اردندلوك

اردندلوك وفي المقدمة الكامنة وهو المسمى فوركابا
وفي الميمنة ابا ديما وفي القلب السلطان وفي الميسرة
التكناوك وفي الساقة ابا الشيخ والامنا والوزرا
في القلب مع السلطان فاذا اصطف الجيش وكان الميدان
سهلا كان الترتيب هكذا وان كان وعرا اصطفوا
بحسب الامكان ومن عادتهم ان يجعلوا لانفسهم علامة
يتميز بها الجيشان عن بعضهما بان يتفق السلطان
وارباب دولته على علامة يمتاز جيشهم بها ففي بعض
الاحيان يجعلون العلامة في ايديهم اليمنى بان
ياخذوا من لحا الشجر يربطون ايا دبهم اليمنى واذا
علم العدو بذلك وكان قد اتخذها علامة له غيرها
في الحال بعلامة اخرى ولولا تلك العلامة لقتل بعضهم
بعضا ولعذر العدو عدوه لانهم كلهم سود فلا يتميز
هذا عن هذا الا بالعلامة وبالعلامة المذكورة يميزون
قتلاهم بعد انقضا الحرب بان من كل الطائفتين جماعة
ويتخللون القتلى فكل طائفة وجدت علامتها على
قتيل واراه التراب ومن لا فلا ومن عادتهم عند
التحام الصفوف ان الخيل تكون كراديس كراديس
وان الرجل تكون امام الخيل فاذا التحم الصف تقابل الخيل
للخيل والرجل للرجل لكن الفور اذا ارادوا الالتحام اظهروا
شعار الشجاعة الفرسان فنزل الفرسان [illegible]

وكل كردوس منهم على امارة لكعه بغناء بلغة العوام ورد عليه
باقى الفرسان ومما سمعتهم يغنونه فى وقت حرب الشيخ
محمد كرالسالف الذكر انى سمعت كردوسا فيه ابراهيم
وَذْرَمَاذْ واولاده وجماعته وهو مقدمهم ويقول
اناس دُ يُوبَاتِن كَاَلبُو أنَاَّس ديو كهيه كالبوابى
كالبو لكن هو يقول اناس ديو باين فيقولون هم
كالبو فيقول اناس ديو كيه فيقولون كالبوابى
كالبو والفرسان حينئذ كل فارس كالبرج المشيد
فتراهم لابسون درعا درعا اى كل واحد منهم
لابسا درعا وعلى راسه خودة وهى المسماة عندهم
بالتلى وفى يده ابادى من حديد بولاد يسمونها كمكا
وعلى فرسه لبوس وهى كهيئة اللبوس للفرس مركب
من اربع قطع احداها اللحاف فى التطريز لكنها
من جوخ احمر واللبوس للفرس مركب من اربع قطع
احداها تكون على كفل الفرس فتستر ظهره
وجنبيه وتنزل حتى تقرب من عراقيبه والاخرى
تستر عنقه وصدره والثالثة تغطى من جنبيه
وتنسدل حتى تصل الى ما يقرب من حوافره
والرابعة تغطى الجانب الثانى وهى وان كانت
من جوخ احمر الانها مبقعة ما بين احمر واصفر
وابيض واسود وحشوها وتطريزها كحشو الاحفة

التى يتغطى بها اهل مصر وان خالفها فى الصورة
لان اللحاف مربع وهى غير مربعة لان التى تكون من
امام يديها قطع مجوفة وصورتها هكذا
فيضعون التجويف فى رقبة
الفرس ويربطون الخيوط
العليا على معرفته والخيوط الاخرى
يربطونها بخيوط القطعة الثانية وصورة
القطعة الثانية التى توضع على كفل الفرس هكذا
وصورة القطعة الثالثة
والرابعة وهما اللذان
يغطيان الجنبين هكذا
فحين توضع كلها على الفرس
درعا او درعين وعليهما
ثانية وهى ملبوس اشبه بالجوخة لكنه محشو بالقطن
مطرز كاللبوس منفعته عدم الالم من الضرب
الذى يقع من الفرسان لان القطن للينه يدفع
عن صاحبه وهو مرن سيما ان كان مندوفا وانها
تختلف بحسب الفقر والغنا فمنهم من تكون ثانيته
من حرير لكنها من قطع
شتى ما بين احمر واصفر
وابيض واسود هكذا

اسود	احمر	اصفر	اصفر
احمر	ابيض	اصفر	اسود
ابيض	اصفر	اسود	اصفر

ومنهم من تكون شايته من جوخ لكنها مفصلة كذلك
ومنهم من تكون شايته من قطني او الاجه وكل منهم
يعمل على قدر وسعه ومنهم من يلبس شاية واحدة لعجزه
عن ثمن الدرع ومنهم من لا يلبس درعا ولا شاية ورايت
بعضهم قد اتخذ ما يشبه الدرع من جلد التمساح وحكى انه
وقاية كالدرع وكذلك من الناس من يتخذ من جلد التمساح
درقة وهي المعبر عنها بالترس وبالمجن فاذا علمت ذلك
فاعلم ان الفرسان من الغز اذا كان الواحد منهم لابسا
لدرعين عليهما شاية وعلى فرسه لبوس عظيم وتحته
سيفان وابلر من بعد يظهر للناظر انه شيء عظيم
وهذا مما يروع به الغز اعداءهم فاذا اجتمع نحو الف
فارس على هذه الصفة رايت شيئا عظيما سيما وهم
يروعون الناس بسل سيوفهم وعتاهم وغلاظهم
واصوات صفاقاتهم **نكتة** اذا كان ذو
منصب معزول عن منصبه وتولاه غيره بسعاية منه
وكل منهما حنق على الآخر وحصل للزحف يفتش المعزول
على المتولي وقت ترتيب الصفوف او بعد الالتحام
حتى يجده ويقول يا ونديه بسم الله اي نقصد انا وانت
ندخل الحرب فان وافقه ودخل معه في صف العدو سلم منه
وان لم يوافقه ولم يخرج معه اشهد عليه انه ابى ان يقاتل
وبعد انقضاء الحرب يرفع قضيته للسلطان ويشهد عليه

من

من اشهدهم فيعزله السلطان ويوليه مكانه وكذا ان
خرج معه وقاتل قليلا ثم فر من العدو ولكن ان فر وقدر
عليه المعزول على قتله قتله وان لم يقدر اشهد على فراره
وتركه ثم يرفع امره للسلطان وكل من كان في قلبه غيظ
على آخر يفعل معه ذلك لكن ان لم يكونا من ارباب الرتب
عند السلطان وابى ان يدخل معه الحرب او فر من الصف
اشهد احدهما على الآخر وتركه وبعد الحرب يثبت شهادة
الناس ثم يتركه فيبقى في غاية الاحتقار عند الناس
حتى نساؤه يطلبن الطلاق منه ولم يزوجه احد بنته
ولا اخته لما وقع منه ومعنى كلمة وندي المعادلة والنظير
كانه يقول له يا من هو قريني او عديلي او نظيري او مثلي
واصل اطلاقهم هذه الكلمة على الرجلين المتزوجين
باختين فان كلا منهما يقول له الآخر يا وندي
ثم توسعوا حتى قالوها لمن تولى منصبا كان القائل
فيه قبل ذلك وتطلق ايضا على من خطب امراة وركن
اليها اهلها ثم جاءهم غيره افسد ركونهم وتزوجها
ومثل هذا يطلب من تزوجها للحرب ايضا وكذا لو طلقها
وندم على طلاقها واراد ان يردها وجاء غيره عقد عليها
وهذا لهم في ذلك واما رجالهم فيتقدمون وقت
الحرب بسلاحهم ويشمرون اكمامهم وكل رجل منهم
معه درقة وحراب لا اقل من اربعة ثلاثة صغار

والرابعة كبيرة وتسمى الزخة ومنهم من تكون له خمس
حراب خامسها فرخة ومنهم من تكون له خمس حراب
وسادسها فرخة ويجمعون كراديس كراديس ايضا
ويغنون فيخرج امثلتهم ويغني بلغة الفور ان كان
فوراويا وهم يردون عليه وان كان عربيا بلغة العرب
واصحابه يردون عليه ولقد سمعتهم يغنون
في حرب الاب الشيخ وهم يقولون للي للي ويا نزول
اللاصبا كربة نوك سيبكو دين تلي ايلكا نون
فارسا نيديو فارسا لولو نكبر وهذا الغنا وان
كان حين يقولونه يظهر انه جميل لارتفاع اصواتهم
كلهم بترديدهم في النغمة الا انه اذا فسر بالعربية
كان ركيك المعنى ولا خصوصية للغة الفور في ذلك
بل اي لفظة لغة اذا فسرت غناها بالعربية تجد
كلاما مفككا يمجه السمع ومعنى ذلك ان الحاج اقبل
من جهة الشرق فاسالوا الثور كيف حال خودته
ثم الثور في وسط الفرسان عيب بافرسان الثور
مع اخيه لكن كبيرهم يقول للي للي فيقولون هم
ويا ويسكتون فيقول كبيرهم نزول اللاصبا كربه
نون سيبكو دين تلي ايلكا ويسكت فيقولون
نون فارسا نديولو فارسا لولو نكبر وان كانوا
عربا قال كبيرهم ثور الجاموس وردالمي يدور الدم

بترشرش

بترشرش به فيردون عليه اصحابه ويعيدها مثل
قالها ثم يقتصر على قوله ثور الجاموس وردالمي فيقولون
هم يريد الدم بترشرش بيه ويغنون هذا ويهزون
حرابهم التي في ايديهم ويصرخون فيسمع للجيش
ضجيج وجيش ترتيب السلطان المسمى بالعبيدية
يجمعون زمرا زمرا ويغني كبيرهم قامبو بيلي اتفا بنا
ويو ويو اتفا يا ودى ويا ورى ويا ويا رى اتفا بيا
وهذا الغنا غير معقول المعنى لي وسمعت من يقول
لو كي سيد لو وسالت عن معناه كثيرا من اهل الفور
فلم يجيبوني جوابا شافيا وسمعت من يقول لو بي
سيد لو يجلو ايا دو يدى اندواد ينبرادى ومعناه
بالعربية ركيك جدا لان لو اسم للمكان وسيد لو
معناه صاحب المكان ويجلو معناه انظر وقوله
ياد دى معناه يا انسان وقوله دى معناه المحل
وقوله ينبردى معناه مع محل مثله فيصير معنى الكلام
مع القلب والتشويش وزيادة بعض كلمات وسبك
العبارة يا صاحب المكان انظر المكان ترى كل محل
يقابل محلا مثله وسمعت بعضهم لو يا لو لو كمليجاوه
فم جربوجني كلبو منون دبي قبلا اذ يو لبه وهذا
الاخر معناه ركيك وان كان يظهر انه حسن بالفوراوية
لان معنى قوله لو يا لو لو مكان يا مكان ومعنى

ومعنى لو كلبو أتخافون من المكان ومعنى قوله قم
چربوتو لوامْ چر وهاتان الكلمتان تقالان عند
الغضب وعندهم كان اصلهما تقالان للكلب
طرد اوزجر اله كما تقول اهل مصر للكلب عصا جر
فاستعملتا عندهم للشتم مطلقا فاذا غضب احدهم
قال لمن يخاصمه قم جروان كانتا غير معقولتي المعنى
جيد اكقول الفرنساويين ساكْرى نون ديديوه
ومعنى جيى كلبو معناه لا تخافوا وقوله نون دي
معناه الثور النحر وقوله قبلا ديو كيه فهو جواب
مقابل له فيصير معنى الكلام مع الزيادة والسبك
والتقديم والتاخير مكان يا مكان اتخافون المكان
قولوا ثم جر لا تخافون المكان يوجد فى صف الحرب
كل ثور نحر مع نحر مثله اى يقاتل قرينه واضراب ذلك
كثير من لغتنا واما قولنا السابق كالوا يا دو قدر يبو
فكالو الخوف ايا ام دو قدر ابو الحصين ديبو الجماع
فيصير معنى الكلام ام الجبان يجامعها ابو الحصين
وبالجملة فاهل دار فور يعتقدون فى الغنا ما نعتقده
العرب العرباء فى الشعر وهذا الكلام عندهم فى الحرب
كالحماسة للعرب وعندهم فى الافراح غناء اخر لكن
لا يقولوه الا النساء لانهن المنوطات بذلك واذ
انجز الكلام الى الحرب والفرسان والخيل فلنذكر نبذه

تتعلق بالخيل وصفاتها اذ هى اعز ما اقتنى وبها يقع
الارهاب وبها يكون الطلاب وقد ورد فى الحديث
الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وقد قال
تعالى فى التحريض على الاستعداد لنبيه الهادى للرشاد
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم فلهذا كانت من اعز
الاموال واجل ما اقتناه الرجال اذا تقرر ذلك فنقول
اعلم ان الخيل فى دار فور على اجناس احسنها ما هو عند
الملوك كالسلطان وارباب دولته وهى الدنقلاوية
والمصرية فاما الدنقلاوية فخيل عالية القوائم
رافقة اللون يغلب على الوانها السواد وتقتنيها
الملوك للزينة لحسنها واحسن منها الخيول المصرية
التى كانت تقتنيها الغز لانها وان لم تكن عالية
القوائم كالدنقلاوية الا انها حسنة قابلة للتعليم
اكثر من غيرها وتتحمل المشاق فى الكر والفر والوانها
جميلة ويغلب على الوانها الحمرة فترى المكرم منها
مربوع القوائم ضامر البطن عظيم الكفل والصدر
متوسط الجيد ينفر حفر المنايا خصوصا خيل
السلطان فان السياس يربونهم احسن تربية
ولذلك ترى الفرس الذى يركبه السلطان سواء سار به
او وقف عليه لا يروث ولا يبول مدة ما هو على ظهره

لا يرفع قدما ولا يتقدم ولا يتاخر بل قصارى امره
ان يرفع راسه وينصفه واذا وقع من فرسه انسه
بال او ورث او تزلزل عن مكانه الذي اوقفه به
ينزل عنه السلطان وياخذونه السواس ويضربونه
ضربا مؤلما فلا يعود يفعل شيا مما وقع منه
وحين كنت هناك ورايت خيل السلطان في غاية
الحسن سالت بعض السواس عن سبب ضمورها فاخبر
ان طعامها دائما من تجير رطب يجلب من سفح جبل
كثا وان قوامها من الدخن المجروش المعجون
بالعسل حتى يصير عجينا ثخينا ان العوام يعطي الفرس
منه اربع قبضات في الصباح ومثلها في المساء
وبعض قبضات من النجير وتسقى في الصباح
لبنا مليا ويداوم على ذلك فيكتسب الفرس قوة
وحسنا ويبقى ضامرا كما تراه واما الخيل الغورية
اي التي اصولها من هناك فانها كالبحر عظيمة
البطن شديدة ابطران شبعت عربدت وعبثت
بيديها ورجليها وان ركب عليها الفرسان خالفت
في مشيها ولا تستقيم على الطريق بل تسير مع الاعوجاج
ويقع فيها الحرن والجميح فالحرون منها متى ما حرن
لا يمكن تسييره ولو قطعته بل كلما ضرب بالسوط
رفع يديه ووقف على رجليه حتى يرى بياض بطنه

والجموح

والجموح متى ما جرى لا يرده اللجام بل يعض اللجام باسنانه
وياخذ فارسه ويطير يجري حتى انه ربما اوقعه
في ضفة العدو وكذا الحرون ربما ادخل صاحبه
في الصف واراد ان يخرج منه فيحرن ويثبت حتى يقتل
فارسه وهذان الداءان اقبح داء في الخيل وان
جاعت هزلت لكنها تحمل مشقة السفر والركوب
ومن عادتها ان الفرس اذا جرح في الحرب يرمي صاحبه
من على ظهره ويجمح بخلاف الخيل الاصيلة فان الفرس
منها لو جرح مائة جرح يصبر حتى يرجع به صاحبه
الى عسكره واحسن الخيل في دار فور خيل عرب البادية
لان اصولها عربية وفارسها ان طرد لحق وان طرد
سبق ولو كانت هزيلة لكن شتان بين مرعى خيل
العرب وبين مرعى خيل الفور وشتان ما بين تربية
هؤلاء وتربية هؤلاء اما الفور غير السلطان
وبعض خواصه فانهم يعلفون خيلهم بالدخن
والدخن عادته يكبر البطن ويكثر الدم والفور يركبون
للزينة ولسفر بعض الاماكن مع الراحة وترى الامير
منهم بعد كل ساعتين يغير مركوبه باخر خوفا عليه
من التعب واما العرب فلقلة الدخن عندهم
يطعمونها الحشيش ويسقونها اللبن الحليب دائما
ويغسلون اجسامها بالسمن المذاب ومن عادة

العرب الاغارة ولذا تجد البدوى بالليل يقيد فرسه
بقيد من حديد وفي القيد سلسلة طولها نحو باع
طرفها مربوط بقائمة سريره الذى ينام عليه ومن
حيث ان الخيل استأنست بالمغازى والكر والفر
متى وقع في الحى صيحة ترى الفرس تتهنه ويضرب
برجليه الارض فيوقظ صاحبه ان كان نائما
وبالنهار يربطه قريبا من بيته فمتى ما وقع في الحى
صياح قامت امراة البدوى او اخته او امه او نحوها
ووضعت السروج على الفرس والجمته وقام البدوى
ان كان نائما فركب او جاء ان كان مستيقظا فركب
واغار مع جماعته فلهذا تجدهم متى وقع الصياح في الحى
خرجت الفرسان كلهم في طرفة عين ولما كان عمدة
امر العرب على الخيل تغالوا في اثمانها بحيث يباع
الفرس المشهور عندهم باغلى قيمة وربما وصلت
الى مائة فرس رباعية ونحلها معها واغلاها
عندهم ما يسبق ثلاثة كماين وذلك ان للخيل
درجات منها ما يسبق كمينا واحدا ومنها ما يسبق
كمينين ومنها ما يسبق ثلاثة وهو احسنها فالذى
يسبق ثلاثة كماين يصنعون له في كل كمين عشرة
من الخيل وبين كل كمينين مسافة نحو ساعة او اكثر
فيخرج الفارس وحده اولا ويجرى فرسه حتى اذا

لحق بالكمين الاول خرج معه العشرة فوارس بخيلهم
ويستنون منه فلا يصل الى الكمين الثانى الا وحده
فيخرج عشرة معه وهكذا حتى يبلغ الثلاثة وقد
يقع في خيل العجم من الغور والواداى ما يضاهى خيول
العرب في السباق ويزيد عليها بقوة احتمال المشقات
فقد اتفق ان بعض النامادوبين اشترى فلوا
صغيرا ورباه وكان الفلو من السباق للسباق
فلم يدركه طالب ولم ينج منه هارب فلما راى من جودة
فرسه ما راى طمع في المكسب فاتفق ان بين الواداى
والناما واديا يعد ما بين شفيريه مسافة قصبتين
او اكثر فحدثته نفسه ان يتوجه لذلك الواداى
ويخاطر بنفسه وينظر هل يقفز فرسه الواداى ام لا
فذهب وحمل فرسه على الوثوب فوثب وقفز من
الشفير الى الشفير وكان بين الشفيرين هوى لو
سقط فيه لهلك هو وفرسه ولما علم ذلك من جواده
صار ياخذه ويأخذ ويتوجه الى دار الواداى
فيجلس في بئر من الآبار ويتامل في البنات التى يردن
فمهما راى صبية جميلة اختطفها وقفز فتركب وراءه
الفرسان فلا ينالون منه الا الغبار وان ادركوه الى
بهم لذلك الوادى فيظنون انه لا يمكنه العبور منه
لسعته فيفرحون بذلك فيضرب هو الجواد ويعبر الوادى

وتاتى الفرسان خلفه فيرونه قد عبر وخيلهم تقف على
الشغير فيندهشون من ذلك ويرجعون خائبين
فاتفق انه اخذ صبية لم يكن لابويها غيرها وفعل
معهم ما فعل بغيرهم فرجعوا بوجوه باسرة وصفقة
خاسرة فاغتاظ ابو الصبية وتوجه الى بلده وكان
عنده من الخيل فرس انثى لكنه قرب وقت نتاجها
فصبر حتى ولدت وجاء وقت النزوان وطلبت
ذلك فاخذ قطعة من القطن المندوف ووضعها
ليلا على فرجها وربطها ربطا جيدا وتركها الى الصباح
ثم اخذها وقد ابتلت من رطوبة فرج الفرس ولفها
فى قطعة قطن اخرى ووضعها فى مزود وتنكر بان
لبس ثيابا كثياب الشاماويين وتزيا بزيهم لئلا
يعرف انه من الوادى وسار الى بلاد الشام مهاجرا
بتكلف فصار يتخلل ديار القوم وينضم عندهم
فى صفة غريب مهاجر حتى عثر بابنته فى بئر من
ابارهم فلم يحدثها بل صار يراعيها اين تذهب
وتبعها من بعد حتى دخلت فى البيت الذى هى
فيه فصبر حتى دخل الليل وطرق الباب قائلا انا
ضيف اسمى مهاجر فادخلوه فى محل الضيافة
ونظر الى الفرس الذى هو لصاحب الدار وعرف
محل مبيته فلما كان فى جنح الليل وهدأت الناس

قام

قام ودخل على الفرس وعالج ان ياخذه ويفر فلم يمكنه
ذلك لكون الفرس مقيد بقيد حديد متين وفيه
سلسلة متينة ايضا فلما اعياه الامر اخرج القطن
من المزود وقربه من انف الفرس فحين شم رائحة رطوبة
الفرج الانثى هاج والتظ واشتدت غلمته فقرب
القطنة لاحليله فبالامر المقدر انه امنى ووقع المنى
فى القطنة فاخذ القطنة ولفها كما كانت ووضعها
فى مزوده وبات بقية ليله ولما اصبح توجه الى
بلده وكان ترك فرسه مربوطا وامر ان لا تخرج
لئلا يعلو عليها بعض الخيل فلما دخل داره لم يكن له هم
الا ان اخرج القطنة التى فيها ماء الفحل ووضعها
فى فرج الفرس فبقيت ما شاء الله ان تبقى فتحلل ما فى
القطنة من الماء من حرارة الفرج ونشربته
الرحم فحملت باذن الله تعالى وتركها مربوطة
مدة فظهر حملها ظهورا جيدا ولما انقضت مدة
الحمل وضعت فلوا كانه ابوه ففرح الرجل بذلك
واعتنى بتربيته حتى جاء اوان ركوبه فصار
يركبه ويدربه شيئا فشيئا حتى تقوى عصبه وصار
يصلح للغارة فاخذه وتوجه الى ذلك الوادى
وخاطر بنفسه والجأ فرسه الى اقتحام الوادى
فاقتحمه اعظم مما كان يقتحمه ابوه ففرح بذلك

وتوجه الى بلاد التاما وجاء الى البئر الذى ترد فيه ابنته
فصبر قليلا حتى وردت فحين راها قام والجم فرسه
وركبه ونادى بنته بلغته فجاءت اليه وعرفته ا
نفسه ثم اردفها خلفه وسار فوقع الصياح ان جارية
فلان اخذت وبلغ الخبر الى سيدها فركب فى خيل
ولحق بابى الصبية وقال له يا مغرور اين تذهب
بها فقال له ما سؤالك عما لا يعنيك يا ابن الفاعلة
ان كنت تقدر على خلاصها خذها فقال له اتظن
انك تنجو بها وهذا الفرس خلفك قال نعم وساخذ
جميع اولادكم بهذا الفرس ان شاء الله تعالى فاغتاظ
التاماوى وركض خلف ابى الصبية ليلحقه
وابو الصبية حين راى الجد منه ركض فرسه
فلم يلحق التاماوى منه الا الغبار وحين راى
التاماوى ذلك تعجب وكيف ان فرس الوادى سبقه
وكيف قصر فرسه فى لحاقه لكنه اثر ان فرس الوادى
لا يبلغ الوادى كفرسه فطمع فى القبض عليه هناك
وقال لابى الصبية سر حيث شئت فان الوادى
امامنا فضحك ابو الصبية من قوله وسار حتى اتى
الى الوادى فضرب الوادى فرسه والجأه الى نهر
الوادى فنفر الفرس كغزاله وجاء التاماوى ومن
معه فوجدوا ابا الصبية قد نفر الوادى بجواده [illegible]

على الشغير الثانى ينتظرهم فلما راوه فعل ذلك وتموا
متعجبين وقال التاماوى لابى الصبية يا هذا بالله
عليك اصدقنى اما الصبية ان كانت ابنتك او من
ذوى قرابتك فقد اخذتها ولكن من اين لك هذا الفرس
فقال هو ابن فرسك فقال وكيف ذلك فقال فعلت
كذا وكذا وحكى له القصة فتعجب التاماوى وقال
يا تاماو من حيث ان سلالة هذا الفرس قد صار
عند الاعداء فلا بد ان تخرب بلادكم ورجعوا
خائبين **عجيبة** اتفق ان بعض
الناس له فرس جواد مشغوف بحبه يتفقده بالليل
والنهار فاتفق انه افتقده ليلة من الليالى على
غفلة فوجد الفرس ناشرا جناحيه كجناحى الطير
ففزع لذلك وحين راه الفرس ضم جناحيه وقال
ان ابيتنا بالليل مرة اخرى لا تاتينا الا باستئذان
وان فعلت ذلك لا تلومن الا نفسك واعجب
من ذلك ان اكثر عوام الغور يعتقدون ان الخيل
لها اجنحة تطير بها فى وقت الاستئناس وان لم
تكن ظاهرة للناس وهذه القضية بلغت عندهم
مبلغ التواتر كما يعتقدون انها تتكلم وانها تستحى
من الامر الذى تستحى منه الناس حتى انهم اذا كان
عند احدهم فرس انثى اصيلة تطلب الذكر وادنوا لها الفحل

اصيل يغطون بها حال النزو بنحو ملاءة خوفا ان يستحيا
فلا يحصل لهما نتاج اهـ
اتفق ان انسانا له فرس مشغوف بحبه يبني علفه
وينظف مربطه فكان كلما وقع في ورطة ينجده
فاتفق ان امرأته ماتت وتزوج بغيرها وصارت
تقطع العلف بطينه ولا تنظف مربطه فوقع
في ورطة فلم ينج منها فاخذ اسيرا هو وفرسه
وجعله الرجل الذي اسره خادما لجواده فصار
ينظف مربطه ويبني علفه ويقول له هكذا يا احمر
اذ نفعتني في هذه الورطة ففي ليلة من الليالي
قال له ذلك فنطق الفرس وقال له هذا جزاء من
لا يبالي بفرسه ففزع الرجل من كلام الفرس واخذه
الرعب فقال له الفرس لا باس عليك انعاهدك
ان خلصتك من هذه الورطة انك تخدمني كما تفعل
بي الآن فعاهده على ذلك فقال له حلني من قيدي
واركب ولا تخف فحله وركب وسمع سيده به فركب
خلفه في جملة من الفرسان ففات عنهم ورجعوا
خاسرين وهاتان الحكايتان من خرافات اهل
دارفور كما ان من خرافاتهم ان بعض التموركه
اذا مات احدهم يقوم من قبره بعد ثلاثة ايام
ويذهب الى بلد غير البلد الذي مات فيه ويتزوج امرأة

عن

عن امرأته وان المسابيط يكون الواحد منهم ادميا ثم
يصير ضبعا ثم يصير سنورا وهذا متواتر عندهم مع انه
لا اصل له وبالجملة فالخيل في دار فور كالخيل في دار الواداي
تتفاوت في الحسن وخيل العرب في المملكتين احسن
واكمل وفي دار الواداي خيل قصار كالتي تسمى في مصر
بالسيسابانيات يركبها في مصر اولاد الاكابر وهم صغار
وهذه الخيل تسمى عندهم جركاليه ومعناها ماتزهونون
لا يمكن احدا ان يصحبها في السفر لان الفرس منها يمشي
مسافة يومين في يوم واحد وكان عندي واحد منهم
وكنت اسافر به من ورائه الى البطيحة فكان لا يقدر
احد ان يمشي معه وكان والدي له فرس بهذه المثابة
ثم ان اهل دارفور يصفون الخيل ويحبون اوصافا
ويكرهون اوصافا فيحبون الاحمر الاغر المحجل
من ثلاث قوائم فان كانت اليد الخالية عن
التحجيل اليمنى قيل عليه مطلوق الشمال ركوب الرجال
وان كان محجل الاربعة جلاب المنفعة وقال
شاعرهم يمدح السلطان

مرق شد ولوا عمل من ام حره ... محجل من الاربعة والخامسة غره
بجلب من المنمه بسبع يخره ... امات الناس جدم امور وجيد هاغره

وان كان لا تحجيل به يسمى عندهم التوتو وقال
شاعرهم يمدح الشيخ محمد كرا

مرق شدو لو على التوتو ... والكرتم بقا الموقاوي
كوركو نبذوه ناش ودبوش جولو ... كرابلا سيا الخلق خافوا

ويلي الاحمر الادهم والاشقر ويليهما الازرق واما الاشهب
فيكرهونه كراهة شديدة ولا يركبه منهم الا الذي
لا يقدر على ثمن غيره وسبب الكراهة قولهم انها اي الخيل
الشهب لا تنصر وقت القتال وقد جرب ذلك وقال الشاعر

وشهب الخيل بالله ابعدوها ... ولا تاتوا بها وقت النزال
اما ادركتم ما قيل فيها ... ومما قيل تعمي في القتال

ومما يتفالون به انهم اذا كانوا قاصدين حرب عدو
ورأوا الخيل عطست بيديها تفاءلوا بانهم منصورون
وان عطست برجليها تفاءلوا بالهزيمة كما انهم ان
رأوا الغربان تحوم امامهم تفاءلوا بالنصر وان رأوها
خلفهم تفاءلوا بالهزيمة ولهم في ذلك اعتقادات لا تنزع
من صدورهم **نادره** كان للسلطان تيراب
نديم يقال له الفقيه موسى تقاويه وكان طلق
اللسان حلو المنطق فاتفق انه حضر مع السلطان
حربا في كردفال في سرية وانهزم الجند الذي كان
معه وكان الفقيه موسى راكبا فرسا اربد فخاف
على نفسه ان يدركه العدو فنزل عن الفرس ونجا
بنفسه وعار فرسه حتى دخل مع عسكر السلطان
فقبضوا عليه ودخلوا به الى السلطان قائلين

ان

ان هذا فرس الفقيه موسى ولولا انه قتل ما عار فاغتم
السلطان لفقده وامر بربط فرسه مع خيله حتى ينكشف
الامر فلما كان بعد العشا حضر الفقيه موسى ودخل
على السلطان فلما رآه السلطان فرح وساله عن
حاله فقال اني قاسيت البارحة في الحرب ما لم يقاسه
احد حتى قتل جوادي الاربد ولولا ان الله نجاني
لقتلت انا الآخر فضحك السلطان من كلامه وعلم
انه كذاب لكن لم يظهر له شيا بل قال له لا باس
عليك وسنعوضك خيرا منه ولا ندعك راجلا
بعد ان عرفنا من شجاعتك ما عرفنا ولما اصبح
الصباح حضر الفقيه موسى فسأله السلطان عن
حاله وما جرى له بالامس مع الاعدا فاخبره كما
اخبره بالامس فقال السلطان هاتوا للفقيه
موسى فرسا من خيلي وكان اوصاهم انه اذا طلب
للفقيه موسى فرسا ياتون له بفرسه الاربد فاتوا
به فلما رأى جواده بعينه صاح وقال اتق
الله يا اربد تبعث قبل يوم البعث فضحك منه
السلطان والحاضرون وكان الفقيه موسى سلط
السلطان على امراء السلطان وياخذ منهم العطايا
الجسيمة ومن لم يعطه رماه عند السلطان بكلام
يبهته به فلذلك كانوا يحترمونه وكان يقول كلاما

يعتقد انه شعر مع انه ملحون ومن ذلك ما مدح به
بعض النساء فقال

صدرك سطيحا كن لو حاجاروه
صار فقير الناس كان كتابا
اهلك عزيزا يحفظو السلطان
شرطك بترا والاربع قران

هذا ولهم في الخير مقالات ومقالات لو تتبعها
الانسان لاتسع عليه الميدان ولهم فيها اشعار
واخبار لا يحصيها العد ولا يوقف لها على حد
تنبيه اعلم ان الوادای في جميع ما ذكر
قريب من اصطلاح الفور ولذلك لم يعقد لهم
فصلا مستقلا ونهاية الامر انهم اقل من الفور
في دحر الفرس ونحو ذلك ولا يخالفون الفور الا
في الغنا لانهم لا يغنون ويعدون ان الغنا
في الحرب من العبث وعندهم عوض الغنا بوقات
الكربو والنحاس واما الفرتيت فلا خيل عندهم
ألبتة وليس عندهم من انواع الحيوانات
الاهلية الا البقر فانها توجد عند بعض
قبائل كقبيلة جنجي التي ذكرنا ان عندها
بقرا كثيرا من حيث انهم لا يوجد عندهم الدواب
المذكورة فيحملون اناثهم ان كانوا امرا فرن

على دوس نسائهم ويحملون ملكهم في السفر وفي وقت
الحرب على كرسي وهم حاملون له فان انهزموا وضعوه
على الارض وفروا تنبيه اعلم ان ملوك السودان
لا يفرون وان انهزم جيشهم فاذا راى الملك منهم
هزيمته انهزم نزل عن فرسه ان كان فارسا
راكبا او عن اعناق الرجال ان كان من ملوك
الفرتيت لانه يخشى ان يلحقه العار من الهزيمة
وقد اصطلح اهل السودان من قديم الزمان
ان الملك من الاعداء لا يقتل الا اذا قتل في وقت
القتال واما ان جلس على الارض فلا يقتله الا اوباش
الناس واما العقلا فلا يقربونه بل ياخذونه
لملكهم فيحسن لقاءه ويكرمه ويبقيه عنده مدة
ايام حتى يتفق معه على امر ثم يرسله الى محله
مكرما وكذا اذا عثر على القاضي او بعض العلماء
فلا يقتلونهم بل وكذلك من يضرب الطبل
والنفير والموجب لكل هؤلاء لا يقتلونهم ولا
يبقونهم في الاسر بل يطلقونهم ويرسلونهم الى
بلادهم واذا انضبط ملك من ملوك الفرتيت
يحنون اليه ويردونه الى ملكه هذه عادتهم
قديما ولا يقتلون من الاسير الا من خان او فاته
بعد الاسر وكانوا يسمعون انه يصيبهم ويلعنهم

ويقول فيهم كلاما نتيجا واذا اسر السلطان ياخذون
جميع اعوانه وخدمه وما معه من السلاح والخيل
والابل ويبقون له اعوانا وخدما وان كان معه
نساء اخذوهن ولا يردوهن اليه في محل ويجرون
عليهن النفقات الى ان يمتن هرما واذا وهذا اذا
لم يكن جواري فعل بهن السلطان ما اراد من بيع
او هبة او تسر لكن لم تجر السلطان صابون بلاد
الباقرمه وظفر بهم باع من نسائهم واولادهم
ما اراد واسترقهم لتاوله انهم كفار بغا لملكهم
خصوصا نساء السلطان فانه اصطفى منهن
لنفسه ما اراد واوهب منهن ما اراد وقد ذكرنا
بعض ذلك في غزوة باقرمه فلا اعادة وفيما
ذكرنا كفاية لارباب الدراية ولنلحق هذا
الفصل بفصل نذكر فيه اصطلاحاتهم في التزويج
وما فيه من الامر المهيج البهيج ونذكر فيه ما يفعل
في الافراح من اللعب وشرب الراح ونذكر
كيفية رقصهم على انواعه ومجلس ذكرهم على
استنواعه وبالله المستعان وعليه التكلان

فصل في اصطلاح تزويج الفور

لما كان المتوحد في ذاته وصفاته وافعاله غنيا
عن الزوج والولد ما انفصل عن احد ولا ينفصل عنه احد

اذ لا يحتاج لما ذكر الا الحادث الممكن الذي لا سند له
ولا معين وهو سبحانه وتعالى حي قيوم لا تاخذه
سنة ولا نوم واحد احد فرد صمد لم يتخذ صاحبة
ولا ولد ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له كفوا
احد خلق ادم ابا البشر من التراب وخلق حواء زوجته
من اقصر ضلع من الجهة اليسرى على الصواب ولما
كان سر خلقه ان يكون خليفة في الارض ويملا من
نسله طولها والعرض ركب فيهما الشهوة البشرية
ليحصل التناسل وفق الارادة السنية وكان ادم
لما خلق حواء في سنة من النوم ولما افاق راها امامه
على ترتيب منظوم فوقعت منه موقع الاعجاب وقال
لها من انت يا اعز الاحباب قالت انا حواء وقد
خلقني الله من اجلك يا ادم وقدر ذلك من ازل
قديم تقادم فقال لها هلم الي فقالت له بل انت
تعالى الي فقام ادم اليها فصارت عادة الرجال
الذهاب الى النساء ولما ان جلس معها ومس بيده
جسمها دبت فيه الشهوة الانسانية واراد موافقتها
كما هو مقتضى الحيوانية فقيل له مه يا ادم لا تحل
حواء الا بصداق او مهر وعقد نكاح ثم ان الله
سبحانه وتعالى خطب خطبة نكاحهما بكلامه
القديم فقال الحمد ثنائي والعظمة هيبتي والخلق

كلهم عبيدى وانى اشهدكم ياملا ئكتى وسكان
سمواتى انى زوجت بديعة فطرتى حواء امتى لآدم
خليفتى على صداق ان يسبحنى ويهللنى فكان
ذلك سنة لاولاده لكن لما اختلفت الاقاليم
واللغات وتعددت القبائل والاصطلاحات
كان اصطلاح كل قوم مباين لاصطلاح آخرين
وان كان فى اصل العقد والمهر واحد فمن اصطلاح
الفوران الشباب اناثا وذكورا يسون جميعا
فى صغرهم يسرحون بالاغنام والاحجار بينهم
على الدوام فربما اصطحب الشاب والصبية من
ذلك الحين وانعقدت بينهما المودة التى لا تبلى
على مر السنين فمتى احبها واحبته ركن اليها وصار
نيا رعليها ولا يرضاها تحادث غيره وحينئذ
يرسل اباه او امه او احدا اقاربه فيخطبها منه فاذا
انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جمعت
الناس للاملاك فيذكرون شروطا كثيرة ويطلبون
اموالا غزيرة وكلها يأخذها الاب والام او الخال
او العم ويعقدون لها على شىء من ذلك المال
الجزيل وكنا قد ذكرنا نبذه من ذلك فلتراجع
هناك ثم بعد تمام العقد يتركون الا
نسيا منسيا مدة طويلة ثم يجتمعون فيما بينهم

ويتشاورون

ويتشاورون فيتعمدرايهم على وقت فيه يفعلون
فان كان العروسان من ذوى البيوت الفخام
والمراتب العظام ابتدا اهلهما فى تهيئة الذبايح
والشراب قبل العرس بايام كثيرة ثم يرسلون
الرسل الى احبابهم من البلاد ويقولون العرس
فى اليوم الفلانى المعتاد ويكونون قد احضروا من
الرز والنبيذ الاحمر المسمى عندهم بام بلبل وقد
ذكرنا فيما مضى كيفية استخراجه ومن البقر
والغنم ما فيه كفاية فتاتى الناس فى اليوم الموعود
افواجا افواجا وهناك نساء معهن طبول صغار
وكبار كل امراة معها ثلاثة طبول اثنان صغيران
واخر كبير على هيئة الدرابكة تضعها تحت الابط
على كتفها وتضرب بيدها على الثلاثة ومجموعها
يسمى عندهم الدلوكة وكلما جاءت طائفة
فرحن النساء بالطبول ويغنينها ويقلن كلاما
يمدحنها به منه قولهن هى بانى هى يابانى وبيان
حق البنات يا هزازى الحراب ارايت ما يجيكم
خراب فنا عين الحسود بالعمى يا هزازى الحراب
ارايت ما يجيكم الخراب عين الحسود فى التراب
وكلما قالت كلاما قالت قبل ان تكون تقول غيره
هى بنانى هى بنان وبنين حسى البنان وكنت مرة

جئت الى عرس فتعرضت لي امراة وقالت الشريف
جاي من المسيد الكتاب في ايد والسيف في ايد
ومن قبل يجيب الرقد عبيد وكنت احفظ من
كلامهن كثيرا نسيته فتخرج اصحاب العرس ويتلقون
القادمين وكل طائفة تاتي رجالا ونسا فيجعلون
كل طائفة في محل وياتون لهم بالاطعمة والاشربة
على حسب مقاماتهم ومنهم من ياتون لهم بالعصايد
والموز المسمى بالبوزه واللحم السليق والشوى
ومنهم من ياتون له بالفطير والشراب الاحمر
الذي كالنبيذ المسمى عندهم بام بلبل وان حضرهم
جماعة من الفقها اتوهم بالعصايد واللحوم وبالشوايا
وتسمى عندهم ديترابا ثم يقيلون في اماكنهم
حتى يبرد الحر ويعظم الفيء فتخرج الشابات
من النسا متزينات والشبان من الرجال في اكمل
زينة يقدرون عليها وتصطف النسا صفوفا
صفوفا وكل من النسا يقابله صف من الشبان
وتخرج الغناء التي معهن الطبول فيضربن ويقلن
من كلامهن فيبرز صف من صفوف النساء يمشون
هونا ويرقصن باكتافهن ويتقاصرون الى الارض
حتى يصلن الى صف الرجال فكل شابة تتعمد شابا
حتى تضع وجهها في وجهه وتهز راسها نحوه

حتى تضرب بضفائرها في وجهه وضفائرها اذ ذاك
مدهونة بالطيب وانواع ما يعرفونه من العطر فيهيج
الشاب ويهز حربته على راسها ثم تلتفت راجعة فيتبعها
حتى ياتي المكان الى مكانها الاول فيقف فيه الرجل
وترجع القهقرى حتى ترجع الى المحل الذي كان واقفا
فيه الرجل فحينئذ من يتامل يجد صف النساء ثبت
في مكان صف الرجال وبالعكس واذا كان هناك
بعض شبان لم يدخلوا في الصف واحدى الصبايا
تريد ان تقابلها واحد منهن فالعذ تخرج من الصف
وتذهب اليه راقصة حتى تكب شعرها على انفه
فيهيج ويصيح ويهز حربته ويخرج وراها وان
لم تخرج كان ملوما وعليه وليمة للخارجة له وبعد
ان يثبت كل صف في مكان الاخر تخرج النساء
راقصات والرجال راقصين وكل منهم مقابل
للآخر وكل شابة مقابلة لشاب حتى يلتقي الصفان
في وسط المجال وكل شابة تكب فرسها ويصيح
صياح الفرح وهذا الصياح عندهم يسمى الزغرفة
وكل من النساء والرجال ثمل مما شرب وحينئذ
تتبدل الصفوف فما كان للنساء ثبت فيه الرجال
وما كان للرجال ثبت فيه النساء ولا يزالون
هكذا حتى ياتي الليل فترجع كل طائفة الى منزلها



ويؤتى لها بالاطعمة والاشربة هذا ولا يخطر
ببالك انه ليس عندهم رقص الا هذا النوع لان
هذا هو المسمى برقص الدلوكة وهناك رقص اخر
يسمى بالجيل واخر يسمى لنيجي واخر يسمى شنكدري
ورقص العبيد والاما يسمى نوزى ورقص الغور
يسمى ننديكا وهناك رقص اخر يسمى بندله
وفي الاعراس كل اناس يرقصون نوعا من هذه
الانواع فالنساء الجميلات بنات الاكابر يرقصن
مع امثالهن من الشبان برقص الجيل ومن دونهم
برقص لنيجي فاما رقص الجيل فتقابل فيه النساء مع
الرجال يرقصن باكتافهن ويضربن بارجلهن
اليمنى في الارض والرجال كذلك لكن في كل حلقة
هناك نساء يغنين والناس ترقص على غنائهن
وفي رقص اللنيجي بعض النساء يغنين والشابات
والشبان يضربن بارجلهن من الارض ويرقص
كل منهم برجليه اليمنى واليسرى لكن الشباب
بكر واكر يرا معروفا لهم ولكل رقص من الارقاص
غناء مخصوص فاما غناء الجيل فمنه لكن قولهن
يوبانى هى يوبانى الليل يونى يا لمتقال انا راسى
اندار الليل يونى يا لمتقال انا راسى اندار لكن
واحدة منهن تنشد وتقول الليل يونى يا لمتقا

فتقول النساء الاخر انا راسى اندار ومنه قولهن
الليل يونى دار فورجعه انا راسى نوى ومنه قولهن
ربيع الحانة سيبتو الحانية ويا فرحها الصندل
في بيوتنا فام زندل واما غناء اللنجي فمنه قولهن
يا عيال چيبوا المال نهيض دلدن ودبنيه صبور
دير الجيل في كربو نهيض دلدن ودبنيه واما غناء
السدمكا عند الغور فمنه قولهن ياسى طاهر
اندقلاي كبا ددوين ابا كتاب لاحليفينف
تزيد واكبى رايليا تاركا مدو صفتل چوچبنى
ولو تتبعنا غناء انواع الرقص لطال الحال
فبعد ان يرقصوا ياكلوا ويشربوا يزفون العروس
بالدلوكة ويلفون بها حول البلد ويأتون بها
للمحل الذى اعد للدخول عليها فيه ثم ان بعد
العشا بكثير تجتمع الشبان ويأخذون العريس
ويزفونه بالغنا والزرفة حتى يأتون به الى المحل
المعلوم فيجلسون خارجه وحينئذ تكون جميع
الشابات مجتمعة مع العروس والشبان مجموعة
عند العريس وقد استوزر الوزيراء اخوانه
لانه حينئذ كالسلطان واستوزرت العروس
امراة وسموها ميرم فبعد ان يجلس الرجال
وعريسهم يطلبون الميرم فلا تخرج لهم الا بعد

ساعتين فتتقدم لها الوزيرة وتسلم عليها بلطف ثم تلتمس
منها حضور العروس فتقول لهم من انتم ومن اين جئتم
وما هي العروس التي تريدون فتقول الوزيرة اما نحن
فضيوف وقد جئنا من بلاد بعيدة ونريد الملكة تؤانس
ضيوفها فتقول لها اما الملكة فمشغولة بشغل عظيم
وها انا وكيلتها في ضيافتكم وقراكم وما يلزم لكم
فتقول الوزيرة نحن نعلم ان فيك البركة والكفاية لكن
لنا معها كلام لا يمكن افشاؤه لغيرها فتقول لها اذا
كان الامر كذلك فما للملكة وما لي لان عادتها
ان لا تبرز من حجابها ولو دنا في طلابها الا بجميل
فيقول لها المال والارواح وكل ما طلبته فلا تزال
تجادلها وتحاوله حتى ترضيها وهذا كله والعروس
قريبة منهم وراء ستارة لكنها لا تتكلم بشيء والعريس
ايضا ساكت كذلك والمحاورة بين الاثنين فاذا دفع
التراضي رفعت الستارة فتخرج العروس فتقول
اما الملكة فللملك وما لي انا نحن فتنادي المدرم للبنات
التي مع العروس فيحضرون وتقول لهن ايها البنات
اريد منكن في هذه الليلة ان تؤانسن اضياف الملكة
فيقبلن لها حبا وكرامة وهي تعلم كل صبية ومحبوبها
فتقول يا فلانة كوني لفلان وانت يا فلانة كوني لفلان
وهكذا حتى لا يبقى الا التي لا محبوب لها او الذكر

لامجوبة

لا محبوبة له فيأخذ كل شاب محبوبته ويبيت معها ان
وسعهم المحل الذين هم فيه وصورة ذلك ان يبيت العريس
مع العروسة والوزيرة مع الوزير وكل زوجين معا صفا
او صفين على حسب سعة الموضع وان لم يسع المحل جميعهم
يبقى من وسعه المحل مع العروسين وذهب الباقي فكل شاب
منهم يأخذ محبوبته ويتوجه بها الى بيتها او الى بيت بعض
احبابها ولا يذهب بها الى بيته لانها لا ترضى بذلك
لان الشاب متى ما احب صبية وعلمت امه بذلك
لا تقابله ابدا ولا يقابلها واذا راته في طريق ولم تر
لها مخلصا منه بركت في الارض وسبلت ثوبها على
راسها ووجهها حتى يمر وهو كذلك يفعل يعني
ان راها وعرفها يرجع على عقبه هاربا ان امكنه ذلك
والا دار وجهه لنحو حائط او شجرة حتى تمر ثم يرسل
لها السلام ان كان معه احد وكذلك هي تفعل بعد
مروره ان لم يكن معه احد ترسل له السلام ان كان معها
احد وهذا كله عندهم من نوع الحياء والتعظيم وعندهم
ان اهل محزونون فامها كامه بل اشد احتراما
وابوها كابيه بل اشد واخوها كاخوته وهي مثله
في ذلك اذا رات امه او اباه فرت وسلكت طريقا
غير طريقها وترسل السلام او ترسل اليها ولا تواجه احدا
منهم وتعتبر اباه كابيها وهكذا سائر ما ذكرنا في الرجل

ولذلك تذهب مع محبوبها الى محل اخر ولا ترضى تذهب
معه الى بيته بل ان ضاقت الاماكن بكثرة ذلك الناس
وليس هناك دار سوى دار ابيه لا تذهب معه اليها
بل يذهبان الى الخلا ويبيتان فيه واما اذا ابيها من
حيث ان لها محلا معد لذلك تبيت معها فيه من ارادت
ولا يراها ابوها فان الرجل يذهب معها اليه ويخرج
عند الفجر وامها وابوها نائمان فلا يراه احدهما
ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول ثم يبيتون
تلك الليلة فاذا اصبح الصباح قامت كل صبية وتوجهت
الى بيت ابيها فتصلح شانها اعنى انها تغسل وجهها
واطرافها بل ربما اغتسلت ثم تتطيب وتتكحل وتجدد
زينتها وكذلك العروس تدخل عند امها تصلح شانها
وكذا الرجال يذهبون الى ديارهم ان كانت قريبة
فان كانت بعيدة كان كانوا من تداوى يذهب
الى دار حبيبة لها تصلح شانها فيها لان الشابات
اللاتى حضرن للعرس مع كل شابة منهن كحلها وعطرها
وما تحتاج اليه فتصلح شانها وتجلس حتى تغرب
الضحى فتاتى المدرم الى محل الزفاف والعريس غائب
عنه اعنى عند قيامه لاصلاح شانه هو الاخر نتمه
وتنظفه وتفرشه وتهيئ مجالسه هى وبعض
صواحبها فياتى العريس فيجده نظيفا فيجلس هو

ووزيره

ووزيره وتنهل عليه الشبان فيجلسون معه ثم ان
اصحاب العرس بالخيار ان شاؤا اجعلوا السبعة ايام
كلها بالرقص والدلوكة وان شاؤا اقتصروا على يوم
واحد فان ظهر افتقارهم جلس الضيوف الى وقت
الغدا وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهم الى بلده ولم
يبق الا اهل البلد الذى هم فيه وان لم يروا الاقتصار
وعلموا ان اصحاب العرس يريدون ان يمتد عرسهم
الى السبعة ايام اقاموا وينتظرون ذلك بتجدد الذبايح
وعصر الخمور والتهيئ **تنبيه** اعلم ان
اهل كل بلد من البلاد الذين دعوا الى مثل هذه الوليمة
ياتون اما ببقرتين عاقرتين او ثور بجة او ثور او بقرة
او شاة اعانة لصاحب الوليمة وان كان لهم اقارب
خارجين عن بلدتهم ودعوا ياتون باثوار او بغير
ما ياتى به اهل بلدتهم اعانة ثم يمكثون نهارهم
كله فى لعب وضحك وانشراح واكل وشرب وطيب
محادثة الى العصر فتضرب الطبول التى هى الدلوكات
ويفعلون مثل ما فعلوا فى اليوم السابق حتى الى الليل
فياتيهم الطعام والشراب وبعد فراغهم من ذلك
يجتمعون رجالا ونساء فى محل الزفاف فيتحادثون
حتى الى نحو نصف الليل ثم ياخذ كل شاب حبيبته
ويبيت معها حيث باتا امسها ويبقون على ذلك

المدة المذكورة واذا اعوز الامر الى الذبائح بان كان
ما اعد للذبح لا يكفي من حضر خرج ابو العرس او اخوها
او احد اقاربها الى المرعى فكل ما وجد من الغنم امامه
غنم منها ثورا او ثورين او بقرة او شياه وبعد الغنم
يرسل الجزارين يذبحون الغنم ويأتون بلحمه الى الضيوف
وهكذا فاذا بلغ الخبر صاحب البقر فلا يخلو اما ان
يطلب الثمن فيرضونه او يسكت حتى يبغي له عرس
او لاحد اقاربه فيغنم هو الآخر ما يريد من بقر من
غنم بقره ودفقة بدفقة ولذلك اذا عمل عرس
تخاف ارباب المواشي من الغنم فيامرون رعاتهم
ان يبعدوا بها في الخلاء لانهم لا يعرفون الا من الاموال
التربية المرعى وهذه سنة جارية فيهم وفي تلك
المدة العروس كالملكة وصواحبها معها في البيت
في لعب وانشراح والعريس كذلك ومن عاداتهم
ان العريس لا يفتض عروسه الا بعد السبعة ايام مع
انهما يبيتان متعانقين لا حائل بينهما ويجعلون
ذلك كرامة لها ولابويها لانهم يقولون الليلة
الاولى في كرامة ابيها والثانية في كرامة امها
والثالثة في كرامة اخيها ان كان او اختها وهكذا
حتى تتم السبعة ايام ومن استعجل وفض قبل
تمام ذلك عيب عليه وقالوا قد استعجل ولكن من المحال

ان

ان يفتضها قبل ثلاث ليال **عجيبة** من عوائدهم
ان المراة لا تاكل امام زوجها ولا غيره من الرجال
واذا دخل زوجها وهي تاكل قامت وتركت وهذا
عندهم من اكمل الحيا ويعيبون على المراة التي تاكل
امام الرجل وحين كنت هناك ورايت ذلك
قلت لهم اتستحي من الاكل مع الرجل ولا تستحي من
النوم معه وان يدخل بين شعبيها ويولج فيها ويرى
فرجها وما هي عليه قالوا ذلك لاضرورة واما تفتح
فاها وتدخل فيه الطعام بل يبني بها في بيت امها
وابيها ولا تخرج معه حتى تلد ولدين او ثلاثة فان
طلبها للنقلة معه قبل ذلك ابت عليه وربما وقع
الطلاق بينهما بسبب ذلك ومن عاداتهم انها لا تذكر
اسمه على لسانها ابدا بل دائما تقول قال لي كذا وكذا
فاذا اسئلت من الذي يقول قال تقول هو حتى يولد
لهما فمتى ولد لهما قالت ابو فلانة او ابو فلان باسم
من يولد له ان كان ذكرا او انثى ومن عاداتهم
ان الرجل لا ينفق على المراة بعد الزفاف الا بعد سنة
وان جاء بشيء قبل السنة جاء به على سبيل الهدية
مع انه ياكل اعز مما ياكلون فيمكن انهم طبخوا شيئا
فيجيء لهم من الماكل الرديئة ويذبحون له دجاجا
او حماما او لحما ومن عوائدهم ان الزوج مدة ما هو

في بيت ابي زوجته يصنعون له طعاما جميلا
جدا غير العشا بيتنا وله بالليل اما مرة او مرتين او
ثلاث ويسمون الاول بلغة الفور چرى چران
والثاني تاركا چيسو والثالث صبح جلو ومرادهم
بذلك تقويته على الجماع واما اسمه بلغتهم العربية
ورانية واكثر الاغنيا ياكلون بعد اكل العشا لانهم
ربما جاءهم ضيف فلم يتمكن من الشبع لحيائه من
الضيف اذ كان العشا غير جيد فلابد له من ورانية
ومعنى قولهم چرى چران انزع القميص فان
چرى معنى قميص وچران معنى انزع وتاركا چيسو
معناه مسك الرجل فان تركا معناه رجل وچيسو
معناه مسك وصبح جلو معناه طلوع الفجر واما
الورانية فهي عربية منسوبة للورى ضد الامام
لانه ياكلها وراء العشا اي بعد ما ياكل العشا
ولهذا تجد بعض الناس اذا كان عنده من يعز عليه
من الاخوان وحضر العشاء معه واراد ان يقوم
يمنعه حتى ينفض المجلس ثم يدعو خادمه ويقول
هل من شي يوكل فياتيه الخادم بالورانية فياكلا
معا وهذا لا يكون الا مع اعز الاصدقا وهذه الورانية
تنفع احيانا للضيف المفاجي بالليل الداجي وهذا
كله ان كان عرسا فان كان ختانا فعلى ما ذكرناه

من

من اتخاذ الاطعمة والمزردام بليل والدربا ودعوا
الناس ورقصوا على الدلاليك وزفوا المطاهر
وجاء المزين فختنه وابوه واقف فان بكى المطاهر
نفر اهله منه وتركوه ومضوا وان صبر حال الختن
ولم يبك قال ابوه اشهدوا يا اهل المجلس اني اعطيت
ولدي بقرة او ثورا او عبدا او امة مما يقدر عليه
وقالت امه كذلك وكل من حضر من اهله يهدي له
شيا فان كان اهله اغنيا نال منهم شي كثير فيصير
غنيا وهذا بحسب غنا اهله وفقرهم ثم تجتمع
اترابه في ثالث يوم الطهور وياخذون السفاريك
ويجوسون خلال البلاد يضربون الدجاج فيقتلون
دجاجا كثيرا وفي رابع يوم يذهبون الى البلاد المجاورة
لهم فلا يرون دجاجة الا قتلوها وكل يوم يتوجهون
لبلد يقتلون دجاجها واصحاب الدجاج لا يرون
بذلك باسا وان كان خفاضا فعلوا فيه كل ما ذكر
الا الدجاج فلا يقتلونه والخفاض لا يتغالون فيه
كالختان ومما ذكرناه يعلم الواقف على رحلتنا انا
استقصينا جميع ذلك لتمام الفائدة وحسن العائدة
تنبيه اعلم ان اهل دارفور لا يستقلون
بشي في امورهم بدون النسا بل النساء تشاركهم
في جميع احوالهم الا في الحروب العظيمة

ولذلك ان كان عرس لا يتم الا بهن او حزن كذلك
ولولاهن ما استقام لاهل دار نور شيء فترى النساء
يحضرن في الامور المهمة ومن ذلك الاذكار وهي
على ضربين ضرب يفعله اهل البلاد المستغربون
اعني من ليسوا بعجم وضرب يفعله اعجام الغور فاما
الاول فهو ما كان على طريقة شيخ من الصوفية
او ولي من الاولياء وعلى كل تحضر حلقة الذكر امراة
تنشد لهم والنساء خلفها وتوقف لا يتكلمن بل ينظرن
ازواجهن واقاربهن ليعلمن ايهم احسن ذكرا وقد
ينشد رجل والنساء يسمعن كبقية الرجال ومن
ذلك ما وقع ان تلميذ الشيخ رضي الله حضر حلقة
ذكر تلاميذ الشيخ يعقوب وبين تلاميذ الشيخين
معاندة فلما حمي الذكر اراد احد تلاميذ الشيخ يعقوب
ان ينكت على تلميذ الشيخ رضي الله فقال
الماء عندو شيخنا اذا جا بالابد خلو درقه ونشا بان الماء عندو شيخ
مهيوب لا يدخل حلقة يعقوب فسمع تلميذ الشيخ
رضي الله وعلم انه عناه بذلك فقال ندخلو ونمرق
متعا بالنية والعمل الصافي رضي الله عنه في طوافي
نادره حضرت امراة في حلقة ذكر وانشدت
نصفي لكم مربسه واوني وناعر نابيني طرفاني يا نقرا
ما فيكم زاني فسمعها الذاكرون وكان فيهم شاب

فهم

فهم المعنى وكان يقول الله حي فصار يقول انا زاني
انا زاني واما اعجام الغور فيقفون في الذكر صفين
او حلقة وكل رجل منهم خلفه صبية والنساء ينشدن
وهم ينشدون وذكرهم كريرفي انشادهن قولهن
كروكبروني عالما نما صح لاكو بجنه صح لاكوب
ومعنى ذلك كرو معناها شجرة وكرو معناها خضرا
وعالما نما معناه ظل العلما وصح لاكو في جنه صح لاكون
معناه صحيح نمشي الى الجنة صحيح نمشي الى الجنة
ومعناه ان الشجرة الخضرا ظل العلما ونحن ندخل الجنة
حقا ندخل الجنة حقا ومنه قولهن جبرائيل مسكا
ايليه كل سبا ملكا الجنا ومعناه جبرائيل وميكائيل
كل حسنة يملك بها الانسان الجنة ومنه قولهن
لله فوى لله شهر رمضان الله اذو كانغار نبية
ومعناه لله يا اما لله شهر رمضان دوا فانه حوابه
ومثل هذا كثير لو تتبعناه لخرجنا الى الاسهاب
وجلبنا الملل لاولي الالباب وفيما ذكرناه كفاية
لكن من حيث انا ذكرنا التزويج وما يتعلق به عن
لنا ان نذكر نبذة في حجاب النساء وهي المسماة
في مصر بالطواشية وبالاغوات وباغوات الحريم
وبالتركية قزلر اغالر لانهم امنا على الحريم فنقول
لما كانت الغيرة على الاناث مغروزة في الطباع وسجية

ليس فيها نزاع حتى ان بعض الحيوان غير الناطق يغير
على انثاه وربما قتل من شاركه فيها واحماه سيما
النسا فانهن كثيرات الشبق شديدات الغلمة لا مروة
عندهن ولا همة والاغنيا من الناس لا يرون النساء
الا كالاماء ومنهم من هو كثير الغيرة حتى من الاخوان
والابا بل منهم من بالغ في الغيرة فصار يغار عليهن
من الليل والنهار على حد قول الشاعر

اغار عليك من عيني ومني	ومنك ومن مكانك والزمان
ولو اني ضمنتك في جفوني	الى يوم القيامة ما كفاني

تجد الناس فيمن يحرسهن ولا يخشى منه ضرر عليهن
فما وجدوا انفع من الطواشيه اذ هم مقطوعون
اعضاء التناسل بالكليه فجعل منهم الملوك الحراس
حين راوا منهم النفع وعدم الباس لكن الطواشيه
المذكورون في كل بلد يكونون خصوصا في دار الفور
فان لهم فيها سطوة واي سطوة ولهم بها الكلمة
النافذة والقوة واصل الطواشيه الذين بدار الفور
من بلاد ركا يخصونهم هناك وياتون بهم الى دار فور
على سبيل الهدية لكنهم كثيرون جدا ومنهم من يخصى
في دار فور ولقد رايت حين كنت هناك غلاما
حسن الوجه جميل الصورة في نحو الثمانية عشر خصي
في دار فور وسببه انه كان من خدام السلطان

محمد

محمد فضل واحد غلمانه الذين ربوا في البيت وكان
له سعد قائم تحبه النساء لقضاء اوطارهن
غير الخنا فحسده اقرانه ونم عليه عند السلطان فغضب
عليه واراد قتله فاشار عليه بعض وزرائه
بخصيه وقال له ان كان الامر فاقطع ما يؤذيك به
ولا تقتله فخصاه وعاش واجتمعت عليه وكان
ذا منصب جميل ووجاهة حسنة الا ان السلطان
كان لا يالفه لصلاحه ولما قيل فيه ولقد سمعت
من ثقات انه احبل امراة وظهر حملها فسئلت فقالت
من سليمان تير فغضب عليه السلطان وخصاه
وبعد ان برئ اعطاه المراة وولدها وقد ذكرنا
سابقا ان الشيخ محمد كراكان انهم بما اتهم به سليمان
تير فخصى نفسه بيده دفعا للريب فحظي عنده وصار
ما صار من امره **فصل** [٢٨] في الخصيان
المعروفين في مصر بالطواشيه لما كان الحق
سبحانه وتعالى غيورا على عباده ومحارمه منتقما
ممن تعدى حدوده بارتكاب مأثمه وكانت
الغيرة وصفا من اوصافه ولذا حرم الظلم على
نفسه وخلافه جعل الغيرة مركوزة في طباع بني ادم
من زمن سلفه ونفادم واول من غار قابيل
على اخته اقليما لما امر ادم ان يزوجها لهابيل

ويزوجه من اخته ذميما فكان الغيرة من احدهما مكان
وقترقا بلا اخاه كما ورد بنص القرآن بل قد توجد
الغيرة في غير بني ادم من الحيوانات كبعض الحيوان على
انثاه وتحصل المعاركات سيما والنساء اكثر شغفا
وغيرة ولا مروءة تمنعهن ولا همة وكان بعض الناس
بلغ في الغيرة اعلاها وارتقى الى منتهاها حتى ان
بعضهم يغار على محبوبه من عيون النرجس ان
تراه كما قال الشاعر

غمضي جفونك يا عيون النرجس
منك استحييت بان اقبل مؤنسي
نام الحبيب وقد بدت وجناته
وعيونكن شواخص لم تنعس

ومن الزمان والمكان كما قال الشاعر

اغار عليك من عيني ومني ... ومنك ومن مكانك والزمان
ولو اني وضعتك في جفوني ... الى يوم القيامة ما كفاني

فلو اني على ثلثي مصر ... لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني

وارتقى بعضهم الى اعلى المبالغة فغار من الضمير
حيث قال

اغار عليه من ضميري فيا له ... هوى دابني حتى انمحت جوارحي

فتحيل

فتحيل الناس في حراسة الحريم لما عندهم من داء الغيرة
المقعد المقيم فما راوا احسن من حراسة انسان يكون
مقطوع آلة التناسل وهو الذي تطمئن اليه النفوس
في العاجل والآجل واكثر الناس احتياجا لذلك الملوك
والامراء لان كل واحد منهم يجمع ما قدر عليه منهن بلا حصر
لكن لما كانت ملوك السودان اكثر الناس للنساء جمعا
وابذلهم في ذلك وسعا كان يوجد عند الملوك
من الخصيان عدد كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان
دارفور نحو الالف او اكثر وعليهم ملك منهم وهم له
كالعسكر وهو الذي يرتب في بيت السلطان ما يلزم
منهم للحراسة ويبقي عنده ما زاد عن احتياجه الى
وقت الحاجة ومع ذلك فلهم في دارفور مقام ومقال
وجاه لا يماثله جاه حتى ان لهم هناك منصبين
جليلين لا يتولاهما غير خصي احدهما منصب الابوة
والثاني منصب الباب اقول ان منصب
الباب غير مختص بدارفور بل في تونس وفي القسطنطينية
كذلك **نكتة** مما وقع من عتوهم وتجبرهم
انه اجتمع بعض امراء الفور في محل انشراح ونزهة
وانبساط وكان فيهم خصي فجعلوا يأكلون
ويشربون والخصي كواحد فاتفقوا ان واحدا منهم
معه منديل من حرير فابرزه في المجلس وقال

هل تعلمون لماذا يصلح هذا المنديل فقال احدهم هو
يصلح لمسح العرق وقال الاخر هو يصلح للتجمل
والزينة وقال اخر هو يصلح لان يجعل على صدر انثى
جميلة وطفق كل واحد منهم يقول ما بدا له وصاحب
المنديل يقول لا ولما اعياهم امره قيل له فقل لنا انت
لماذا يصلح فقال هذا يصلح للمسح بعد الجماع فاستحسنوا
قوله وسكتوا فما راعهم الا ان قام الخصي من
بينهم صائلا بسيفه يروم قتل صاحب المنديل وقال له
تعرض بي اني مقطوع لابد من قتلك فقاموا اليه
وتلطفوا به وهو لا يرجع عن قوله حتى ارضوه بجيوبهم
كلها وكان الخصي للخليفة ابن السلطان تيراب
اللذين اسلفنا ذكرهما ومن عتوهم ان الشيخ محمد
اوردكا كان في ايام السلطان تيراب في منصب
الابوة ومن عادة الاب ان يتوجه لبلاده ومحل
حكمه في كل سنة في فصل الربيع ويجمع اهل البلاد
في يوم واحد ويعرض الرجال ويرى العساكر فاتفق
انه جمعهم في يوم شديد الحر في رحبة واسعة
امام داره ولم يخرج لهم حتى قالت القائلة فخرج
في ابهته راكبا جواده والعبيد يظللونه من حر الشمس
ويجلبون له الهواء بالمراوح وخرج العسكر وصفوا
الناس صفوفا كالدائرة وهو واقف ينظرهم وقد اشتد

الحر وامر الناس بالجثي على ركبهم وسلاحهم ودرقهم
في ايديهم فكان الانسان منهم لا يستطيع الجثي لشدة
حر الرمضاء وسال العرق وكثر القلق ومكث مليا
لا يامر بامر ولا ينهى عن شيء وعطش الناس واخذ
منهم حر الشمس اكبر ماخذ وهم صابرون على ما قضى الله
عليهم حتى مات بعضهم من العطش ولما راى قلق
العالم وتضجرهم اعجبه وضحك وقال بلسان الفور
تتو بوما عوسا قطيرا وكررها مرتين او ثلاثا
وكان العالم المجتمع في تلك الجلدكا ما ينوف عن
زهاء عشرين الفا وكان فيهم رجل صالح وكان
يقال له الشيخ حسن الكو فبرز له وقال اسكت
يا كافر ثلاثا فاخذه الرعب من الشيخ المذكور وولى
هاربا ورفع الشيخ يده الى السماء وقال اللهم
ارحم عبادك فما تم كلامه حتى ارتفع السحاب مثل
الجبال ونزل المطر وتفرق الناس وكان يوما
مشهودا وسبب غضب الشيخ انه مثل الجلسة بالاله
ومثل عرض الناس عليه بعرضهم للحساب ومثل
شدة حر الشمس بشدة حر يوم القيامة ولذلك
استشهد بالآية الكريمة نادره حكي ان الشيخ
عبد الله اردكا المذكور كان قليل العقل ومن قلة
عقله انه لما تولى في منصب الابوة امره السلطان

يترأب ان يقرأ ليتعلم القراءة والكتابة فاحضر فقيها
يعلمه فكتب له حروف الهجاء وصار يقرأ عليه في كل
يوم واستمر على ذلك مدة ايام ثم انه ذات يوم طلب
المصحف فجيء له به فتصفحه ونظر في السطور فرأى
واوا مفردة فقرأها وقال للفقيه ايمان واو اي هذه واو
الواو فقال الفقيه نعم فقال قد ختمت القران وامر
بذبح الذبايح وضرب الطبول وصنع وليمة عظيمة
فعدت هذه من طيشه وخفة عقله ونرجع الى
ما كنا بصدده فنقول ومع كثرة الخصيان في دار
السلطان لم يسلم من الدنس لان النساء شياطين
لا يغلبهن غالب سيما وقد قام عندهن بداعي كثرتهن
في بيت السلطان وهن في سن الشباب والراحة
وحسن الماكل والملبس فللشهوة فيهن نصيب اوفر
ولما سجن في هذا السجن تحيلن على دخول الرجال
بكل حيلة فمنهن من تصاحب من الرجال من الخدمة
الذين بالباب ومنهن من لها عجايز يأتينها بالرجال
بحيلة وهي ان العجوز تتأمل في الفتيان حتى ترى
الشاب الجميل الذي لا نبات بعارضيه فتتحيل
عليه بلطف حتى تأخذه الى دارها ومن المعلوم ان
شبان السودان لا يحلقون رؤسهم بل يوفرونها
فتصير الوفرة لهم كشعر النساء فتتحيل عليه العجوز

فتجعل

وتجعل وفرته صفائر كضفائر النساء وتلبسه حليًا
كحليهن من عقود وتمائم ومدارع منجورة وتلبسه
دراعة وفردة وثوب بحيث لا يشك رائيه انه امرأة
وتدخله دار السلطان بين نسائه فيتمتع ما ولج ذهب
خوفها وسلمته لمن ارادت ادخلته برسمها فيمكث ما شاء
الله ان يمكث فان ستر الله عليه خرج كما دخل وان
عثر عليه قتل ومن العجائز من يتحيل في خروج بان
يكون المراة منهن بثياب سخنة قذرة وتخرجها امام
الناس جهارا فاذا عثر بها البواب او احد الخصيان
وذلك لا يكون الا اذا علم الخصي انه ان عارض انفتح
له هوى فيقتل فيه فحينئذ يسكت فتراه عنه وتدخل
المراة وتخرج من شاءت ولم تخش باسا ومن
ذلك ما وقع من بعض محاظي السلطان صابون
مع ترقنك محمد بن عمها وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا
ولا فائدة في الاعادة وهذا يقتضي انهم خطؤا الخصيان
لان الخصيان انما عليهم من جهة السيد والامر
بخلاف ذلك غريبة حكى لي من اثق به انه لما
راى الغلب عليه في قتال السلطان محمد فضل كان عنده
امراة من اجمل النساء فذبحها قبل موته لئلا يحظى بها
غيره وهذه نهاية الغيرة ورايت في دار فور وفي
الواداي كثيرا من الخصيان كل منهم حائز نساء عديدة

وسألت من أهل الخبرة ما يصنعون بهن وهم كهن
من حيث أن أعضاء التناسل مفقودة فقيل لي أنهم
يساحقون النساء ويشتد بهم الحال وقت المساحقة
حتى أنه بعض الأنثى وقت الانزال عضا مؤلماً
وكنت لجهلي بعلم الطب أصدق ذلك لأن وظيفة
العضو قد تفقد بفقده والعلة تدور مع المعلول
وجوداً وعدماً وكنت سألت أهل الخبرة عن
كيفية الخصي فأخبرني بعضهم أنه يؤتى بمن يراد
الفعل به فيضبط ضبطاً جيداً وتمسك المذاكير
وتستأصل بموسى حاد ويوضع في ثقب مجرى البول
أنبوبة صغيرة من صفيح لئلا ينسد ويكون قد سخن
السمن على النار تسخيناً جيداً حتى يغلي ثم يكوى به
محل الجرح بعد أن يكون محل القطع جرحاً جديداً
فينقلب جرحاً نارياً ثم يداوى بالتغيير عليه بالفتائل
والأربطة حتى يشفى فإن قيل إن في هذا
تعذيباً للحيوان الناطق وقطعاً للتناسل المأمور
بكثرته شرعاً قلت نعم قد صرح غير واحد من
العلماء بحرمته خصوصاً الجلال السيوطي رحمه الله تعالى
فإنه صرح بالتحريم في كتاب ألفه في حرمة خدمة
الخصيان لتصريح سيد ولد عدنان لكن الحرمة
على الفاعل وإنما يخصي الخصيان قوم من المجوس

ويأتون

ويأتون بهم إلى بلاد الإسلام فيبيعونهم ويهادون
بهم ولا يخصى على يد المسلمين منهم إلا القليل النادر
وأما استخدامهم بعد الخصي فلا ضرر فيه بل فيه
ثواب عظيم لأنهم لو لم يستخدموا لحصل لهم الضرر
من وجهين الأول مما وقع عليهم من الخصي الموجب
لفقد اللذة العظيمة وقطع التناسل والثاني من
ضيق المعيشة فإن قيل إذا كان الأمراء كالملوك
ومن يجري مجراهم يجمعون كثيراً من النساء في دورهم
وكلهن شابات ومن المعلوم أن الغيرة موجودة
فيهن كما هي موجودة في الرجال لأنهن شقائقهم
فكيف يباشرون بعضهن خصوصاً إذا أحب
الرجل واحدة منهن وأعرض عن غيرها قلت
إذا أحب أن العداوة واقعة بينهن على قدر أحوالهن
فكل منهن تتمنى أن يخلو لها وجه زوجها ولا يألف
سواها لكن لما كن تحت قهر الزوج خصوصاً إن
كان ملكاً يخفين البغضاء ويظهرن المودة وهذه
عادتهن في إخفاء ما يبطن وإظهار ضده ولا يظهر
ما أخفت المرأة منهن إلا إذا زال خوفها وملكت
رشدها وحينئذ تظهر ما كان كامناً في صدرها
فإن قيل ما رتبة نساء السودان في الجمال
قلت اعلم أن نساء السودان على أقسام في ذلك

ومن المعلوم ان كل قبيلة يوجد فيها الجميل والقبيح
لكن هناك قبائل يوجد فيها الجمال اكثر واخرى يوجد
فيها القبح اكثر واقل قبيلة في دارفور في الجمال
هم التمورك لانهم وحشيون اهل جبال وسوء معاش
وكذا الكراكيت وقد ذكرنا سابقا ان قبيلة البرقي
والميدوب اجمل نساء من غيرهما ويليهما قبيلة
البيقو والدرقو والميمه والتنجر واشوه قبائل الفور
نساء اعجام الفور ويليهم الداجو والبرقد والمساليط
وان في دار الوادای فقبيلتي ابسنون ومنيق
اجمل الوادای نساء ويليهما الكوكه وكشمرة واقبحها
نساء التاما ويليهما البرقد والمساليط والداجو
ولا يقدر الانسان ان يبارى بين جمال اهل
السودان وغيرهم من اهل بلادنا لاختلاف اللونين

تنبيه اجمل اهل بلاد السودان عموما
من شرقها لمغربها نساء عفنو ويليهم بافرمة
وبرنو وسنار واوسطهم الوادای ويليهم الفور
واقبحهم التنبوتامه والكنكو وبالجملة فالجمال
يوجد في كل قبيلة لكن قد يقل في واحدة ويكثر
في اخرى وسبحان من خص من شاء بما شاء لارب
غيره ولا معبود سواه فما كل اسمر مسكا ولا كل احمر
ياقوتا ولا كل اسود زبادا ولا كل لماع ماسا

وان

وان شئت قلت ما كل اسود فحما ولا كل احمر لحما
ولا كل ابيض جيرا فقد يوجد في الاسود والاسمر
من الجمال ما لا يوجد في الابيض الناهق وكان في
نفائثر يقول وهل تستوي الظلمات والنور او الظل
والحرور لكن من الناس من تعشق في السمر حيث قال

وفي السمر معنى لو علمت حسنه … لما عشقت عيناك بيضا ولا حمرا

واحب بعضهم السودان وبالغ حتى قال

احب لاجلها السودان حتى … احب لاجلها سود الكلاب

وكنت قديما مغرما بهذا المذهب فقلت

يلوموني على حبي لسودا … وما علموا السيادة في السواد
فقلت لهم دعوني لا تلوموا … فان السود سادوا بالسواد
ودر البيض لولا الحاجبان … وخال الخد خالد في السواد
لما عشقوا ولا نظروا بعين … ولكن الفضيلة في السواد

وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم … لون الغوالي ولون المسك والعود
اني امرؤ ليس حب البيض مكرمة … عندي ولو خلت الدنيا من السود

وقال الفاضل الشيخ عبد الرحمن الصفتي

بالروح اسمر نقطة من لونه … تكسو البياض من الجمال شعارا
ولو استقر من البياض بعينها … لا عتاض من ثوب الملاحة عارا
ما هي سلافية سكرت وانما … زكت سوالفه العقول سكارى
حسد المحاسن بعضها حتى اشتهت … كل المحاسن ان تكون شعارا

عـ
لو فات حمًا عوض جبر ا
في الخطة كان الطحن
وايضا اذ كان الشحم جوار
اللحم كان مقبولا ٥

وكنت عارضته بقصيدة منها قولي

لحق ابيض ودع مقالة معشر ... قد عاندوا واستكبروا استكبارا

وقال الصفدي ايضا

قالوا اتعشقها سمرا فقلت لهم ... لون الغزالة ولون المسك والحدق
وما تركت بياض البيض عن غلط ... انى من الشيب والاكفان في فرق

وتغالى بعضهم في مدح البياض وذم السواد بكلام
يطول وقال من عاند في ذلك عميت بصيرته عن قوله
تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
ولكل وجهة هو موليها والناس فيما يعشقون مذاهب
تنبيه يجب على العبد ان يعلم ان الله خص
كل اقليم بما لم يوجد في غيره وجعل في كل قبيلة
خاصية لا توجد في غيرها ولذا اذا تغرب انسان
من بلد لاخرى يكون هواؤها مخالفا لبلده فيحصل
له مشقات حتى يتغير عليه فيعتل فربما مات
وان لم يمت يطول مرضه ولا يصح جسمه حتى يعتاد
بهواء البلد التي سكن فيها بعد طول المدة وتقوى
بنيته ولما كان الامر كذلك كان الاولاد الذين
يتناسلون من ام واب فزاويين مثلا اطول
اعمارا ترى الرجل له عشرة من الولد واكثر اقوياء
اصحاء وكذا عرب البادية هناك لا يموت الرجل
منهم حتى يرى من ولده عددا كثيرا فلو انعكس الامر

بان

بان تزوج فزاوي عربية ترى سلالتهما ضعيفة
نحيفة لا يعيش منها الا ما قل وندر وهذا مما يدل على
ان في البلد والجنس خاصية لا توجد في غيرهما لان كل
ولد يوجد من ابوين من نوع واحد وبلد واحد كان
اقوى بنية واعدل صحة وترى من انعكس فيه الامر
ضعيفا فاسد اللون نحيفا ورايتهم في دارفور
ودار واى يستعينون على صحة الطفل باخذ الدم فياخذون
الطفل حين يستكمل اربعين يوما من ولادته ويشرطون
بطنه من الجهتين اعني اليمنى واليسرى تشاريط كثيرة
وينزل منه دم كثير وحين يستكمل ثلاثة اشهر يفعلون
به كذلك وربما هاج عليه الدم فقتله واكثر امراض الاطفال
عندهم ابو لسان وصورتها هكذا وهي حديدة
مركبة في يد من خشب ومعها قطعة خشب ناعمة
فيدخل الطبيب الخشبة اولا حتى يوصلها الى المحل
الذي فيه الزائد ويكون العليل قد ضبط ضبطا
جيدا ثم يدخل الحديدة بعد ارسالها المعوج الى
اصل الزائد من الجهة اليسرى الاخرى ويثني الزائدة
بين الحديدة والخشبة ويتكئ عليهما معا فتنقطع
الزائدة فيخرج الحديدة والخشبة معا فيرى على الخشبة
قطعة لحم صغيرة ويكون قد استحضر على قطعة
نطرون وسحق جيدا بين حجرين ثم يذر الرجل

اصبعه ويجعله على المسحوق فيلتصق به ويدخله
في فم العليل بعد ان يكون قد ادخل الخشبة لكن
لا يوصلها الى محل الالم بل حتى يتجاوز اسنان
العليل ثم يدعك محل القطع بالمسحوق الذي على
اصبعه دعكا جيدا فيبرأ العليل بذلك واذا ترك
ابو اللسان المذكور اخذ جسم الطفل ونشأ عنه
اسهال عجيب فيكون سببا في قتله ويليه مرض
آخر يسمى عندهم ام صبع ولا يعتري الا الاطفال
ايضا وهي استرخاء يقع في اللهاة وبثرة تحدث
فيها فلا يشرب العليل اللبن ولا يأكل ويصفر
لونه فيدعون له بالطبيب فيأتي ويسحق النطرون
كما تقدم ويضع الخشبة وحدها في فم العليل
ويدخل اصبعه فيرفع اللهاة ويفقأ البثرة التي
توجد في العليل فينزل منها دم وقيح ثم يغمس
اصبعه مبلولا بريقه في النطرون ويدلك به البثرة
واللهاة لكن يفعل ذلك ثلاثة ايام فيبرأ العليل
وقد ينتج الاسهال المفرط لكن ينظر في الطفل
فان كان ابن سنتين ووجدوا المتعدة تبارزت عن
محلها حكوها بشقفة حتى تنفقأ وانما فيها من
الشور وينزل منها دم كثير فلو اماكله فيبرأ
وان كان صغيرا كابن سبعة اشهر او ثمانية

او

او نحوها كووه حول السرة اربع كيات هكذا ⁘
اعني تكون السرة في الوسط ويكون اعلاها واسفلها
وانسيها ووحشيها وقد يعتري الاطفال المرض
المسمى بالعزيز وهو مرض ناشئ عن اصابة في المخ
فيترك الطفل يعبث بيديه ورجليه على غير الحالة
المألوفة واهل مصر كاهل تونس يقولون انه من
الجان حين يترك الصبي وحده في محل يعتريه هذا
الحادث فيقتل في مصر وتونس وبلاد الغرب
اطفالا كثيرة فاما اهل مصر يستشفون في علاجه
بالكتابات لاعتقادهم انه من الجان فيأتون بمن
له شهرة في الرقى والعزائم والتمائم فيكتب للعليل
ويرقيه هذا وقد يصادف ان العليل يخف المه وقد
لا ينجح واما اهل السودان فيعالجونه بالكي
في الجبهة بان يأتون بلب قصبة من قصب
الدخن ويلامسون بها النار حتى تاخذ فيها وتبقى
لها زهرة كزهرة الشمعة التي تنطفئ فيكوون العليل
بها فيبرأ لوقته ومن امراض الاطفال هناك
ابو صفير وهو مرض يعتري الطفل فيفسد لونه
ويصير صفرة ظاهرة وهو المسمى في كتب الطب
باليرقان الاصفر وهناك امراض الصغير
والكبير فيها على حد سوا فمنها الوردة وهي الحمى ولا يكاد

ينجو منها احد في كل سنة وتتسلطن عندهم في ايام
الخريف واول الربيع المسمى عندهم بالدرت وهو
وقت خريفنا وتتنوع فمنها حمى الورد التي في كل يوم
وساعة معينة ومنها حمى الغب وهي التي تاتي يوما
وتغيب يوما ومنها حمى التثليث وهي التي تاتي بعد
كل يومين ومنها حمى الربع وهي التي تاتي بعد ثلاثة
ايام وهي اقوى انواع الحمى واقل منها بدرجة
حمى التثليث ومنها الحمى المطبقة وهي التي لا ترتفع
عن صاحبها الا بالشفا او بالموت وتسمى في مصر
بالنوشة وهي في عرف الاطبا التهاب معدي
وكلها عند اهل السودان تسمى بالورده لا يميزون
بينها ومن الامراض العامة الربانية عندهم الجدري
وهو عندهم كالطاعون في مصر ويتخوفون
منه لانه قتال جدا وكل من مرض به منهم اخرجوه
من البلد الى محل ما في الخلاء وبنوا عشة تسمى
عندهم بالكربابة وتركوا عنده من يخدمه ممن
يكون قد مرض بالجدري وكلما مرض احد نقلوه
اليه وهكذا هو الكرنتينة بعينها **تنبيه**
اخوف اهل السودان من الجدري اعراب
باديتهم لان الجدري ان دخل في حي من احيائهم
افناه ولذلك تراهم اخوف الناس منه

ولقد اخبرني رجل من اكابر البرقد يقال له علي
ود علو انه كان مرض بالجدري وقاسى ما قاسى
ثم شفاه الله فلما قشر جدريه وقبل ان يندمل
صار يؤذيه الذباب فكان يتلثم لاجل ذلك
قال بينما انا ذات يوم متلثم واقف على باب
داري اذ رايت اعرابيا قد جاء يمشي مشية
الخائف فلما راني اقبل علي حتى دنا مني وسلم ثم
أمانا عليك هل في ناحيتكم هذه جدري فقلت
كفانا الله شر الامانة ورفعت اللثام عن وجهي
فحين راني صاح صيحة عظيمة وسقط الى الارض
فجاء لصيحته اخوانه من الاعراب فرفعوه وذهبوا
به وكنت انا حين جاء اخوانه فررت لئلا يقتلوني
فبلغني بعد ذلك انه مات بعد ثلاثة ايام ومن
خرافات اهل السودان انهم يقولون ان الجدري
حيوان لا يشاهد الا اثره يعلق بالانسان فيقتله
وسمعت من كثير منهم انه راى اثره ويتواطؤون
على ذلك ويصدق بعضهم بعضا وسالتهم عن اثره
كيف هو فقال اثر مستديرة متوالية هكذا ......
على سطر واحد فكل بيت اصبحنا ولا بنا ذلك الاثر
دخل فيه نجد اهله قد اصيبوا **عجيبة**
اخبرني القاضي الدليل قاضي القضاة بمملكة

الوادى حين جاء الى القاهرة سنة ١٢٥٧ سبع وخمسين
ومائتين والف ان المرض المسمى بالهيضة واهل مصر
يسمونه الهوا الاصفر الذى كان اتى الى مصر من الحجاز
سنة ١٢٤٧ سبع واربعين ومائتين والف ذهب الى
بلادهم واخربها وقتل منها عالم كثير كنا نظن انه
لا يصل الى هناك فسبحان الفعال لما يريده
لا معقب لحكمه ومن الامراض العامة الكثيرة
الحصول عندهم المرض الافرنجى ويسمى عندهم
بالججل وكثرته عندهم لكثرة الفساد وليس له
عندهم دواء الا الكى ومثله الحضر وهو السيلان
الابيض ومثله الهبوب وهو كيح ينعقد فى البطن
السفلى من المراة او الرجل واكثر ما يوجد فى النساء
يقولون انهما معديان ومن الامراض الفاشية
عندهم الجذام وهو تاكل مارن الانف واطراف
الاصابع وكذلك البرص الا انه اقل ومنها داء
ابو الصفوف وهو ذات الجنب ودواؤه عندهم
بالتشريط على الاضلاع فيشرطون اربع صفوف
او خمسة كل صف اربع شرطات او خمسة هكذا
ويدعكون بالملح بعد التشريط بمسحوق
النسطرون فينزل من الفتحات دم كثير فيبرا
المصاب ومنها الفرتيت وهو كثير عندهم

ويسمى

ويسمى فى مصر بالفرتيت وهو ورم يحدث فى الساق
او اليد او فى محل اخر فيتكون منه قيح فيبزغ ويخرج
من محل البزغ خيط ابيض طويل اشبه بالعصب الا
انه غير متين كالعصب والظاهر انه حيوان لانه
يخرج ويدخل وعلاجه البزغ والتدفئة ومن الامراض
العضوية عندهم السوتية وهى مرض يخص الركبة
وهو ورم كالفرتيت الا انه لا يظهر له خيط ويتكون
داخله قيح كثير ولا يبرا حتى يبزغ المحل بحجامة
ثلاثة صفوف فى كل صف ثلاث فتحات او اربع
فينزل منها قيح كثير ويدهنون بالسمن
والتدفئة يبرا العليل ومنها الدقرى وهو مرض
يخص طول الساق على طولها وهو ورم كورم السوتية
الا ان هذا يمتد على قصبة الساق وذاك مقصور
على الركبة ومن الامراض عندهم التى تصيب
الاطفال الحصا والبرجيك وهى الفرفرية ومن
الامراض العامة وجع الطحال اعنى كبره والاستسقا
بانواعه واغلب الامراض عندهم الا الطاعون
والسل فلا يوجدان وان وجد السل فنادر واما
الجراحة فمتعفنة عندهم لكثرة الذبان والحر
فتراهم يخيطون الجروح حتى ان من جرحت
امعاؤه يرجعونها ويخيطون عليها فيبرا

وكذا يداوون الشجاج بانواعه وقد ذكرنا سابقا ان
هناك اناسا يسمون الشلايكين يعملون عملية الكتوت
من العين مع المهارة التامة واعرف منهم رجلا شهيرا
يسمى الحاج نور عزا انهم لا يستعملون البتر ولا القطع
ولا الاستئصال وامراض الادرة قليلة عندهم
هذا ما انتهى اليه علمي في ذلك واطباؤهم مسنوهم فلا
تجد فيهم طبيبا شابا الا نادرا ومن برع في صناعة
الطب يرجع اليه الناس ولو من مسافة ايام ويكرمونه
اكراما تاما واكثر ادويتهم التشريط والكي ولا يستعملون
من الباطن الا التمر هندي والعسل النحل والسمن البقري
عجيبة اخبرني شيخي العلامة مدني الفوتاوي
عليه سحائب الرحمة انه كان اصيب بالنقرس الذي هو
وجع المفاصل وان اعرابيا من البادية وصف له الوقوف
في السمن البقري فقال امرت باحضار شيء كثير
من السمن البقري وسخن على النار حتى ذاب ذوبانا ما
فنزل عن النار وترك الى ان هدأ وصار يتحمله
الانسان فربط لي حبل في سقف البيت وصار
طرفاه بيدي وافرغ السمن في قصعة كبيرة وجعلت
رجلي ووقفت في السمن وسكن الحبل المذكور
فكان معينا لي على طول الوقوف قال فما اشعر الا والسمن

يسري في جسمي كسريان السم عزا انه اولا صعد الى ساقي
ثم الى ركبتي ثم الى فخذي ثم سرى من النصف الاعلى
فصرت احس به يصعد في جسمي شيئا فشيئا حتى وصل الى
عنقي فاخذني دوران وغشي علي وكدت اسقط فتلقاني
الخدم ودثروني واضجعوني على فراشي وانا لا اشعر بشيء
من ذلك فظللت نهاري كله وليلي كله كذلك ثم
افقت عند الصباح وانا ناشط كانما انحللت
من عقال بعير فرايت انه خرج مني عرق كثير كريه
الرائحة وبذلك شفاني الله تعالى واخبرني
غير واحد ان اهل البادية كذا يفعلون حتى بلغ هذا
الخبر التواتر ولكونهم يتعاطون السحر كثيرا يتداوون
بالكتابة وعندهم اناس مشهورون بذلك واكثرهم
شهرة فلاتا وكيفية الولادة عندهم اذا اخذ المراة
الطلق اتاها بعض العجائز من النساء وربطوا لها
حبلا في سقف البيت فتمسكه وهي واقفة وتعتمد
عليه كلما اشتد بها الوجع وتفرج بين رجليها حتى
يسقط المولود فتتلقاه احدى النساء الحاضرات
وتقطع سرته وتضعه على فراشها فاذا تم للوليد
اسبوعا عملوا العقيقة كل انسان على قدر حاله فتجتمع
النساء عند النفساء والرجال مع الرجال ويكون قد
ذبح شاة فتاكل النساء والرجال لحم الشاة

ويسمون المولود ثم يتزوفون ويطعمون النفسا في ذلك
الاسبوع عند الصباح المديدة وهي الحريرة بلغة
اهل مصر والحسو بلغة اهل المغرب والكريم
بلغة الافرنج وعندهم الطعام لحم دجاجة ان كانوا اغنياء
فان كانوا افقرا المديدة ايضا وهي مركبة من دقيق الارز
ودقيق التبلدي او الهجليج فان كانت من الهجليج
كان بها امرار وان كان من التبلدي كان حامضه
فان تم للمولود شهرين او ثلاثة حملته امه على ظهرها
وربطته بثوبها ويسمى ذلك الحمرقوقو فتحمله كذلك
وتذهب الى شغلها من زرع وماء وحطب حتى يشب
ولا يزوجون بناتهم الا اذا بلغت البنت الحلم وعرفت
منفعة الرجل ولقد مكثت عندهم سبع سنين
ما رايت عروسا تزوجت قبل بلوغها وان عقد عقدها
قبل البلوغ لا يبني بها الرجل الا بعد بلوغها لان
عادتهم ان الرجل يملك ويترك مدة فمنهم من لا يبني
بعروسه الا بعد سنتين ومنهم بعد ثلاث والمستعجل
منهم يبني بعد سنة هذه البنت واما الثيب فيبني بها
الرجل يوم ملاكها او غده واما قراءة القران فمتأخرة
جدا لانهم لا يقرؤن القران الا بالليل في المكاتب
فيكون الصبي في النهار سارحا بماشيته من غنم
او بقر وبعد ان يرجع في المسا ياخذ لوحه ويذهب

وعلى كل صبي الاتيان بالحطب يوما فيوقدون
النار ويحيطون بها فيستضيئون بها بنورها
وعلى ذلك الضوء يحفظون ويكتبون وحفظهم
غير جيد فلذلك كل من يحفظ القران منهم حفظا
جيدا واما قراءة العلوم فمتأخرة ايضا لعدم العلما
واكثر قراءتهم للفقه والتوحيد واما المعقول فقليل
جدا ومع قلته لا يقرؤن الا قليلا من النحو واما
المعاني والبيان والبديع والمنطق والعروض فلا
يعرفون منه الا الاسم ومن يعرفه منهم يكون قد
تغرب لبلد اخر كمصر وتلقاه فيها فاذا رجع الى بلده
كان هو العالم واكثر ما يعانونه الروحاني والسحر
ويسمون علم السحر علم الطب ومن يعرفه يسمى طبانيا
وهذا العلم يوجد عند الفلان اكثر من غيرهم
وقد ذكرنا سابقا ما وقع من الفقيه مالك في اولاد
السلاطين وسحرهم حتى رجعوا الى الفاشر بعد
ما هربوا منه وما وقع من الفقيه تمرو فلا فائدة
في الاعادة **تنبيه** اعلم ان اهل دارفور
وان كانت كلها اقليما واحدا ومملكة واحدة هواؤها
مختلف فاصحها الفور فلذلك تجد من فيه من اعراب
البادية اقويا اجريا السلامة ارضه من العفونات
والوخم لكن ماؤه قليل فقد ذكرنا سابقا ان منهم من

من بينه وبين الماء مسافة يومين واكثر ويليه
في الصحة بلاد الزغاوة المسماة بدار الزنج فلذلك
تجد الزغاوة والبديات القاطنين بها في غاية القوة
وسلامة الاعضا واردا ها هواء الصعيد لكثرة
مياهها ووخمها وعفونتها لكن لا تكون وخيمة الا على
من لم يعتدها واما المولود فيها تراهم اصحيا اقويا
لكن عندهم الحمى كثيرة واردى من الصعيد المدن
داتواها الفاشر ويليه كبيه وكبكابيه واما
بلاد تنفرو وبيكاو فلا فان اخم الاماكن كلها لكثرة
الرطوبة عندهم ومع ما في دارفور مما ذكرناه من
الامراض كل منهم يحب وطنه ويالف سكنه واذا تحول
الى غيره يبكي عليه ويتمنى الرجوع اليه وهذه غريزة
جبل عليها الانسان وانطبع عليها الجنان من قديم
الزمان فلذلك كان المصطفى صلى الله عليه وسلم
يحن الى مكة حنين المشتاق ولولا ان الله امره بسكنى
المدينة لاقام بمكة بعد الفتح باتفاق لكن من حيث
ان امراض بلاد السودان لم تكن وبائية قتالة
وكانت اعمارهم اطول من اعمار غيرهم فلذا اتجد فيهم
المسنين حتى تجد من يجاوز المائة وعشرين سنة
واما ابناء السبعين والثمانين والتسعين فلا يكاد
يحصرهم العد ولا يوتي لكثرتهم على حد هذا

مع

مع ما ابتليوا به من الفتن والحروب والمحن لان كل
قبيلتين منهم بينهما دم مسفوك وثار يطالب به
غير متروك كما بين البرتي والزيادية وبني عمران والميمة
وفلانا والمساليط والمسيرية الحمر والزريقات
والمجانين وبني عران والزغاوة والمحاميد مما لا يكاد
يحصى هذا خلاف فتن الملوك وخلاف ما يصير من
القتل في مجلس الشراب في المعاندة مع الكواعب الاتراب
ولولا ذلك لكانوا في الكثرة كياجوج وماجوج وضاق
بهم الفضاء المروج فان قلت اذا كان الامر
كما ذكر فما بال النساء العجائز قليلة مع انهن
لا يقاتلن ولا يحضرن قتالا ولا حروبا فلو كان ما ذكر
صحيحا في عدم كثرة الرجال كان وجود النساء
المسنات كثيرا مع انهن مثلهم او اقل قلت
لما كن يجزعن على من قتل لهن من الرجال ويحملن بعدهم
الضرر والنكال كن عرضة للامراض الردية الجالبة
للمنية بسبب ما يحصل لهن من التغيرات
النفسانية ومع ذلك واستوصى بامي او باختي خيرا
فقلت له يا ابت انت الان كبير السن وفي السفر مشقة
عليك لا سيما وهذا سفر بعيد فدع اسا طر مكانك
واقوم مقامك في كل ما تامرني به واكتب معي مكاتيب
الى السلطان والى اخيك زروق فتقضي حوائجك

فضل الحسنا سقط

على ما ينبغي وانت قاعد مطمئن في محلك فابى علي وقال
لا يقتضي حاجتي غيري ولا يمكن انك تقوم مقامي في ذلك
ثم انه نزل الى تونس من السانية وترك بنات اخيه
وامه بها واخذني بصحبته وذلك في رمضان فاقمنا
معه حتى انقضى الصوم وباع جميع الجواري في تلك
المدة ولم يبق معه الا عبده سعدان واشترى بضايع
تصلح للواداي وما يصلح لان يهدى الى السلطان
ومن جملة ذلك ساعة حبطية اذا جاء وقت الساعة
الموسيقيا قبل ضرب الساعة بنحو اربع دقايق ثم
تضرب الساعات وقد غالى في ثمنها فاخذها بمائة
وستين ريالا واشترى بعض كتب واكثر من شراء
الشاي والخرز الجيد والاثواب الغالية والشمع
الابيض المكوفر واستعد وسافر من تونس في اخر
شوال سنة ١٢٣٧ سبع وثلاثين ومائتين والف ومكثت
بعده في تونس اياما قلايل وتوجهت الى السانية ومكثت
مع بنات عمي وانا صفر اليدين لا درهم ولا دينار
في يدي ودخل علي الشتا فحرثت وزرعت وكنت اذا
تضايقت ابيع من الشعير الذي عندي وحرضتني
جدتي على ان اتزوج باصغر بنت عمي فابيت عليها اولا
ثم رضيت فعقدت لي عليها في ذي القعدة سنة
وبنيت عليها في اخر الشهر من السنة المذكورة ثم كنت

سنتين وفي شعبان سنة ١٢٣٩ تسع وثلاثين ومائتين
والف ورد علي كتاب من سيدي محمد بن يونس كاتب
يوسف باشا يخبرني بوفاة والدي فتجهزت على الفور
وتوجهت الى طرابلس فلم اجد قافلة وبينما انا
في طرابلس اذ جاءت قافلة من مرزق وفيها سعدان
عبد والدي فاجتمعت معه في طرابلس واخبرني ان
والدي كان ارسله برفيق الى فزان فباعه بها وتجهز
للسفر وقبل سفره ورد الخبر بموت مولاه فدعاه
حاكم فزان واخذ منه ثمانمائة وستين فرانسا
وجملا وملاءة حجازية فعرضت هذا الامر على سيدي
محمد بن يونس فكتب لي امرا من يوسف باشا الى محمد المكني
حاكم فزان ان يعطيني مال ابي من غير توقيف واخذت
معي للحاكم هدية سنية وحين خرجت القافلة الى
السفر خرجت معها على طريق ابي نجيم وسوكنة فكانت
لم ار احسن منها قصرا وحسنا وعافية ولما بلغت
فزان اجتمعت بحاكمها فما طلني بعض ثم اعطاني
ثمانمائة ريال بعد المشقة والهوان وكانت القافلة
متوجهة فاشتريت من فزان ما يليق بدار الواداي
واجتمعت مع الفقيه علي بن مهيدي مقيما بفزان
وحين برزت القافلة للسفر احتاج الفقيه علي بن
مهيدي الى دراهم فاستقرض مني مائة ريال

وكنت لي صكا دخرجنا جميعا بعد قضاء اوطارنا
نقطعنا المفازة التي بين فزان والتنو ثم دخلنا
في اول بلاد التنو فعرفتنا قافلة قادمة من الوادي
فرايت فيها عمي زروق ومعه جميع مال ابي وعمي الطاهر
وشركاؤه فسلمنا على بعضنا واقامت القافلتان يوما
وليلة لاجل خاطرنا وحين رايت اعمامي في القافلة
لاسيما عمي زروق ومعه مال ابي سالته عن مال
ابي فانكر انه لم يكن معه لابي مال مع اني حين فارقته
لم يكن عنده الا نحو ثلاثة رؤس من الرقيق خلاف
محاظيه مع ان معه في ذلك الوقت ما ينوف عن مائة
راس من الرقيق ومائتي بعير وبلغني ان معه حمل جمل
من ريش النعام وان معه جملا اخر من فضة ومرجان
وان كل انسان في القافلة معترض اما من الدراهم
او من الجمال او من الغلال ورايته في القافلة
يامر وينهي وامره ممتثل وسالت الناس الذين
يعرفونه اتم المعرفة فطلبوا ان يشهدوا لي بما يعلمون
مراعاة لخاطره وحين تم على ذلك هذا ولم اجد لي
ناصرا ولا معينا رايت انا اني اريد الرجوع الى
الوادي ومعه عشرة رؤس من الرقيق كلهم صغار
فاستبدلت منه الرقيق واعطيته البضاعة التي
كانت معي ورجعت مع القافلة التي فيها اعمامي

حتى دخلنا الى فزان فوقعت المشاحنة بيني وبين
عمي زروق ولم اجد لي منصفا وابرزت ورقة فيها
اعتراف من والدي ان اخاه زروق شريكه في كل ما
ملكت يده في الوادي وفي تونس وطلب المقاسمة
معي وفي تلك الورقة شهادة المرابط عمر المذكور
سابقا وشهادة رجل اخر وعليها ختم قاضي الوادي
الفقيه نور ود وحين تفاقم الامر وعظم الشر بيني
وبينه سعى بيني وبينه الاكابر في طلب الصلح
فاصطلحت معه على ان يعطيني ثمانية عشر راسا
من الرقيق وكتبت بيننا اوراق لا شيء له عندي
ولا شيء لي عنده واصطلحنا على ذلك وسلم لي
اختي العسري وكانت من خطه له عبد وسيد
كان السلطان عبد الرحمن اعطاها له مع جارية
اخرى زغاوية فقتلت نفسها غيرة من ضرائرها
وحينئذ جهزت انا نفسي للرجوع الى تونس فرجعت
كارا الى تونس وكان بين خروجي منها ورجوعي اليها
عشرة اشهر لا غير ودخلت تونس ومعي نحو من خمسة
وعشرين راسا وحصل لي في طريقي متاعب واهوال
اعرضت عن ذكرها خوف الاطالة والملل وكان
لدخولي الى تونس يوما مشهودا حصل فيه لاحبابي
من الفرح ما الله به عليم وحين استقريت في الدار

قليلا اقبلت الناس على مسلمين وللجوارى مشترين
فما مكثت اياما حتى قلائل حتى بعت الرقيق كله ولم
ابق عندى الا عبدا واحدا اسميته سعدا واعتقت
العبد الكبير الذى اسمه سعدان عمى والدى وابقيت
امراة وابنته فى الرق واخذت جدتى منى امتين
ابقيتهما ايضا وكانتا خصتاها من ارث والدها
فجمعت ما خصنى من ارث والدى من ثمن الرقيق فكانت
حصتى الف محبوب وهى اربعة الاف ريال وخمسمائة
وفى اثناء ذلك ماتت اختى الكبرى ورجع سهمها
الى ثم مكثت فى تونس نحو سنتين مع قوة العيلة
وغلاء الاسعار فذهب منى فيها مبلغ عظيم فى الصرف
وعملت الى ان مكثت سنتين اخريين نفدت دراهمى
وبقيت لا املك شيئا فتعللت انى اتوجه الى الحج
وازور والدتى بمصر وجعلت اتاهب لذلك
وكنت اشتريت دارا عن الدار التى كانت لابى
بثلاثة الاف ريال فى المدينة فى محل يقال له
دار الباشا فراودت ابنة عمى على الذهاب معى الى
الحج فابت على فجهزت نفسى وعقدت مع احد
المعلمين فى الطربوش شركة وهو المكرم الاجل
سيدى محمد البامرى وجعلته وكيلا على اهل منزلى
وخرجت من تونس فى رجب واتفق ان الشيخ محمد السنارى

المدعو

المدعو بابن الطيب كان فى تونس وقصد المجئ الى
الحج فصادف خروجه خروجى واكترينا انا واياه
فى سفينة واحدة وكان نزولنا فى البحر من مرسى حلق
الوادى فصلينا الجمعة ونزلنا وتعطل رئيس المركب
لامر له فاقمنا بالمينا ثلاثة ايام ثم اقلعنا
فبتنا فى البحر ليلة وفى ثانى يوم حللنا مرسى سوسه
وهى مدينة من مدن افريقية لم ير بعد تونس
اجمل منها بناء ولا الطف منها اهلا فاقمنا بها نحو
ثلاثة ايام ولما لم يقلع بنا سالناه عن سبب مكثه
فاخبرنا انه ينتظر ان يوسق صابونا فسالناه هل
يمكن ان نتوجه الى القيروان لزيارة السيد الصاحب
سيدى عبد الله بن ابى زمعة ونحضر قبل ان تسافر
فقال يمكن فاكترينا دوابا واصبحنا مسافرين
فى البر الى القيروان فمررنا فى طريقنا ببلدة يقال لها
منستور واخرى يقال لها مساكن وفى اليوم الثالث
دخلنا القيروان وكنا جماعة والشيخ احمد ابن الطيب
هو رئيسنا وقائد زمامنا فدخلناها وزرنا صالحيها
لاسيما السيد الصاحب وهو فى مقام جليل لا يوجد
نظيره فى البناء والحسن والاتقان لان ارضه
كلها مرمر وحيطانه كذلك لكن مرمر الحيطان ملون
بانواع الالوان وازجه المعقودة هناك كلها مزخرفة

بماء الذهب وبالالوان المختلفة كالاحمر والازرق
ومقامه لا يوصف حسنه وزرنا في مقبرة القيروان
قبور جملة من العلما الفضلا كالامام ابي زيد
وابن ناجي وغيرهما من مجتهدي مذهب مالك
واضافنا مفتيها ضيافة عظيمة وهرعت الينا البلد
وارادوا ان يعوقونا عن السفر بالضيافة فمنعتنا
العجلة عن المقام واعتذرنا لهم بالسفر السفينة
واننا تركناها على سفر فعذرونا بعد الجهد
وخرجنا من القيروان وفضلاؤهم يشيعوننا مع
الاجلال والاكرام ورجعنا الى سوسة فوجدنا
سفينتنا باقية وبتنا في سوسة ليلتين ومن
العجب اننا لم نتعرف باحد من علمائها مع ان فيها من
الفضلا ما لم يحصر لان فيها اناس من ذوي قرابتي
وهم من افضل الناس ثم اقلعنا من سوسة وبقينا
ملججين في البحر لا نرى الا السماء والماء مدة عشرة ايام
وفي اليوم الحادي عشر دخلنا مرسى سكندرية
وكان دخولنا في عشية النهار فبتنا بمرسيها
ولما اصبحنا نزلنا في الفلايك ودخلنا البلد
واكترينا لنا محلا في وكالة البطاش وفي ثاني يوم
نزل الوسق وحجرنا عليه وكنت انيت وصحبتي
احمد زيان احد التجار بالثغر فهو الذي تلقى بضائعي

لانه

لانه كان معي صندوقان مملوءان طرابيشا
وعزارة فيها تبلغ اثني عشر بنها من القيروان وحجرت
عليها فاقمت بعدها في سكندرية يومين ونزلت
في مركب الى رشيد وكان ذلك فتح المحمودية
فجئنا على البوغاز وسلمنا الله تعالى فارسينا بكتاب
معنا الى الحاج محمد نعناع اشهر تجار رشيد فبت فيها
ليلة شر مبيت من الناموس حتى اني خرجت بالليل
ونمت على ساحل البحر ولما اصبحت حلفت ان لا ابيت
فيها فقيض الله تعالى رجلا ملاحا اسمه مصطفى
لانه معه قارب صغير فاكتراه لي منه الحاج محمد
المذكور الى بولاق بخمسة وعشرين قرشا ولم يكن
معه احد غيري فانزل صندوقاي وما معي
وفرشت سجادتي وصادفنا ريحا طيبة فما جاء
علينا اليوم الثالث الا ونحن ببولاق فنزلت
وما معي الا الخرج وما فيه من مؤنتي وادخلت
البضاعة في الديوان للكمرك وتركتها واكتريت
راحلين وفي احان السلطان صابون راحلين
وذلك بعد ان حضرت القافلة امنا يفتشون
على الاحرار ويسألون الرفيق الكبار والصغار
فكلما وجدوه حرا ردوه وما وجدوه حراما
اخذوه فدخلنا مغارة كثيرة العشب والمرعى

وهي مرتبع المحاميد وغيرهم من اهل البيد فوجدنا
خامس يوم بئر انزده العربان والبدبات واهل
تلك الفلاة ، علم الله انى نسيت اسمها فمكثنا فيها
يومين للراحة وارعينا ابلنا للاستراحة ثم
ارتحلنا منها الى بئر الردمات وكان بيننا وبينها
خمسة ايام بطلات فاخلينا الطريق وكدنا ان
نفنى بالزين وكان دليلنا رجلا كبيرا امرت
عليه دهار برد كان من طائفة من التبو التى تسمى
اهل فزان بنورشاده وكان بينه وبين طائفة
منهم عداوة يزعمون انه قتل منهم رجلا ودخل دار
الواداى فمكث فيها اكثر من عشر سنة خائفا من تلك
الطائفة انه اذا رجع يقتلوه فبعد مضى العشر
سنين تحرك قلبه الى الرجوع الى وطنه ومستقره
وسكنه وظن ان القوم نسوا ثارهم عنده فارتحل
معنا وكان هو الدليل لنا مع انه كان فى دار الواداى
في انعم بال واحسن حال يتجر ويربح وياكل ويسرح
لا يخشى الا الله وانا من اكبر سنده وعناه تحت قدره
وزعاه وكان معنا فى تلك القافلة من ابناء عمه
ما ينوف عن مائة وعشرين رجلا ومن الواداى
نحو ثلاثة عشر ومن العرب خمسة رجال لا غير
والخمسة المذكور العبد الفقير احدهم ورجل من

طابلس

طابلس المغرب اسمه الربى عبد الله وهو الثانى ورجل
من فزان اسمه محمد خير باسرد وهو الثالث ورجل من
فزان ايضا من زويلة من عمل فزان اسمه السيد احمد
ورجل من غرب طابلس اسمه خليل فلما اخلينا الطريق
وحصل لنا ذلك التعويق ابينا ان نسافر فانخنا
المطايا واخفينا ما معنا من المال فى زوايا الخبايا
وركب احمد الخبير ومعه من التبو اولاد عمه جم غفير
وضربوا البر يمنة ويسرة يبحثون عن البئر المورود
ما حصل فبعد مضى ساعات من النهار اقبل الادلاء
من البر الاقفر وعلى وجوههم الغبار ومنتشر ونابان
الماء قريب وان وصولنا اليه سهل ولو كنا نذب
دبيب ففرحنا به الحزن والغم وزال ما كنا نجده
من الهم وازعجنا العيش بالحثيث رجاء الوصول
الى الماء قبل ان يضربنا العطش الخبيث فبعد
ساعة رأينا شجرات من الماء الدوم دنا لو اهى
محل الماء الذى نرده فى هذا اليوم فما راعنا الا ان
وجدنا اعداء احمد الخبير قد حالوا بيننا وبين الورود
الى ذلك البئر وارسلوا الناس من عندهم انسانا راكبا
على جمل كانه حصان فلما قرب منا نادى
بلسان التبو يا اهل القافلة ان مولانا السلطان
قد حضر مع عساكره الى هذا البئر ومنعكم الورود

واعلموا انكم لم تصلوا الى الماء حتى تسلموا الينا خبيركم
نقتله بصاحبنا المقتول فقولوا الى ما عندكم
لاخبر السلطان به لاني رسول فترجم لنا عنه
بعض البدو الذين معنا حتى فهمنا ما قال واتفق
اهل القافلة على عدم تسليم احمد المذكور بل لا يعطوه
عقال فقالوا له ارجع الى اصحابك بسلام فنحن
لا نسلم لكم من في احد من عندنا والسلام فتوجه الى
اصحابه واعلمهم بما اتفق عليه الحال فتاهبوا
كلهم للقتال وحين راى البدو الذي معنا في القافلة
ما حصل انحازوا وحدهم عنا الا احمد المذكور
وعيلته فانه ما انفصل وكان حملنا بجماعة
احمد الخبير نحو خمسة وعشرين نفرا غير الرفيق
فانه كثير ولما قربنا من البئر زحف علينا القوم راكبين
ابلهم على كل جمل زوج وكانوا نحو سبعين بعيرا
فصدمونا صدمة واحدة ورمونا بالحراب
فرجعنا عن الخمسة واطلقنا في وجوههم البنادق
فعدوا كالزنابير وتركوا لنا البئر فوردناه وشربنا
من مائه ورعت ابلنا مرعاه وكنا ظننا بفرارهم
انهم تحملوا الى بلادهم فاقمنا في ذلك البئر يومين
كاملين وفي اليوم الثالث ما راعنا الا اننا سمعنا
صياحا عاليا وصوتا متعاليا فذهبنا نحو الصوت

فوجد

فوجدنا خمسة من الابل بوارك ومعهم عدة رجال
بالسلاح شوايك ووجدنا احد الخبير واتباعه مع جماعة
عليهم وجماعة الوادي واقفين بين ايديهم ومنهم
رجل كبير يظهر انه هو الزعيم وعلى راسه ملفوفة
قطعة من كليم عرضها نحو ستة قراريط وطولها
نحو ذراع وهو يمشي على استه كما تمشي الكلاب
والضباع فقال له كبير الوادي ما الذي
ارجعك بعد الذهاب وما الذي جاء بك ونحن
هذا الباب فقال اعلموا انني سلطان هذه
الديار وعليه وعندي عسكر لا يقع لكثرته عليه
عيار وانا خشيتكم من النا صحاب فسلموا الى احمد
واذهبوا سالمين فليس بيننا وبينكم معادات
وان ابيتم جلبتم لانفسكم المشقات لان الذي
قتله احمد ولد عمي وكان عندي كاعز من ولد امي
وانا اولى من اخذ بثاره وكشف من عاره فقال
له رئيس الوادي يا هذا اما تخشى على نفسك ان
تقتل كما قتل ابن عمك فقال لا اخشى ذلك لان من
يقتلني فهو لا شك هالك ونحن لا نترك ثارنا
ابدا ولو قطعت لحومنا فقام احمد المذكور ووثب
ونال منه واراد قتله فمنع عنه فاختلس فرسه
وعمد الى بعيره فعقره فقال له سلطان البدو

وهذه جناية اخرى وسنرى عن بعيري لا يذهب
سدى بل اعوض لكم عنه اباعر وانا لكم ولغنمنا لكم
دائما مناظر فقام كبير الوادي وضربه بصوت
كان في يده على ظهره وقال له اذهب وافعل ما شئت
لا انت ولا من جاء بك من ظهره فقام هو ورجاله
عن مكرسين وفي قلوبهم على اهل الوادي وابنو
الداء الدفين فاقمنا بقية نهارنا وملانا قربنا
وعدلنا احمالنا واصبحنا في وقت التحميل نودى
في اهل القافلة ان اصبروا نتفقد صنل الجماعة
الوادي بعيرا فصبرنا قليلا واذا بالصياح قد
علا واشتد الخوف والبلاء وقيل ان البدو قد
عدوا على البعير الضال فاخذوه وتقدم واحد
رجال الوادي فقتلوه فقسمنا الناس نصفين
نصفا ذهب الى القتيل والثاني بقي مع الرفيق
وما يعد للتحميل وكنت ذهبت مع الناس الى محل
البأس فوجدنا الرجل متعفرا في دمه مضطربا
في عندمه واذا بنا اليهم لا نحصي كثرة مردفين
على كل بعير اثنين وهم متلثمون بلثامات سود
كانهم غرابيب ويركضون اليهم كالخيل في ميدان
الحرب ركضا عجيبا ودنا منا رجل منهم وقال
اين تذهبون ما لكم لا تعقلون اعلموا انا اخذنا

في بعيرنا

في بعيرنا المفقود بعيرا احسن منه وفي ضرب
الصوت رجلا عظيما وسترون ما يفعل بكم
بعد ذلك وتندمون حيث لا ينفعكم الندم
ولولا ما معكم من البنادق لهجمنا عليكم في ساعة
واحدة وجعلناكم بنادق فاطلقنا عليهم
البنادق ففروا هاربين وبعد ان كانوا امامنا
صاروا اثرا بعد عين وحين تراءينا البدو
ومشوا وحدهم وادركنا الخوف والجزع وكثر
الهول والفزع وارتحلنا من ذلك البئر وهم
لنا محاذيون وفي كل ساعة علينا يهجمون ولم
نزل نهارنا اجمع ونحن منهم في كر وفر الى ان ذهب
النهار وجاء الليل والاعتكار فنزلنا منزلا للاستراحة
فما ابقوا لنا راحة بل يصولون علينا في الليل
البهيم وفي طول الليل طائفة علينا تهيم فهم
لكثرتهم تنام طائفة وتكون اخرى علينا طائفة
ونحن لقلتنا لا نغمض اجفاننا الا لماما ولم تسر
ما فينا نعاسا وهم اذا تمكنوا بأحد منا قتلوه ونحن
لا يمكننا ان نقتل منهم احد ولو انهم علينا القوة
لانهم جم غفير والبلاد بلادهم وشرهم مستطير
فكنا كذلك نقاسي منهم الاهوال مدة عشرين
يوما حتى سئمنا النكال ولم نخلص منهم

الا بدخولنا بلاد سلطان البتو المسمان بتورشاد
وهي بلاد كلها جبال وارض محمرة وليس في تلك
الجبال من النبات الا قليل فحين دخلنا تلك البلاد
زال روعنا وذهب خوفنا وبشرنا بعضنا بالسلامة
فدخلنا تلك الارض في وسط وسطا يومنا
اجمع حتى الى الاصفرار فاذ لنا وقد سرحنا ابلنا
للمرعى واطمانينا عليها انها ترعى وحين دنت
الشمس الى الغروب راينا البتو بيتا قطوب
علينا يعقوبا بعد يعقوب لكن حتى احاطوا بالقافلة
لكن عن مدانين لكل يعقوب جا منهم نزل
عن راحلته ومكثوا ساكتين وبينما نحن كذلك
اذ سمعنا صوت طبلة صغيرة تشبه طبلة
السعدية او ما كانت تضربه الحاورو الدالاتية
من الانكشارية واذا بالبتو حين سمعوا الطبلة
قاموا اجمعين وقالوا قد جاء السلطان نحن نبغي
فلم نشعر الا برجل كانه واحد منهم لا يميز عنهم
بشيء ابدا وامراته رديفته ولم نر مع غيره
امراة قط وحين راه البتو قاموا اليه وانا خو
راحلته وسلموا عليه وانزلوا امراته وادخلوا
في الارض اربع حراب متقابلات ولفوا عليها
ملاءة فكانت اشبه شيء بالذكنبة الذي ينصب

مع

مع السرادقات ثم دخل فيه هو وامراته واحدق
به من الخارج جماعته وجاء واحد منهم ونادى
يا اهل القافلة لا يبقى منكم انسان ولهلموا كلكم
للسلام على السلطان فقمنا اجمعين وتوجهنا
اليه مسلمين فلما وصلنا الى قرب المحل الذي هو
فيه ذلك المنحوس اشار علينا بعض جماعته
بالجلوس فجلسنا ثلاثة صفوف وتقدم واحد
منهم على ظهره فروة خروف وقال بلغته ان
اهل القافلة قد حضروا للسلام فقال له قل لهم
وعليهم السلام ولهم الامان منا والاكرام فبلغنا
ذلك الرجل الترجمان ثم قال يا اهل القافلة
بلغني انكم فوق ثلاث فرقة من الاشراف
وفرقة من الوادي وفرقة من البتو فكل فرقة
منكم تحضر على حدتها واعلموا اننا قرما نون
واهلنا كثيرون فاكثروا من العشا واتقنوه
وهيئوه سريعا واحضروه فقلنا له السمع
والطاعة وقمنا من عنده في تلك الساعة وصنعنا
الاطعمة على قدر الاستطاعة فبينما نحن نصنع
له في الطعام اذ رايناه وزوجته خارجين قيام
فتاملته فاذا هو رجل مسن كبير نحيف الجسم
شعره غزيرة عزيزة الخفت اشداقه وساءت

اخلاقه وعليه ثوب ازرق كالثوب المسمى في مصر
بالعرى الذي يلبسه الخدامون ويتلثم بلثام
اسود كانه قبطي محزون وبيده اليسار حربة صغيرة
رديئة وبيده اليمنى شغاب لسوق دابته
البطيئة وامراة عجوز جزبون كانها قوادة
تلتمس الزبون متلفعة بملاية بيبونية ماسدة
الزوجة وهي شوهاء رديئة فجاسا خلال الخيام
ورجعا وسالما على احد وتودعا فما المسا وجن
الظلام الا وقد راج الطعام فجمعناه وارسلناه الى
ذلك الزنيم فاخذ منه ما اختار ووزع باقيه
على موكبه اللئيم وبعدما اكلوا ارد والا وانى
وامر بصنع طعام في الصباح بانيه من غير
توانى والكد ان يكون قبل طلوع الشمس والا حل
بكم الوبال والنكس فنبهنا الخدم على صنع الطعام
في الصباح وبتنا بليلة بلا ليس بها استرواح
ثم لما اصبحنا بعثنا له الطعام كما قال وبدانا
التحميل للارتحال وظننا اننا برحيلنا نرتاح من
هذه الخدم اللحاح فمشينا الى الغروب ونزلنا بعد
ان مسنا اللغوب فما راعنا الا وهو قادم علينا
بطامته ومردف امراته وهو يتحدث مع جماعته
ونزل قريبا من كان بالامس وطلب منا الطعام

من

من غير شك ولا لبس فصنعنا له ذلك على كره منا
عجيب وبتنا بليلة لا نجد لدائنا طبيب وقبل الارتحال
صنعنا له الطعام وقدمناه له ولقومه الطغام
وعند المسا نزلنا في محل بين ثلاثة جبال بعدما قاسينا
من الوعر الاهوال فلما نزلنا قيل لنا هذا محل مملكة
السلطان فبتنا ليلتنا تلك بعد ان صنعنا له
الزاد وحضر الى القافلة من يستطيع الحركة
من اهل البلاد وكثرت علينا المؤونة وسالنا
الله المعونة فاصبحنا بتلك المنزلة مقيمين
وعلى تلك الاماكن متفرجين فرأينا عشش البنو
في سفاح الجبال والديار بلاقع من المال الا ان
لبعضهم لبعض شياه يستد بلبنها شتاه ولا
يوجد في تلك البقعة الا شجر السيال وبعض
الدوم ومن هذا الدوم تاكل القوم واذا مات
لاهل القافلة بعير هزيل اقتسموا لحمه فهو عندهم
الجزل الجزيل لانهم يشرحونه قديد ويستغنون
به عن اللحم الطري الجديد ولما اصبحنا على الرحيل
مسوليين هرب لي في تلك الليلة عبد واخذ
معه اثنين فتعطلنا في يومنا ذلك عن المسير واقمنا
للبحث عنهم لان ثمنهم غير يسير وعرفت ان الاحتيال
غرامة بغير فائدة ولم احصل الا على الندامة الزائدة

تنبيه من القواعد المقررة والامور المجربة
المحررة ان الانسان اذا دعى لمكرمة واباها او
لراحة ولم يرضاها ونفر عند ذلك يندم ويأتي عليه
ساعة يتمنى ان يكون قد سمع النصيحة ووعاها
واني جربت ذلك مرارا ورأيته جهارا من ذلك
اني لما نويت على هذه السفرة الوخيمة والرحلة
الذميمة اشار علي السلطان صابون وقال اقعد
حتى يأتي والدك وانت عندنا محصول فابيت الا
السفر فما حصلت الا على المشقة والكدر فحصلت
لي مشقة في هذه السفرة النحسة والعودة الرجسة
انه كان لي حمار مشيه سريع وثمنه رفيع فاخذته
معي وقلت احسن من ركوب الجمل وان يكون لي
على السفر عليه جر العمل فبعد ان ارتحلنا في المفازة
الاولى دخلنا في محل رمل يصعب على الدواب
المشي فيه فاسرعت به يوما حتى سبقت القافلة
ثم صبرت حتى جاءت القافلة ومرت كلها وانا
جالس وبودان غابت عن العيان ركبته واسرعت
به خوفا من الضلال والتوهان فاجهدته
غاية الجهد وما وصلت القافلة الا بعد تعب وكد
فتعب من ذلك الرمل وعرق حتى كأنه في البحر
قد غرق فما رثيت لحاله ولا ارعويت لكلاله

حتى

حتى جئت الى قطار من القافلة تتبعه جواري
فيهن جارية في ثوب الجمال رافلة فالتصق
بها الحمار كالمستجير من تعبه من المسير فسقط ذابي
وركض برجله ذنبا فضحكت علي تلك الحسناء من
بينها من الجواري وقالت خذ حمارك عنا وبارك
فحين اعياني امره نزلت عن ظهره وباحدى قدمي
في بطنه ركضته فسقط ميتا من تلك الركضة
كأنه ضرب بسكين ولم ادر ما سبب موت هذا
المسكين فخليت خزامه واخذت باسوره ولجامه
ومشيت اسعى على قدمي حتى لحقت جمالي وكنت
واحدا منها وثاني مشقة اني لما تجهزت
للسفر كنت اشتريت حبشيا علم الله ان صاحبه
نصحني وقال لي هذا عبد اباق فقيدته بقيدين
عظيمين وكنت بالليل اجعل الجنزير في عنقه احتراسا
وادق الوتد الذي في طرف الجنزير في الارض حتى
يغوص كله وينام عليه عبد من العبيد القدما فلم
يجد مفرا مني ولا مهربا حتى سافرنا فكنت في النهار
افك قيده وبالليل ارده اليه واجعل الجنزير في عنقه
واوتده في الارض ولم يزل حالي معه كذلك الى ان
دخلنا بلاد التبو فشنع فيه كثير من الناس وقالوا
لي انه يذهب الان اطلقه فتبعت شفا عنهم

واطلعته فخدع لي جاريتين من اعظم جواري
واخذهما وابوه ولقد اعطيت في الجاريتين مائة
مثقال وعشرة منا فبدا اعني مائتي دينارا فابيت
وقد اعطيت في الجاريتين وهو نحو ستين دينارا
فابيت البيع وبالمشقات الى حين نعب حماري
والتجا الى الجواري وفيهن جارية لم يقع بصري
على اجمل منها فعلقت وسالت عنها وعن سيدها
فاخبروني انها لرجل من البتو يقال له شاني فراودته
على بيعها فابى وقال جاريتي لا ابيعها الا باربعة
مثلها واني اريد ان تكون عامرة بيتي فلم يزل
السفار بيني وبينه حتى استقر الحال الى ان اشتريتها
منه بجارية هي احسن جواري وجارية اخرى
ناهد وحمر فخر واجتمعنا وانعقد البيع بيني
وبينه فارسل لي الجارية ليلا وانا ارسلت له
الجاريتين كذلك ونحن دخلت خيمتي وجدت
الجارية غير التي كنت رايتها فندمت حيث لا ينفعني
الندم وكرهت الجارية وراسلته في اني مغشوش
وان الجارية التي رايتها ليست هذه فانكر وقال
مالي غيرها وانا عقدت البيع معه وهو رجل
عاقل فلا اقيله ابدا ودقعت في حيرة عظيمة ومازال
السفير بيننا حتى خلصت جاريتي واعطيته

جاريته واخذني الجمل ولم يرده وتغلب على
ثم بحثت عن الجارية التي كنت رايتها فقيل لي انها
لرجل اخر من البتو وهو لها محب وهي فيه احب
ولا ابيعها ولا بوزنها من الذهب رجعنا
الى الحديث فلما عزمنا على الرحيل اخرجنا للسلطان
هدية وقدمناها واصبح هو وزوجته فارسلا
الى اهل القافلة وقال كل منكم يخرج للسلطان مدا
من الدخن نافلة وفرشوا وسط القافلة نطعا
يوضع عليه الدخن المجموع فجمع له الملوك واولاد
السلاطين اذ وزير السلطان من عبز تولبة
وهو رجل فيه شدة والسلطان انما يكون حليما
وقالت اولاد السلطان كذلك فرجعوا اليهم
فقالوا اقتدوا لينا عليكم طاهر فابت الرعية
واولاد السلطان اما الرعية فقالوا انما كرهنا
نيراب لكثرة اولاده وفقدهم وطاهر رجل
كثير الاولاد يفعل بنا اولاده كما فعلت اولاد نيراب
وقالت اولاد السلطان انما نريد رجلا لا ولد له
ليربينا ونكون اولاده فاذا تولى طاهر مع كثرة ولده
استغنى عن تربيتنا بتربية اولاده فرجعوا فاعلموهم
فقالوا اقدوا لينا عليكم اليتيم فرضي كل من
الفريقين به

فصل



ولما انعقد امرهم على الرضى بتولية اليتيم سلطانا
دعوه الى دار السلطنة فدخلها وعليه قميص
قد بلي من اكتافه وبيده سبحة لانه كان ورعا ومع
ولو زعم لم يتول وقد اخبر كثير من العلما انه
لا يكون سلطانا بعد تراب الا اليتيم وكان
العقيد مالك راى فيما يراه النائم ان اليتيم
قد صار بدرا واطلع من المشرق والناس ينظرون
اليه ويقولون هذا اليتيم فلما اصبح ناوله
بولاية السلطنة وجاءه واخبره بذلك فقال
ان صدق منامك لاجعلنك وزيرك فلما تولى وفى
له بما ذكر كما حكى عنه انه كان قبل الولاية مارا
بقبيلة اسمها البرلي من قبائل السودان فبات
في بلد منها على رجل يسمى محمد دردوك وكان الرجل
به شهامة وعنده بعض غنيمات فعمد الى كبش
سمين وذبحه لكرامة واشبعه من لحمه وبالغ
في اكرامه من غير ان اليتيم يخبره انه ابن سلطان
فقال اليتيم للرجل لم ذبحت هذا الكبش وانا
وخدامي يكفينا اقل شيء فقال ذبحته كرامة لك
يا مولاي اتظن اني لم اعرفك الست مولانا اليتيم
ابن السلطان اني لارجو ان تتولاها فقال
اليتيم ان وليتها لاكافئنك على كبشك باسمن منه

فلما تولى الامر دعا به وولاه منصبا جليلا واوجه
لجباية الاموال من البادية حتى انه استغنى غناء
لا يدرك العقل بعده ثم انهم اقعدوه على كرسي
السلطنة وبايعه اخوانه ثانيا ثم الوزرا ثم الملوك
ثم الناس ثم طبقاتهم افواجا افواجا كان مربوع
القامة سمح الوجه اقنى الانف واسع العينين
عالما عابدا يحب العلما واهل الدين شجاعا فيه كرم
متوسط الحال اي ليس بالمبذر ولا بالممسك عادلا
ياخذ للمظلوم ولو يهوديا من الظالم ولو ابنه لا ياخذه
في الله لومة لائم ابطل في ايامه المكوس وشرب الخمر
وافشاء الزنا وقطع اجتماع النساء بالرجال وامن
الطرق حتى كانت المراة تسافر من اول النهار الى
اخره لا تخشى الا الله تعالى وكثرت في ايامه
المتاجر وجاءه اهل العلم من كل جهة ومدحوه
بالقصائد الجليلة وكان يقول لولا ان
الجائزة سنة لما اجزت عن شعر لانه كان يكره
مدحة نفسه كان يقسم الليل ثلاث حصص
الثلث الاول في مسامرة مع العلما وارباب
الصلاح وينام الثلث الثاني ويستيقظ الثلث
الثالث للصلاة والعبادة الى الصباح كان
قاضيه الفقيه الكامل الاجل عز الدين الجامعي

وصفيه الشيخ الاكمل الاجل البارع الشيخ محمد عمارى
من اهل كردفان ووزيره الاكرم الاكمل الشيخ محمد كرا
وكان يقال له الاب لان منزلته اعلى المنازل وحين
ولي السلطنة اخرج خزائن السلطان تيراب
وفرق اكثرها على الفقرا وارباب الحقوق من العلماء
والاشراف ووجد عنده اكثر من الف خطبة ففرقها
ولم يبق منها الا ما كانت حاضرة ثم بعد سبعة ايام
تجهز للسفر الى دار فور وحين خرج من كردفان
مر على جبل النزوج فلاح لهم واكتسب جميع ما عنده
من العبيد والاماء وتوجه الى دار فور واجتمع
في طريقه بمشايخ عربان البادية من الرزيقات
والمسيرية فامرهم بالمسير معه وان كل ما اكتسبوه
لهم لا ينازعهم فيه احد فاجتمع عليه اعراب كثيرون
يبلغ عددهم ثمانمائة الف ثم اقتحم دار فور فسمع
به الخليفة فارسل له جيشا كثيفا فنظر الحاج مفتاح
داداه واكبر عبيده فانهزم الحاج مفتاح واغتنم
جميع ما معه من خيل وسلاح والبرد وغير ذلك واسر
منهم نحو عشرين الفا وكان السلطان عبد الرحمن
قبل حلوله بدار فور ارسل الى ابن اخيه اسحاق الخليفة
كتابا يقول فيه اما بعد فاني عمك وعمك
كابيك وعار على الولد ان يجرد سلاحا في وجه عمه فاترك

القتال وطع امري وذلك على انك خليفتي كما كنت
خليفة ابيك وولي عهدي فاستمع قولي واحقن
دماء المسلمين والا حلت بك الندامة وسيعلم الذين
ظلموا اى منقلب ينقلبون فلما وصل الكتاب الى
الخليفة مزقه وكتب له انى قد عاهدت الله انى
لا اطأ بساط طاغ وانا ولي عهده ولا حول لكم
على والسلام ثم اجمعا الابعد حروب وقعت بينهما
على قتل الخليفة وتمزيق ملكه ودولته ولم ينفعه
كثرة ماكره ولا جيوشه

واذا المنية انشبت اظفارها	الفيت كل تميمة لا تنفع

ثم انتقل السلطان من موضع مقتل الخليفة وتوجه
الى فاشر السلطان تيراب بالريل وفاشر الخليفة
براس النيل فنزل السلطان عبد الرحمن وسكن حرفي
واقام بها مدة ثم انتقل الى تندلتي التي هي الى
الآن ولم تزل الدولة العوراوية في فاشر اكثر من اقامتها
في هذا ولما اراح قلبه من قتال الخليفة وسكن جاشه
نظر في امر الرعية ورفع المظالم وابطل المكوس وانتبه
لعمارة البلاد ورفاهيتهم وقصده التجار ووفد
عليه العلماء من كل فج عميق ووفد عليه الفقيه الاديب
البارع المتمكن من المعقول والمنقول الشيخ حسين
عمارى قرا العلم بالازهر وحضر مجلس الشيخ الامير

واقرانه وكان لا يهاب سلطانا لسلطنته ولا ملكا
لملكه وكان لينا للعامة شديدا على الملوك فربما
قال الكلمة العظيمة لهم ولا يبالي ولا اجد له نظيرا
الا حمزة اوحد اهل زمانه وفريد عصره فهما
استاذ الاساتذة الشيخ صالح الكواش بتونس فانه كان
حديد اللسان على الحكام لا يخشى في الله لومة لائم
فمن ذلك ما حكي عنه ان احد تلامذته لم يكن له مرتب
من الوقوف وليس له اهل يبعثون اليه ما يقتات به
فاخذه يوما من الايام وتوجه الى الحضرة المرحوم حمودة
باشا فلما دخل عليه اجل مقدمه ورحب به وقال
هل من حاجة تقضى فقال نعم قال اني اتيت برجل
طالب علم لم يكن له ما يقوته ويعينه على طلب العلم
فهل تصنع معه احسانا وتكتب له نواصر يستعين
بها على طلب العلم فقال الباشا حبا وكرامة وامر ان
يكتب له ثمانية نواصر في كل يوم والناصري في اهل
تونس كالعثماني في عرف اهل مصر الان الناصري
يزيد عن عشرة انصاف فضة وبينما يقيد للمجادل
النواصر في الدفتر اذ برجل من الافرنج اسلم يومه
ومثل بين يدي الباشا وقيل له انه اسلم فامر ان يكتب
له ريال في كل يوم ودعي المجادل وجاء الى الشيخ وقال
له الا كون مسلما مجادلا ويكتب لي ثمانية نواصر ويكتب

للمسلماني ريال فقال له الشيخ اسكت فانك لست
بذي قرابة منه وهذا ابن خالة نطمع ان يساويك
به لكن قالها بعلو صوته فسمع الباشا ذلك وسأل
الشيخ عما انكر بل قال هذا الرجل قال لي كذا وكذا
وقلت له كذا وكذا فافتح الباشا باطنا واسرها
في نفسه وامر ان يكتب للتلميذ ريال ايضا وكانت
له وقائع مشهودة وسلاطة اللسان حتى انه
نفاه الى بر الترك وذهب من هنالك الى القسطنطينية
واجتمع بشيخ الاسلام وقابل به وامام الدولة وشكى
له الغربة وما ناله من النفي فكتب له منشورا برده
الى وطنه وعدم المعارضة له واجرى عليه رزقا من
دار السكة واعطاه جاها عظيما بحيث انه لا يعطى
مكسا البتة ومن استجار به كان امنا واصحبه
وارسله الى تونس واصحبه بقبجي من حضرته فدخل به
تونس وكان يوم دخوله يوما مشهودا وحين قرا
الفرمان الباشا قال للشيخ نحمد الله على سلامتك فقال
له الشيخ على رغم انفك فغضب الباشا وقال اتظن
اني اذا قتلتك تخرب تونس الم تترك الحدة الى الان
واراد ان يبطش به فاصلح بينهما القبجي ووفد عليه
من علماء العلان اوحد اهل زمانه صلاحا وورعا
الفقيه الفاضل الناسك الزاهد العفيف محمد

الملتقب ثم ذهو رجل فقيه عابد زاهد مجاب الدعوة
خبير باسرار الحروف لا نظير له في علم الروحاني
ولم نجتمع باحد ممن اجتمعنا عليهم مثله رحمة الله ورضي
عليه واقام معه الفقيه سراج الدين الكروباتي
كان فقيها محدثا عالما في علم اصطلاح الحديث
وكان كثيرا ما يقرا البخاري وغيره مما صح من كتب السنة
خصوصا في شهر رمضان واستوزر الفقيه مالك
الذي اسلفنا ذكره لطف عليه وكانت فيه عامية
وكثيرا ما كان يظهر الورع ويبطن ضده فمن ذلك
ما وقع منه وكنت اذ ذاك حاضرا وذلك انه كان
منتميا من قبيلة الفلان الذين هم اهله واقاربه
وهم قبيلة عظيمة بدار فور واهل بادية اصحاب بقر
وعليهم شيخ من طرف الفقيه مالك يقال له جد العيال
ولهم احد لد من البيوداي يقال لهم سلامات فكانوا
يقتلون وينهبون اموال المساليط ويأتون للفقيه
مالك وهو يحاج لهم عند السلطان ولو كانت قبيلته
ظالمة فاتفق انه كان يقرا له في رمضان تذكرة
القرطبي وكان اذ ذاك يقرا في صفة اهل النار
فجاء جد العيال في وقته ذلك بمال كثير من بقر وخيل
ورقيق مما نهبته قبيلته من المساليط رشوة
للفقيه مالك وكان يبكي بكاء شديدا ويبده منديل

بمسمع

بمسمع منه وموعد واذا بابنه السنوسي جاء واخبره
ان جد العيال قد جاء ومعه ما معه فصار يشهق
بالبكاء وقال ادخلوا ما معه في الزريبة ولم يشتغل عما
هو فيه فما رايت اعجب من ذلك وإما عامية فاني
حضرت مجلسه وهو يقرا في التذكرة في قوله ولا زالت
النار تقول يا رب زدني حتى يضع الرحمن فيها رجله
والرجل هي الجماعة من الناس وعليه قول الشاعر
فمر بنا رجل من الحي واتى ذلك البيت وكان من دأبه
في قراءته يقول الكلمة ويقول بعدها قال الكتاب
اي نعم قال الكتاب فقال ولا زالت النار فتقول
يا رب زدني اي نعم قال الكتاب ولا زالت النار تقول
اي نعم قال الكتاب حتى يضع الرحمن فيها رجله اي
نعم قال الكتاب والرجل هي الجماعة من الناس
اي نعم قال الكتاب وعليه قول الشاعر فمر بنا رجل
اي نعم قال الكتاب فقال له ابنه السنوسي يا ابتو
وهي كلمة تعظيم عند اهل السودان فمر بنا رجل
فقال اي نعم فمر بنا رجل وكنت جالسا ولم يسعني
السكوت في ذلك فاخذت نسخة كانت في يد انسان
بجانبي فرايت بها فمر بنا رجل من الحي وهذا هو
الذي يصلح لان يكون شاهدا فقلت له يا ابتو
فمر بنا رجل فقال اسكت انت الآن مقصرك هذا المقام

تتمة هذه الحكاية والتي
بعدها في الكراس

ومن عاميته ما حكى لي والدي ان السلطان عبد الرحمن
التمس من الفقيه مالك ان يخطب خطبة العيد فالتمس
من الفقيه مالك من والدي خطبة فألفها واعطاها
له وكان والدي كتب في اخرها تمت على يد جامعها
الفقير الى ربه المنان عمر بن احمد بن سليمان فخطب
بها الفقيه مالك وقال تمت على يد جامعها الخ ولم
يتفطن ان هذه الكلمات خارجة عن الخطبة مع انه
كان اغنى ارباب الدولة كان له من الاقطاع
ما ينوف عن خمسمائة قرية ما عدا اقطاعات اخوانه
لان له اخوانا كثيرون منهم الفقيه حضر وله اقطاعات
عظيمة في محل يقال له الفراش والفقيه مدني وله
اقطاعات في محل يقال الفرش ايضا والفقيه صديق
وله اقطاعات في محل يقال له تارنيه وله من الاولاد
الزاكي وهو الاكبر والسنوسي وهو الاعلم وجمال الدين
وهو الافرس وعبد القادر وهو الاصغر وعنده
اولاد صغار منهم من هو في المكتب ومنهم من هو
في حجر امه وله عدة بنات احداهن لابن اخيه الفقيه
الاجل الامثل الفقيه محمد البرناوي واخرى زوجها
لابن زوج له يقال ابو القاسم وهذا هو ابو القاسم
هو والحماد سواء وله بنت اخرى زوجها من زين العابدين
ابن اخيه الفقيه ابراهيم وكان قناسيا في اولاده

في التربية وخصوصا البنات فمما وقع منه انه
دخل ليلة في داره فراى احدى بناته واظنها امراة
ابي القاسم ابنة اخيه لجات وسلمت عليه وسالت
عن سبب مجيئها فقيل انها مغضبة من زوجها
فقال انا عندي بنات تغضب من ازواجها وتاتي
الي بافلاح علي بالقيود ففرت منه من وقتها
وتوجهت الى بيت بعلها ولم تغضب بعد وسكت
عن بعلها مدة حتى اجتمع معه وقال ان فلانة
جاءت شاكية منك وايم الله لئن اشتكت منك مرة
اخرى لا انكلن بك فعاشا بعد ذلك لم يسمع منهما
مكروه ابدا ثم ان السلطان عبد الرحمن اجل مقام
الشيخ محمد كرا حين جعل لا تعلو على كلمته في الدولة
كلمة وبلغه ان المسبعات رجعوا الى كرد فال
فال فجهز جيشا كثيفا مع الشيخ محمد كرا الاب فتوجه
واغنى في ذلك غناء تاما وطرد المسبعات واستوطن
هناك مدة سبع سنين وانفذ للسلطان مدة اقامته
بكرد فال ابو الاجة من رقيق وذهب وغيره ودمشي
به بعض الاعدا فارسل اليه ان قدم ساعة وصول
جوابنا اليك وسلم البلد للامين محمد بن الامين على وكانت
بينهما عداوة من حاين ما احتال عليه في كرد فال سنة
وفاة السلطان تيراب وقال له اذهب بالعساكر

الى اولاد السلطان كما قدمناه فلما بلغه انها حبلت
اسرها في نفسه ولم يبد له على شيء وهو الذي وشى
به الى حضرة السلطان ووجه السلطان بجيشه
الى كردفال فاغتاظ في نفسه على الشيخ محمد كرا وقيده
بقيد لكن الشيخ محمد لم يتركه يعمل به شيئا بل قال له
ما الذي امرك به مولانا السلطان قال امرني ان اقيدك
بهذا القيد قال هاته فاخذه منه ووضعه في رجل
نفسه بيده وامر الحداد ان يبرد عليه امتثالا لامر
السلطان وركب بحجارة في قيوده وجاء الى دار نور
ودخل على السلطان عن امره فخرج اليه السلطان
واعظم ملتقاه وقال اما قلت لكم ان الشيخ محمد
لا يعصينا وامر بفك قيوده من ساعته ورده الى
الوزارة العظمى واجل محله ولم يزل مجللا معظما
عند السلطان حتى توفي السلطان وكان في مرض
السلطان لا يفارقه ملازما له لا يذهب الى داره
وهو الذي عالج مرضه وبتمه ويتعهد وقد
اخبرني الفقيه مالك النوتاوي انه حضر السلطان
وهو يجود بنفسه فقال له يا سيدي ان الموت كاس
دائر على كل ذي روح والوصية لا تقدم اجلا ولا تؤخر
فاوص بالمملكة لاحد اولادك لانك ما فعلت الا
المعروف والاحسان ووصيتك لا تضيع خصوصا

وقد قال عليه الصلاة والسلام من مات على وصية
مات على خير فقال السلطان ومن يتوكل على الله فهو
حسبه فكرر ذلك عليه فقال ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ومات وهو يقولها فلما مات قال الفقيه
مالك للشيخ محمد كرا ماذا ترى قال لا ارى الا تولية
ابن سيدي وقام في الحال واخذ ابنه محمد نصر
وعمره اذ ذاك تسع سنين واقعده من كرسي المملكة
والبسه الخاتم وقلده السيف واجلسه على محل
وارخى عليه سترا ودعا بالشيخ المسن المسمى
ابراهيم ابارما واحد ملوك الغور وكان ممن
تخشى غائلته لان ابن البنت ابن السلطان تاراب
فلما حضر قال ابن السلطان قال له محمد كرا ان
السلطان قد ثقل مرضه ودعونا لنعرف لمن
يكون هذا الامر بعده فقال الملك ابراهيم انا
لا اخالف لك رايا وفي ظنه ان يذكر ابن بنته
فقال اتعاهدني على ذلك قال نعم فعاهده وحالفه
فلما حلفه ووثق منه بعدم المخالفة رفع الستار
فراى السلطان محمد نصر جالسا على كرسي الملك
فقال له بايعه فلم يجد بدا من مبايعته فبايعه
ثم قال له انا لم يكن عندنا الان اعلى مكانة منك
لانك اعرف الناس بمن له شوكة من الملوك

فدلنا على من تخشى غائلته فصار يذكر لهم اكابر
الدولة وكلما ذكر انسانا احضروه وحلفوه وبايعوه
حتى تمت البيعة فاشهروا موت السلطان اذ ذاك
وضربت الطبول فلما سمعت اولاد السلاطين
بموت السلطان اتوا الى دار السلطنة هاجمين
ظنا منهم ان يدركوها فوجدوها قد فاتت من ايديهم
فخرجوا على خيولهم خارجين عن طاعة السلطان
وصاروا ينهبون من البلاد وتجتمع عليهم الغوغا
حتى صار ذا جيش كثيف فخاف الشيخ محمد كرا
ان يعظم قدرهم ولم يقدر على تلافيه فجهز
جيشا كثيفا بنظر الملك ذا النون وهو ابن عمة
السلطان محمد نصر فخرج وهزم اولاد السلاطين
وقتل منهم خلقا كثيرا وضبوا الباقي واتى بهم الى
الشيخ محمد كرا فارسلهم الشيخ محمد الى السجن بجبل
كوكه لان فيه السجن المعد لاولاد الملوك ثم لما راى
ان السلطان صغير وخشي عليه من وقوع الهرج
والفتن امره بالجلوس في بيته والاشتغال بقراءة
القران والعلم وصار يدبر امر العساكر والبلاد
كما قدمناه ثم ان الملك ابراهيم ابن الرماد امر ما فعله
الشيخ محمد كرا في نفسه وصار يختلس نفسه ويدخل
على السلطان ويحسن له القبض على الشيخ محمد كرا

اد قتله ان عصى فسلك في العدل وعدم الظلم طريق
سيده السلطان عبد الرحمن لانا قدمنا ان
السلطان كان من العدل باعلى مكان فمما حكي
عنه انه خرج ذات يوم للصيد وبعد ان قضى وطره
رجع ولما قرب من داره اعترضه اعرابي ونادى الا
يا رشيد انا مظلوم الله يخليك يا رشيد انا مظلوم
فتغافل عنه السلطان والاعرابي يكرر ذلك مرارا
وكان بجانب الاعرابي اخ له فجذبه وقال له اليك عنه
فانه رشيد لنفسه لا لك ابصوت عال فسمعه
السلطان فوقف ودعاهما واستفاد منهما ما وقع
فلم ينكر الاعرابي انه قال اليك عنه فانه رشيد لنفسه
لا لك فقال السلطان لا بل انا رشيد لك ايضا
ثم ساله عن ظلمه فاخبره انه باسي خبير وكان
ابن خالته ومن عادة ملوك الغور ان اخا الملك
او اخا الوزير يسمونه باسي خبير فامر السلطان
باحضاره واجلسه على التراب مع انه كان عظيم
القدر وقال للاعرابي اعد شكايتك فشكى بحضرة
السلطان فقال وما الذي اخذ منك قال اخذ
مني خمسا من الابل وسال باسي خبير فما انكر فحلف
ان باسي خبير لا يقوم من مجلسه ذلك حتى يؤديه
عشرة من الابل الخمس التي ظلمه فيها وخمس اخرى بدله

حتى لا يعود لمثلها وكان الامر كذلك وقد اذكرتني
هذه القصة ما وقع من المرحوم حموده باشا صاحب
تونس في قضية جرت على يده فاظهر فيها كمال العدل
بين رجل يهودي ورجل من اكابر اهل دولته وذلك ان
اليهودي كان تاجرا من اعظم التجار وكان اكثر تجارته
ان ياخذ طرابيش كمم اهل الجزائر خاصة بهم
اعتادوا عليها لا يلبسها الا هم وكان الرجل الذي من
اكابر الدولة معلما يصنع الطرابيش فاتفق معه
ان يصنع له مما يلبسه اهل الجزائر قدرا معلوما
ودفع له اليهودي ثمنه حالا وكان عشرين الف ريال
تونسي على اجل ستة اشهر فاتفق ان قبل مضي
الستة اشهر بقليل وقعت المحاربة بين تونس والجزائر
ونهبت اموال اليهودي التي في الجزائر لكونه من
اهل تونس ونهبت منه بضائع كانت ذاهبة الى
الجزائر واخرى كانت متوجهة الى تونس وخاف
اليهودي ان عمل الطرابيش لا يجد من ياخذها
منه فالتجأ في امره وذهب الى صاحبه وطلب منه
الاقالة من الطرابيش وان يمهل عليه بالدراهم
يدفعها شيئا فشيئا فرضي ومزقوا تمسك الطرابيش
وكتبوا تمسكا بالدراهم وانه يدفعها بالتدريج
حسب الاتفاق فمكث يماطله مدة ويدفع له قليلا قليلا

مدة سبع سنين دفع له فيها ثمانية الاف وبقي عليه
اثنى عشر الفا فضاق صدر اليهودي وقال له
اعطني حتى لا يسوغ لك ان تماطلني هذه المدة فسبه
المعلم ولعنه وقال له لا حق لك عندي فتوجه اليهودي
الى القاضي فطلب القاضي خصمه وادعى اليهودي بان له
عليه اثنى عشر الف ريال تونسية فقال الخصم فاعترف
باصل المبلغ وانه دفعه كله بتمامه ولم يبق عليه شيء
فطلب القاضي البينة على اثبات دعواه فابرز
وثيقة بخط عدلين من عدول تونس انه في اليوم الفلاني
من الشهر الفلاني من العام الفلاني كنا مارين
في الطريق فراينا اليهودي فلان والتاجر فلان
يتحاسبان ويقول له اخلصت بحقك فيقول
اليهودي فلان نعم فقال له فلان الاوخباشي
هات الوثيقة التي معك فادعى اليهودي ضياعها
وحين ادعى اليهودي ضياع الوثيقة التفت فلان
الاوخباشي التاجر فرانا مارين في الطريق فدعانا
واخبرنا بالقصة وان اليهودي خالص ولا حق
له عنده فسالنا اليهودي اهكذا كان قال نعم
وسالناه عن التمسك فقال قد ضاع وانه لا عمل
له فلما راى القاضي خط العدول حكم بان اليهودي
لا حق له فخرج اليهودي باكيا حزينا لا يدري اين يتوجه

مما اصابه من ضياع ماله مع انه كان اذ ذاك في غاية
الفقر وقد لصقت يده بالتراب فشكى لبعض الناس
فدله على ان يشكو ما ناله لحضرة حموده باشا فمضى الى
الباشا واشتكى اليه فارسل اليه فاحضر الاوجاقي
وكان لابسا ثياب الديوان فحين دخل الديوان سلم
بصوت عال فقاموا اكرامه وردوا عليه السلام
مع الاحترام فلما راى اليهودي اكرامهم له لم يشك
في ضياع ماله ثم ان الباشا طلب اليهودي فلما مثل
بين يديه قال له اقعد بجانب خصمك واعد شكايتك
فوقف بجانبه وادعى ان له عليه اثني عشر الف
ريال بموجب وثيقة واصلها كذا وكذا فقال
الاوجاقي اصل الامر كذلك لكن قد خلص مني
وليس له علي حق البتة وقد خلصت منه وهذه
وثيقة الخلاص وقد حكم القاضي بصحتها فقال
الباشا ارنا الوثيقة فناوله اياه فقراها الباشا
ووجد الامر فيها مماثلا لما قاله فقال لليهودي
هات وثيقتك فناوله اياها فقراها وقرا ما هو
مكتوب في ظهرها من المقبوضة فوجد اوفاه فيه
دفعة نحو ستين ريالا وتاريخها نحو شهر بل اقل وراى
المدفوع كله ثمانية الاف والمدة نحو سبع سنين
فقال هكذا ايدفع في سبع سنين ثمانية الاف

ويدفع

ويدفع في شهر واحد اثني عشر الفا هذا الكلام لا اسمعه
انزعوا ما على الاوجاقي من كسوة الديوان فنزعوها
ثم قال له الآن قد ثبت عندي انك مزور وامر
بالقبض عليه وان يوضع في السجن ويشدد عليه
فسحب الى السجن من وقته ثم امر باحضار العدلين
فحضرا فلما مثلا بين يديه ارهبهما وقال لهما
ما حملكما على شهادة الزور وانتما عدول فانكرا انهما
شهدا زورا فقال لهما ان لم تخبراني بالحقيقة
والا نكلت بكما وهددهما وامر باحضار آلة العذاب
فما زال يهددهما حتى اعترفا انهما اخذا على ذلك
مائة وخمسين ريالا فامر حينئذ بحبسهما وعزلهما
وحلف ان لا يخرج الاوجاقي من السجن الا بعد
خلاص حق اليهودي فسعت الناس في ذلك ولم
يبت اليهودي الا وحقه معه واهين الاوجاقي
مع علو مقامه ولم يراعه في شيء لما كان عليه الحق
ثم ان الملك ابراهيم ابن الرماد اسر ما خدعه
به الشيخ محمد كرا في نفسه وصار يتحيل ويدخل
على السلطان ويحرضه على القبض على الشيخ محمد
كرا والشقران فاتر ويحسن له صاحبك ويقول له
انه جعلك سلطانا صورة والمنفعة له وبعد حين
ينقلب عليك ويقتلك ويدخل اخاه عوضا في السلطنة

وبلغ الشيخ محمد كرا ان بعض الناس يجتمع على السلطان
ويحسن له الخروج عن طاعة الشيخ ويوقع الفتنة
بينهما فدخل على السلطان وتكلم معه كلاما غليظا
وزجره عن الاجتماع وزجر الجالسين معه وقال انما
جلستم معه لاجل الفساد وايقاع الفتنة ولئن
رايت منكم احدا اجتمع بالسلطان لانكلن به اشد
النكال وفي تلك الايام وقع من بعض الملوك
فلتات فقتله الشيخ محمد كرا وعزل بعضا من الملوك
وولى مكانه من طاعته ومقتته الاعين وانحرفت
عنه القلوب حتى كان ما كان من قتله وهذه عادة
الملوك مع الوزرا اذا راوا منهم الرغبة لانفسهم
وحب اموالهم ومن ذلك ما فعله الخليفة
هارون الرشيد العباسي بوزيره جعفر بن يحيى
البرمكي فانه لما راى رغبته لنفسه واتباعه وخاف
على نفسه من غائلته قتله وفي سبب قتله اقوال كثيرة
اصحها والله اعلم انه اجتمع في ديوان الخليفة ما بين
كاتب وحاسب ورب مشورة ووزير من البرامكة
ما ينوف عن اربعين كلهم ارباب مناصب وكان
اذا امر الرشيد بامر وامر جعفر بغيره بطل امر
الرشيد دون امر جعفر حتى رفعت اليه في ذلك
رقعة مكتوب فيها

ايها

ايها الملك الذي اضحى له الحل والعقد
ان ابن يحيى قد غدا ملكا مثلك ما بينكما حد
امرك مردود الى امره وامره ليس له رد
ونحن نخاف على ملكنا منه اذ ضمك اللحد

فحقد عليه وبعد ذلك بايام خرج الرشيد يتصيد
فراى ضياعا عامرة وبساتين زاهية زاهرة فكان
لا يمر بضيعة ولا بستان الا ويسال لمن هذا فيقال
للوزير جعفر فزاد حقده عليه وبينما هو كذلك
اذ راى كردوسا عظيما من الخيل عن بعد فقال من هذا
فقيل له هذا جعفر قد خرج متصيدا فقال ما امر
جعفر لورسا بموكبه وزاد حنقه عليه حتى انه دعاه
في الليل وقتله وقصة قتله مشهورة فراجعها
ان شئت في اعلام الناس واما ما يذكر من ان
الخليفة هارون كان يجتمع مع جعفر على شرب
المدام وانه كان يحضر اخته معهما على الشراب
ولما لم يجد بدا من احضارها عقد له عليها للحل في امر
الحب واجتمع بها وافتضها واحبلها فولدت منه
ولدين وهو لا علم له بذلك ولما اطلع على حقيقة امرها
بقتل جعفر واولاده فمكذوب عليه والحق ما قلناه
اولا ولا عجب في ذلك لان الملوك اذا استبد عليهم
احد الوزرا لا بد وان يتحيلوا لقتله وهذا امر قديم



وقصة عبد الله السفاح اول الخلفاء العباسيين
مع ابي مسلم مشهورة ان الحمار اخر ملوك بني امية خرج
يوما للصيد فرأى ابا مسلم ملقى في الطريق فاخذه
ورباه لعدم ولد له ثم بعد ذلك رزق اولادا لكن
ابا مسلم بينهم لا يعرف اهو لقيط اخوهم ام لقيط
حتى ان اولاد مروان كانوا يحجون ان ابا مسلم
اخوهم وكان مروان يحب ابا مسلم لما يراه من
اعتنائه في الامور وكفايته حتى كان يفضله على اولاده
فاتفق انه جاءت هدية لمروان فيها سيوف جميلة
فاخذ مروان احسنها ودفعه لابي مسلم فاغتاظ
محمد بن مروان اكبر اولاده ودخل على امه باكيا
واخبرها بالقصة فقالت بئسما فعل مروان
ابوك يفضل اللقيط على ولده فسمع ابنها ذلك فقال
لامه اهو لقيط قالت نعم اما انا بعد ان عرفت
حقيقة حاله لابد من قتله لاني انما كنت اوقره لظني
انه اخي ثم دخل مروان على اهله فقالت له بئسما فعلت
تفضل اللقيط على اولادك فقال لها لا تقولي ذلك
ان ابا مسلم فيه الكفاية والغنى عن اولادك وحق
ابائك لابد من قتله حيث فضلته على اولادك
فسكت مروان ولم يقل شيئا فعلمت انه اراد ذلك
فبلغ ابا مسلم ما وقع بينهما وما عزما عليه فخاف على نفسه

وخرج من بلده وجعل لا يمر على مدينة من المدن الا
اخذ الاموال التي فيها من بيت المال حتى توجه لخراسان
وكان اذ ذاك بنو العباس يريدون الثورة على الامويين
لكن قلة ذات اليد هي التي كانت تثبطهم
وكان امرهم سرا فبينما هم كذلك اذ جاءهم ابو مسلم
وشاركهم في الامر وتكفل لهم وملكوا البلاد واستولوا
على الاموال وجهز لهم مروان جيوشا كثيرة فهزموها
وكان قائد جيشهم ابا مسلم ولما اعيى مروان الامر
خرج اليهم بنفسه فهزم وقتل وفر ابنه الى مصر
فلحق به ابو مسلم ففر منه الى السودان فلحقه وقتله
اشر قتلة ومهد لهم الامور ووطأ قواعد المملكة
حتى ظهر ملكهم لكن كان مستبدا بالامور وربما
قال لولاي لما ظهرت هذه الدولة وكان يبلغ
عبد الله السفاح ذلك فيغتاظ منه حتى ضاق
صدره فشاور بعض اصحابه في ذلك وقال من
يعضدني في ابي مسلم كونه استبد علينا ورضينا
وما كفاه ان يمن علينا في كل وقت لقد كرهنا الحياة
لمقالته فقال احد الجالسين لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا فقال عبد الله حسبك لقد اوردتها
اذنا واعية ثم اسر ذلك في نفسه حتى اعد له جماعة
من العبيد وقال لهم اذا دخل ابو مسلم وجلس معي

فكونوا على اهبة ومتى مسحت بيدي على وجهي فهي
العلامة فاقبضوا عليه واقتلوه واتفق ان ابا مسلم
حضر تلك الليلة لمجلس فسلم وجلس وتكلم مع الخليفة
فقال له الخليفة يا ابا مسلم بئس ما بلغنا عنك
تمن علينا كل يوم بما فعلته معنا فقال لو سننته
هي السبق فقد قاتلت امامكم بسيفي هذا وبالي
ورايي فقال الخليفة لا ننكر ذلك لا ننكره ذلك
وانما ننكره المنة ومسح بيديه على وجهه فقبض
العبيد على ابي مسلم فلما راى انه قبض عليه قال
اقلني يا امير المؤمنين وابقني لاعدائك فقال
لا ابقاني الله ان ابقيتك او تظن ان لنا عدوا
غيرك اجهز عليه يا غلام فذبح كالشاة ورمي
بشلوه في الاسواق وسبب هذا كله متابعة
النسا في اقوالهن الا ترى ان مروان الحمار لو لم
يسمع كلام امراته كان يقع له ما وقع لا والله
قلت وقد تحدث امور كثيرة سببها النسا
وذلك ان المراة اذا علمت انها عند زوجها ذات
حظ وانها استحوذت على قلبه ربما ابطلت
كلامه وان كان ملكا في ذلك ما حكي
ان علي باشا والد حموده باشا كان قد ارسل الى
القسطنطينية واشترى جارية من الجرج وسماها

محبوبة وكانت بارعة في الجمال فولدت منه حموده
باشا واخر سماه سليما وصارت عنده في اعلى
منزلة وكانت تامر بالامر والباشا يامر بضده
فلا يمضي الا امرها وذلك ان شابا من اولاد
المجيدي كان قائدا ملازما للاقدام البربرية كدار
الجلد والملاحة والاقلام التابعة لدار الجلد وهي
المسماة في مصر بالخردة فجمع منها مالا عظيما وكان
شابا يميل الى النساء بالطبع ويعزم على الجمال اموالا
كثيرة ولما كان مشغوفا بالنسا وما سمع بامراة
جميلة الا تحيل عليها وقضى منها ما يجب كان يبعث
نساء اليهود في الديار ويعطيهن بضايع يبعنها
على النسا وكلما راين امراة جميلة جئن واخبرنه
بها فيراسلها ويتحيل عليها حتى يبلغ منها اربه
فاتفق انه كان جالسا على كرسي على باب داره
وخدمه امامه فمرت امراة من نساء اكابر البلد
وصحبتها جواري ونسا وكانت من اجمل اهل عصرها
فلما راى علامة الجمال شغف بها وارسل بعض
غلمانه ليعرف سترها ومن هي ومن زوجها فذهب
وجاء بعد برهة واخبر انها بنت فلان وزوجة
فلان وسمى اناسا عظاما فبات مشغوفا بها
وحين اصبح نادى بعض اليهوديات التي يبعن له

البضائع وقال لها اريد ان تذهبي الى دار فلان
كانك تبيعي لها البضايع وتتلطفي بها وتذكريني
عندها وتغريها بي اني بها صب واني اعطيها من
المال ما يرضيها فاخذت اليهودية بقجتها وتوجهت
للدار المذكورة فدخلت فرات دارا من احسن
الدور واجملها وبها خدم ثم دخلت على ربة
البيت فرات امراة في غاية الجمال والرفاهية
وجواريها بين ايديها وفي ابهة كانها من نساء
الملوك فقبلت يديها ووقفت فامرتها
بالجلوس فجلست ثم امرتها بالجلوس ثم سالتها
ما حاجتك فقالت جئت تشتري مني شيئا مما عندي
فقالت لها اريني بقجتك فارتها اياها فنظرت
جميع ما عندها فلم يوافقها شيء مما هو موجود فيها
فقالت لها لم ار عندك ما يناسبني فقالت
اليهودية يا مولاتي اذكري لي ما يناسبك وانا
اتيك به غدا ان شاء الله تعالى فسمت لها صنفا
من الاصناف غالي الثمن ثم توجهت الى الجندي
واخبرته بانه لم يعجبها شيء مما عندي وانها سمت
الصنف الفلاني فبحث واشترى منه شيئا كثيرا
واعطاه لليهودية فذهبت به اليها فاعجبها
فقالت ما الثمن فقالت يا مولاتي هذا بغير ثمن

لان صاحبه رجل لا يوجد نظيره في الرجال كما
انك لا يوجد لك نظير في النساء وهو من الجمال
واللطف بمكان فخذي جميع ما تحتاجي اليه بدون
ثمن فغضبت صاحبة البيت وقالت انما نحن
في بضاعة تباع وتشترى وما لنا في اوصاف الرجال
فاما ان تقولي على الثمن واما خذي بضاعتك
واذهبي فلما رات منها اليهودية ذلك قالت لها
هذا ثمنه جلسة مع صاحبه وتعطين زيادة
عليه كذا وكذا وذكرت مبلغا عظيما من المال
فاغتاظت ربة الدار وامرت بضربها فضربها
خدمها ضربا مبرحا حتى اسالوا دمها فخرجت
على تلك الحالة الى صاحبها فلما راها قال لها ما وراءك
قالت كل شر انظر وكشفت له عن وجهها وراسها
فراى الدم واثر الضرب فتاسف عليها ثم قال
بقي عليك شيء واحد وهو اني اعطيك شيئا تذهبين
به اليها ولك على مائة محبوب ذهبا من خزانة
ماله وكان لها صاعا بصاع تونس وقال لها
اذهبي به اليها واريها اياه وقولي لها هذا كله
تاخذينه في جلسة نحو نصف ساعة وترجعين
فان رضيت به فاتركيه لها والا فاتركيها
وارجعي فاخذت اليهودية الذهب وتوجهت

اليها ودخلت الدار فلما راتها قالت لها ما الذى ردك
يا لعينه قالت لا تسبينى ولا للك على شىء انما
جئتك لحديث حتى احدثك به فجات المراة فاريتها
الذهب وقالت لها اقبل هذا قالت لا قالت
لها يا مولاتى اما ترضى ان تاخذى هذا فى نصف
ساعة وترجعى الى منزلك وتكونى قد اكتسبت
ما ينفعك فانشرحت نفسها للذهب وقالت
لها اذهب معك فاعطتها اليهودية الذهب
وذهبت الى صاحبها فرحة مسروره فلما امسى
المسا جاء رب الدار قالت له انى اريد ان اتوجه
عند الحمام فاذن لها فلما اصبحت ارسلت ما تحتاج
اليه مع خدمها الى الحمام وقالت اذهبوا الى الحمام
الفلانى وانتظرونى هناك فذهب الخدم الى الحمام
وجاءت اليهودية فذهبت بها الى بيت المجيدى
وكان اعد جميع ما يحتاج اليه فلما دخلت قام
وتلقاها وفرح بها وجلس معها حتى نقضى منها
وطره وارادت ان تتوجه لشانها فتذكر الذهب
فعز عليه ان يتركها كذلك ففتح خزانة واخرج
منها شرابا يسمى عند اهل تونس بالمستكى وهو
شراب مسكر الا انه حلو الطعم حسن الرائحة يظنه
من لا يعرفه شراب سكر فناولها منه كاسا فقالت

له ما هذا فقال هذا شراب سكرى ذو قيد فتناولت
منه كاسا فشربته فاعجبها وثانيا وثالثا فتشعشع
فى راسها فنزعت ثياب الشارع وبقيت فى ثياب
الدار وغابت عن حسها وانتهكت معه فى اللذة ولم
تنق يومها اجمع حتى امسى المسا فافاقت من سكرها
وراءت نفسها انها فى غير بيتها وانها مع المجيدى
فخافت وبكت وعلمت انها مكيدة منه فقالت له
اهكذا تفعل الناس فقال لها اوليس هو صاع
من ذهب فقالت وكيف الحيلة فى تلافى هذا
الامر فقال لا باس عليك وسقاها عن حسها وباتت
معه وجاء زوجها الى داره فلم يجدها فارسل الى
الحمام فلم يجد فيه الا الخدم فجائن وسالهن فقلن
انها ارسلتنا الى الحمام وقالت انتظرننى هناك
ايلكن فذهبنا وانتظرنا فلم تات فارسل
يبحث عنها فى بيوت اقاربها كبيت امها وخالها
وخالتها فلم يجدها فيها فتحير امره وظن ان
بعض الخائنات لعب بعقلها وذهب بها الى محل
فقتلها واخذ حليها فحزن واغتم وقامت قيامته
وبينما هو فى حزنه ذلك اذ جاءه انسان من طرف
المجيدى واخبره ان زوجته عنده وانه تحيل
عليها حتى انه اعطاها صاعا ذهبا فازداد حنقه

وبات بليلة العائر الارمد وكان الرجل من اكابر
الاندلسيين المقيمين بتونس الذين اخترعوا فيها
صناعة الطرابيش فذهب الى رئيس صنعتهم
وكرائها واخبرهم بما صار فاتفقوا على ان يبلغوا
الدعوى الى على باشا وقاموا من وقتهم الى على باشا
فرحب بهم وابر مقدمهم وسالهم عن حاجتهم
فحكوا له ما صار عليهم من ابن المجيدكي فامر بقواده
يرسلون الى ابن المجيدكي ويأتون به وانه يقتل
ويصلب عبرة لمن يعتبر وان المراة تلقى في البحر في الحين
فلما برز الامر بذلك اسرع احد الخدمة من مجلس
الباشا وذهب الى ابن المجيدكي وناداه وقال
احتل لنفسك فان الامر كذا وكذا فحين سمع الخبر
اخرج المراة بسرعة وارسلها مع بعض خدمه
لبيت خالته ودخل بسرعة لخزائن امواله واخذ
منها فنيقا اي صندوقا صغيرا وملاه ذهبا وملا
جيوبه ايضا والنقد في حزام كالمغاربة الذين
من المغرب الأقصى وذهب متوجها الى حضرة
الباشا فعارضه في الطريق الاناس الذين امروا بالقبض
عليه فلم يعرفوه وحين وصل لدار الباشا لم يذهب
لبيت الديوان بل ذهب لبيت الحريم فوجد كبير
الاغوات جالسا على باب الحريم في ابهة فقبل يده

وملاها ذهبا وقال له اني مستجير بك فقال وماذا
تريد فقال اريد من تفضلاتك ان تقول للسيدة
الكبيرة ان خادمك فلان المجيدكي واقف لك بالباب
ومقصده ان يحدثك بقصته ويريد ان تتفضلي
عليه وتاتي من وراء الحجاب فقام كبير الاغوات
من وقته ودخل للسيدة محبوبة واخبرها بالقصة
واراها الذهب الذي ناله من الرجل وتلطف في ان
تتوجه معه الى محل يسمع كلامها منه فانعمت له بذلك
وتوجهت معه حتى صارت وراء الستار وخرج الاغا
وقال له قم وتكلم بحاجتك فان سيدتك ها هي
من وراء الستر فقام واظهر الصندوق وفتحه
وقال للاغا ادخل عليها هذا واعلمها انه هدية
واني مستجير بها لكذا وكذا وحكى لها ما وقع فقالت
لا باس عليك اجلس هنا حتى ياتيك امري فجلس
مع الاغا المذكور ودخلت هي والباشا جالس
في ديوانه فارسلت له غلاما فقال للغلام حتى
ينقضي الديوان فردته ثانيا وقالت له قل له
ياتي بسرعة لان الامر لازم لمجيئه فلما قال له
ذلك قال له حتى ينقضي الديوان فاخبرها فردته
اليه ثانيا وقالت قل له ان لم تات في هذه الساعة
ذهبت اليه في الديوان فلما اعلمه بما قالت فزع

وقال هذا امرهم وترك الديوان وقام فلما
جاءها بادرت بان قالت له لاي شيء تريد ان تقتل
فلانا قال لها لانه تعدى حدود الله قالت له وما
ذا فعل قال لها زنى بامراة الناس فقالت اوثبت
عليه زنا قال لا قالت وكيف تقتله بدون اثبات
قال قد برز امري بذلك قالت وكيف يبرز امرك بقتل
نفس بغير حق قال اليس انه متعمد على فلان حتى اخذ
حريمه وبيته عنده فقالت وما يدريك ان حريمه
باتت عنده معه لم لا ظننت انها باتت عند احد
نسائه او عند قرابته قال وما يغني هذا الكلام
وقد قضي الامر فقالت والله لا يجوز حتى يقتل كل
زان في تونس فقال لها هذا لا يعنيك فقالت كيف
لا يعنيني وقد جاءني بديته وارتة الذهب فقال هذا
من مالي فقالت له شانك ولنا حاسبة على اموالك
ولئن خالفتني وقتلته قتلت نفسي فقال قد
عفوت عنه لاجلك فقالت اكتب له وثيقة
العفو فكتب له امانا واعطاها اياه بعد ختمه
فاخذته واعطته لابن المجيدي وفي الحال ارسل
الباشا للذي ارسلهم للقبض عليه فردهم وبقيت
الاندلسيون ينتظرون نزوله ليقتل فما وقع
فاصبحوا راجعين الى الباشا شاكين من عدم الاخذ

بثارهم

بثارهم فقال لهم الباشا ان هذا الامر مخالف للشريعة
وكنتم استغزيتموني بالامس وحين رايته مخالفا
للشرع رجعت عنه واما انت يا فلان من حيث
انك ظننت بحرمك سوءا فطلقتها فطلقها في الحال
فقال اذهب واعطها جميع ما لها واياك ان تمسك
منه شيئا فنزل وارسلت خالها فاخذت جميع
متاعها وصبرت حتى انقضت عدتها وتزوجها
المجيدي بعد ذلك ووقع بينهما حب عظيم الى ان
ماتا وكان تزوجها سبب توبته فانظر
رحمك الله كيف ابطلت المراة قول الملك لما تعلم من
حبه لها ولهذا كتب بعض الملوك في ديوانه لا افلح
من يسمع نصيحة النساء وذلك انه كان جالسا
في ديوانه فاتاه رجل صياد بسمكة لم ير مثلها حسنا
وجمالا وكان الملك حينئذ في وقت سرور فاعطاه
الف دينار فسمعت امراته بذلك فلامته وقالت له
بئس ما فعلت تخرب بيت مالك فيما لا يصلح
وتعطي الف دينار في سمكة تساوي درهمين فندم
الملك وقال لها كيف الحيلة في تلافي هذا الامر فقالت
ارسل اليه فان جاءك قل له هذه السمكة ذكر ام انثى
فان قال ذكر فقل له اريد انثاه وان كان انثى قل
له اريد ذكرها فدعاه فلما حضر قال له اذكر

هي ام انثى قال هي انثى ملك زوجها قال له انت
بزوجها قال له هي بكر لم تتزوج فاعجبه حسن تخلصه
وامر له بالف دينار وقال اكتبوا في الديوان لا افلح
من يسمع نصيحة النساء قلت ولا عزو في ذلك
لان المراة ناقصة عقلا ودينا وميراثا قال الشاعر

توق النساء فان النسا ء نقصن حظوظا وعقلا ودينا

ولهذا لم تكن امراة نبية قال صاحب بدء الامالي

وما كانت نبيا قط انثى ولا عبد وشخص ذو فعال

ثم وان كن ضعافا وصى النبي صلى الله عليه وسلم
لضعفهن فقال اتقوا الله في الضعيفين لا يركن
اليهن ولا يوثق بهن وان حلفن فقد ينقض عهدهن
قال الشاعر

وان حلفت لا ينقض الدهر عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

وقال غيره

فان تسألوني بالنساء فانني خبير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب

ومع هذا فانهن يخالفن في كثير من الامور وان
اردت تقويمهن ربما كسرن قال الشاعر

هي الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومكائدهن اكثر من ان تحصى فمنها ما حكى

حجر

صاحب المستطرف ان رجلا كان يكتب جميع ما يسمعه
من مكائد النساء واراد بجمعها لديه انه اذا تزوج
امراة لا تقدر ان تمكر معه بمكيدة حتى اتم جميع ما يقال
من مكائد النساء المدنيات ثم خرج الى البادية
فاستضاف قبيلة من الاعراب وبات في بيت شيخها
فسأله الشيخ عن حرفته وما ذا يصنع ولم خرج
الى البادية فاخبره انما خرج ليجمع ما يقال من
كيد النسا ويكتبه وقرا عليه بعضا مما كتبه وكانت
امراة الشيخ تسمع كلامه حتى اذا فرغ هو دعى بالطعام
جاء خادم للشيخ واخبره ان اكابر القبيلة العلانية
جاؤا ضيوفا فقام الشيخ لاطعامهم ونادى امراته وقال
لها عشي ضيفك فجاءته بالعشا وجلست معه والانت
له القول حتى طمع فيها ثم مد يده اليها فقالت له نحن
بدويات وانت حضري وشكلك لا يرضى بنا فقال
لها وكيف لا ارضى بك وانت سيدة النسا فلاحت
عليه حتى هاجت شهوته فقام عليها ووقعت
في صدرها فارخت نفسها الى الارض فنزل بين
شعبتيها فلما حصل منها اراد ان يولجه فيها فضمت
فخذيها عليه وقالت له اما تستحي تاتي الى محل الاثم و
طابع اهله وانت تجمع مكائد النسا وتفتخر فماذا تركت
الان اني اريد ان اصيح صيحة ليسمعها اهل الحي كلهم

فياتونك ويجدونك على هذه الحالة واقول قد عضني على نفسي
فيقطعونك باسيافهم فخاف وارتجف وصار يطلب الخلاص
لنفسه فما يجد اليه سبيلا ووجدها اقوى منه فلاطفها
وتحيل عليها ان تطلقه فابت ثم جمعت احدى رجليها
وضربته في صدره وصاحت صيحة سمعها اهل الحي فجاء
زوجها والناس وراوها جالسة وهو ملقى مغمى عليه فقالوا
لها ما هذا قالت ادركوا ضيفكم فانه جائع وقد
غشي من شدة جوعه واغمي عليه فصحت لذلك فرشوا
عليه الماء وايقظوه وقالوا له اذهبت عضتك قال نعم
فقال له رب المنزل يا هذا كل على رسلك واشد
الطعام كثير وكلما خلص اتيناك بغيره وتركوه معها
ومضوا الى حالهم فقالت له المراة يا هذا كيف وجدت
مكيدتي اكتبها في دفترك واياك ان تغتر وبالجملة
فالنساء على اقسام فمنهن الطاهرات ومنهن العاهرات
ومنهن الخائنات ومنهن السيدات وهن مصابيح
البيوت وطابخات القوت ولا غناء عنهن
قال الشاعر

فمنهن من تسوى ثمانين بكرة … ومنهن من تغلو بجلد حواره
ومنهن من تاتي الغنى وهو معسر … فيضحي وكل الخير في صحن داره
ومنهن من تاتي الغنى وهو موسر … فيصبح لم يملك علوف حماره
ومنهن من لم يستر الله عرضها … اذا غاب عنها الزوج راحت لجاره

فلا

فلا رحم الرحمن خائنة النسا … ويحرق جميع الخائنات بناره
قلت وفيهن ربات العفاف ومن لا تنسى قديم العشرة
من ذلك ما حكاه صاحب الاقوال الجياد فيما صدر عن
الاجواد ان معاوية رضي الله عنه كان جالسا في قصره
بدمشق وكان وقت الظهيرة في وقت شدة الحر فراى اعرابيا
يمشي في شدة الحر قادما على القصر فقال اما هذا لصاحب
حاجة فوالذي نفسي بيده لئن كان شاكيا لانزلن شكايته
او مظلوما لازيلن ظلامته ثم نادى بالحاجب وقال
ان جاء اعرابي الى الباب الآن فلا يحجبه احد بل ادخلوه
فقال سمعا وطاعة ونزل الحاجب فراى الاعرابي فقال
له ماذا تريد فقال اريد الخليفة فادخله عليه فلما مثل
بين يديه انشد يقول

معاوي يا ذا الجود والحلم والفضل … ويا ذا الندى والعلم والحلم والعقل
قصدتك مما ضاق في الارض مذهبي … فيا غوثا لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بانصاف من الجائر الذي … بغاني ولم يعدل وغاصبني اهلي
سبا لي سعدى وانبرى بخصومتي … وجار على ضعفي واذهب لي عقلي
وهم بقتلي غير ان منيتي … تانت ولم استكمل العمر من اجلي

فقال له معاوية افصح يا اخا العرب عن مقالك فقال
يا امير المؤمنين ان لي ابنة عم وانا بها كلف ولي بها
صحبة لا تنسى فاصابنا جدب في البادية فذهب الخف
والظلف واقتصت ايدينا بالتراب فجئنا الى المدينة

يستمطر خيرها ونخدم فى بعض مهنها فمر علينا مروان بن الحكم
عامله فنظر الى سعدى فوقعت منه موقع الاعجاب فقال
لى من تكون منك هذه قلت حليلتى قال امكنك ان تسلوها
وانا اعطيك امة وعبدا وعشرة من الابل فقلت لا والله
فتركنى وذهب وبحث عن اخيها فجاء ورغبه فى المال فرغب
فقال له ان قدرت على طلاقها منه فنحن نرضى ان تكون لنا
زوجة فدعانى فلما حضرت قال لى ايها الاعرابى طلق سعدى
فقلت لا والله فرغبنى فى المال اولا فابيت فلما راى امتناعى
نظر الى كالليث الغضبان وقال طلق سعدى والا قتلتك فقلت
لا والله فامر بضربى فضربت حتى اغمى علي وبقيت لا اعقل
شيئا ثم امر بحبسى وذكر لى عمه انه يعذبونى ولما طال العذاب
علي لم اجد بدا من طلاقها فطلقتها كارها فحبسنى حتى
انقضت عدتها وعقد عليها ودخل بها فاطلقنى فتركته
عليها وجئتك شاكيا فقال معاوية لقد ظلم مروان
وتعدى وانتهك حرمات الله تعالى وكتب له كتابا بتولية

ولست ويحك امر الست تدركه ... فاستغفر الله من فعل امرئ زانى
وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا ... يشكو الينا باوصاب واحزان
طلق سعاد وارسلها معاجلة ... مع الكميت ونصر ابن ذبيان
انى حلفت يمينا لا اكفره ... غنم وابرا من دينى وايمانى
ان لم تطلق وترسلها معجلة ... لأجعلنك لحما بين عقبان

ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه الكميت ونصر بن ذبيان

وكان

وكان ابينه فركبا وتوجها الى المدينة فلما دخلا على مروان
وناولاه الكتاب قراه وبكى وخر على سعدى واخبرها بالخبر
وقال هذا شئ لا فرار منه ولا حيلة فيه وامرها ان تتجهز
للسفر ثم كتب للخليفة جواب الكتاب وقال فيه

فداك ردحى امير المؤمنين فقد ... اوفى بنذرك فى رفق واحسان
وما اتيت حراما حين اعجبنى ... فكيف ادعى باسم الخائن الزانى
طلقت سعدى وقد جاءتك عجلى ... مع الكميت ونصر ابن ذبيان

فلما وصلت الى معاوية وقرا كتاب مروان اعجبه ما راه من
طاعته وانقياده وقال قد فعل مروان ما يجب عليه ان يفعل
من الطاعة ثم نظر الى سعدى فاندهش من حسنها وجمالها
ووقعت منه اعظم موقع فقال للاعرابى هل لك عنها سلوة
وانا اعطيك عوضها جارية بيضا ومائة ناقة وعشرة عبيد
وعشرة جوار فقال الاعرابى والله لو اعطيتنى ما حوته الخلافة
ما استعوضته بسعدى فقال له الخليفة اما اذ كان كذلك
فانك مقر بطلاقها ومروان قد طلقها ايضا فنحن نخيرها
فمن اختارته ذهب بها ثم توجه اليها وقال لها يا سعدى اى
احب اليك امير المؤمنين فى ملكه وسلطانه وسطوته ام مروان بن الحكم
فى جوره وعسفه ام هذا الاعرابى فى فقره وضعفه فقالت يا امير المؤمنين
هذا الاعرابى وان كان فقير الاهل فقيرا هو احب الى لان لى معه
صحبة لا تنسى وقد كنت معه فى ارغد عيش فانا اولى من صبر معه
على البؤس والضر فاعجب معاوية حسن وفائها وعدم نسيانها
للعهد وامر لها بمال وعقد للاعرابى عليها وتوجه
كل منهما مجبور الخاطر فانظر رحمك الله كيف
لم يفتنها المال ولم تنس العهد
تمت رحلة التونسى